

دراسات في تاريخ بلاد الشام

((سورية ولبنان))

المجلد الثالث

محمد عدنان البخيت

دمشق ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

دمشق ٢٠٠٨
عاصمة الثقافة العربية
DAMASCUS 2008
ARAB CAPITAL OF CULTURE

ifpo

المعهد الفرنسي للشرق الأدنى
المديرية العامة للتعاون الدولي والتنمية في وزارة الخارجية الفرنسية
المركز الوطني للبحث العلمي - الوحدة USR 3135

فرع الدراسات العربية
ص. ب. ٣٤٤ دمشق، سورية

هاتف : ٣٣٣٠٢١٤ (١١ ٩٦٣) - فاكس : ٣٣٢٧٨٨٧ (١١ ٩٦٣)
www.ifporient.org
diffusion@ifporient.org

PIFD 240
ISBN 978-2-35159-044-7

المعهد الفرنسي للشرق الأدنى

دراسات في تاريخ بلاد الشام
سورية ولبنان

محمد عدنان البخيت

ifpo
المديرية العامة للتعاون الدولي والتنمية في وزارة الخارجية الفرنسية

قسم الدراسات العربية

دمشق
٢٠٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى دمشق الشام وأهلها

في مدينة دمشق عاصمة الثقافة العربية لهذا العام

أن تكون دارًا للعربية وبيتًا للعروبة

منذ زمن معاوية بن أبي سفيان وحتى قيام الساعة بإذن الله

محمد عدنان البخيت

٢ ربيع الأول ١٤٢٩ هـ

١٠ آذار ٢٠٠٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة بين يديْ القارئ

بادرتُ في العام الماضي إلى جمع وتحديث دراساتي في تاريخ بلاد الشام: الأردن وسورية وفلسطين ولبنان، على ضوء المصادر التي حُقِّقت، وكذلك بالإفادة من الدراسات المعاصرة التي عقدت خلال العقود الثلاثة الأخيرة حول تاريخ بلاد الشام. وصدرت المجموعة الأولى باسم: "دراسات في تاريخ بلاد الشام: الأردن"، بعمّان، (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، وصدرت المجموعة الثانية التي تتناول تاريخ فلسطين في أواخر العهد المملوكي ومطلع العهد العثماني، في عام ٢٠٠٧م.

وتجيء هذه المجموعة الثالثة، وهي ثماني دراسات تعالج جوانب من تاريخ سورية ولبنان في أواخر العهد المملوكي والقرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي. واعتمدت في هذه الدراسات، كبقية الدراسات الأخرى، على سجلات الدولة العثمانية بمختلف أنواعها مدعمة بمادة سجلات المحاكم الشرعية وكتب التاريخ والتراجم والرحلات وما إلى ذلك، وحرصت على الإفادة من الدراسات الحديثة عن تاريخ هذين البلدين العزيزين.

أما دراساتي باللغة الإنجليزية والفرنسية، فيتولى الآن مركز الكتب الأردني بعمّان طباعتها وإعدادها للإصدار. وما كان لهذا العمل أن يصدر لولا الدعم الكبير الذي لقيته من زملائي في المعهد الفرنسي للشرق الأوسط، صاحب التقاليد العلمية العريقة، والكل يعرف عنايته الدؤوبة في نشر النصوص العربية المهمة والدراسات الجادة، فلهم الشكر الجزيل، وأخصّ بالشكر الأستاذ Jean-Yves L'Hopital مدير المعهد الفرنسي للشرق الأوسط بدمشق، وزميليه الأستاذ الدكتور Floréal Sanagustin والدكتور Jean-Paul Pascual. وأما جهود السيدة الفاضلة الدكتورة سراب الأتاسي، فلا أدري إن كان بمقدور الكلمات أن تفيها حقها، والدعاء هو أن يحفظها الله سبحانه وتعالى. والشكر للزميل الأستاذ الدكتور عبد الكريم رافق، العالِم الجليل النزيه الذي تفضّل

مشكوراً فقام بتحليل هذه الدراسات وتقديمها للقراء. وأُثمِّن هنا جهود القائمين على مديرية الأرشيف والوثائق التابع لرئاسة الوزراء باستانبول، وكذلك أُشيد بمساعدة القائمين على دفاتر الطابو المحفوظة بمديرية الأراضي بأنقرة، الذين صوروا لي المواد التي طلبتُها من كلا الدائرتين. وأشعر دائماً وأبداً بالفضل العلمي الخاص للأستاذ الدكتور خليل ساحلي أوغلو من جامعة استانبول، لما يبديه من تصويب أو توضيح لما أكتب، والشكر مثله إلى الأخ محمد التميمي من مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول (ارسيكا)، والشكر موصول أيضاً إلى الزميل الأستاذ الدكتور فاضل بيات من لجنة تاريخ بلاد الشام، وأعبر عن أجزل التقدير لزميلي الدكتور نوفان رجا الحمود السوارية الذي يعينني دائماً وأبداً في الأمور البحثية. والشكر موصول إلى السيدة إيمان عمورة التي قامت بطباعة النص وتحمّلت بصبر كبير كل التعديلات والإضافات، والشكر موصول إلى السيدة نسرين زبن والسيدة رانيا قاسم لجهودهما الكبيرة أيضاً في طباعة النص. ولقد قامت كل من الآنسة منال حداد والسيد أحمد خريسات والسيدة ليلى سويد، من مركز الوثائق والمخطوطات بفهرسة هذا الكتاب وطباعة الفهارس، فلهم عرفاني بالجميل على ما بذلوا من العمل الدقيق. وأتقدم بالشكر لجميع من زودوني بصور للمخطوطات التي أشرتُ إليها في الهوامش، كما أشكر الأستاذ يوسف الصرايرة وأشَكر كذلك الدكتور نصّار منصور الذي خطّ الإهداء. أما جهود العاملين بالسفارة الأردنية بأنقرة فأنا أعرفها وأُقدرها منذ أربعين عاماً تقريباً، فالله يحفظهم على الدوام.

ومن آيات الواجب أن أُثمِّ ن جهود رؤساء تحرير المجلات العلمية والكتب التكريمية التي نشرت هذه الدراسات، وأذنوا لي مشكورين بإعادة طباعتها. ومن دواعي سروري أن أشكر الأستاذ مأمون صاغرجي الذي قرأ النص من جديد قراءة دقيقة أفدت منها على نطاق واسع.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يغفر لنا إن أخطأنا أو نسينا إنه نعم المولى ونعم النصير.

محمد عدنان البخيت
لجنة تاريخ بلاد الشام – عمان
٦ ربيع الأول ١٤٢٨هـ/ ٢٥ آذار ٢٠٠٧م

المقدمة

تتميز بحوث الدكتور محمد عدنان البخيت باعتمادها المصادر الأولية بأنواعها من عربية وتركية وعثمانية وأوروبية، فالعربية منها تضم سجلات المحاكم الشرعية، ومجموعات الفتاوى وكتب التراجم والأخبار والرحلات، والتركية - العثمانية تضم سجلات الطابو والمالية وكتابات المؤرخين الأتراك، وتضم المصادر الأوروبية كتب الرحالة الذين أموا بلاد الشام والكتابات الحديثة حول جوانب متعددة من تاريخ بلاد الشام، وقد حرص الدكتور البخيت على تحقيق ونشر بعض هذه الأصول، كما أنه استخدمها جميعها في كتابة بحوثه، وفق الشروط العلمية المنهجية الدقيقة، فجاءت بحوثه موثقة ومبنية على مصادر أولية، كما اتصفت استنتاجاته التي بناها عليها بالواقعية لأنها تقف على أرض صلبة من الحقائق التاريخية. وبهذا تُعد بحوث الدكتور البخيت مدرسة بحد ذاتها في المنهج العلمي يفيد منها الباحث المتخصص، كما الطالب الجامعي والقارئ العادي، دون أن يخشى واحدهم وجود خلل في تحقيقها أو شطط في تفسيرها.

وليست هذه الملاحظات مبنية على دراسة البحوث المنشورة في هذا المجلد فحسب بل تنطبق على البحوث التي كتبها الدكتور البخيت كافة سواء منها تلك التي شارك بها في المؤتمرات الدولية، أو التي وضعها لتكريم زملاء أفاضل له، ونلاحظ في جميع كتابات الدكتور البخيت تقيداً بالموضوعية، وهي موضوعية العلاقة بين المؤرخ والحقيقة التاريخية، فلا يشتط في التفسير ولا يحمل الحقيقة أكثر مما تطيق من المعاني، كما أنه لا يغمط حقيقة على حساب أخرى لتتلاءَم الحقائق مع نظرية مسبقة له، تخرج الحقيقة من سياقها وواقعيتها، بل هو يستخرج نظرياته واستنتاجاته من داخل الحقائق، كما يقتضي المنهج العلمي.

وتعالج البحوث التي يضمها هذا الكتاب مواضيع شتى، يجمع بينها إطار تاريخي واحد هو تاريخ بلاد الشام في العقود الأخيرة من الحكم المملوكي والقرون الأولى من الحكم العثماني، وتركز في عدد منها على القوى المحلية في الأرياف وعلاقتها بعضها ببعض، وكذلك مع حكام الولايات التي يتبعونها، ومع استانبول. ونظراً لأن هذه القوى كانت متعددة الأصول والولاءات، فمنها ما كان قيسياً، أو يمنياً في انتمائه القبلي، ومنها ما كان ملتزماً بمذهب ديني معين فتعددت الولاءات واختلطت الأمور، ومن هنا أهمية بحوث الدكتور البخيت الذي حلل فيها هذه الولاءات، والسياسات التي بنيت عليها، والتطورات التي لحقت بهذه القوى، قوة أو ضعفاً وموقف السلطة العثمانية منها، سواء في مركز الولاية أو في إستانبول.

تضم البحوث المنشورة في هذا المجلد رسالة السلطان العثماني بايزيد الثاني إلى عبد المؤمن الحفصي الذي بويع بالخلافة في تونس في عام ٨٩٣هـ/١٤٨٧م مقدماً وساطته بين العثمانيين والمماليك لإحلال السلام بينهم خشية الخطر الصفوي المتصاعد في إيران وإثارته الفتن بين القبائل في شرقي الأناضول الواقعة تحت الحكم العثماني. وأهمية هذه الرسالة تكمن في الصراع على النفوذ في تلك الفترة بين قوة عثمانية راسخة البنيان بعد توطيدِ قدمها في البلقان، واحتلال القسطنطينية في عام ١٤٥٣م، وضم إمارات الغزاة التركمان في الأناضول والتفاتها إلى التوسع في الولايات العربية حيث الموارد الاقتصادية والأماكن الدينية الإسلامية، وبين سلطنة مملوكية أصابها الانحطاط، وبين قوة صفوية شيعية اثني عشرية على وشك توطيد سلطتها في إيران.

ويورد الدكتور البخيت في بحث لاحق نصين أولهما بقلم مصطفى بن كرامة الطرابلسي، وثانيهما بقلم الحسن البوريني الدمشقي يعرضان لتفاصيل الأحداث التي جرت في بلاد الشام في الفترة بين عامي ١٠١٥–١٠١٦هـ/١٦٠٦–١٦٠٧م، حين ثار علي باشا جانبلاط في حلب وانضم إليه فخر الدين المعني الثاني أمير جبل لبنان، وحصارهما لدمشق وتهديدهما قافلة الحج الشامي، وشمول الاضطرابات منطقة نابلس، وكلفت الدولة يوسف باشا سيفاً التركماني لقتال الثائرين، وأهمية

هذا البحث أن علي باشا جانبلاط هو امتداد لثورات الجلالية في الأناضول، وفي تحالفه مع فخر الدين وحصارهما لدمشق تحدٍ واضح للسلطة العثمانية التي بطشت بعد قليل بهذين الثائرين.

ويتناول بحث آخر جوانب من تاريخ بيروت في بدايات الحكم العثماني، ومحاولة سلطاتها تحصينها وتجديد سورها وأبراجها لتردّ غارات الفرنجة، ويصف الدكتور البخيت بروز الأسرة التركمانية من آل عساف كحكام على بيروت، ويستطرد في وصف سكان بيروت ومحلاتها من الضرائب المفروضة عليها بالاستناد إلى دفاتر الطابو العثمانية.

ويتطرق الدكتور البخيت في بحث آخر إلى سيرة الأمير حسين بن فخر الدين المعني الثاني الذي بطش العثمانيون بوالده في عام ١٦٣٥م، واشتداد المنافسة بين القوى المحلية المنقسمة إلى قيسية ويمنية. وقد تزعم المعنيون القيسية. كما تزعم آل سيفا اليمنية. وضم كل حزب خليطاً من أتباع المذاهب، كما استقطب عدداً من العساكر العثمانيين كمرتزقة بعد أن ضعف ولاؤهم للدولة. وكانت الدولة العثمانية قد أخذت حسين بن فخر الدين بعد قتلها أبيه إلى استانبول حيث أدخل سراي السلطان وأصبح في خدمته. وقد ألف الأمير حسين كتاب التمييز الذي عاد الدكتور البخيت ونشره مع زميلٍ له. ويصف الدكتور البخيت هذا المؤلف وأبوابه بالتفصيل، ويتيح بذلك للباحثين في تلك الفترة الاطلاع على مصدر هام ندر استخدامه قبل ذلك.

ويتناول الدكتور البخيت في بحث آخر تاريخ أسرة آل الحنش البدوية في منطقة البقاع، منذ أواخر عهد المماليك وحتى أوائل حكم العثمانيين، فيعالج المهام التي أوكلت إليها، من إدارية وضرائبية، في منطقة البقاع الغنية بالموارد الاقتصادية، ونظراً لذلك توجب على المماليك والعثمانيين، على حد سواء، إما إخضاع هذه الأسرة لسيطرتهم أو إرضائها باستخدامها في موازنة القبائل الأخرى، وفقاً للأوضاع السياسية القائمة، وقد استخدم الدكتور البخيت في كتابة هذا البحث مجموعة من المصادر المعاصرة لأسرة آل الحنش، وكذلك دفاتر الطابو العثمانية التي استخدمها بكثرة للتعريف بالقرى التي أوكل أمرها إلى آل الحنش، وتوزع سكانها، ومقدار

الرسوم المجباة منها، وكذلك إسهام أسرة آل الحنش في تحبيس الأوقاف، وأتبع الدكتور البخيت هذه الدراسة بملاحق تضمنت نصوص رسائل من ناصر الدين ابن الحنش إلى السلطان سليم العثماني بُعيد احتلال السلطان سليم لبلاد الشام في عام ١٥١٦م.

ويرتبط بالبحث السابق ما كتبه الدكتور البخيت في بحث أخر عن العشائر العربية في ولاية دمشق الشام في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، بالاستناد إلى دفاتر الطابو والمهمة العثمانية التي قلما رجع الباحثون إليها حول موضوع العشائر، ومن هنا أهمية هذا البحث والمعلومات الواردة فيه، وموقف العثمانيين من هذه العشائر في العقود الأولى من حكمهم لبلاد الشام. وقد مهد الدكتور البخيت لبحثه بإيراد المصطلحات التي استخدمتها كتب الأنساب حيث الإشارة إلى العشائر وتفرعاتها. ويعدد البحث هذه العشائر، ويتناول موقف السلطات العثمانية منها، فقد خطبت ودَّ القبائل القوية فأسبغت عليها الألقاب والأموال وعهدت إليها بالإقطاعات وبالتزام الضرائب وحتى تعيين رؤسائها حكاماً محليين، في حين شددت قبضتها على القبائل الصغيرة، كما أنها اعتمدت سياسة "فرق تسد" إذ أثارت قبيلة ضد أخرى لإضعاف القبيلتين. ويرصد البحث بدقة أماكن توزع هذه العشائر، وعلاقاتها بعضها ببعض، وبالإدارة العثمانية. ويورد الدكتور البخيت في الهوامش تفاسير دقيقة للمصطلحات والتعابير الواردة في المتن، وكذلك التعريف بالأماكن كعادته في بحوثه كافة، مما يسهل للقارئ عناء البحث عنها.

وفي بحث العوائد المالية لمقاطعات دمشق يزوّدنا الدكتور البخيت بتفاصيل هامة مبنية على دفتر الطابو لسنة ٩٧٧هـ/١٥٦٩م، وخاصة أنه يأتي مع مطلع عهد السلطان سليم الثاني، ومن هنا أهمية هذا البحث والشروح الواردة في هوامشه. وتتوزع العوائد المالية على مقاطعات ولاية دمشق الشام كافة. ويحللّ الدكتور البخيت تفاصيل دفاتر الطابو هذه بالرجوع إلى المصادر الموثوقة من عربية وأجنبية. وترد في البحث معلومات هامة، في المتن كما في الهوامش، حول النقود والمكاييل المستخدمة آنذاك، وكذلك أنواع الزراعات والفواكه التي تشتهر بها كل منطقة، ومصادر المياه وطرق السقاية آنذاك. ويتعرض البحث إلى أنواع الماشية والرسوم

المفروضة عليها كما يتناول أنواع البضائع الواردة إلى دمشق، من منطقتها ومن الخارج، والرسوم المفروضة عليها والحرف المرتبطة بها إنتاجاً وتسويقاً.

ويختتم الدكتور البخيت بحوثه ببحث كتبه بعنوان "مسيرة دمشق وسيرة يوسف بن حسين الأيبش (١٩٢٥-٢٠٠٣م)" الذي شارك به في الكتاب التكريمي المهدى إلى ذكرى يوسف إيبش، وقد تبنت طبع الكتاب وإعداده مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن ويورد الدكتور البخيت في بحثه موجزاً لتاريخ دمشق، واستقبالها الأغراب عبر تاريخها، وصهرهم في ثقافتها، ومساهمتهم بالتالي في إثراء حضارتها، مما يتفق مع سيرة آل الإيبش بعامة، وسيرة يوسف الإيبش بخاصة، الذي رفع من مقام البحوث الإسلامية في العالمين العربي والإسلامي والأجنبي بمساهماته الكثيرة. ويسرد الدكتور البخيت سيرة هذا العالم الفاضل وإسهاماته في إحياء التراث العربي- الإسلامي .

تشكل مجموعة البحوث التي يضمها هذا الكتاب مصادر هامة للباحث في تاريخ بلاد الشام، وبخاصة في الفترة الممتدة منذ أواخر السلطنة المملوكية وحتى القرنين الأولين من الحكم العثماني. وتعد أُنموذجاً في التحقيق والتحليل والمنهج العلمي. والشكر للدكتور محمد عدنان البخيت الذي جمع بحوثه المتفرقة في هذا المؤلف ووضعها بمتناول القراء، والشكر موصول للمعهد الفرنسي للشرق الأوسط بدمشق وللسيدة الدكتورة سراب الأتاسي المشرفة على نشر مطبوعات المعهد لوضع هذه الدراسات في متناول الباحثين.

الدكتور عبد الكريم رافق
أستاذ تاريخ العرب الحديث والمعاصر
ورئيس قسم التاريخ سابقاً في جامعة دمشق
أستاذ كرسي وليم وآني بيكرز لتاريخ العرب
في جامعة وليم وماري بأمريكا

دمشق، آذار ٢٠٠٧م

تنويـه

نُشرت هذه الدراسات في المجلات والكتب التالية:

١ - «دراسة رسالة من السلطان العثماني بايزيد الثاني إلى عبد المؤمن بن إبراهيم الحفصي سنة ٨٩٦هـ/١٤٩١م»، مجلة الدراسات التاريخية المغربية، عدد ١٠، تونس، ١/١٩٧٨م، ص ٦٨-٧٦.

٢ - «أحداث بلاد طرابلس الشام سنة ١٠١٥هـ/١٠١٦هـ١٦٠٦-م/١٦٠٧م»، دراسة مستقاة من نص لمصطفى بن جمال الدين بن كرامة، ونص للشيخ الحسين بن محمد البوريني، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد الأول، كانون الثاني ١٩٧٨م، ص ١٧١-٢٠٦.

٣ - «جوانب من تاريخ بيروت في العهدين المملوكي والعثماني»، نشر في كتاب دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى إحسان عباس، تحرير وداد القاضي، بيروت، ١٩٨١م، ص ٥٩-٧٩.

٤ - «الأمير حسين بن الأمير فخر الدين المعني - حياته وآثاره»، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، العددان ٩-١٠، محرم ١٤٠٣هـ/تشرين الأول ١٩٨٢م، ص ٧٨-٩٤.

٥ - «دور أسرة آل الحنش والمهام التي أوكلت إليها في ريف دمشق ٧٩٠هـ/١٣٨٨م-٩٧٦هـ/١٥٦٨م - دراسة وثائقية»، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، العددان ١٣ و١٤، محرم ١٤٠٤هـ/تشرين أول ١٩٨٣م، ص ٨٨-١٣٧.

٦ – « مسيرة دمشق الشام وسيرة يوسف بن حسين الإيبش (١٩٢٥–٢٠٠٣م) »، مقدمة الكتاب الذي صدر تكريماً للمرحوم الأستاذ الدكتور يوسف الإيبش، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٦م (٢٧ صفحة).

٧ – « العوائد المالية لمقاطعات دمشق الشام على ضوء دفتر طابو (T. D. 474) سنة ٩٧٧هـ / ١٥٦٩م »، نُشر ضمن الكتاب الذي صدر تكريماً للمرحوم الأستاذ الدكتور يوسف الإيبش، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٦م (٥٧ صفحة).

٨ – « العشائر العربية في ولاية دمشق الشام في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي في ضوء دفاتر الطابو والمهمة العثمانية »، مجلة العرب، دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع، ج٩ و١٠، السنة الحادية والأربعين، الرياض، (الربيعان ١٤٢٧هـ/ نيسان–أيار/أبريل–مايو ٢٠٠٦م) (٥١ صفحة).

وقد تمّ استئذان الزملاء رؤساء تحرير المجلات العلمية أعلاه، بالإضافة إلى الأستاذ الدكتورة وداد القاضي، ومؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن، وقد تفضلوا بالموافقة خطيّاً على إعادة نشر هذه الدراسات. ونغتنم هذه المناسبة لنشكرهم جميعاً.

محمد عدنان البخيت

رسالة من السلطان العثماني بايزيد الثاني إلى عبد المؤمن بن إبراهيم بن عمرو عثمان الحفصي سنة ٨٩٦هـ/ ١٤٩١م

ضمن مجموعة المخطوطات العربية المحفوظة في برلين، توجد نسخة رسالة من السلطان العثماني بايزيد[١] الثاني إلى عبد المؤمن بن إبراهيم بن أبي عمرو عثمان

١ - السلطان العثماني بايزيد خان (٨٨٦هـ/ ١٤٨١م-٩١٨هـ/ ١٥١٢م)، تولى الحكم بعد وفاة أبيه السلطان محمد الفاتح. ساءت علاقته مع السلطنة المملوكية إثر هروب أخيه الشاهزاده السلطان جم (يذكر أحياناً في المصادر العربية المعاصرة باسم الجمجة) إلى القاهرة حيث استقبله السلطان المملوكي الأشرف قايتباي بحفاوة زائدة. وبالرغم من محاولة السلطان قايتباي ثنيه عن العودة إلى بلاد السلطنة العثمانية لمحاربة أخيه، إلا أن جم رجع إلى الأناضول حيث هزم هناك قرب يني شهر في ربيع الثاني سنة ٨٨٦هـ/ حزيران ١٤٨١م، ليهرب من هناك إلى رودس، ولينتهي به المطاف سجيناً لدى البابا إلى أن سم هناك. ولقد ترتب على لجوئه إلى القاهرة أن وقعت الحرب ما بين الدولتين السنيتين كما هو مبين في هامش رقم (١٤). ولقد عرف عن السلطان بايزيد تعاطفه مع الصوفية، كما شهر عنه عطفه وعطاياه لأهالي الحرمين الشريفين وأنه رتب لهم الصرر السنوية. وتذكر المصادر أن المؤرخ الدمشقي جمال الدين يوسف بن عبد الهادي (ت ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م)، وضع رسالة في فضائله، كذلك شاعر مكة الشيخ شهاب الدين أحمد بن الحسين العليف (ت ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م) حيث وضع رسالة باسم "الدر المنظوم في مناقب بايزيد سلطان الروم"، انظر الغزي، نجم الدين (ت ١٠٦١هـ/ ١٦٥٠م)، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، ٣م، تحقيق جبرائيل جبور، المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٩٥٤-١٩٥٩م، م١، ص ١٢٢-١٢٤، انظر كذلك:
V.J. Parry, « Bayazid II », in *E.I.*², vol. I, p. 1153-1155, Halil Inalcik, « Djem », in *E.I.*², vol. II, p. 542-544.
أما كتاب ابن العليف فتوجد منه نسخة بخط المؤلف في مكتبة فاتح تحت رقم ٤٣٥٧، وتقع في ١١٨ ورقة، وتوجد منه نسخة مصورة في مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية.

الحفصي، مضمومة إلى مخطوطة "خريدة العجائب وفريدة الغرائب" لزين الدين عمر بن مظفر الوردي الشافعي[٢]، (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، وهي مسجلة تحت رقم Ms. Or. Sprenger 15، وتقع في ست صفحات في ثلاثة وتسعين سطراً ومكتوبة بخط مشرقي يختلف عن خط مخطوطة، "خريدة العجائب وفريدة الغرائب" المشار إليها أعلاه. أما تاريخ نسخها فكما جاء على هامش الصفحة السادسة من الرسالة فهو في سنة ١٠٤٩هـ/١٦٣٩م. وعند العودة إلى مجموعة منشآت السلاطين لأحمد ابن عبد القادر المشهور باسم فريدون بك[٣] (ت ٩٩١هـ/١٥٨٣م)، لا نعثر على نص لهذه الرسالة، كما أن المصادر العربية المتوافرة لدينا لا تشير إليها، وليست هذه المعضلة الوحيدة التي تكتنفها، فهناك عدة أمور من أهمها أن المعلومات المتوافرة عن عبد المؤمن بن إبراهيم الحفصي وفترة حكمه في تونس ضئيلة. يضاف إلى ذلك أن تاريخ هذه الرسالة يرجع إلى سنة ٨٩٦هـ/١٤٩١م وهو تاريخ متأخر بالنسبة لما تذكره المصادر المتوافرة عن فترة حكم عبد المؤمن القصيرة خلال سنة ٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م.

---

٢ – عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس المعرس الحلبي الشافعي، يعرف باسم ابن الوردي، ولي القضاء بمنبج بشمالي سورية، له عدد من المؤلفات من بينها كتابا "خريدة العجائب وفريدة الغرايب وتتمة المختصر في أخبار البشر"، عن حياته، انظر ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد، (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٥م، تحقيق محمد سيد جاد الحق، مطبعة المدني، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٦٦م، م٣، ص ٢٧٢-٢٧٤، أما كتاب الخريدة فلقد طبع وترجمت منه أجزاء إلى اللغة اللاتينية. كما طبع عدة مرات في القاهرة، انظر سركيس يوسف اليان، معجم المطبوعات العربية والمعربة في مجلدين، القاهرة، ١٩٢٩م، ص ٢٨٤-٢٨٥.

٣ – طبعت منشآت السلاطين لأحمد فريدون بك مرتين في اسطنبول: الأولى سنة ١٢٦٤هـ - ١٢٦٥هـ/١٨٤٧م-١٨٤٨م، وطبعة أخرى ثانية سنة ١٢٧٤هـ-١٢٧٥هـ /١٨٥٧م-١٨٥٨م، أما المؤلف فلقد عمل كمنشيء في معية الوزير محمد باشا سكولو، جمع الأوامر الشريفة للسلاطين ومراسلاتهم في كتابه الذي وسمه باسم منشآت السلاطين حول حياة المؤلف وقيمة الكتاب انظر:

J.H. MORDTMANN, (V.L. Menage), « Feridun Beg », *E.I.*², vol. II, p. 901-902.

تذكر المصادر أن الخليفة الحفصي أبا عمرو عثمان[٤]، كان قد توفي في أواخر رمضان بعد حكم طويل (٨٣٩هـ/١٤٣٩م-٨٩٣هـ/١٤٨٧م)، وأنه كان قد عهد في حياته بالخلافة من بعده لابنه المولى أبي عبد الله محمد المسعود[٥]، إلا أن محمداً هذا كان قد توفي في حياة أبيه سنة ٨٧٥هـ/١٤٧٠م. ونجد أن المصادر العربية تسكت عن موضوع ولاية العهد لتعود وتذكر أن أبا زكريا يحيى ابن المتوفى محمد المسعود، أي حفيد أبي عمرو عثمان كان قد بويع له يوم وفاة جده. "وخرج إلى

---

٤ - أبو عمرو عثمان (٨٣٩هـ/١٤٣٥م-٨٩٣هـ/١٤٨٨م)، بويع بالخلافة يوم وفاة أخيه أبي عبد الله محمد الرابع المنتصر بن أبي فارس عبد العزيز. وكانت البيعة يوم الجمعة الثاني عشر من صفر سنة ٨٣٩هـ/٦ أيلول ١٤٣٥م. عني ببناء المدارس والمساجد والتكايا وحبس عليها الأوقاف وقمع فساد الأعراب وفي عهده أصيبت البلاد التونسية بالوباء في سنوات ٨٤٧هـ/١٤٤٣م، ٨٥٧هـ/١٤٥٣م، ٨٧٢هـ/١٤٦٧م-٨٧٣هـ/١٤٦٨م. ويذكره المؤرخون على انه كان "ختام الدولة الحفصية ونظام المحاسن الفاخرة في البلاد الإفريقية"، حول حياته انظر الزركشي، محمد بن إبراهيم اللؤلؤي (ت ٨٨٢هـ/١٤٧٧م) تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، مطبعة الدولة التونسية، تونس ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م، ص ١١٤-١١٧، ولقد كان المؤلف معاصراً لأبي عمرو عثمان، كذلك انظر ابن أبي دينار، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، (ت ١٠٩٢هـ/ ١٦٨١م)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق وتعليق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ص ١٥٥-١٥٩، الوزير السراج، محمد بن محمد الأندلسي، (ت ١١٤٩هـ/١٧٣٦م)، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٠م، المجلد الأول في أربعة أجزاء، ج ٤، ص ١٠٨٢ و١٠٨٧، ابن أبي الضياف، أحمد (ت ١٢٩١هـ/١٨٧٤م) اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، نشر كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، تونس ١٩٦٣م، م ١، ص ١٨٦-١٨٩.

٥ - يذكر الزركشي أن زواجه كان سنة ٨٥٥هـ/١٤٥١م، وتوفي في حياة أبيه سنة ٨٧٥هـ/١٤٧٠م، ويقول الوزير السراج، وفي جمادى منها (٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م) توفي ولي العهد المولى أبو عبد الله محمد المسعود ودفن بمقبرة أجداده جوار ولي الله سيدى محرز بن خلف وكان من أنجب بني حفص، انظر: الزركشي، المصدر نفسه، ص ١٢٨، ص ١٣٧، ابن أبي دينار، المصدر نفسه، ص ١٥٨، الوزير السراج، المصدر نفسه، م ١، ج ٤، ص ١٠٨٩.

المحلة - على حسب العادة - فهربت جماعة من جنده وأخبروا أن المحلة أخذتها العرب، وأن الأمير مات، فمن الغد جيء برأسه وطيف به" . وكان هذا نتيجة لمؤامرة قادها ابن عمه أبو محمد عبد المؤمن ابن الأمير أبي إسحاق إبراهيم ابن الخليفة أبي عمرو عثمان، وأن عبد المؤمن هذا بويع بالخلافة في رجب من السنة المذكورة (٨٩٣هـ/١٤٨٧م)، وفي شهر ذي الحجة جيء بجثة قيل أنها جثة الخليفة يحيى ودفنت عند "سيدي أحمد السقا وكل ذلك مفتعل. ثم بعد ذلك افتضح الأمر وظهر أن الأمير بالحياة" .

والجدير بالذكر أن المصادر لا تذكر لنا بالضبط كم من الأشهر أو السنوات قضى عبد المؤمن بن إبراهيم في الحكم، إذ أننا نجد أن ابن أبي دينار (ت ١٠٩٢هـ/ ١٦٨١م)، الذي ينقل عنه الوزير السراج (ت ١١٤٩هـ/١٧٣٦م)، وابن أبي الضياف (ت ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م)، يذكر الخبر بشكل غامض حيث يقول "وبعد خبر يطول دخل السلطان أبو زكريا يحيى وفر عبد المؤمن واستقل أبو زكريا بملكه وبعد أيام جيء برأس عبد المؤمن وطيف به كما طيف برأس الخليفة يحيى (الثالث) وكفى الله المؤمنين القتال. ورجع إلى حضرته بتونس وبويع بيعة ثانية، ووقع الحلم منه على الناس، وجاءته بيعة بلد العناب وقابس وصفاقس ودانت له البلاد[٦] .

من هذا النص يمكن الاستنتاج بأن يحيى استطاع استرجاع ملكه بعد حروب طويلة مع ابن عمه عبد المؤمن وأن انقساماً كان قد وقع بين الرعية وعلى الأرجح أن

---

٦ - انظر حول هذه الأحداث ابن أبي دينار، المصدر نفسه، ص ١٥٩، الوزير السراج، المصدر نفسه، م ١، ج ٤، ص ١٠٩٠، ابن أبي الضياف، المرجع نفسه، م ١، ص ١٨٩-١٩٠، والجدير بالذكر أن المستشرق النمساوي إدوارد فون زامباور في قاموسه معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، لم يذكر عبد المؤمن، انظر المرجع المذكور، ترجمة وإخراج الدكتور زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود مطبعة جامعة فؤاد الأول (القاهرة)، القاهرة، ١٩٥١م، ص ١١٥-١١٧، على أن المستشرق الإنجليزي Bosworth ذكره في معجمه انظر:

C.E. Bosworth, *Islamic Dynasties*, Edinburgh University Press, 1967, p. 35-37.

ويستفاد من إشارة الأستاذ بوزورث على أن حكمه دام قرابة عام.

بلاد العناب وقابس وصفاقس كانت بجانب عبد المؤمن. وربما استمر حكم عبد المؤمن هذا معاصراً لابن عمه يحيى فترة أطول مما توحي به المصادر التي ربما أيضاً حاولت أن تطمس أخباره بتأثير من يحيى.

إن الرسالة تشير إلى وساطة عبد المؤمن لدى السلطان العثماني بايزيد من أجل إحلال السلام بينه وبين المماليك. فمن المعروف أن حروباً مريرة قد اندلعت ما بين الدولتين السنيتين، السلطنة المملوكية والسلطنة العثمانية، لمدة ثماني سنوات، كان من نتائجها دمار المناطق الواقعة على جانبي الحدود. ويلمس من جواب السلطان بايزيد العثماني لعبد المؤمن أن الأخير قد أرسل سفيراً من جانبه يعرف باسم الشيخ محمد الحلفاوي للتوسط في إحلال الصلح والسلام. وبإعادة مفاتيح القلاع والبلاد المفتوحة للمماليك كما هو مبين أدناه.

والجدير بالذكر أن تاريخ الرسالة المثبت كان من نفس عام الصلح ما بين المماليك والعثمانيين.

"نص الرسالة"

بسم الله الرحمن الرحيم

صورة مكتوب أرسله حضرة السلطان المرحوم بايزيد خان لبعض ملوك المغرب يهنيه بالملك النبيه ويعزيه بأبيه وصورته بعد البسملة الشريفة:

﴿وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾[٧]

المقام العالي الذي لعلو قدره الأرفع تخضع الروس، ولحماية جنابه الأمنع تأمن النفوس، ولسنا برق سيفه الألمع تشرق شموس النصر في اليوم العبوس. مقام ولدنا ومحبنا ملك الإسلام على التحقيق، الذي طارت من بأسه خوفاً قلوب أعدائه وتمزقت أي تمزيق، وإذا ذكرت محاسنه ومكارمه وعددت أوصافه ومعالمه وقرر عدله ومراسمه كان ذلك بالنسبة إليه حقير وفي بحر فخره غريق، الملك الهمام حامي حمى الإسلام،

٧ - آية قرآنية من سورة هود رقم: ٨٨.

المرجى لتفريج الشدايد والضيق، كبير الملوك والخلفاء، الذي عمر ربوع العدل والإنصاف بعد العفا، ناصر المظلومين، وكافل الضعفاء والمساكين، المتوكل (١ أ) في سائر أحواله المستعين في حاله وماله بالله الغفور، المحسن ولدنا السلطان الكبير الشهير عبد المؤمن لا زالت أمور الملك بوجوده مسعدة، وأسباب السلطنة برأيه السعيد مؤكدة. أبقى الله وجوده، وبلغه في الدارين مقصوده، ابن السلطان المنعم المرحوم في جوار الرحمن الرحيم، السلطان السعيد الشهيد إبراهيم[٨] ابن أمير المؤمنين ذي الذكر الجميل في الآفاق، والخير الجزيل للعلماء والفقراء على الإطلاق، المشمول بالعفو والغفران، في جوار الملك المنان، أبي عمرو عثمان خلف الخلفاء الراشدين رضوان الله عليه وعليهم أجمعين.

أما بعد حمداً لله الذي لا قاهر سواه، الكريم الذي من التجأ إليه أحسن منقلبه وأكرم مثواه، الحليم الذي لا يعجل بالعقوبة على من عصاه، الرحيم الذي لا رب سواه، نحمده ونشكره على جميع الأحوال ونستعين به ونستنصره في الحال والمآل، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد المؤيد بالنصر والفتح المبين، المتهلل جبينه إذا تقطبت الوجوه تهلل الشمس ولا نور لها كنور ذلك (١ ب) الجبين، المشرف في الإسراء بما لم ينله موسى ولا نوح، المؤيد من السماء المنصور على الأعداء، بالله والملايكة والروح، والرضى عن آله وصحبه الذين وازروه [ازروه] ونصروه وكانوا له أعواناً، وعلى الحق أصحاباً وإخواناً، الذين رقوا في جهاد الكفار

---

٨ - لم أعثر في المصادر المتوافرة لدي على ترجمة لإبراهيم إلا أن الزركشي يذكر شخصاً آخر باسم إبراهيم في أخبار سنة ٨٥١هـ/١٤٤٧م، حيث يقول: "وفي يوم السبت الثاني والعشرين للمحرم من عام إحدى وخمسين وثمانمائة قبض على المولى الأمير أبي اسحق إبراهيم أخي المولى الخليفة الأمير وعلى ولدي أخيه المولى الأمير أبي الفضل واعتقلوا بالقصبة". الزركشي، المصدر نفسه، ص ١٢٦، فإذا كان إبراهيم المعتقل هذا هو نفس إبراهيم المشار إليه في الرسالة فإنه لم يكن ابناً لأبي عمرو عثمان بل ابن أخيه، ومن المحتمل أن يكون قد قتل على يد عمه ومن هنا جاءت الإشارة إليه بالشهيد، ولعل هذا يفسر لنا أمر انتقال الخلافة إلى الحفيد يحيى إذ لو كان لأبي عمرو عثمان أولاد آخرون فلربما كان قد نقل الخلافة لأحدهم من بعده.

أرفع الدرجات وأعلى الرتب، فقال عليه السلام في حقهم: "أصحابي كالنجوم الزاهرة[٩]، وليس ذلك بعجب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة دايمة متوالية متواترة ما كحل مرود الصباح مقل الظلام، وأبكى لمعان البرق أعين الغمام، صلاة دائمة باقية إلى يوم القيامة، ما صاح قمري وما ناحت حمامة، وسلم تسليماً، سلام كريم طيب مبارك عميم متواتر بلا انقضا، يهب نسيمه كالمسك بحيث يملأ الفضا، يخص مقامكم العلي ورحمة الله وبركاته.

لما ورد علينا من الاخبار التي تتفتت منها الأكباد وتورث الاكتئاب(؟) والإنكاد بانتقال أمير المؤمنين[١٠] لدار المنون، قلنا ﴿إنا لله وإنّا إليه راجعون﴾[١١]،

---

٩ - الحديث هو: أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم، ويرى الشيخ ناصر الدين الألباني أن هذا حديث موضوع، انظر الأحاديث الضعيفة والموضوعة، المكتب الإسلامي، دمشق ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، حديث رقم ٥٨، ص ٧٨، والجدير بالذكر أن كلمة الزاهرة لا ترد في الأسانيد المعروفة.

١٠ - برز الحفصيون وهم من قبيلة هنتاتة البربرية، كحكام لدى الموحدين الذين كثيراً ما أنابوا الحفصيين في حكم تونس. إلا أن المستنصر بالله أبا عبد الله محمد بن يحيى (٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م- ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م) الحفصي لقب نفسه بعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد على يد هولاكو التتري سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، بأمير المؤمنين، خاصة بعد أن جاءته بيعة أمير مكة المكرمة أبي نُمي محمد الأول ابن أبي سعد علي بن قتادة على يد العالم الزاهد المتصوف قطب الدين عبد الحق بن سبعين (ت ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م)، الذي كان قد هرب من المغرب وأقام بمكة حيث عالج صاحبها من مرض ألم به وبذلك أصبح وطيد الصلة به. إلا أن المصادر المتوافرة بين أيدينا لا توضح لنا شكل العلاقة التي كانت قائمة ما بين ابن سبعين والمستنصر بالله لا سيما وأن معتقدات ابن سبعين كانت موضع رفض وشك من قبل عدد كبير من علماء عصره وأكثر من واحد منهم كان قد كفره. والجدير بالذكر أن عبد الرحمن بن خلدون يورد لنا نص الكتاب الذي أرسله أبو نُمي مبايعاً للمستنصر، وهذا الكتاب كان من إنشاء ابن سبعين، وأوصله إلى تونس أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن برطلة الأزدي (ت ٦٦١هـ/ ١٢٦٢م). والقراءة المتفحصة لهذه البيعة تجعل القارىء يدرك أن ابن سبعين قد حشاها بالتعابير والمصطلحات الصوفية كما يلمس القارئ حاجة صاحب مكة للمال. ولكن يجب أن يذكر هنا أنه بجانب بيعة صاحب مكة، فإن بيعة أخرى كانت قد وصلت إلى المستنصر من قسم من أهالي الأندلس، كما أنه خطب له على منابر مراكش بيضة الدولة الموحدية وذكر اسمه

كخليفة، وهذا يقود إلى السؤال هل لقب المستنصر بالله نفسه بالخليفة؟ إن المدقق للمتوافر من النصوص يلاحظ أنه لم يتخذ هذا اللقب مع أنه ربما كان يتمناه وكان يشجع على الأقل أن يذكر به كما ذكرنا أعلاه أنه خطب له به على منابر مراكش. كما أن أحد الشعراء هجاه على هذا اللقب إلا أن ابن خلدون يذكره باسم السلطان. ونلاحظ أن مؤرخاً متأخراً زمنياً هو أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)، يذكره بأمير المؤمنين ويذكره بلقب سلطان وبلقب ملك إفريقيا وبصاحب إفريقية ولكن لا يذكره كخليفة.

أن هذا الأمر بحاجة لدارسة مستفيضة على ضوء توفر مصادر جديدة عن حياة ابن سبعين لأن معظم من كتب عنه كابن شاكر الكتبي والذهبي واليافعي وابن كثير كانوا يقفون ضده، لمزيد من التفاصيل انظر: ابن شاكر الكتبي، محمد، (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، فوات الوفيات والذيل عليها، م ٢، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٤م، ص ٢٥٣-٢٥٥، اليافعي اليمني، أبو عبد الله محمد بن أسعد بن علي بن سليمان، (ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، م ٤، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٠م، ص ١٧١، ابن كثير، الحافظ أبو الفداء، (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، م ١٣، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٦٦م، ص ٢٦١، ابن خلدون، عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ٧ م، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، ١٩٥٦م، ١٩٥٩م، م ٦، ص ٦٣٤-٦٥١، حيث تجد نص كتاب البيعة كذلك المصدر نفسه م ٧، ص ٣٧٤، حيث تجد الإشارة بالخطبة له بمراكش، ابن قنفذ القسنطيني، أبو العباس أحمد بن حسين بن علي ابن خطيب (ت ٨١٠هـ/١٤٠٧م)، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق محمد الشاذل النيفر، وعبد المجيد التركي، ص ١٢٠، ص ١٢٣-١٢٤، انظر أيضاً الملاحظات القيمة للمحققين حول البيعة، ص ٢٣٨-٢٤٠، انظر أيضا للمؤلف نفسه، شرف الطالب في أسنى المطالب، ضمن كتاب ألف سنة من الوفيات، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ١٩٧٦م، ص ٧٣، ابن حجر العسقلاني. أحمد ، (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، لسان الميزان م ٣، حيدر آباد، الدكن، سنة ١٣٣٠هـ، ص ٣٩٢، الزركشي، المصدر ذاته، ص ٢٥، المقري، أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٨ م، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، سنة ١٩٦٨م، م ٢، ص ٢٠٨، ص ٢٧٣، ص ٣٢٤، ص ٥٨٤، ص ٥٩٠، ص ٥٩١، م ٤، ص ١١٠، ص ١١٩، ابن أبي دينار، المصدر نفسه، ص ١٣٥، الوزير السراج، المصدر نفسه، م ١، ج ٤، ص ١٠٢٨، ابن أبي الضياف، المرجع ذاته، م ١، ص ١٦٠-١٦٣، وعن الأمراء والحكام الذين تلقبوا بلقب أمير المؤمنين أو خليفة بعد سقوط بغداد انظر:

أسكنه فردوسه الأعلى، وسقاه من الكوثر الأعذب (أ ٢) الأحلى، والله سبحانه نسأله أن يرحم الماضي، ويحفظ الخلف الباقي، فصبراً صبراً، إنما ذلك طريق مسلوك وسراط يرده المالك والمملوك أحسن الله عزاكم، ووهب لكم أجراً غير ممنون، وجعلكم من الذين ﴿لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[١٢]، وهنأكم بطلوع سعد السلطنة والجلوس على السرير السعيد، الموروث عن سلفكم الظاهر في الزمن الماضي والدهر البعيد، والحمد لله الذي حمى بوجودكم الإسلام وقمع الأشرار، واختار لكم السعادتين إن شاء الله تعالى فيما اختار، فكان ذلك عما سواه سلوة كاملة وبهجة للإسلام عامة شاملة. فإنا كتبنا إليكم كتب الله لكم سعداً أسبابه وثيقة مبرمة، وآياته ثابتة محكمة، من مدينتنا القسطنطينية العظمى، دار ملكنا وأشرف ما في أيدينا وملكنا، دار العلم والإسلام، ومحط رحال المظلومين من الخاص والعام، حرسها الله تعالى بعينه التي لا تنام. وعندنا من الاعتقاد في جنابكم والثناء على كرم مجدكم وحسن خطابكم ما لا تفي العبارة بحصوله، ولا تستطيع حصر فصوله، وذلك لما بيننا وبين سلفكم من المحبة التي لا يصفها الواصفون، ولا تتحيز إلى حيز ولا يتقنها المتقنون، فلما (ب ٢) نبتت أصول المحبة، وارتسمت بيد العناية خالص المودة، أوجب عندنا الاعتناء بكم والتواصل بما يجب لجنابكم من قبول ما أشرتم به في شريف كتابكم، من المصالحة لأهل الديار الشامية والمصرية، والكف عن المشاحنة والمكافحة ابتغاء لوجه الله وإكراماً لخير البرية، فقبلنا ذلك منكم سالكين به طرق الخير عملاً بقوله تعالى (والصلح خير)[١٣] فدفعنا إليهم ما استخلصناه من قلاعهم،

Arnold Sir Thomas W., *The Caliphate, Routledge and Regan Paul*, London, Reprint, 1967, p. 107-120.

وبما أن السلطان بايزيد العثماني قد استخدم لقب أمير المؤمنين وخليفة في مرحلة تأزم العلاقات العثمانية المملوكية فلعله قصد من وراء ذلك الانتقاص من الخليفة العباسي المسلوب السلطة من قبل المماليك في القاهرة وبالتالي التعريض بالسلطان الأشرف قايتباي.

١١ - آية قرآنية من سورة البقرة رقم (١٥٦).

١٢ - آية قرآنية من سورة يونس رقم (٦٢).

١٣ - آية قرآنية من سورة النساء رقم (١٢٨).

وأطلقنا لهم ما كنا نتصرف فيه من أرضهم وبلادهم[١٤] . وتركنا العهدة على الغير لعلمنا أن حفظ قلوب المسلمين مطلوب، وهو عند الله مقبول ومرغوب . وبذلك

١٤ - بعد هروب الشاهزاده جم إلى القاهرة كما ذكرنا أعلاه تأزمت العلاقات المملوكية العثمانية وأدى ذلك إلى صدام مسلح على شكل حملات عسكرية أطلق عليها في المصادر المملوكية اسم التجاريد حتى أن الدولة المملوكية اضطرت إلى تجنيد العناصر المحلية كالعشائر التي تذكر باسم عشران، والمصادر المعاصرة تنبئنا عن تجاريد أرسلت سنة ٨٨٩هـ/١٤٨٤م- ٨٩٠هـ/١٤٨٥م، ٨٩١هـ/١٤٨٥م، ٨٩٤هـ/١٤٨٨م، ٨٩٥هـ/١٤٨٩م، وأن من يطالع ما كتبه أحمد بن اياس الحنفي (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م)، وشمس الدين محمد بن طولون الصالحي (ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م)، يدرك مدى الخراب الذي لحق بمناطق الحدود . أما فيما يتعلق بالصلح فيذكر ابن اياس : "وفيه (شهر جمادى الآخرة ٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م) حضر إلى الأبواب الشريفة قاصد من عند ابن عثمان (السلطان بايزيد الثاني)، صحبة ماماي الخاصكي (أحد الأمراء المماليك كان قد أرسل كسفير لابن عثمان سنة ٨٩٥هـ/١٤٨٩م، ابن اياس ص ٢٧٣)، الذي توجه قبل تاريخه إلى عند ابن عثمان وكان هذا القاصد الذي حضر من أجل قضاة ابن عثمان كان يتولى قضاء البرصا وهو شخص من أهل العلم يقال له شيخ علي جلبي فلما صعد إلى القلعة أكرمه السلطان وبالغ في تعظيمه جداً، فأحضر على يده مفاتيح القلاع التي كان ابن عثمان قد استولى عليها فسلمها إلى السلطان، وأشيع أمر الصلح بين ابن عثمان والسلطان، فنزل القاصد في مكان أُعدّ له وهو في غاية الإكرام، ثم إن السلطان أطلق اسكندر بن ميخال الذي كان أسر كما تقدم وأقام في السجن مدة طويلة، فلما أطلقه السلطان أحسن إليه وكساه وكذلك أطلق الأسرى الذين أسروا من عسكر ابن عثمان وكساهم وأحسن إليهم، وتوجهوا إلى بلادهم صحبة القاصد لما سافر، وهذا ما كان من ملخص أمر الصلح بين السلطان وبين ابن عثمان، انظر ابن اياس محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، المجلد الثالث، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ٢١٥ ، ٢٥٠ ، ٢٦٤ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٨١ ، ٢٨١-٢٨٢ ، ابن طولون شمس الدين محمد، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ٢ م، تحقيق محمد مصطفى القاهرة، ١٩٦٢م، ١٩٦٤م، م ١، ص ٤٣ ، ٤٧ ، ٥٣-٥٤ ، انظر كذلك العليمي، مجير الدين، (ت ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ٢ م، مكتبة المحتسب، عمان، ١٩٧٣م، م ٢، ص ٣٢٦ ، ٣٣٥ ، ٣٤٥-٣٤٨ ، ٣٥٩، يذكر العليمي أن الوفد العثماني كان قد زار الخليل في طريق عودته، ويذكر طاشكبري زاده (ت ٩٦٨هـ/ ١٥٦٠م)، ترجمة للمولى علاء الدين علي الأماسي مفادها أنه كان إماماً للسلطان بايزيد عندما كان السلطان أميراً على

تواترت الأخبار والنصوص، "والمؤمن للمؤمن كالبنيان[١٥] المرصوص"، وقد حضر في مجلسنا الشريف رسولكم الكريم الشيخ الفقيه المحدث العالم العامل الزاهد الورع أبو عبد الله محمد الحلفاوي[١٦]- نفع الله تعالى المسلمين ببركاته، وحفظه في حركاته وسكناته - وبلغنا سلامكم الكريم مشافهة، وأحسن السفارة سالكاً طريق الأدب في أثناء المكالمة. وأورد في فضل الصلح آيات كريمة، وأخبار نبوية عظيمة، فقبلنا منه ذلك وارتضيناه، وعملنا بقوله وما أهملناه، والغرض في ذلك الثواب الجزيل في الآخرة فنحن لذلك إن شاء تعالى عاملون ﴿فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنّا له كاتبون﴾[١٧]، فالحمد لله الذي وفقنا لما يحبه ويرضاه، وألهمنا الجهاد في سبيله ونصرنا على أعداء نبيه ودينه سبحانه لا راد لما قضاه. فنحن إن شاء الله تعالى وجيوشنا المنصورة مع سائر المسلمين إخواناً على سرر متقابلين، فليس يكون بيننا إن شاء الله تعالى سوى سبل الخيرات، والصفا

أماسية وعندما تولى بايزيد السلطنة أعطاه قضاء أنقرة ثم قضاء بروسة، ثم أرسله رسولاً من جهته إلى سلطان مصر قايتباي وأصلح بينهما ثم جاء إلى قسطنطينية فأعطاه السلطان بايزيد خان قضاء العسكر بولاية أناظولي وعزل عنه في سنة سبع وتسعماية وكانت وفاته سنة ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م، انظر: الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٥م، ص ١٨٧-١٨٨.

١٥ - الحديث النبوي كما جاء عند البخاري هو كما يلي: حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة عن بريد عن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ﴿المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، وشبك بين أصابعه﴾ صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب نصر المظلوم، حديث رقم (١٩)، دار أحياء التراث العربي، بيروت، م٣، ص ١٦٩، أما كلمة المرصوص فليست من الحديث كما جاء عند البخاري، إلا أن كلمة (مرصوص) مفردة قرآنية جاءت في سورة الصف آية رقم (٣)، ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾.

١٦ - لم أعثر له على ترجمة في المصادر المتوافرة لدينا، وكنت قد سألت الزميل الصديق عبد الحفيظ منصور عنه فأفادني أن عائلة الحلفاوي تونسية يرد لها ذكر في المصادر التاريخية التونسية.

١٧ - آية قرآنية من سورة الأنبياء رقم (٩٤) ولقد ذكرت في الرسالة "ومن يعمل ...".

والإخلاص وحسن المبرات، فلنقل بفضل الله الكبير المتعال ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال﴾[١٨]، والمقصود حسن دعايكم لنا بالنصر على أعداء الدين عقيب الصلوات، وتوفيقنا لما يحبه الله تعالى في ساير الحالات، ونحن كذلك إن شاء الله تعالى في شريف الأوقات، والله تعالى نسأله أن يجعل محبتنا خالصة مخلصة لوجهه الكريم محكمة الأركان، مؤسسة على تقوى من الله ورضوان، والله تعالى يتولاكم بصلة السعود، ويبلغكم حسن الآمال وغاية المقصود وينصر أعلامكم ويمهد أوطانكم ويحفظكم في الحال والمآل، ويسدد آراكم في جميع الأحوال والأقوال، بمنه وكرمه إن شاء الله تعالى، كتب في أوائل رجب الفرد عام ست وتسعين وثما (نمئة) (ب ٣)[١٩].

---

١٨ - آية قرآنية من سورة الأحزاب رقم (٢٥).

١٩ - ما بين (١٠-١٧ ماي/أيار ١٤٩١م).

دور أسرة آل الحنش
والمهام التي أوكلت إليها في ريف دمشق الشام
٧٩٠ هـ/١٣٨٨م - ٩٧٦هـ/١٥٦٨م
- دراسة وثائقية -

تدور هذه الدراسة حول دور أسرة آل الحنش السنية المذهب القيسية الولاء، كقوة محلية في منطقة البقاع وذلك خلال عهد المماليك البرجية، بالإضافة إلى تقصي موقف هذه الأسرة من العثمانيين في بلاد الشام.

وتركز هذه الدراسة على توضيح الأمور التالية:

١ - موقف أسرة آل الحنش تجاه حركة العصيان التي قادها منطاش في بلاد الشام ضد السلطان برقوق.

٢ - موقفها تجاه القوى المحلية الأخرى في نيابة دمشق الشام.

٣ - المهام الإدارية وجمع الرسوم التي أوكلت إليها في العهدين المملوكي والعثماني.

٤ - الصورة التي تقدمها لنا الدفاتر العثمانية عن توزع السكان في القرى التي كانت توكل لأسرة آل الحنش. ومقدار الرسوم التي تجبى من سكان تلك القرى.

٥ - مدى إسهام هذه الأسرة في وجوه الوقف الخيري.

من المعروف لدى الباحثين أن المماليك كانوا قد أعادوا تقسيم بلاد الشام، بهدف تنظيمها إدارياً، إلى عدد من النيابات أو الممالك كان من أبرزها نيابة دمشق الشام التي كانت مؤلفة، بالإضافة إلى حاضرة المدينة وبرها، من أربع صفقات:

١ - الساحلية والجبلية.

٢ - القبلية.

٣ - الشمالية.

٤ - الشرقية.

والجدير بالذكر أن الصفقة الواحدة كانت مكونة من عدد من الأعمال. وتوضح لنا المصادر المملوكية أن الصفقة الشمالية من نيابة دمشق الشام كانت تضم في العهد المملوكي، البقاع (بعمليه)، وعمل بعلبك وعمل بيروت وعمل صيدا[١].

كما وتبين لنا أن البقاع كان في حينه مقسماً إلى عملين:

١ - البقاع البعلبكي "وليس له مقر ولاية".

٢ - البقاع العزيزي "ومقر الولاية به كرك نوح عليه السلام".

والملاحظ أن عملي البقاع كانا يجمعان " لوال واحد جليل مفرد بذاته" وذلك على الأقل إلى حين زمن القلقشندي. وكان يليهما "مقدم حلقة وتارة جندي"[٢].

١ - انظر شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري، (ت ٧٤٢هـ/١٣٤١م)، التعريف بالمصطلح الشريف، مطبعة العاصمة، القاهرة، ١٣١٢هـ، ص ١٧٩، وانظر أيضاً أحمد بن علي القلقشندي، (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ١٤م، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦٣م، م ٤، ص ١٠٨-١١١.

٢ - القلقشندي، المصدر نفسه، م ٤، ص ٢٠١.

ففي البقاع وحول مدينة بعلبك ظهرت أسرة آل الحنش[٣] لتلعب دوراً بارزاً في تاريخ كل من بعلبك والبقاع معاً. وذلك منذ أواخر القرن الثامن الهجري/القرن الرابع عشر الميلادي، إلى أواخر القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي.

وارتبط هذا الدور بالصراع على السلطة ما بين عناصر المماليك البحرية، الذين أفل نجم سعدهم، وما بين المماليك الشراكسة أو البرجية كما تسميهم المصادر. ففي أواخر سنة ٧٨٩هـ/١٣٨٧م نشبت حركة عصيان كبيرة ضد السلطان الملك الظاهر ابي سعيد سيف الدين برقوق بن أنص العثماني اليلبغاوي (٧٨٤هـ/١٣٨٢م - ٨٠١هـ/١٣٩٩م)، بقيادة كل من نائب ملطية تمربغا الأفضلي الأشرفي المعروف باسم منطاش[٤] ونائب حلب يلبغا الناصري[٥] انضم إليهما عدد من النواب والولاة، كان من بينهم نائب بعلبك الأمير كمشبغا المنجكي، الذي ترك بعلبك دون حاكم، بعد أن سلب الكثير من موجوداتها، لينضم إلى حركة العصيان هذه.

---

٣ - راجع مقالة:
Francis Hours (s.j.) and Kamal Salibi, « Muhammad Ibn al-Hanas Muqaddam de la Biqa, 1499-1518 », *Mélanges de l'Université Saint-Joseph*, fasc. 1, tome XIII (1968), p. 3-23.

٤ - ولاه الظاهر برقوق نيابة السلطة بمليطة سنة ٧٨٨هـ/١٣٨٦م، فجمع حوله التركمان وأظهر العصيان، التف حوله عدد من أمراء المماليك البحرية، وعناصر العشير وخاصة عشائر نعير، عاث ببلاد الشام إلى أن تم القضاء عليه بمكيدة سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٢م، حول حياته راجع شهاب الدين احمد بن حجر العسقلاني(ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٥م، تحقيق محمد سيد جاد الحق، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٦٦م، م ٥، ص ١٣٤-١٣٦ راجع أيضاً علاء الدين بن خطيب الناصرية الحلبي، (٨٤٢هـ/١٤٣٨م)، الدر المنتخب في تاريخ حلب، مكتبة دار الأوقاف الإسلامية بحلب، رقم ١٢١٢، م ١، ورقة ١٩٩ (ب) أو صفحة ٣٤٥ وما بعد.

٥ - سيف الدين يلبغا الناصري: تولى نيابة حلب في أول دولة الصالح حاجي بن الأشرف، وبنى في حلب جامعاً، عزله برقوق وسجنه بالإسكندرية وأعاده إلى حلب سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٩م، شارك منطاش في حركته ثم اختلف مع منطاش، وتصالح مع برقوق، حول حياته راجع ابن حجر، المصدر نفسه، م ٥، ص٢١٥-٢١٨ لمزيد من المعلومات عن حياة يلبغا راجع أيضاً علاء الدين علي بن خطيب الناصرية الحلبي الدر المنتخب في تاريخ حلب، مكتبة دار الأوقاف الإسلامية بحلب رقم ١٢١٢، م ٢، ص ٤٢٨.

نجحت هذه الحركة سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م في إعادة تنصيب السلطان صلاح الدين الصالح حاجي الثاني سلطاناً ولمدة عام واحد، بعد أن عزلت السلطان برقوق وأودعته السجن في قلعة الكرك[٦] أما بعلبك التي تركت دون حاكم كما ذكرنا، فقد بادر علاء الدين بن الحنش "شيخ العشير" وتولى نيابتها[٧] إلا أن إنهزام السلطان برقوق في معركة خان لاجين يوم السبت في ١٩ شهر ربيع الآخر ٧٩١هـ/١٧ أيار ١٣٨٩م كانت ضربة موجهة لعلاء الدين بن الحنش الذي تمكن، كما يظهر، من أن يحافظ على حياته بعد أن خسر منزلته نتيجة لهزيمة السلطان برقوق وسجنه في قلعة الكرك.

تمكن السلطان برقوق بفضل مساندة أهالي الكرك وأجنادها له، من الفرار من سجن قلعة الكرك، باتجاه دمشق في يوم الأربعاء عاشر شهر رمضان سنة ٧٩١هـ/ ١٢ أيلول ١٣٨٩م. وعندما علم علاء الدين بن الحنش بذلك باشر إلى معاضدة السلطان برقوق ضد مناوئيه، مما ترك أطيب الأثر لدى برقوق، ففرح به برقوق، وخلع عليه، وكما يبدو فإنه أوكل إلى علاء الدين أمر نيابة بعلبك والبقاع[٨]. ومن الذين عاضدوا أيضاً السلطان الظاهر برقوق في معركته لاسترداد سلطنته، آل

٦ – ابن تغري بردى، جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، م ١١، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، لا.ت. ص ٣٢٧ وما بعد.

٧ – حول حركة منطاش راجع محمد بن صصرى، (ت اواخر القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي ؟)، الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، نشره مع ترجمة إنكليزية له William M. Brinner، م ٢، جامعة كاليفورنيا، ١٩٦٣م، م ١، ص ١٣٩ من النص العربي، كذلك راجع أخبار هذه الحركة لدى تقي الدين أحمد بن علي، المقريزي، (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، الجزء الثالث، القسم الثاني، حققه سعيد عاشور، القاهرة، ١٩٧٠م، أخبار ٧٨٩هـ/١٣٨٧م وما بعد، في ص ٥٦٧ وما بعد، كذلك راجع جمال الدين يوسف بن تغري بردى (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) النجوم الزاهرة في دول ملوك مصر والقاهرة، م ١١، وم ١٢، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، م ١١، ص ٣١٩ وما بعد، م ١٢، ص ١، كذلك راجع ابن صصرى، المصدر نفسه، م ١، ص ٧.

٨ – ابن صصرى، المصدر نفسه، م ١، ص ٧.

بحتر وأمراء الغرب بجوار بيروت، بينما كان تركمان كسروان بزعامة أولاد الأعمى من الموالين لمنطاش. فعندما توجه أمراء الغرب إلى القاهرة بعد انتصار السلطان الظاهر برقوق على مناوئيه دون أن يتمكن من القضاء عليهم وسفره إلى القاهرة، قام أولاد الأعمى بمهاجمة قرى أمراء الغرب ونهبوها وأحرقوها، فكلف السلطان برقوق علاء الدين بن الحنش بتأديب عشائر كسروان التركمانية. فهب لتلبية طلب السلطان ونهب عدداً من قرى كسروان وقتل أحد زعماء التركمان وهو علي بن الأعمى مع جماعة من أتباعه[٩]. وبعد مدة تمكن من القبض على أخيه عمر بن الأعمى ثم أفرج عنه[١٠] فيما بعد.

وعندما أقدم السلطان برقوق على محاصرة دمشق وحرق حي القبيبات فيها وقطع الماء عن المدينة استغل منطاش تصرفه هذا فأخذ نسخاً من فتوى العلماء ضده، ويضيف المقريزي إلى ذلك قوله "وزيد فيها: واستعان بالكفار على قتال المسلمين"، وضمن توقيع العلماء على هذه الفتاوى بما في ذلك توقيع عبد الرحمن ابن خلدون بحضور الخليفة المتوكل[١١] وتلى ذلك خروج الخليفة والسلطان الصالح صلاح الدين حاجي الثاني ومنطاش من القاهرة لمحاربة السلطان برقوق وكان المصاف في ١٤ محرم سنة ٧٩٢هـ/ ٢ كانون الثاني ١٣٩٠م، في معركة شقحب جنوبي دمشق، التي انتصر فيها برقوق وتمكن من أسر الخليفة والسلطان حاجي[١٢]، إلا أن منطاش كان قد أفلت من السلطان برقوق وتحصن في دمشق. أما السلطان حاجي

---

٩ - راجع ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ص ٢٨٩، ص ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨، وما بعد.

١٠ - راجع صالح بن يحيى، (ت ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م)، تاريخ بيروت: أخبار السلف من ذرية بحتر بن علي أمير الغرب ببيروت، حققه فرنسيس هورس اليسوعي وكمال سليمان الصليبي، دار المشرق، بيروت، ١٩٦٩م، ص ٢١٥، الخبر يرد مفصلاً بشكل أوسع لدى اسطفان الدويهي، (ت ١٧٠٤م)، تاريخ الأزمنة، تحقيق الأب فرديناند توتل اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٠م، ص ١٨٩-١٩٠.

١١ - المقريزي، المصدر نفسه، ج ٣، ق ٢، ص ٦٧٣، ابن تغري بردي، المصدر نفسه م ١١، ص ٣٦٠-٣٦١، ص ٣٦٣، ص ٣٦٥.

١٢ - المقريزي، المصدر نفسه، ج ٣، ق ٢، ص ٦٩٢-٦٩٥.

فقد خلع نفسه عن السلطنة، وتمت البيعة مجدداً لبرقوق ليعود بعد ذلك إلى القاهرة تاركاً وراءه منطاش يعيث في بلاد الشام[١٣] .

أما علاء الدين بن الحنش فقد "عصى في قلعة بعلبك هو وجماعته وأحرقوا المدينة ونهبوا وسبوا حريمها وفعلوا كل قبيح وجرد إليهم منطاش عسكر (كذا) مع محمد شاه بن بيدمر" فحاصر مدينة بعلبك، إلا أن مدة الحصار طالت وخربت عساكر منطاش بلاد البقاع، واستعصى الأمر لدرجة أن منطاش نفسه كان يركب إلى بعلبك ويتفقد أسوارها[١٤] إلى أن تم إسقاطها.

وعندما وصل خبر انتصار منطاش على علاء الدين بن الحنش إلى دمشق يوم الثلاثاء ١١ ربيع الآخر ٧٩٢هـ/٨ كانون أول ١٣٨٩م فرح الناس وزفت البشائر "لأنه (علاء الدين) كان قد أساء إلى أهل دمشق وقطع عنهم المياه ونهبوا عشيره (كذا) دمشق في أيام السلطان وهو على قبة يلبغا"[١٥] .

وبعد ذلك بأسبوع، في يوم الثلاثاء ١٩ ربيع الآخر/١٦ كانون الأول، وصل إلى دمشق علاء الدين بن الحنش ومعه مائة وعشرون من أعوانه حيث وسطوا جميعاً وعلقوا من حائط جامع يلبغا إلى جسر الزلابية بدمشق بحضور أهالي المدينة[١٦]، إن هذه النهاية المحزنة لعلاء الدين بن الحنش لم تلغ دور الأسرة في البقاء على ولائها لبرقوق ضد منطاش الذي كان قد هرب من دمشق إلى ريف حلب ليعود بغتة إلى دمشق في مستهل شهر رجب سنة ٧٩٣هـ/حزيران سنة ١٣٩١م، بينما كان نائبها خارجها يطارد منطاش. ولقد تعرضت مدينة دمشق هذه المرة للنهب على يد ما يسمى بالمناطشة وتحولت إلى ساحة للاقتتال ووصف خطيب الجامع الأموي ما حل بمدينته "بالنازلة العظيمة" ويضيف ابن صصرى إلى ذلك قوله: "وهلك الفقير وانكشف حال الغني ولا بيع ولا شرى والناس منتظرين رحمة

---

١٣ - المقريزي، المصدر نفسه، ج ٣، ق ٢، ص ٩٦٥، ابن تغري بردي، المصدر نفسه، م ١١، ص ٣٧١ .

١٤ - ابن صصرى، المصدر نفسه، ٥٧ .

١٥ - ابن صصرى، المصدر نفسه، ٥٨ .

١٦ - ابن صصرى، المصدر نفسه، ص ٥٧-٥٨ .

الله تعالى "[١٧] فما كان من علاء الدين بن الحنش الثاني ونائب قلعة بعلبك إلا أن هبا لنجدة نائب مدينة دمشق. أما ردة الفعل من جانب منطاش فتمثلت بارسال قوات ضدهم من ضمنها عشائر يمنية بقيادة ابن هلال الدولة، فانكسرت القيسية بقيادة ابن الحنش الذي هرب مع نائب قلعة بعلبك وكان مقدار ما قتل من الفلاحين نحو ألف شخص وأُسر مائتان من جماعة ابن الحنش القيسية مع ثمانية من أجناد بعلبك. ولقد أوكل أمر القيسية من الأسرى لليمانية "فعروهم من ثيابهم وسيوفهم ودارت اليمنية حولهم بالسيوف كل من يلحق واحد يضربه يقتله وهو عريان لم يرق لهم عليهم قلب قبحهم الله تعالى، ما أنحسهم وما أجهلهم وما أقل دينهم". ويروي ابن صصرى على لسان من يثق به أن القيسية ما جاءت إلا لنهب دمشق كما فعلت في السابق "ففعل الله تعالى بهم ما فعل"[١٨].

بالرغم من كل هذه النكبات فإن علاء الدين ابن الحنش الثاني استمر في تأييده لنائب الشام. بل نراه يفد عليه في دمشق مع نائب طرابلس الشام اقبغا الصغير ويشاركون في محاربة المناطشة[١٩] بل زيادة في ولائه للوالي نراه ينضم إلى قوات الوالي في محاربة الأمير نعير[٢٠] وعربه الذين كانوا ينزلون على قرية عذراء

---

١٧ - ابن صصرى ، المصدر نفسه، ص ٨٠.

١٨ - ابن صصرى، المصدر والمكان نفسهما.

١٩ - ابن صصرى، المصدر نفسه، ص ٨٩-٩٠.

٢٠ - نعير بن حيار بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن نافع بن حديثة بن غضية بن فضل بن ربيعة الأمير شمس الدين، أمير آل مهنا بالشام، كان أميراً مهيباً ولي أمرة العرب مدة سنين كانت معظم إقامته بسلمية قتله نائب حلب في شوال سنة ٨٠٨هـ/آذار ١٤٠٦م، وبموته أنكسرت شوكة آل فضل وولي الإمرة من بعده ابنه العجل، راجع عنه الترجمة الوافية لدى ابن خطيب الناصرية، الدر المنتخب، م ٢، ص ٢٣٣-٢٣٦، وراجع ترجمته لدى شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٧م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ١٢ م، نسخة مصورة منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لا.ت، م ٩، ص ٢٠٣-٢٠٤، راجع أيضاً مصطفى الحياري، الإمارة الطائية في بلاد الشام، عمان، ١٩٧٧م، ص ٧٦-٧٨.

ضمير[٢١] ويتعرضون للناس فركب نائب الشام عليهم يوم الخميس ٢٧ شعبان سنة ٧٩٣هـ/ ٣٠ تموز سنة ١٣٩١م، إلا أن نعيراً انتصر على عساكر الشام وقتل نحو ألف ومائتين وستين شخصاً من بينهم ابن الحنش نفسه[٢٢] ويقول ابن صصرى عن ذلك: "ورجعت الترك مكسورين وراحت العرب منصورين ومن أعظم العظائم أن تفوز العرب من الترك بالغنائم"[٢٣] ويصف صالح بن يحيى علاء الدين بن الحنش هذا بقوله "وكان ذا سطوة وتجبر وكان قبله قد قتل منطاش والده وأخيه (كذا) مسكوهما من بعلبك وكان علاء الدين المذكور قد أعطاه السلطان برقوق آمرية طبلخانة"[٢٤].

والذي يبدو من خلال ما ذكرناه آنفاً عن الحملة التأديبية التي قادها علاء الدين ابن الحنش ضد تركمان كسروان انتصاراً للامراء البحتريين، أن آل الحنش كانوا يهبون لنجدة البحتريين كلما تعرضوا للمضايقة على يد أي من القوى المحلية. ويفهم من إشارة يوردها صالح بن يحيى أن كبير بيت آل الحنش المعروف باسم علاء الدين علي، ربما يكون حفيداً أو قريباً لعلاء الدين الذي قتل في حادثة نعير، قام بقطع رأس أمير حاج بن الحمراء من قرية صغبين بالبقاع، وأرسل برأسه إلى نائب الشام الذي أرسله بدوره إلى أمير البيت البحتري، متولي بيروت، عز

٢١ - كان كلٌ من قريتي عذرا وضمير من ناحية المرج وتفيدنا إحصاءات دفاتر الطابو عن سكان تلك القريتين أنهما كانتا على النحو التالي:

	(ط. د. ٤٠١)			(ط. د. ٢٦٣)			(ط. د. ٤٧٤)		
	خانة	مجرد	أمام	خانة	مجرد	أمام	خانة	مجرد	أمام
أ. قرية ضمير	٢٠٠	٩	١	٢٥١	-	١	١٧٥	-	-
ب. قرية عذرا	١٥٦	٤	١	١٩٩	-	١	١٣٦	٢٣	٢
	ص ٨٥-٩٢			ص ٢٢٣-٢٢٧			ص ٥٦٥-٥٦٧		
				٥٢٨-٥٣٠					

٢٢ - ابن صصرى، المصدر نفسه، ص ٩٣.
٢٣ - ابن صصرى، المصدر نفسه، ص ٩٢.
٢٤ - صالح بن يحيى، المصدر نفسه، ص ٢١٥-٢١٦.

الدين صدقة (ت ٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م) فمن المعروف أن ابناء الحمراء وهم سنة، من قرية صغبين قد بدؤوا بالنزوح إلى بيروت وأخذوا يزاحمون آل بحتر على اقطاعاتهم في جهات بيروت. كما وأنه قد سبق ذلك أيضاً أن فاجأ أمير حاج هذا عز الدين صدقة في بيروت وهاجم المدينة ولم يتمكن عز الدين من اللحاق به أو التخلص منه إلى أن تدخل آل الحنش وخلصوه منه[٢٥]. ويلخص اسطفان الدويهي هذه العلاقة في وصفه لعز الدين صدقة بقوله: "وكان بينه وبين الأمراء أولاده الحمرة الذين نزلوا من البقاع وأخذوا السكنة ببيروت دشمنة (عداوة) غير قليلة من باب الحسد في الحكم"[٢٦].

وعلى الأغلب فإن منزلة آل الحنش بدأت تقوى على حساب الأسرة البحترية فمثلاً نجد أن أحد أمراء آل الحنش المعروف باسم الأمير عساف كان نائباً لبيروت وصيدا "وتلك المعاملة"، وهذه المناطق كانت توكل عادة لآل بحتر. واتصف بقسوة على "المناحيس ببلاده" مما أكسبه محبة الناس لذا عندما وجد مقتولاً سنة ٩٠١هـ/ ١٤٩٦م في أحد أحياء مدينة دمشق، ربما بتدبير من نائب دمشق نفسه، تأسف الناس عليه هناك[٢٧]. ويفهم من النصوص المتفرقة التي فيما بعد تذكر هذه الأسرة، أن نائب دمشق أخذ بسياسة تقليص نفوذ أسرة آل الحنش، واعادتها من جديد إلى مستوى "المقدمية" ضمن إطار البقاع وتولى أمور الأسرة بعد مقتل عساف الأمير شهاب الدين أحمد بن الحنش (ت ١٤٩٨م). وبرز من بعده على مسرح الأحداث ناصر الدين محمد الذي كانت علاقته مع نواب الشام متقلبة، ومما زاد الطين بلة أن التنافس بدا يستشري بين أبناء البيت الحنشي. ففي أواخر شعبان سنة ٩٠٤هـ/ ١١ نيسان ١٤٩٩م قبض نائب الشام جان بلاط على عدد من مقدمي ريف نيابة

---

٢٥ - صالح بن يحيى، المصدر نفسه، ص ٢٤٨.

٢٦ - اسطفان الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص ٢٠٨، انظر أيضاً كمال سليمان الصليبي، منطلق تاريخ لبنان، بيروت، ١٩٧٩م، ص ١٥٢.

٢٧ - شمس الدين محمد بن طولون، (ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م)، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، م ٢، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، ١٩٦٢-١٩٦٤م، م ١، ص ١٦٧-١٦٨.

دمشق الشام، كان من بينهم ناصر الدين المذكور "وطلب من كل واحد من المقدمين وجماعته وبلاده مائة ألف دينار[٢٨]" . وبناء على توسط القاضي الشافعي لدى النائب تم إطلاق سراح ناصر الدين على أن يدفع للنائب ألف دينار. ويظهر لنا أن النائب أثناء احتجازه لناصر الدين كان قد عين أخاه الأمير حسن، مقدماً على البقاع مما أثاره غضب ناصر الدين ودفع به إلى قيادة حركة عصيان ضد نائب دمشق، وذلك في مطلع شهر رمضان من ذلك العام. تمكن ناصر الدين من منع أخيه من الوصول إلى "المقدمية" بل ترددت الأخبار بأنه كاد مع جماعته وعشيره يهاجم مدينة دمشق ذاتها، فكان ذلك سبباً في إثارة النائب عليه[٢٩] فبادر النائب بدوره إلى قيادة قوات عسكرية من دمشق وخرج بها من أجل تأديب ناصر الدين، فنهب عسكره البقاع وحرق بيت ناصر الدين في قرية قب الياس[٣٠] بالبقاع ومن هناك توجه نائب دمشق إلى بيروت حيث صادر من التجار الإفرنج الموجودين فيها، عدداً من الأحجار الكريمة وقطعاً من الجوخ، وختم على بضائعهم بعد أن قيمها بأضعاف أثمانها في سبيل تحصيل ما هو أكثر من العشر الذي يجمع عادة على البضائع. ومن بيروت قصد

---

٢٨ - ابن طولون، مفاكهة الخلان م ١، ص ٢١٢، انظر أيضاً: أعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تحقيق محمد احمد دهمان، دمشق، ١٩٦٤م، ص ٩٥-١٩٦.

٢٩ - المصدر نفسه، م ١، ص ٩٣.

٣٠ - كانت قرية قب الياس في القرن السادس عشر تابعة لناحية قورنة من سنجق (لواء) الشام، وكان تعداد سكانها على النحو التالي:

(ح ٩٣٠هـ/١٥٢٣م)	(ح٩٢٧هـ/١٥٣٠م)	(ح ٩٥٠هـ/١٥٤٣م)	(٩٧٧هـ/١٥٦٩م)
ط. د. ٣٤٠	ط. د. ٣٨٣	ط. د. ٤٠١	ط. د. ٤٧٤
خانه ٨٥	١٣٥	١٤٠	١٢٠
خانه ٢٢	١٥	٦٥	-
خانه ١	٢	٢	-
خانه ١	-	-	-
ص ١٤٦	ص ١٧٩	ص ٢٤٧	ص ٢٩٨-٣٠٠

صيدا حيث طلب من قاضيها أن يضبط له جهات ابن الحنش فيها ثم عاد من هناك إلى قرية زنتون[٣١] بالبقاع، ومنها توجه إلى دمشق التي وصلها على حين غفلة في ١٤ رمضان سنة ٩٠٤هـ/ ٢٥ نيسان ١٤٩٩م، دون أن يتمكن من إلقاء القبض على ناصر الدين بن الحنش الهارب من وجهه[٣٢].

وعلى الأرجح أن المماليك أدركوا عدم جدوى استخدام العنف ضد ناصر الدين فنهجوا أسلوب التقرب إليه، لا سيما بعد عزل جان بلاط ونقل والي حلب قصروه ليتولى نيابة دمشق سنة ٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م فكان من أولى خطواته التي اتخذها في هذا الخصوص أن أمر بصلب ابن عم ناصر الدين الذي كان قد سعى على الأخير، وكان السبب في نهب بلاد ابن الحنش "وهتك حريمها وحريق قراها وقتل خلق كثير فلما قتلوه عاد ابن عمه (ناصر الدين) المذكور إليها[٣٣]" وقوي عنصر الثقة بين ناصر الدين وبين نائب دمشق بحيث أنه تعاون في ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م مع قوات النائب في محاربة العربان بالقرب من بحيرة الهيجانة "وقتلوا منهم خلقاً ونهبوا منهم شيئاً كثيراً نساء وأولاداً وجمالاً وغنماً وغير ذلك ورجعوا إلى دمشق[٣٤]". والظاهر أن هذه الخطوة جاءت تأديباً للعرب (من المفارجة وبني لام) الذين هاجموا أطراف دمشق "ونهبوا مغلاً كثيراً وخربت بلدان كثيرة[٣٥]". ودلالة على الانسجام الذي اتسمت به علاقات ناصر الدين مع المسؤولين في دمشق نلاحظ أنه في العام نفسه يخرج مع كبار المسؤولين من أرباب الوظائف لاستقبال النائب الجديد المعروف باسم قانصوه نائب البرج الذي كان معزولاً بمكة المكرمة، إلا أنه صفح عنه، وعين لنيابة الشام، وقدم قانصوه إلى الشام عن الطريق الغزاوي برفقة قافلة الحج الشريف[٣٦].

---

٣١ - حول قرية زنتون راجع القائمة المرفقة لفهارس قرى كرك نوح ، رقم ٢٢ .
٣٢ - ابن طولون، مفاكهة، م ١، ص ٢١٤-٢١٥، اعلام، ص ٩٥، ص ٩٦-٩٧ .
٣٣ - ابن طولون، مفاكهة، م ١، ص ٢٢٤، اعلام، ص ١٠١ .
٣٤ - ابن طولون، مفاكهة، م ١، ص ٢٤٥ .
٣٥ - ابن طولون، اعلام، ص ١٣٦، ص ١٣٩ .
٣٦ - ابن طولون، اعلام، ص ١٣٦، ص ١٣٩ .

ومن الجدير بالذكر أن هذه العلاقة الودية مع المسؤولين في دمشق عادت وانتكست لأسباب لا تذكرها المصادر المتوافرة لدينا. وجل ما تورده أن نائب دمشق قانصوه، خرج من صباح يوم الأربعاء ثاني ذي القعدة سنة ٩٠٩هـ/١٨ نيسان ١٥٠٤م، بعسكره وبالسلاح وقصد البقاع. فلما علم ناصر الدين بذلك هرب من وجه النائب الذي قام بحرق بيت ناصر الدين بقرية مشغرا بالبقاع وكالعادة "خربت بلاد كثيرة من الظلم[٣٧] ". وقبل عودته إلى دمشق أوكل قانصوه أمر البقاع لدواداره المعروف باسم جانبك الفرنجي، فما كان من ناصر الدين إلا أن هاجم جانبك وقتله وقتل معه "جماعة من شيوخ البلاد[٣٨]".

ومن ضمن الزعامات المحلية التي حاربها ناصر الدين، عبد الستار بن بشارة في قرية شيحين[٣٩] إلا أن النجاح لم يحالف جيشه المؤلف من خمسة آلاف مقاتل بل

---

٣٧ - ابن طولون، اعلام، ص١٦١، الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص ٢٤٥، لاحظ أن الدويهي يجعل تاريخ خروج والي دمشق قانصوة المحمدي سنة ٩٠٨هـ/١٥٠٢م، أما قرية مشغرا في القرن السادس عشر فكانت تابعة لناحية شوف البياض وكانت احصاءات سكانها على النحو التالي:

	ط.د. ٤٠١ ص ٢١٣	ط.د. ٣٨٣ ص ٦٣١	ط.د. ٤٣٠ ص ٢٨٢-٢٨٤	ط.د. ٤٧٤ ص ٩١٧
خانة	٨٣	٣٨٩	٤٠٨	٢٧٣
مجرد	٧	٢٦	٢	٢٣
أمام وخطيب	١	٢	٢	١

٣٨ - ابن طولون، مفاكهة، م ١، ص ٢٧٦-٢٧٧.

٣٩ - شيحين: تقع الى الجنوب الشرقي من صور وعلى بعد ٢٠كم وكانت في العهد المملوكي جزءاً من ولاية صور أما في العهد العثماني فكانت تابعة لناحية تبنين من لواء صفد، راجع طه الطراونة، مملكة صفد في عهد المماليك، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٢م، ص ١٠٣، راجع أيضاً :

Harold RHODE, *The Administration and Population of the Sancak of Safad in the Sixteenth Century*, Ph.D. Thesis, Columbia University, 1979, p. 77.

حول أصل أسرة بشارة ودورها في تاريخ جبل عامل كأسرة شيعية متنفذة منذ مطلع العهد البرجي في بلاد الشام، راجع طه الطراونة، المرجع نفسه، ص ٢١٦-٢٢٤.

خسر نحو مائتين منهم هذا بالإضافة إلى ما عاناه جيشه من الوحل بسبب هطول الأمطار[٤٠]. إزاء ذلك وجد النائب أن الأمر لا يحتمل المماطلة فجهز حملة شارك فيها مشاة من حارات دمشق، دفع لكل فرد منهم "معلوماً" مقداره خمسون درهماً. ونظراً للسقم والمرض اللذين كان يعاني منهما النائب في ذلك الوقت، فقد أوكل أمر قيادة هذه الحملة إلى أحد مماليكه. ولقد خرجت القوة باتجاه البقاع ليلة الإثنين ١٣ صفر سنة ٩١٠هـ/٢٧ تموز ١٥٠٤من إلا أنها عادت دون طائل عندما علمت بوفاة النائب[٤١].

كانت وفاة النائب قانصوه المحمدي نهاية فصل من العلاقات السيئة ما بين ناصر الدين والمسؤولين المماليك. بل ان ابن طولون يذكر بأن ناصر الدين كان قد أرسل مشاة لمستلم دمشق الجديد، قلج، ودار المستلم بهم حول دمشق ينادي بالأمان وبأن لا يحمل أحد السلاح[٤٢] زيادة على ذلك عندما تعرض نائب بيروت سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م، والذي كما يبدو كان من آل بحتر، لصابون تعود ملكيته لناصر الدين بن الحنش، وقام بطرحه على أسواق دمشق، خرج نائب دمشق، اركماس، إلى سطح المزة، ربما كمظاهرة، من أجل نصرة ناصر الدين بن الحنش ضد عدوه نائب بيروت. ويذكر ابن طولون في مفاكهة الخلان بأن النائب وصل إلى البقاع حيث لحق به الحاجب الجديد جان بردي الغزالي وعادا معاً إلى دمشق مروراً بقبة يلبغا اليحياوي جنوبي دمشق[٤٣]. وربما منذ هذه الرحلة أصبح جان

٤٠ - الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص ٢٢٦.
٤١ - ابن طولون، مفاكهة، م ١، ص ١٧٧، ٢٧٨، أعلام، ص ١٦٣.
٤٢ - ابن طولون، أعلام، ص ١٦٧.
٤٣ - ابن طولون، مفاكهة، م ١، ص ١٩٢-٢٩٣ أعلام، ص ١٧٧، حول حياة جان بردي بن عبد الله الغزالي (ت ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م) راجع الغزي، الكواكب، م ١، ص ١٦٨-١٧١ أما قبة يلبغا اليحياوي أو قبة الحاج، الواقعة بقرب قرية القدم جنوبي دمشق فكانت محطة لاستقبال الحجاج وكبار المسؤولين، بنيت في عهد والي الشام يلبغا اليحياوي ٧٤٦-٧٤٨هـ/١٣٤٥-١٣٤٧م راجع:
M.A. Bakhit, *The Ottoman Province of Damascus*, p. 113.

بردي يقدر دور ناصر الدين بن الحنش زعيماً محلياً وصاحب منزلة متنفذة في منطقة البقاع.

في ١٧ محرم سنة ٩١٢هـ/ ٩ حزيران ١٥٠٦م خرج سيباي، نائب دمشق الجديد، على رأس قوة عسكرية إلى بلاد البقاع من أجل القبض على ناصر الدين. إلا أن الفشل كان مصير حركته[٤٤] تلك، مثله في ذلك مثل سلفه. نتيجة لتكرار فشل جميع المحاولات العسكرية في القضاء على ناصر الدين، نجد أن النائب يقبل مبدأ الوساطة. ففي صفر من العام ذاته "دخل الأمراء بين النائب وبين مقدم البقاع ناصر الدين بن الحنش في الصلح على مال معين للنائب عليه مع عدم حضوره عليه"[٤٥] ولقد آتت تلك المصالحة أكلها فلم يعد ناصر الدين يدخل في حركات عصيان أو سوء تفاهم مع السلطة المملوكية، واستعاد منزلته السابقة بحيث يذكر سنة ٩١٧هـ/ ١٥١١م على أنه نائب صيدا بالإضافة إلى مقدمية البقاع[٤٦]. ونجد أنه عندما دخل إلى دمشق صباح يوم الخميس ١٦ ذي الحجة سنة ٩١٧هـ/ ٦ آذار ١٥١٢م "... تلقاه المباشرون إلى الصالحية وأتى إلى النائب وهو يسير بالميدان الأخضر فسلم عليه طائعاً مذعناً ثم أتيا إلى دار السعادة فخلع النائب عليه وعلى جماعته[٤٧] ". نجح ناصر الدين في أن يحافظ على هذه المنزلة المتميزة لدى المماليك، فنجده سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م من ضمن كبار الشخصيات المحلية التي كانت في استقبال السلطان المملوكي الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري عند مروره بدمشق في طريقه إلى حلب لمواجهة العثمانيين. وقدم للسلطان الغوري "تقدمة أخرى كثيرة من المال قيل ألف دينار ومن الخيل ومن الغنم ومن الجمال ومن البقر ومن الإوزّ ومن الدجاج ومن الزيت ومن العسل ومن الأرز ومن الدبس وغير ذلك[٤٨].

---

٤٤ - ابن طولون، مفاكهة، م ١، ص ٣٠٤، اعلام، ص ١٨٣، حول حياة سيباي أمير أمراء دمشق لمرتين ونائب حلب سابقاً، راجع أعلام، ص ١٧٥، وما بعد.

٤٥ - ابن طولون، مفاكهة، م ١، ٣٠٥.

٤٦ - ابن طولون، اعلام، ص ١٩٨.

٤٧ - ابن طولون، اعلام، ص ١٩٨-١٩٩

بالرغم من الانتصار الذي أحرزه العثمانيون في ٢٤ آب ١٥١٦م على المماليك فإن ناصر الدين لم يحول ولاءه عن المماليك بسرعة إلى السادة الجدد بل اشترط مقابل استمرار تعاونه مع جان بردي الغزالي، الذي أصبح يدير شؤون المماليك المنهزمين، أن يولي نيابة حمص وأن يقوم الغزالي بقطع رأس أحد خصوم ناصر الدين المعروف باسم المقدم علاء الدين بن العماد المقدسي الشهير بابن العلاق. ولقد وافق الغزالي على جميع هذه المطالب، لا سيما أن ناصر الدين كان يتصرف في هذه المرحلة الانتقالية من مركز قوة خاصة وأنه كان صهراً لامير عرب بلاد الشام ابن جانباي البدوي، الذي يصفه ابن طولون بـ "أمير الشام[٤٩]" إلا أن انسحاب المماليك إلى مصر أرغم ناصر الدين على تحويل ولائه إلى العثمانيين.

ويذكر ابن طولون أنه مر يوم الأحد ثاني شهر رمضان سنة ٩٢٢هـ/ ٢٩ أيلول ١٥١٦م على مخيم السلطان سليم، فرأى ناصر الدين "فإذا به قد ألبسه باشاوات الخنكار خلعة وأعطوه سنجقاً وزادوا على التقدمة إقطاع الأمرية الكبرى بالشام وإقطاع نوى وإقطاع ذخيرة ابن السلطان والزموه بإحضار العرب فالتزم بذلك. وأن سخاء العثمانيين نحوه لم يقف عند هذا الحد فبالإضافة إلى مسؤوليته عن البقاع وما والاها، ولي كلا من صيدا وبيروت[٥٠]"

بعد الانتصار الذي أحرزه السلطان سليم الأول على المماليك في مصر، فإن عدداً من المماليك كان قد هرب والتجأ إلى الزعامات المحلية في بلاد الشام. ولقد بعث السلطان سليم برسائل إلى عدد من زعماء القوى المحلية في بلاد الشام ، كابن طربية[٥١] في مرج ابن عامر وكذلك إلى ابن الحنش يخبرهما عن انتصاراته. كما ويطلب منهما حفظ الطرق والبلاد وإلقاء القبض على المماليك الهاربين والإجهاز

---

٤٩ - ابن طولون، مفاكهة، م ٢، ص ٢٦.

٥٠ - ابن طولون، مفاكهة الخلان، م ٢، ص ٣٢، لم أتبين ما المقصود "بذخيرة ابن السلطان" فمن المعروف أن خط ابن طولون دقيق وأن محقق المفاكهة قد أخطأ في أكثر من مكان في قراءة النص.

٥١ - حول دور وتاريخ هذه الأسرة راجع محمد عدنان البخيت، الأسرة الحارثية في مرج بني عامر، ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م-١٠٨٨هـ/١٦٧٧م، الأبحاث، م ٢٨، ص ٥٥-٧٨.

عليهم . ويتوفر في مكتبة طوب قبو باسطنبول ملخص رسالة بعث بها ناصر الدين بن الحنش بتاريخ ٢٨ صفر سنة ٩٢٣هـ/ ٢٢ آذار ١٥١٧م إلى السلطان يهنئه فيها بالانتصار على الجراكسة الظلمة، ويعلمه أنه تتبع الفارين منهم، ولكنه ينفي في هذه الرسالة ما قد ينسب إليه من التسبب في الحوادث التي وقعت في كل من البترون وصفد . ويؤكد للسلطان أنه تعاون مع كل من نائبي الشام وصفد . والجدير بالذكر أن أخباراً وصلت إلى صفد تفيد أن العثمانيين كانوا قد وهنوا أمام المماليك، فقام عدد من "الفسق" يفتشون عن "الروم" (العثمانيين) لقتلهم فثارت الفتنة ما بين الطرفين[٥٢] ويعود وينفي التهم التي أُلصقت به من قبل شخص يذكره باسم موسى التركماني، فحواها أن ناصر الدين بن الحنش كان سيهجم على طرابلس الشام . والظاهر أن حوادث الشغب كانت قد امتدت إلى كل من الظنية والبترون، فيبادر ناصر الدين في رسالته للسلطان إلى نفي أية علاقة له بها[٥٣] . كل هذه التهم التي ربما وصلت إلى مسامع السلطان هي التي دفعت به إلى عدم الاكتفاء بمخاطبة السلطان فقط، بل نراه زيادة في الحيطة، أو من باب مداراة الأمور، يبعث برسالة

---

٥٢ - انظر ابن طولون كما أورده محمد بن عيسى بن محمود بن كنان الدمشقي الصالحي (ت ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م)، في كتابه : حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين الذي نشر محمد أحمد دهمان جزءاً منه ملحقاً لكتاب ابن طولون أعلام الورى، ص ٢٩٠.

٥٣ - هذه الرسالة محفوظة بمكتبة طوب قبو تحت رقم ٦٣٤١ وتجد ترجمة لها ملحقة بهذه الدراسة والجدير بالذكر أن السلطان سليم كان قد غادر القاهرة يوم الخميس ٢٣ شعبان سنة ٩٢٣هـ/ ١٠ أيلول ١٥١٧م انظر محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، (ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ٥م، حققه محمد مصطفى، م ٥، القاهرة ١٩٦٠م، ص ٢٠٦، أما موسى التركماني فهو على الأغلب الشخص الذي تذكره دفاتر الطابو، والذي عهدت إليه الدولة العثمانية في مطلع عهدها ببلاد كسروان، راجع:

M.A. Bakhit, *The Ottoman Province of Damascus*, p. 176.

إلى الوزير العثماني يونس باشا[٥٤]، الذي كان برفقة السلطان سليم بمصر، خلاصتها أن الضغينة والحسد والأغراض الأنانية تتحكم بأهالي بلاد الشام الذين تحتدم العداوة بينهم، وهم يرمون بعضهم البعض بأقذع الألفاظ، وهكذا كان حالهم منذ زمن الجراكسة مما كان سبباً في خراب البلاد. وبالرغم من زجرهم للتوقف عن ذلك إلا أنهم بعد انتصار السلطان سليم على المماليك لم يرتدعوا، بل أبقوا على عادة الدس ضد بعضهم البعض لدى نائب الشام[٥٥] العثماني مما تسبب في حصول بعض حوادث القتل. والذي كان يخشاه ناصر الدين، كما جاء في رسالته، هو تفشي الفتنة التي ستؤدي حتماً إلى إغلاق الطرق وخراب الولاية. وبما أن وضع ناصر الدين رسمي وقانوني فإنه التمس في رسالته، من الوزير يونس باشا أن يوصل إلى المسامع الشريفة طلبه في إصدار مرسوم يمنع بموجبه الإصغاء إلى أهل السوء، ما دام جميع أهالي البلاد في طاعة السلطان. وينهي رسالته تلك بذكره لأحد حجاب دمشق في العهد المملوكي واسمه سنطباي[٥٦] يعلم الوزير عنه بأنه

---

٥٤ - يونس باشا: أحد وزراء السلطان سليم، تسلم مدينة دمشق سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م كما أرسله السلطان سليم لمطاردة ابن ساعد الغزاوي بمنطقة عجلون. شارك في فتح مصر حيث يذكره ابن الياس بقوله: "وكان لطيف الذات وعنده رقة حاشية بخلاف طبع التراكمة وكان قرره أولاً في أن يكون نائباً عنه بمصر ثم رجع عن ذلك وقرر خاير بك في النيابة وكان يونس باشا مقرباً عند ابن عثمان إلى الغاية بخلاف بقية الوزراء". قتله السلطان سليم. في شعبان وهو في طريقه إلى بلاد الشام في الخطارة وأخذت أمواله التي كانت بدمشق للسلطان سليم. انظر ابن طولون، مفاكهة، م ٢، ص ٤٣-٤٥، ص ٦٧، ابن إياس، بدائع، م ٥، ص ٢١٠-٢١١.

٥٥ - على الأغلب يقصد بذلك شهاب الدين أحمد بن يخشى أوغلو، تولى دمشق في رمضان سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م، سكن في منزل سنطباي بدمشق، يذكر الشيخ عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (ت ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م) أنه كان قد زاره في خيمته شمالي مصلى العيدين "فرآه محتشماً وروى له عدة أحاديث" عزله السلطان سليم في شوال سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م فسافر إلى اسطنبول، انظر ابن طولون، مفاكهة، م ٢، ص ٣٥، ٤٠، ٦٢، ٧٠.

٥٦ - سنطباي بدأ عمله في دمشق كنقيب لقلعتها ثم يذكر في أخبار سنة ٩١٧هـ/ ١٥١١م، أنه كان يعمل نائباً للقلعة نفسها، ثم ترقى ليصبح سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م، حاجب

مسكين وبائس[٥٧] ونظراً للمودة القديمة التي تربط بين سنطباي وناصر الدين فقد التجأ سنطباي وحريمه إليه، فأرسل ناصر الدين بسنطباي بالأمان إلى والي الشام شهاب الدين أحمد بن يخشى أوغلو الذي قام بسجن سنطباي حتى يشاور به السلطان[٥٨] .

ويستفاد من الإشارات المتفرقة ومن التهم التي يحاول ناصر الدين نفيها عن نفسه أنه آوى عدداً من المماليك الهاربين، فيشير مثلاً ابن طولون إلى أحد الأمراء المماليك المعروف باسم الأمير قرقماس، أمير أربعين الذي هرب بعد معركة مرج دابق، والتجأ إلى الأمير ناصر الدين بن الحنش، ويذكر أنه توفي في قرية جب جنين سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م[٥٩] . لم يكتف ناصر الدين بن الحنش بهاتين الرسالتين، بل نراه يبعث برسالة ثالثة على الأغلب للسلطان سليم نفسه ويعود ليذكر فيها أصحاب الحسد والبغض وأنه بريء الساحة مما ينسب إليه، ويطلب في هذه الرسالة الكشف عن حاله وأحواله. والذي يهمنا هنا ما ذكره من وقوع فتنة ما بين أهالي بيروت وبين حاكمها. ولكي يثبت عدم علاقته بتلك الفتنة فإنه يلتمس من السلطان أن يسأل صدقه من خلال أحد أقطاب الصوفية المقيمين في بيروت والمعروف باسم الشيخ محمد بن عراق[٦٠] (ت ٩٣٣هـ/١٥٢٦م) . كما ويذكر للسلطان بأن نائب

الحجاب وأمير الحاج ويذكر أنه أعيد ثانية لمنصب الحجوبية سنة ٩٢١هـ/ ١٥١٥م واحتفظ بهذا المنصب إلى حين انهزام المماليك، راجع ابن طولون، مفاكهة، م ١، ص ٣٥٤ .

٥٧ - حول نص هذه الرسالة المحفوظة تحت رقم ٦٣٤١ راجع ترجمتها العربية الملحقة بهذه الدراسة.

٥٨ - ابن طولون، مفاكهة، م ٢، ص ١٦٢ .

٥٩ - ابن طولون، القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، ٢ م، تحقيق محمد أحمد دهمان، دمشق، ١٩٤٩م، ١٩٥٦م، م ١، ص ٢٧١ .

٦٠ - محمد بن علي بن عبد الرحمن بن عراق الدمشقي (٨٧٨هـ/١٤٧٣م-٩٣٣هـ/ ١٥٢٦م) من أقطاب الصوفية في بلاد الشام، رابط ببيروت توفي بمكة. حول حياته راجع نجم الدين الغزي، الكواكب السائرة، م ١، ص ٥٩-٦٨ .

طرابلس يلقي القبض على بعض الناس ويعذبهم من أجل أن يطعنوا به وهو الخادم المطيع وإنْ تم الكشف عن الحقيقة فإن في ذلك إحساناً إليه[٦١].

على ما يظهر، فإن جميع تلك الذرائع التي أبداها ناصر الدين، لم تكف لإزالة الشكوك لدى السلطان سليم من تأرجح ولاء ناصر الدين بن الحنش، لذا نراه بعد عودته إلى دمشق في ١٩ رمضان سنة ٩٢٣هـ/ ٦ تشرين أول ١٥١٧م، يولي محمد بن قرقماس النيابة على بيروت وصيدا وتقدمة البقاع وما والاها، ويسترد ما أعطاه لناصر الدين من الإقطاعات، كإقطاع الامرية الكبرى وإقطاع نوى وذخيرة ابن السلطان.

زيادة على ذلك خرج السلطان بنفسه إلى البقاع للقبض على ناصر الدين وعلى من لديه من الجراكسة الهاربين. فلما علم ناصر الدين بذلك هرب من وجه السلطان إلى عرب الجولان[٦٢].

وضمن محفوظات مكتبة طوب قبو توجد رسالة بلغة عربية ركيكة موجهة من ناصر الدين بن الحنش إلى السلطان سليم بعد طرده من البقاع وتسليمها لمحمد ابن قرقماس، يذكر فيها: أنه بعد الإنعام على الأمير محمد بن قرقماس "ببلاد المملوك، ان جان بردي الغزالي كان قد توجه لتسليم تلك البلاد لمحمد بن قرقماس وأنه وصل بعساكره إلى صيدا ويذكر للسلطان أنه مداوم وجماعته على الخدمة، كما يضيف إلى ذلك أنه تلقى مراسيم شريفة من السلطان نفسه صادرة من منزلة قطية "يتضمن إطابة خاطر المملوك واستمراره على جاري عادته في بلاده وعليه أمان الله تعالى وأمان رسوله، والأمان الشريف وأن المملوك يضمن البلاد والطرق" ويذكر أنه جاءه مثل ذلك بعد وصول المقام الشريف إلى دمشق وأنه يستمر على عادته "من تعمير البلاد وتطمين الرعايا وتمشية السبل والطرقات والوقوف في الخدمة الشريفة" وأنه أرسل ولده إلى المقام الشريف وعاد مجبور الخاطر ومعه

---

٦١ - انظر ترجمة الرسالة في الملحق.

٦٢ - ابن طولون، مفاكهة، م ٢، ص ٧٧ ، ٧٩، اعلام، ص ٢٢٦.

مرسوم "باستمرار المملوك في بلاده على عادته وإطابة خاطره بكل ممكن" . ويعود ويؤكد أنه منذ وصول السلطان إلى دمشق وأنه مواظب على الطاعة وأداء الواجب ويعود ويذكر أنه ليس من الشيم السلطانية الإصغاء إلى كلام المفسدين ذوي الأغراض الفاسدة والآراء الكاسدة" . ويذكر أن جان بردى الغزالي كان قد أرسل له وهو في بلاد التيم بأن يخرج من البلاد "وعدم حدوث خلل فيها وتطمين أهلها، امتثل المملوك المرسوم المشار إليه وقابله بمزيد السمع والطاعة والمملكة مملكة المقام الشريف والمملوك مملوك الأبواب الشريفة وعبدها، وابن سر نعمتها" . ويذكر أنه جهز جماعة لخدمة جان بردي الغزالي ليتوجهوا معه لتسليمه صيدا وناحيتها عامرة آهلة . والذي كان يخشاه ناصر الدين، بعد أن يغادر السلطان سليم البلاد، هو أن "يحدث في المملكة خلل من ساير أهل الفساد وربما ينسب للمملوك، والمملوك يخشى من زيادة تغير الخواطر الشريفة عليه وأن لم ترض الخواطر الشريفة على المملوك وألا يتوجه المملوك إلى البرية ويصير من جملة العربان بها فإن المملوك ما يمكنه أن يتوجه إلى عند أمير من الأمراء يكون في خدمته ولا يرى على نفسه أن يتوجه إلى مملكة غير مملكة المقام الشريف "ويطلب من السلطان مرسوماً شريفاً" إلى ملك الأمراء المشار إليه بالوصية على جماعة المملوك وعلى فدادينه المشدودة في البقاع والساحل"[٦٣] .

بعد مغادرة السلطان سليم لدمشق، أوكل أمورها إلى الأمير المملوكي جان بردي الغزالي الذي التقى في قتال مع ناصر الدين بن الحنش يوم الجمعة سادس ربيع الآخر سنة ٩٢٤هـ/ ٢٧ نيسان ١٥١٨م وكانت الوقعة بأرض جوسية من أعمال بعلبك حيث أسر ابن الحنش وقطع رأسه وجهزه للسلطان . أما بقية أنصار ناصر الدين فقد فروا[٦٤] ولقد أوكل أمر بلاد البقاع "وما انضاف إليها" للأمير سنان الرومي ويذكر ابن طولون أن جان بردي الغزالي كان قد خرج إلى بيروت " ليأخذ

---

٦٣ - راجع نص الرسالة وهي ركيكة اللغة، وبخط سيئ جداً ومشوش ، تحت رقم ١٠٧٤٣ من محفوظات طوب قبو وملحقة بهذه الدراسة. المشدودة أي المزروعة بالقمح أو الشعير.

٦٤ - ابن طولون، أعلام، ص ٢٢٨-٢٢٩ .

سلب افرنج خرجوا من البحر وقتلهم أهلها ويتفقد أبراج ذلك الثغر في السلاح" إلا أنه عاد إلى دمشق فجأة خامس عشر ذي القعدة سنة ٩٢٦هـ/ ٢٨ تشرين أول سنة ١٥٢٠م عندما جاءه أولاق (مرسال) بخبر وفاة السلطان سليم. وأثناء عودته مر بالبقاع وعزل سنان الرومي، وولاها للمقدم أحمد بن الحنش[٦٥] وبذلك أعاد الاعتبار مرة أخرى لأسرة آل الحنش. وعلى الأرجح أنه أقدم على تلك الخطوة ليستفيد من نفوذ آل الحنش في البقاع، استجلاباً لخاطرهم وحشداً لهم ضد العثمانيين. ولقد شارك ابن الحنش في جيش الغزالي عند خروجه لحصار حلب. ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن أول من قتل من العسكر العثماني المحاصر بحلب كان بنشاب من عسكر ابن الحنش[٦٦]. ومنذ ذلك الوقت نلاحظ أن المصادر لم تعد لذكر ابن الحنش، وعلى الأغلب أنه بعد القضاء على الغزالي إما أن أحمد بن الحنش كان من بين القتلى أو أنه هرب من وجه السلطة وتوارى عن الأنظار.

وتجدر الإشارة هنا إلى ما يذكره اسطفان الدويهي من أن قسماً من سكان بلاد البقاع قد انتقلت واستوطنت في قرى فتقا وسواحل علما وفيطرون وفقيع وعرمون والجديدة[٦٧]. ويبدو أن قسماً من أسرة الحنش قد هاجر واستقر في قرية فتقا وأصبحوا أمراءها، ودخلوا في مؤامرة مع مقدم زوق مكايل المعروف باسم ميخائيل لقتل منصور بن عساف[٦٨]، وعندما ساروا إليه في غزير بهذه النية كان قد كشف خطتهم فاستضافهم وتخلص منهم وهم يتناولون الطعام كضيوف عليه وكان ذلك سنة ٩٤٨هـ/ ١٥٤١م[٦٩].

---

٦٥ - ابن طولون، أعلام، ص ٢٢٣.

٦٦ - ابن طولون، أعلام، ص ٢٣٣.

٦٧ - الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص ٢٣٦.

٦٨ - حول حياة الأمير منصور بن عساف (ت ٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م) راجع :
M.A. Bakhit, *The Ottoman Province of Damascus*, p. 176-179.
كذلك انظر الدويهي : تاريخ الأزمنة، ص ٢٨٢-٢٨٣.

٦٩ - الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص ٢٥٤، ٢٨١.

وتذكر المصادر العثمانية شخصاً مهماً من آل الحنش يعرف باسم محمد ابن الحنش، وقد أدرج اسمه في نظام التيمار وأعطي خمس حاصلات قرية رقادة في ناحية كرك نوح، كما وخصص له بالإضافة إلى ذلك مزرعتا : تل ابن حسين ومزرعة دير الأماسي في نفس الناحية[٧٠]. بل ما هو أهم من ذلك أنه كان ملتزماً للخاص السلطاني في كل من ناحيتي كرك نوح والشوف حوالي سنة ٩٧٦هـ/١٥٦٨م وتذكر المصادر كذلك أنه ذهب إلى دمشق ومعه من ثلاثة إلى أربعة آلاف قطعة ذهب من أجل تسليمها للخزينة، إلا أنه قتل هناك، وأخذ مرافقوه ما لديه من مبالغ، وطلب السلطان في حكم شريف من دفتر دار الشام باسترداد المبلغ بدون نقص[٧١].

وباختفاء محمد بن الحنش فسح المجال في منطقة البقاع لبروز أسرة بدوية سنية أخرى هي أسرة الفريخ لتملأ الفراغ الناجم عن اختفاء أسرة آل الحنش. والجدير بالذكر أن أسرة تحمل اسم أسرة آل الحنش تذكر في القرن الثامن عشر في حمص[٧٢]، ولا نعرف إن كانت هذه الأسرة الموجودة في حمص من سلالة أسرة آل الحنش في البقاع أم لا.

نلاحظ من خلال هذا الاستعراض التاريخي أن هذه الأسرة قد أنيطت بها مهام إدارية، كالولاية على البقاع وصيدا وبيروت وبعلبك وحماه. كما أنها التزمت الضرائب في منطقة البقاع وخاصة في ناحية كرك نوح. وعند العودة إلى دفاتر

---

٧٠ - انظر T.D. 543، ص ٥٣٧-٥٣٨، والجدير بالذكر أنه بموجب T.D. 177 تاريخ ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م أن هذه القرية خضعت لكيوان بن عبد الله وشخص آخر باسم حسن عبد الله، ٢٤١، راجع قائمة قرى كرك نوح المرفقة.

٧١ - راجع ترجمة الحكم المرفقة بهذه الدراسة.

٧٢ - الأخبار عن هذه الأسرة في حمص عبارة عن أخبار شخصية من زواج وطهور وما إلى ذلك، انظر مخطوط محمد مكي بن السيد : مذكرات أحد أبناء حمص ١١٠٠-١١٣٥هـ/١٦٨٨-١٧٢٢م، الجامعة الأمريكية ببيروت، المحفوظة تحت رقم T 181/956.9، ص ٣١٥، ٣٥٣، ٤٠٧، ٤١٤-٤١٥، ولقد قام عمر العمر، بتحقيق هذا المخطوط كجزء من رسالته للماجستير تقدم بها لقسم التاريخ بجامعة دمشق سنة ١٩٧٦، ص ١٣١، ٣٦٤، ٤١٤.

الطابو العثمانية نجد أنها تقدم لنا صورة شبه مفصلة عن توزيع السكان وتعدادهم في تلك الناحية، وتبين كميات الضرائب وأنواعها المحصلة من أهالي القرى.

نرفق بهذه الدراسة كشفاً مفصلاً بها من أجل فهم أدق لدور هذه الأسرة ضمن الإطار البشري ونأمل من خلال هذه الشريحة إعطاء فكرة عن أنواع الرسوم المجموعة على أساس الأقجة وهي وحدة النقد العثماني المسكوكة من الفضة.

أسماء قرى ناحية كرك نوح وإحصاءات سكانها بموجب دفاتر الطابو التالية

اسم القرية		ط.د ٤٣٠ (ح ٩٣٠هـ/١٥٢٣م) ص ٨٢-١١٩	ط.د ٣٨٣ (ح ٩٣٧هـ/١٥٣٠م) ص ١١٣-١٧٧	ط.د ٤٠١ (ح ٩٥٠هـ/١٥٤٣م) ص ٢١٥-٢٤٥	ط.د ٥٤٣ (ح ٩٧٤هـ/١٥٦٦م) ص ٥٣٤-٥٦٢	ط.د ١٧٧ (ح ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م) ص ١٠-١٤ ص ٢٤٠-٢٥٣
١ - أبلح	خانة	٢٠	١٦	مسلم ١٦ خانة ١ مجرد	٧ (مسلم) ٤٥ (نصارى)	٤+٣٦ (مسلم) ٩+٢ (نصارى)
	مجرد	١	٢		–	–
	امام	–		نصارى ٥٠ خانة ١٤ مجرد	–	–
٢ - ارحاب	خانة	٨	١٧	٩	١١	١٣
	مجرد	–	–	٦	٢	–
	امام	–	١	١	–	–
٣ - أرعيث	خانة	٤٠	٨٠	٥٢	٧٢	٤٤
	مجرد	١	١٢	٣٨	٢	٢١
	امام	١	–	١	١	–
٤ - اشرفية	خانة	٨	مذكورة بدون سكان نصارى	١٦		
	مجرد	–		٤		
	امام	–		١		
٥ - بجاجة	خانة	٤	نصارى	٩ ٩		
	مجرد	–	٧ خانات ٣ مجرد	٥		
	امام	–		–		

اسم القرية		ط.د ٤٣٠ (ح ٩٣٠هـ/١٥٢٣م) ص ٨٢-١١٩	ط.د ٣٨٣ (ح ٩٣٧هـ/١٥٣٠م) ص ١١٣-١٧٧	ط.د ٤٠١ (ح ٩٥٠هـ/١٥٤٣م) ص ٢١٥-٢٤٥	ط.د ٥٤٣ (ح ٩٧٤هـ/١٥٦٦م) ص ٥٣٤-٥٦٢	ط.د ١٧٧ (ح ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م) ص ١٠-١٤ ص ٢٤٠-٢٥٣
	خانة	٤	–	٤		٥
٦ - بحوشية	مجرد	٢	–	٢		٢
	امام	–	–	–		–
	خانة	١٣	١٦	١٨	١١	٩ لكن مجموع
٧ - براق البصل	مجرد	–	٢	٦	١	٤ الأسماء ١٢
	امام	١	١	١	–	– فقط
	خانة	– ١٦ نصارى	٤٤	٣١	١٠	٨
٨ - بشوات	مجرد	– + ٣	٥	١١	–	٢
	امام	– –	–	–	–	–
	خانة	٢٨	٤٧	٤٥	٥٤	٤٠
٩ - بودية	مجرد	٥	–	٥	١	١٥
	امام	١	–	١	–	–
	خانة	٨	١٨ (جاءت خطأ ٨	١٩	١٩	٢٦
١٠ - بيت سابه (شامه؟)	مجرد	٢	٤ ومجموع الأسماء ٢٢)	٤	١	١٣
	امام	١		١	–	١

اسم القرية		ط.د ٤٣٠ (ح ٩٣٠هـ/١٥٢٣م) ص ٨٢-١١٩	ط.د ٣٨٣ (ح ٩٣٧هـ/١٥٣٠م) ص ١١٣-١٧٧	ط.د ٤٠١ (ح ٩٥٠هـ/١٥٤٣م) ص ٢١٥-٢٤٥	ط.د ٥٤٣ (ح ٩٧٤هـ/١٥٦٦م) ص ٥٣٤-٥٦٢	ط.د ١٧٧ (ح ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م) ص ١٠-١٤ ص ٢٤٠-٢٥٣
١١ - بيت نايل (مايل)	خانة	٢٢	٤٩	٢٨	٣٧	٢٦
	مجرد	٤	–	١٢	٣	١٣
	امام	١+٢ أعمى	–	١	–	١
١٢ - تربل	خانة	٢١	٥٦	٣٥	٥٢	٥٠
	مجرد	٧	–	٨	٣+٣ معلق	١٥
	امام	١	١	١	–	–
١٣ - تمنين التحتا	خانة	٩٤	١١٣	١٢٦	٣٢	٢٤
	مجرد	١٠	–	٣٦	–	٨
	امام	٢	–	٢٠	–	–
١٤ - تمنين الفوقا	خانة	٤٨	٧٠	٦٣	٥٩	٤٤
	مجرد	١	–	١١	–	١٥
	امام	١	–	١	–	–
١٥ - تيحا	خانة	١٨	٥١	٣٦	٣٩	٣٥
	مجرد	٦	–	٢	٧	١١
	امام	١	–	١	–	–

اسم القرية		ط.د ٤٣٠ (ح ٩٣٠هـ/١٥٢٣م) ص ٨٢-١١٩	ط.د ٣٨٣ (ح ٩٣٧هـ/١٥٣٠م) ص ١١٣-١٧٧	ط.د ٤٠١ (ح ٩٥٠هـ/١٥٤٣م) ص ٢١٥-٢٤٥	ط.د ٥٤٣ (ح ٩٧٤هـ/١٥٦٦م) ص ٥٣٤-٥٦٢	ط.د ١٧٧ (ح ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م) ص ١٠-١٤ ص ٢٤٠-٢٥٣
	خانة			١٤٤		
١٦ - حارسا (؟)	مجرد	غير مذكورة	غير مذكورة	١١		
	امام			١		
	خانة	٩٩	٢٥٢ (٨٧ خانة محلة يمن)	١٧٩	١٥٤	١٢٠
١٧ - حدث الفستق	مجرد	١٩	١٦٥ خانة قيس	٣٥	٥	٤٠
	امام	١	١٩ مجرد قيس	٢	١	–
	خانة	١١	٤٣	٢٩	٣٠	
١٨ - حشمش دشمش	مجرد	٢	–	٨	١٠	
	امام	١	–	١	–	
	خانة	٦٨	٨٥		١٢٨	١٠٥
١٩ - دارية	مجرد	١٢	٣٠	غير مذكورة	٢	٢٠
	امام	٢	–		–	–
	خانة	١١	٢٥	٢١	١٥	١٠
٢٠ - دلهمية	مجرد	٣	٢	١٠	–	٥
	امام	١	١	١	–	–

اسم القرية		ط.د ٤٣٠ (ح ٩٣٠هـ/١٥٢٣م) ص ٨٢-١١٩	ط.د ٣٨٣ (ح ٩٣٧هـ/١٥٣٠م) ص ١١٣-١٧٧	ط.د ٤٠١ (ح ٩٥٠هـ/١٥٤٣م) ص ٢١٥-٢٤٥	ط.د ٥٤٣ (ح ٩٧٤هـ/١٥٦٦م) ص ٥٣٤-٥٦٢	ط.د ١٧٧ (ح ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م) ص ١٠-١٤ ص ٢٤٠-٢٥٣
	خانة	١٦	مسلم ٨ نصارى ١٦	٦ ٣٢ نصارى	٨ ٢١ نصارى	٨ ١٢ نصارى
٢١ - دير الأحمر	مجرد	١	سُجل عدد النصارى ١٧	١ + ٤	– –	– –
	امام	–	بينما مجموع الأسماء ٢٤	–	– –	– –
	خانة	١٨	٣٤	٢٣	٢٥	٢٦ نفراً
٢٢ - دير زنتون	مجرد	١٠	–	١١	١	–
	امام	١	١	١	-	–
	خانة	١٣	١٥	١٤	٢٣	١٦
٢٣ - دير الغزال	مجرد	–	٦	٩	–	٧
	امام	١	١	١	–	–
	خانة	١١	٢٦	١٩	٢٠	١٥
٢٤ - رقادة (رقادية؟)	مجرد	٢	–	٦	–	٥
	امام	١	–	١	–	–
	خانة	٩٧	١٢١	١٣٠	٨٧	٦١
٢٥ - زحلة	مجرد	٩	١٢	٤	٣	٢٠
	امام					

اسم القرية		ط.د ٤٣٠ (ح ٩٣٠هـ/١٥٢٣م) ص ٨٢-١١٩	ط.د ٣٨٣ (ح ٩٣٧هـ/١٥٣٠م) ص ١١٣-١٧٧	ط.د ٤٠١ (ح ٩٥٠هـ/١٥٤٣م) ص ٢١٥-٢٤٥	ط.د ٥٤٣ (ح ٩٧٤هـ/١٥٦٦م) ص ٥٣٤-٥٦٢	ط.د ١٧٧ (ح ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م) ص ١٠-١٤ ص ٢٤٠-٢٥٣
	خانة	–	٥٥	٢٤	٥٠	٣٥
٢٦ - شمصطار	مجرد	–	١٠	٢٣	–	١٥
	امام	–	–	١	–	–
	خانة	٢٣	٥٨	٣٣	٣٦	٤٢ لكن المجموع سجل على النحو التالي خطأ
٢٧ - طلبية الغربية (طبلية الغربية)	مجرد	٣	–	١٦	١٦	٩٠ خانة مجرد امام
	امام	١	١	١	–	١ ٢٤ ١٠ ١
	خانة	٨ ٤٣ نصارى	٢٠ ٦٧	٢٢ ٦٢	١٨ ٦٢	١٨ + ٥٦
٢٨ - عيناتنا	مجرد	٣ –	– –	(نصارى)	– ٧٣ نفراً	(نصارى)
	امام	١	١ –	٥ + ٢١	نصارى	١٥
	خانة	٢٢	٢٩	٢٨	١٥	٢٥
٢٩ - عين توسانة (قوساية)	مجرد	٢	٢	٨	١٠	–
	امام	١	–	١	–	–
	خانة	٢٠٤ ٢١٨ نصارى	٢٩٣ ٢٤٩	٢٩٤ ٢٦٢	٣٦٣ ٣٢٥	٣٤٣ ٢٩٥
٣٠ - فرزل	مجرد	١٣ + ٢	نصارى (٤٣+٨)	(نصارى) ٦٢+٥٣	٤٧ + ٣٠	٥٦ + ٥٠
	امام	٢ + ١ سيد + ١ أعمى	٢+٣ لكن المجموع ٣٥٦ نفراً	٢	–	لكن المجموع دون على أساس ٢٩٢ خانة

اسم القرية		ط.د ٤٣٠ (ح ٩٣٠هـ/١٥٢٣م) ص ٨٢-١١٩	ط.د ٣٨٣ (ح ٩٣٧هـ/١٥٣٠م) ص ١١٣-١٧٧	ط.د ٤٠١ (ح ٩٥٠هـ/١٥٤٣م) ص ٢١٥-٢٤٥	ط.د ٥٤٣ (ح ٩٧٤هـ/١٥٦٦م) ص ٥٣٤-٥٦٢	ط.د ١٧٧ (ح ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م) ص ١٠-١٤ ص ٢٤٠-٢٥٣
٣١ - قصربنا (قصربقا؟)	خانة	١٤	٦٥	٥٠	٦٠	٤٦ لكن مجموع الأسماء ٦٠ نفراً
	مجرد	٦	١٦ + -	١٦	–	١٥
	امام	١	١	١	–	–
٣٢ - قوساية (قوسانة)	خانة	٨٣	١٧٦	٩٦	١٥٢	١١٩
	مجرد	١٩	١٧	٦٤	–	٣٦
	امام	١	–	١	–	–
٣٣ - نفس كرك نوح	خانة	١٢١	٥٩٠	٣٠٠ ٤٤ لكن مجموع الأسماء	٥٢٠	٣٦٨
	مجرد	٤٥+٢ خطيب + ٢ أعمى	–	٧٢ ٤١٢	٧٥	٨٥
	امام	٢	–	٥ + ٤٤ شريف	١	٥
٣٤ - كفردان	خانة	١٩	٢٢	٢٧	١٨	١٤
	مجرد	٦	٣	٥	٢	٦
	امام	١	–	١	–	–
٣٥ - كفر دبش	خانة	١١	٤٥	٢٤	٣٦	٣٠
	مجرد	–	–	٨	٤	١٠
	امام	١	–	١	–	–

اسم القرية		ط.د ٤٣٠ (ح ٩٣٠هـ/١٥٢٣م) ص ٨٢-١١٩	ط.د ٣٨٣ (ح ٩٣٧هـ/١٥٣٠م) ص ١١٣-١٧٧	ط.د ٤٠١ (ح ٩٥٠هـ/١٥٤٣م) ص ٢١٥-٢٤٥	ط.د ٥٤٣ (ح ٩٧٤هـ/١٥٦٦م) ص ٥٣٤-٥٦٢	ط.د ١٧٧ (ح ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م) ص ١٠-١٤ ص ٢٤٠-٢٥٣
٣٦ - كفر زبد	خانة	٢٠	٥١	٣٧	٥٤	٣٤ لكن المجموع
	مجرد	٤	٤	١٠	١	٣ ٣٨ نفراً
	امام	١	١	١	–	–
٣٧ - كوسته	خانة		٦	–	٧	٥
	مجرد	غير مذكورة	١	–	–	٢
	امام		–	–	–	–
٣٨ - لمونة	خانة	٩ ٣٦	١٠ ٣٤ نصارى	٣٣ ٨٠	٨ ٢٠	٨ ٢٠
	مجرد	– + ١٤ (نصارى)	– –	٥ + ٥ نصارى	– –	٣ + ٦ نصارى
	امام	١ –	١ –	– –	– –	–
٣٩ - معصرين ؟ معوان ؟	خانة	١٥	٣٨	١٤	١٣	٩
	مجرد	٤	–	٦	–	٤
	امام	١	–	١	١	١
المجموع	خانة	١٢٢٩+٣٢٠ نصارى	٢٦٤٧+٤٦٦ نصارى	٢٠٧٢+٤٧٧ نصارى	٢٢٤٣+٤٠٤ نصارى	١٧٥٧+٤١٣ نصارى
	مجرد	١٩٩ ٣٢	١٧٤ ٨	٣٤١ ٨	١٨٦ ٣٠	٤٥٣ ٧٥
	امام	٣١	١٤	٣٦	٤	٨
	سيد	٣ + ٥ أعمى				
	شريف			٤٤ شريف	٣ معاق	

نلاحظ عند استقراء الأرقام الواردة في هذه الدفاتر ما يلي :

١ - الزيادة المضطردة والملحوظة في عدد السكان المسلمين على مستوى الأسر (الخانات) . وجاءت هذه الزيادة، على الأرجح نتيجة للاستقرار الذي وفره العثمانيون للبلاد في مطلع عهدهم بها، ثم نلاحظ أن هذه الزيادة تأخذ بالهبوط في نهاية القرن السادس عشر. وهاتان الملاحظتان تتوافقان مع ما لوحظ في بقية النواحي التابعة للواء دمشق الشام في القرن السادس عشر ولم يستطع الباحثون إلى الآن، إعطاء تفسير مقنع لظاهرة النقصان هذه. وهناك تخمينات لتفسير هذه الظاهرة كانتشار الأمراض والأوبئة أو موجات الجراد والكوارث الطبيعية. ولكن عند دراسة الشواهد التاريخية المتوافرة في المصادر التاريخية لا نجد أن المنطقة كانت قد تعرضت لمثل تلك النكبات بشكل مكثف يدعو إلى حدوث هذا الهبوط في مجموع السكان. وهناك احتمال آخر، أن مجموع عدد السكان، في حقيقة الأمر لم يهبط بهذا الشكل، بل أن الإدارة العثمانية والقائمين على أمر الإحصاءات لم يعودوا دقيقين في إجراء احصاءاتهم السكانية.

٢ - نلاحظ أن عدد المجردين المسلمين كان يتأرجح ما بين الزيادة والنقصان، ثم يعود إلى الارتفاع في نهاية القرن السادس عشر، وربما كان مرد ذلك إلى حالة عدم الاستقرار وانتشار الاضطرابات الداخلية التي شهدتها بلاد الشام في أواخر القرن السادس عشر.

٣ - فيما يتعلق بالسكان المسيحيين، نلاحظ الزيادة المضطردة بأعدادهم ولا نلاحظ هبوطاً بارزاً كالذي لاحظناه في إحصاءات السكان المسلمين وربما اهتم رجل الإحصاء العثماني بالتدقيق بأعداد المسيحيين لأغراض جمع الجزية.

٤ - إذا ما نظرنا إلى مجموعة الائمة والخطباء نجد أن عددهم قليل بالنسبة لمجموع عدد السكان من المسلمين ولعل مرد ذلك أن نسبة مهمة من سكان كرك نوح كانوا من الشيعة، هذا مع أن الدفاتر العثمانية المعروفة

بالطابو لم تشر إلى ذلك، وكما هو معروف فإن الدولة العثمانية من الناحية الرسمية لم تعترف بالطوائف الشيعية واعتبرت الجميع سنة. وإذا صحت هذه الملاحظة فإنها لم تكن تعفي رجال الدين من الشيعة من الضرائب على غرار رجال الدين السنة الذين كانوا يعفون من العوارض الديوانية ومن التكاليف العرفية. ويجدر بنا هنا أن نلفت النظر إلى إشارة أحد الدفاتر لثلاثة من السادة وإشارة دفتر آخر إلى أربعة وأربعين من الأشراف وكما هو معروف فإن كلاً من السادة والأشراف كانوا يعفون من العوارض الديوانية والتكاليف العرفية. كما أن وجودهم بهذا العدد البارز يلفت النظر إلى وجود عنصر شيعي بارز في المنطقة.

٥ - أبرزت هذه الدفاتر، التقاليد الإدارية العثمانية في تدوين وإحصاء أعداد المعاقين والمرضى والعميان وأهل العاهات من السكان، بهدف إعفائهم من الضرائب.

٦ - يلاحظ وجود تجمعات سكانية كبيرة في كل من القرى التالية: حدث الفستق، دارية، الفرزل، زحلة، نفس كرك نوح وتمنين التحتا.

٧ - من الأمور اللافتة للنظر أن دفتر رقم ٣٨٣ (ح ٩٣٧هـ/ ١٥٣٠م) عند تعداده لسكان قرية حدث الفستق، قد قسم السكان على أساس يمنية وقيسية، وأن كلاً منهما كان له محلته الخاصة به.

٨ - نلاحظ أن مجموع السكان كانوا من العاملين في الزراعة ولا تشير الدفاتر إلى وجود عناصر بدوية أو تركمانية في تلك الناحية.

٩ - يلاحظ عدم التطابق ما بين الأسماء المدونة وما بين المجاميع المرفقة في آخر قائمة الأسماء. وهذا أمر معروف لدى الباحثين والدارسين الذين توفروا على دراسة دفاتر الطابو العثمانية.

إن تناول الباحثين لموضوع الأوقاف في بلاد الشام جاء لماما ومقتضبا، ففي الوقت الذي نجد بعض الدراسات الجادة عن الأوقاف والحياة الاجتماعية في

نلاحظ عند استقراء الأرقام الواردة في هذه الدفاتر ما يلي :

١ - الزيادة المضطردة والملحوظة في عدد السكان المسلمين على مستوى الأسر (الخانات). وجاءت هذه الزيادة، على الأرجح نتيجة للاستقرار الذي وفره العثمانيون للبلاد في مطلع عهدهم بها، ثم نلاحظ أن هذه الزيادة تأخذ بالهبوط في نهاية القرن السادس عشر. وهاتان الملاحظتان تتوافقان مع ما لوحظ في بقية النواحي التابعة للواء دمشق الشام في القرن السادس عشر ولم يستطع الباحثون إلى الآن، إعطاء تفسير مقنع لظاهرة النقصان هذه. وهناك تخمينات لتفسير هذه الظاهرة كانتشار الأمراض والأوبئة أو موجات الجراد والكوارث الطبيعية. ولكن عند دراسة الشواهد التاريخية المتوافرة في المصادر التاريخية لا نجد أن المنطقة كانت قد تعرضت لمثل تلك النكبات بشكل مكثف يدعو إلى حدوث هذا الهبوط في مجموع السكان. وهناك احتمال آخر، أن مجموع عدد السكان، في حقيقة الأمر لم يهبط بهذا الشكل، بل أن الإدارة العثمانية والقائمين على أمر الإحصاءات لم يعودوا دقيقين في إجراء احصاءاتهم السكانية.

٢ - نلاحظ أن عدد المجردين المسلمين كان يتأرجح ما بين الزيادة والنقصان، ثم يعود إلى الارتفاع في نهاية القرن السادس عشر، وربما كان مرد ذلك إلى حالة عدم الاستقرار وانتشار الاضطرابات الداخلية التي شهدتها بلاد الشام في أواخر القرن السادس عشر.

٣ - فيما يتعلق بالسكان المسيحيين، نلاحظ الزيادة المضطردة بأعدادهم ولا نلاحظ هبوطاً بارزاً كالذي لاحظناه في إحصاءات السكان المسلمين وربما اهتم رجل الإحصاء العثماني بالتدقيق بأعداد المسيحيين لأغراض جمع الجزية.

٤ - إذا ما نظرنا إلى مجموعة الائمة والخطباء نجد أن عددهم قليل بالنسبة لمجموع عدد السكان من المسلمين ولعل مرد ذلك أن نسبة مهمة من سكان كرك نوح كانوا من الشيعة، هذا مع أن الدفاتر العثمانية المعروفة

بالطابو لم تشر إلى ذلك، وكما هو معروف فإن الدولة العثمانية من الناحية الرسمية لم تعترف بالطوائف الشيعية واعتبرت الجميع سنة. وإذا صحت هذه الملاحظة فإنها لم تكن تعفي رجال الدين من الشيعة من الضرائب على غرار رجال الدين السنة الذين كانوا يعفون من العوارض الديوانية ومن التكاليف العرفية. ويجدر بنا هنا أن نلفت النظر إلى إشارة أحد الدفاتر لثلاثة من السادة وإشارة دفتر آخر إلى أربعة وأربعين من الأشراف وكما هو معروف فإن كلاً من السادة والأشراف كانوا يعفون من العوارض الديوانية والتكاليف العرفية. كما أن وجودهم بهذا العدد البارز يلفت النظر إلى وجود عنصر شيعي بارز في المنطقة.

٥ - أبرزت هذه الدفاتر، التقاليد الإدارية العثمانية في تدوين وإحصاء أعداد المعاقين والمرضى والعميان وأهل العاهات من السكان، بهدف إعفائهم من الضرائب.

٦ - يلاحظ وجود تجمعات سكانية كبيرة في كل من القرى التالية: حدث الفستق، دارية، الفرزل، زحلة، نفس كرك نوح وتمنين التحتا.

٧ - من الأمور اللافتة للنظر أن دفتر رقم ٣٨٣ (ح ٩٣٧هـ/ ١٥٣٠م) عند تعداده لسكان قرية حدث الفستق، قد قسم السكان على أساس يمنية وقيسية، وأن كلاً منهما كان له محلته الخاصة به.

٨ - نلاحظ أن مجموع السكان كانوا من العاملين في الزراعة ولا تشير الدفاتر إلى وجود عناصر بدوية أو تركمانية في تلك الناحية.

٩ - يلاحظ عدم التطابق ما بين الأسماء المدونة وما بين المجاميع المرفقة في آخر قائمة الأسماء. وهذا أمر معروف لدى الباحثين والدارسين الذين توفروا على دراسة دفاتر الطابو العثمانية.

إن تناول الباحثين لموضوع الأوقاف في بلاد الشام جاء لماما ومقتضبا، ففي الوقت الذي نجد بعض الدراسات الجادة عن الأوقاف والحياة الاجتماعية في

مصر[٧٣]، لا نجد ما يوازيها في الكتابات التاريخية التي عالجت بلاد الشام. لقد قامت بعض المحاولات من أجل نشر بعض الوقفيات المتعلقة في بلاد الشام[٧٤]، إلا أن كميات الأوراق الوقفية المتوافرة تستدعي من الباحثين دراستها على ضوء السجلات والدفاتر العثمانية. وإننا إذ نقدم نص وقفية الأمير محمد بن ناصر الدين بن الحنش على مقام النبي نوح في كرك نوح من بلاد البقاع، نجد أن دفتر طابو ٥٤٣، يقدم كغيره من الدفاتر مادة تاريخية ثرية عن الأوقاف، الذرية منها والخيرية. ومما يستلفت النظر هنا كثرة أوقاف العمارة في قرى ناحية كرك نوح ومزارعها التي شيدها السلطان سليمان القانوني في مدينة دمشق الشام. فيورد لنا هذا الدفتر أسماء القرى التالية في ناحية كرك نوح على أنها من أوقاف هذه العمارة: أرعيث، بيت شامة، تمنين الفوقا، دلهمية، فرزل، قصربنا، وقوساية. أما أوقاف معلم السلطان سليم الثاني ووالي الشام، فيما بعد، لالا مصطفى باشا صاحب الخيرات والعمائر العديدة فقد شملت أوقافه في بلاد الشام عدداً كبيراً من القرى والمزارع والبساتين والدكاكين والطواحين فمن أوقافه في ناحية كرك نوح، قسم من قرية أشرفية وعدد من المزارع وإذا ما دققنا في وقفية لالا مصطفى باشا فإننا نجد تطابقاً كبيراً بين ما تورده الدفاتر

---

٧٣ - انظر على سبيل المثال محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨ هـ- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م، دراسة تاريخية وثائقية، القاهرة، ١٩٨٠م فهرست وثائق القاهرة حتى نهاية عصر سلاطين المماليك، ٢٣٩-٩٢٢هـ/٨٥٣-١٥١٦م، منشورات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨١م، انظر أيضاً مقالة محمد محمد أمين، "الشاهد العدل في المشرع الإسلامي : دراسة تاريخية مع نشر وتحقيق اسجال عدالة من عصر سلاطين المماليك"، الدارة، عدد ٢، م ٨، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م)، ص ١٢٦-١٥٧.

٧٤ - انظر كتاب الوزير لالا مصطفى باشا ويليه كتاب وقف فاطمة خاتون بنت محمد بك ابن السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري حققه خليل مردم بك، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٢٥م، وقف سنان باشا، (ت١٠٠٤هـ/١٥٩٥م)، دمشق. لا.ت، أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين في ألوية غزة، القدس الشريف، صفد، نابلس، عجلون، حسب الدفتر ٥٢٢ من دفاتر التحرير العثمانية المدونة في القرن العاشر الهجري، تحقيق محمد ابشرلي ومحمد داود التميمي، استانبول، ١٩٨٢م.

وما تذكره وقفيته المنشورة[٧٥]. ومن جملة الأوقاف الخيرية، واردات قرية حشمش المخصصة كوقف لجامع السلطان الملك الأشرف سيف الدين برسباي، وما يرد من قرية دارية الذي كان ينفق على برج القنطاري بطرابلس الشام، كما نلاحظ أن نصف ما يتحصل من قرية كفردان كان يخصص للانفاق على البرج في بيروت، وإذا ما أجلنا النظر في الجدول المرفق فإننا نتبين بالإضافة إلى ذلك أوقافاً على المدارس والمساجد وعلى فكاك الأسرى. كما نجد ذكراً للوقف الذري ومنها قرية بيت نايل إذا كانت بكاملها وقفاً ذرياً محبسة من قبل محمد منجك.

ومن ناحية ثانية نجد ذكراً لأسماء القرى والمزارع التي كانت تجبى كجزء من خاص العاملين في دفتر دارية دمشق الشام، كقرية كفردان، وقرية تربل التي كانت مقطعة لمراد بن علي دفتر دار الخزانة العامرة ببلاد الشام، ويلاحظ إدماج زعيم أسرة آل الحنش، محمد بن ناصر الدين، في نظام التيمار فخصص له ربع قرية رقادة مع قسم من حاصلات مزرعة وقسم من مزرعة ثانية تابعة للقرية المذكورة.

أما أنواع الضرائب التي كانت تجبى والمبينة في الجدول المرفق فإن ضيق المجال لا يفسح لنا أن نستطرد في تحليلها ووصفها، ونكتفي منها بالإشارة إلى الدراسات الحديثة التي تمت مؤخراً وتناولت هذا الموضوع[٧٦].

---

٧٥ – راجع كتاب وقف الوزير لالا مصطفى باشا، ص ٧٩–٨٤.

٧٦ – B. Lewis, « Studies in the Ottoman Archives » ; « Nazareth in the Sixteenth Century According to the Ottoman Tapu Registers » ; « Jafa in the 16th century, According to the Ottoman Tahrir Registers. ». Notes and Documents From the Turkish Archives: A Contribution to the History of the Jews in the Ottoman Empire.

وهذه المقالات جمعت ونشرت معاً مع دراسات أخرى تحت عنوان:

Studies in Classical and Ottoman Islam (7th-16th Centuries) Variorum Reprints, London, 1976.

عقدنا مؤتمراً عن الأوقاف في بلاد الشام من الفتح الإسلامي إلى اليوم ضمن مؤتمرات بلاد الشام في أيلول ٢٠٠٦ بالجامعة الأردنية، ونعكف حالياً على تحرير أوراق المؤتمر تمهيداً لنشرها.

وانظر أيضاً :

Wolf-Dieter HUTTEROTH and Kamal ABDULFATTAH, *Historical geography of Palestine*, Transjordan and Southern Syria in 16th Century, Erlangen. 1977.

وانظر أيضا :

Amnon COHEN & Bernard LEWIS, *Population and Revenue in the Towns of Palestine in the Sixteenth Century*, Princeton University Press, 1978.

ففي هذه الدراسات مادة وافية عن الضرائب يمكن الرجوع إليها من أجل استيضاح ما جاء في الجداول المرفقة.

لقد سعيت على مدار عدد من السنين في البحث من أجل الاطلاع على النسخة الأصلية لـ "وقفية الأمير محمد بن الأمير ناصر الدين المعروف بالحنش" لكني لم أوفق في العثور عليها، لأن النصوص الأصلية لمجموعة وقفيات دمشق مجهولة المكان وغير متوفرة للباحثين، ويخشى أن تكون قد فقدت.

والنص الذي أقدمه هنا مأخوذ عن النص الأصلي، وموجود في المجلد الثاني لمجموعة أوقاف دمشق المحفوظ في مديرية أوقاف مدينة دمشق، ويقع ما بين الصفحة ١٩٦-٢٠٠ من المجلد.

والدعوة التي أتوجه بها هنا إلى المعنيين بالدراسات الاقتصادية والأوقاف أن يصار إلى تشكيل هيئة علمية لحصر وقفيات بلاد الشام ومن ثم فهرستها والتعريف بها والعمل على نشرها.

الملاحق

١ - ترجمة رسالة ابن الحنش إلى السدة السعيدة، ٢٨ صفر ٩٢٣هـ/ ٢٢ آذار ١٥١٧م.

٢ - ترجمة ملخصات رسائل من ابن الحنش إلى السلطان سليم وليونس باشا، والي خيربك.

٣ - رسالة ناصر الدين ابن الحنش رقم ١٠٧٣٤ إلى السلطان سليم.

٤ - وقفية الأمير محمد بن ناصر الدين المعروف بالحنش.

٥ - ترجمة الحكم السلطاني الشريف، ١٧ صفر سنة ٩٧٨ / ١١ تموز ١٥٧١.

وثيقة رقم ٦٣٤١ المحفوظة بمكتبة طوب قبو ، باسطنبول
ترجمة مكتوب ابن حنش الوارد إلى السدة السعيدة

بعد تقبيل الأرض عند حضور الصدقات الشريفة، بورود المراسيم الشريفة لعبدكم، والمتضمنة ما من به الله تعالى من النصر على الجراكسة الظلمة ومن تملك السلطان لتخت يوسف عليه السلام وتتضمن هذه المراسيم الشريفة الذكر بأن عدداً من أصحاب السيوف الجراكسة قد هربوا إلى هذه الجهات، ولما يعرف عنا وعن رجالنا من اليقظة فإن المطلوب ملاحقة هؤلاء الظلمة وإلقاء القبض عليهم وقتلهم.

وأنه بعد أن تسلم المراسيم الشريفة قرأها على مسامع الجميع وعلى رؤوس الأشهاد ويشهد الله ورسوله أنه قد زاد سروره وسجد شاكراً لله على نعمته التي أسداها للإسلام والمسلمين كما أنه كتب إلى سائر الجهات والمواضع التي يعتمد عليها من أجل إلقاء القبض على (السيوف) الهاربين، وأوعز إلى كافة الأطراف أنه إذا قبض على أحدهم أن يقتل حالاً. كما يذكر أنه لا يوجد بطرفه أي خلاف وأنه يعمل حسب ما هو وارد في المراسيم الشريفة حيث أنه واحد من خدم الآستانة ومعترف بفضله وصدقه واخلاصه. ومنذ أن توجه الركاب الشريف إلى مصر المحروسة عم البلاد الأمن وأثبت اجتهاده في أحسن الطرق كما أنه خدم نائب الشام ولم يتوان في خدمة العساكر المنصورة مهما كان (مستوى) من حضر منها ولو كان عبداً أسود لقام على خدمته وأكمل ما يريد ويبغي. وهذا ديدنه في كافة أطراف البلاد. كما أنه يقسم أنه منذ أن تحرك الركاب الشريف في البلاد الشامية وبعد المغادرة منها إلى القاهرة المحروسة فإن واحداً من العساكر المنصورة لم يفقد ولا درهماً واحداً ولله الحمد والمنة. كما يريد أن يبلغ المسامع الشريفة أنه عندما غادرت متوجهة إلى القاهرة بحرز الله وسلامته وقع في صفد فتنة وقتال بسبب اعتقال شخص من أهالي صفد وكان الخلاف بين أهالي صفد ونائبها. وأنه (ابن حنش) حالما اطلع على هذا الأمر يشهد الله أنه جمع رجاله فوراً وأرسل إلى نائب

صفد : أنه إذا أراد التوجه إلى الشام فهو على استعداد لمساعدته للذهاب إلى الشام وإذا أراد التوجه إلى مصر فهو على استعداد لأخذه إلى مصر ولكن نائب صفد أرسل شاكراً هذا العرض ويصر على البقاء في صفد، مقرراً تخويف الأهالي بالسلطة الشريفة وبالسطوة. وبقي الوضع على هذا المنوال ثلاثة أيام لم ينزلوا من القلعة وبعدها جمع الأعيان (ابن الحنش) وشرح لهم طبيعة الحال على صورة جلية واضحة ولكن والي صفد لم يقبل التفاوض. وبعد ذلك أرسل (ابن الحنش) رسالة تهديد إلى أهالي وأعيان الصفد وحذرهم من قوة وسطوة الدولة وسلطانها فتفرقوا في جميع أنحاء البلاد بعدما خافوا من الانتقام خاصة بعدها علموا بالنصر والاستيلاء على العرش الشريف (مصر) . وتوزعوا على سائر الأراضي ومن هؤلاء جماعة يدعون جماعة ابن حامد شيخ الإسلام وشخص مشهور باسم ابن دوادار وهو قاضي صفد وقد حضر إلى ولاية خادمكم المطيع هذا. وعندما عرف نائب صفد ذلك أرسل إليهم رسالة يستدعيهم للخدمة لديه وقد استدعاهم ابن الحنش إليه وطيب خاطرهم وضمن لهم الوصول إلى كل الخير مع الصدقات الشريفة وقد أعلم سابقاً بهذا صاحب الصدقات الشريفة واسع الحلم (السلطان) . وقد اعتذروا بشدة وأبدوا ندمهم وأسفهم حتى إنهم طلبوا أن يسجنوا جزاء لهم على وقوعهم في خطيئة الجهل والخوف من نائب صفد وقد عرضت سابقاً هذه القصة على المسامع الشريفة مع طلب الرحمة من الصدقات الشريفة. وقد صدر مرسوم شريف بالأمان لهم.

ومن القضايا التي يريد أن يعرضها على المسامع الشريفة أيضاً أنه يوجد بطرابلس من أهالي طرابلس قاضي حنفي كما يوجد نائب طرابلس في زمن الجراكسة دواداري وخزينة داري (صاحب الخزينة) وقد حضروا لطرف ابن حنش وأعلنوا ولاءهم وإخلاصهم ومن أجل زيادة التأكيد والإبرام على طاعتهم فإنهم مستعدون للذهاب والتمسح بالأعتاب السنية والدخول في الطاعة الشريفة. وقد أفادوا أنهم بينما كانوا يرافقون مجموعة من حريم طرابلس بغية تأمينهن بمكان أمين مرورا بقرية اسمها البترون وكان في هذه القرية مجموعة من الأكراد وقد باتوا تلك الليلة في هذه القرية وفي الليلة الثانية كان يوجد شخص اسمه موسى التركماني وكان عدواً

لهؤلاء الأكراد وقد ذهب إلى نائب طرابلس وأعلمه أن قاضي طرابلس والدوادار وبعض رجال ابن الحنش قد حضروا ومرادهم الهجوم على طرابلس وعندما سمع نائب طرابلس هذا الأمر توجه فوراً إلى البترون وحاصر من فيها من الأكراد وقتلهم جميعاً وبلغ عدد القتلى سبعين نفراً بما فيهم القاضي وقد جرى كل ذلك بسبب أغراض موسى التركماني هذا. وقد حاول الدوادار الهرب والذهاب إلى مكان اسمه ظنية ولكن الخيالة تتبعته وقبض عليه وقتل فوراً كما ذكر (أي موسى التركماني) أن ابن الحنش هو الذي جهز هؤلاء وأرسلهم إلى هناك.

إن ابن حنش خادمكم المطيع يشهد الله ورسوله ويقسم على القرآن المجيد أنه لم يرسل أي فرد من جماعته لا مع هؤلاء ولا مع غيرهم إلى أي مكان كان وأنه لم يغادر مكانه ولم يركب حصانه وأنه لم يذهب إلى أي مكان كان بغير حاجة ماسة. وخوفاً من كلام المفسدين فإنه يتوجه إلى الصدقات الشريفة ويسألها أن ترسل استفساراً عنه عما إذا كان قد ركب للحرب أم لا، منذ أن توجه الركاب الشريف: أن ابن حنش خادمكم المطيع قائم على خدمة نائب الشام وكان قد أرسل خبراً مع القاصد (رجل نقل الأخبار والرسائل) في تاريخ سابق، وقد جهز الهجانة القادمين في الخدمة الشريفة وهو حالياً يهيّئ قاصده لتهنئة الصدقات الشريفة لما منه الله تعالى على المسلمين، وأن خادمكم المطيع هو خادم صدقاتكم الشريفة ويدعو الله بدوام أيامكم وعزكم وليكن دعاؤه مقبولاً ولينصر الله الصدقات الشريفة ويجعل الظفر دوماً في ركابها على كل من عادها. فليقبل الله هذا الدعاء من خادمكم المطيع ومن داعي مخلص، آمين بمحمد وآله وصحبه أجمعين.

الثامن والعشرين من شهر صفر / ثلاث وعشرين
وتسعماية (٢٢ آذار، ١٥١٧م)

١ - وفي مكتوب ثان من ابن حنش مؤرخ بالعاشر من ربيع الأول (٢ نيسان ١٥١٧م) وحسب ما ورد بشكل مفصل فإنه يذكر وجود الضغينة والبغض من بعض أصحاب الحسد ضده ويطلب الكشف عن أحواله ويشير إلى أنه قد وقعت فتنة بين أصحاب الرتب والحكام ولكن يوجد شخص لا يشك بأنه من أولياء الله الصالحين ولا يوجد أي شبهة بولايته وهو الشيخ ابن عراقي ومعروف عنه أنه لا يقول أي شيء غير الصدق ويطلب السؤال عنه (عن ابن حنش) .
كما أنه علم أن نائب طرابلس قد قام بتعذيب وقتل بعض من قبض عليهم حتى يدلوا بما يريده هو عن خادمكم المطيع (ابن حنش) والله وحده عليم بأحواله وهو متأكد أنكم سوف تحسنون إليه بالكشف عن الحقيقة .

٢ - وقد ورد في مكتوب آخر من ابن حنش المذكور لحضرة يونس باشا ومؤرخ بالثامن والعشرين من شهر صفر (٢٢ آذار ١٥١٧)، بعد أن فصل بكتابه هذا تقريراً عن جملة أحواله ذكر في الحواشي أنه من الأمور المهمة التي يجب أن تصل إلى المسامع الشريفة هو أن العداء والمشاحنات الشخصية والعداوات كثيرة لذا تجدهم يتكلمون عن بعضهم البعض الكلام السيئ مما يودي إلى إيقاع الناس ببعضهم البعض بعداوات ومشاحنات .
وأن هذه الظاهرة كانت موجودة لديهم من زمن الجراكسة ومنذ ذلك الزمان وهم يتعرضون إلى كافة أنواع الزجر ولكنهم لم يرتدعوا وفي الوقت الحاضر وبعد الاستيلاء على العرش الشريف (عرش مصر) فإنهم يأتون إلى نائب الشام ويتحدثون إليه بأحاديث الفتنة مما أدى إلى إراقة الدماء والقتل وأن خادمكم المطيع (ابن حنش) يخاف أن تزداد الفتنة وتمتد وتغلق طرق الولاية وتصبح الولاية خراباً .

إن أهل هذه الولاية هم رعايا المقام الشريف وحيث أن مقر خادمكم هو قانوني ورسمي وبهذا الخصوص أرجو أن يصل إلى المسامع الشريفة ضرورة إرسال مرسوم شريف يمنع المغرضين عن تماديهم في الفتنة ويمنع اعتقال أي شخص إلا لجريمة ارتكبها حيث أن جميع أهالي بلاد الشام هم في أكمل الطاعة والولاء ولا يوجد بينهم أي خارج أو متمرد وسيسجل هذا الثواب في الكتاب المحفوظ وفي هذا الباب الأجر العظيم والخير الكثير.

كما يرجو (ابن حنش) أن يصل إلى المسامع الشريفة أيضاً أنه يوجد شخص باسم سنطباي كان حاجباً سابقاً في الشام في زمن الجراكسة وكان يوجد بينه وبين ابن حنش مودة سابقة منذ زمن بعيد وقد التجأ وحريمه وأهل بيته إلى خادمكم المطيع (ابن حنش) وأعلن طاعته وولاءه.

ويتضرع خادمكم المطيع (ابن حنش) بالإحسان إليه بالأمان الشريف وأنه يقبل الأعتاب السنية وأنه يريد أن يدخل في سلك الخدم الشريف.

وإذا غادر المذكور بيت ابن حنش فإنه أو كان ابنه فلن يكون له عقاباً سوى قطع رأسه. وهو شرقي مسكين وقد التجأ إلى حريم خادمكم المطيع (ابن حنش) وقد اتخذه ابن حنش وسيلة للوصول إلى الصدقات الشريفة وأن ابن حنش هو مملوك الصدقات الكريمة والمراحم الشريفة وأنه واقف على قدم الطاعة.

٣ - كما أن المكتوب الذي بعثه ابن حنش المذكور إلى خير بك هو نفس المكتوب الذي بعثه إلى حضرة الباشا بلا زيادة ولا نقصان.

كتاب ناصر الدين ابن الحنش إلى السلطان سليم الأول
مأخوذة عن وثيقة رقم ١٠٧٨٤ المحفوظة بمكتبة طوب قبو، باسطنبول

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الملكي المظفري القضائي

يقبل الأرض وينهي أن الموجب عرضها على المسامع الكريمة... بالله تعالى أنه ليس بخاف عن العلوم الكريمة وما أنعمت به الصدقات الشريفة الخندكارية ضاعف الله شرفها على الأمير محمد بن قرقماس ببلاد المملوك، وتوجه الركاب الكريم... الكافلي ملك الأمراء جان بردي الغزالي ومن صحبته من العساكر المنصورة إلى بلاد صيدا، ولم يعلم المملوك... سبب ذلك، والذي... أنه ما كان هذه المدة مقيم في بلاده إلا بالمراسيم الشريف... الشريف وما وقع من المملوك تقصير في خدمة المقام الشريف ولا جماعته...

ولما حل الركاب الكريم بمنزلة قطية عائداً من القاهرة برزت المراسيم الشريفة والمراسيم الكريمة على يد أحد الخاصكية بالخدمة الشريفة يتضمن إطابة خاطر المملوك واستمراره على جاري عادته في بلاده وعليه أمان الله تعالى وأمان رسوله، والأمان الشريف وأن المملوك يضمن البلاد والطرق، قابل المملوك المراسيم الشريفة والكريمة بمزيد السمع والطاعة وتضاعفت أدعيته بدوام الأيام الشريفة والكريمة ولما حل الركاب الشريف بدمشق المحروسة ورد على المملوك أمثلة كريمة من الصدقات ومن المقر الإشراف محمد باشا ومن المرحوم حليمي شلبي بمعنى ذلك، وفي مثال المشار إليه على لسان المقام الشريف عز نصره يخبر المملوك في ثلاث وجوه: أما أن المملوك يحضر نفسه إلى الأعتاب الشريفة بعد إيقاع حلف شريف، أو يجهز أحد... خدمة الأبواب الشريفة أو أن يستمر على جاري عادته ويدعو للمقام الشريف ويستمر على ما كان... من تعمير البلاد وتطمين الرعايا وتمشية السبل والطرقات

والوقوف في الخدمة الشريفة. وهذه الثلاث وجوه متساوية الأطراف عند المقام الشريف. هذه عبارة المثال الحليمي للمشار إليه فلما قرأ المملوك المثال الكريم المشار إليه جهز ولده إلى خدمة الأبواب الشريفة وعاد مجبور الخاطر وورد على يده مرسوم شريف باستمرار المملوك في بلاده على عادته وإطابة خاطره، بكل ممكن، فتضاعفت أدعية المملوك في الصحايف الشريفة. هذا والمملوك من حين حلول الركاب الشريف من المملكة الرومية... والى يوم تاريخه لم يقع من المملوك تقصير في حق أحد من مماليك المقام الشريف ولا في مهم من المهمات... ولم يحدث من المملوك ما يغير الخواطر الشريفة وما علم المملوك له ذنب سوى اخلاصه في الطاعة الشريفة ووقوفه على أثبت قدم والمملوك يحاشي... الشريفة السلطانية من نقض كلامها الشريف بغير سبب يقتضي ذلك فإن كلام الملوك ملوك الكلام. وما شهر فيه عن المقام الشريف ولا عن آبائه وأجداده سقى الله عهدهم صبوب الرحمة والرضوان. والصدقات الكريمة لا تصغي لكلام المفسدين ذوي الأغراض الفاسدة والآراء الكاسدة... والمملوك ما قصد ذلك إلا ليزيد ما... على الصدقات الشريفة والكريمة إن شاء الله تعالى. ولما حل ركاب الكافلي جان بردي الغزالي بوادي التيم جهز للمملوك مثال كريم يتضمن طاوع المملوك من البلاد وعدم حدوث خلل فيها وتطمين أهلها، امتثل المملوك المرسوم المشار إليه وقابله بمزيد السمع والطاعة والمملكة مملكة المقام الشريف والمملوك مملوك الأبواب الشريفة وعبدها، وابن سر نعمتها، وجهز للمملوك جماعته إلى خدمة المشار إليه ليتوجهوا صحبة ركابه الكريم إلى مدينة صيدا ويسلموه الناحية المذكورة، عامرة آهلة امتثالاً للمراسيم الشريفة، هذا والمملوك مستمر على الإخلاص في الطاعة الشريفة وهو مقيم على العهد والميثاق وباق عليهما وأينما كان وحيث سار هو مملوك الأبواب الشريفة، وسؤال المملوك من الصدقات الكريمة التي ما خاب سائلها ولا رد آملها (؟) استعطاف الخواطر الشريفة على المملوك بكل طريق ممكن وإن أنعمت الصدقات الشريفة على المملوك فيكون قد توجه الركاب الشريف، فإن المملوك يخشى أن بعد توجهه في حرز الأمن والسلام يحدث في المملكة خلل من ساير أهل الفساد. وربما ينسب للمملوك والمملوك

يخشى . . . من زيادة تغير الخواطر الشريفة عليه وإن لم ترض الخواطر الشريفة على المملوك وإلا يتوجه المملوك إلى البرية ويصير من جملة العربان بها، فإن المملوك ما يمكنه أن يتوجه إلى عند أمير من الأمراء يكون في خدمته ولا يرى على نفسه أن يتوجه إلى مملكة غير مملكة المقام الشريف فإن المملوك ما ينسا الإحسان والأنعامات الشريفة وهو ولد حلال. إن شاء الله تعالى سؤال المملوك من الصدقات الكريمة تجديد العناية الكريمة في عمل مصلحة المملوك في شيء يكون خلاصة وخلاص الصدقات الكريمة من الله تعالى، فإن المملوك ليس هو معتمد إلا على الله تعالى ثم المراحم الكريمة ولا تخلي الصدقات الكريمة مملوك أبوابها العالية الولد أمام (أقام ؟) على من حسن نظرها الكريم فإنه مملوكها وفي خدمتها وإن أنعمت الصدقات الكريمة على المملوك كتابة مرسوم شريف إلى ملك الأمراء المشار إليه بالوصية على جماعة المملوك وعلى فدادينه المشدودة في البقاع والساحل فيكون ذلك إسعافاً للمملوك وعمارة بيته فإن المملوك ما يسد جميع الأمور إلا بما يتحصل من المغل والمملوك وما يملكه للصدقات الشريفة ومهما حسن في الآراء الكريمة واقتضته ففيه اليمن والبركة والمملوك ليس هو معتمد إلا على الله تعالى ثم الصدقات الكريمة سائلاً استمراره على الخواطر الكريمة ليفوز ... وآخرا والمملوك واقف على قدم الطاعة لما يرد عليه من المراسيم الكريمة المطاعة. أنهى المملوك ذلك (على الهامش: إن شاء الله تعالى، الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم).

بسم الله الرحمن الرحيم
وقفية الأمير محمد ابن الأمير ناصر الدين المعروف بالحنش
(٩٥٠هـ/١٥٤٣م)

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾[٧٧] ﴿ولا يضيع أجر المحسنين﴾[٧٨] وعلى الله وعلى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

حضر لدى مولانا وسيدنا شيخ الإسلام وارث علوم الأنبياء والمرسلين مفيد الطالبين حجة الحق على الخلق أجمعين، المحفوف بعناية الملك المعين، أبو المناقب شمس الدين محمد[٧٩] ابن مفتي المسلمين ملك الفقهاء والمحدثين، المرحوم طاهر قاضي قضاة الإسلام وينبوع الفضل والعلوم، وهو بمجلس حكمه العزيز بدمشق الشام أدام الله تعالى إجلاله ونفذ أحكامه وختم بالصالحات أعماله بحق محمد وآله حضر مفخر الأمراء ذو القدر والاحترام جامع المجد والكرم والسيف والقلم الأمير الجليل محمد بن المرحوم الأمير الجليل ناصر الدين المعروف بالحنش أدام الله تعالى مجده ورحم أباه وجده الأمير على البقاع مع كرك نوح النبي عليه السلام ونواحيهما. وأحضر معه مفخر السادة الأجلاء العالم المحقق المدقق المحدث فرع الشجرة الطاهرة الزكية وطراز العصابة الهاشمية النبوية وغصن الدوحة التهامية المصطفوية ذو الحسب الزاهي الزاهر والنسب الباهي الباهر النسابة في الديار البعلية وأمير السادة الأشراف الحسينية قدوة علماء السادة الشافعية ودرتهم الباهجة المضية مولانا وسيدنا

---

٧٧ - آية رقم ٢٦١ من سورة البقرة.

٧٨ - آية ﴿ولا يضيع أجر المحسنين﴾ ذكرت ثلاث مرات في القرآن الكريم، في آية ١٢٠ من سورة التوبة، في آية ١١٥ من سورة هود، وفي آية رقم ٩٠ من سورة يوسف.

٧٩ - لم أعثر على ترجمة له.

مفخر السادة الأجلاء الأشراف الكرام السيد علوان[٨٠] ابن المرحوم شيخ الإسلام والمسلمين جامع قدوة الفقهاء والمحدثين مولانا السيد علي ابن المرحوم شيخ الإسلام والمسلمين جامع الشرف والتقوى والدين مولانا السيد حسين أعزه الله تعالى وزاد شرفه عظماً ونجحه في الدارين قصده ورحم أباه وجده. وهو النقيب على السادة الأشراف الكرام والمتولي والناظر على أوقاف حضرت النبي نوح[٨١] على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء أفضل الصلاة وأتم السلام. وأشهد على نفسه لمولانا وسيدنا الحاكم المشار إليه أنه وقف وحبس وأبد وأخرج عن ملكه جميع وقفه هذا على الشروط الآتي ذكرها فيه من غير زيادة ولا نقصان ولا تعدي بوجه ولا بسبب من ساير الأوجه وسائر الأسباب الشرعية:

وذلك جميع الطاحون المعروفة بالمخطبية تابع البقاع حجرين الراكبة على نهر الغزير ومنه دورانها التي حدها قبلة الطريق وشرقا النهر وتمامه الباب، وغربا النهر وتمامه أرض داخله في الوقف سيأتي ذكرها وشمالاً النهر ومن ذلك جميع الطاحون المعروف بالجامعية تابع كرك حجر واحد الراكب على نهر البردون[٨٢] ومنه دورانها الكائنة فوق الجسر بالقرب منه حدها من القبلة النهر وشرقا الطريق وفيه الباب وغربا النهر وشمالاً كذلك. ومن ذلك جميع القطعة الأرض الكائنة لصيق طاحون المخطبية وينتهي حدها إلى الجسر وشهرتها في مكانها تغني عن التحديد. ومن ذلك جميع القطعة الأرض المعروفة في المعبدية تابع بر الياس حدها من القبلة أراضي الصاوة؟ العادة؟ وشرقا

---

٨٠ - السيد علوان لم أعثر له على ترجمة.

٨١ - حول مقام النبي نوح في كرك البقاع انظر علي بن ابي بكر الهروي، (ت ٦١١هـ/١٢١٤م)، كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات، نشرته جانين سورديل-طومين، دمشق، ١٩٥٣م، ص ١٠، وانظر تفاصيل أكثر لدى الشيخ عبد الغني النابلسي، (١١٤٣هـ/١٧٣٠م)، حلة الذهب الإبريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز، تحقيق صلاح الدين المنجد، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٩٢-٩٤، نشرت الرحلة مع رحلة العطيفي باسم رحلتان إلى لبنان.

٨٢ - حول الطواحين على نهر البردون راجع كشف أسماء القرى والمزارع وقطع الأراضي وأصناف الضرائب في الجدول المرفق.

أراضي بلوطبا وغربا تل الصرحون وشمالا أراضي تربل[٨٣] ومن ذلك جميع القطعة الأرض المعروفة بالبرقية تابع البقاع ولها أوصاف وشهرة في مكانها تغني عن الوصف والتحديد. ومن ذلك جميع القطعة الأرض المعروفة بحقل التوت من أرض قرية علين التي حدها قبلة أرض البحصاص وشرقا أرض المالك وغربا الطريق وشمالا أرض محمد عبد الله. ومن ذلك جميع القطعة الأرض، المعروفة بالحمرا من أراضي (١٩٦أ) كفر عنا تابع الفرزن[٨٤] الكاينة قرب الجسر حدها من القبلة الطريق وشرقاً كذلك وغربا النهر المنيع، وشمالا الأرض سليخ. ومن ذلك جميع القطعة الأرض تابع رعيث[٨٥] المعروفة بالوقف التي حدها من القبلة ساقية حشمش[٨٦] وشرقا الطريق يدور مع الساقية وغربا أرض الكفيرات وشمالا كذلك. ومن ذلك جميع القطعة الأرض المعروفة بعين حميدة تابع كرك التي حدها من القبلة أرض الحقل وشرقاً كروم دار لاباس وغرباً أراضي عرجموش وشمالاً ملك عبد الله. ومن ذلك جميع القطعة الأرض المعروفة بالحفوف تابع الكرك التي حدها من القبلة الطريق وشرقاً جسر مسعود وغرباً البستان وشمالا الطريق.

ومن ذلك جميع القطعة الأرض المعروفة بالرجم تابع كرك التي حدها من القبلة حقل الروض وشرقا البستان وغربا الطريق وشمالاً في يد أربابه.

ومن ذلك جميع القطعة الأرض المعروفة بالبرانية تابع كرك التي حدها من القبلة أرض وقف جامع السيد وشرقا ملك محمد وغربا كذلك وشمالا حقل سليخ بيد أربابه.

---

٨٣ - حول تربل راجع جدول اسماء القرى قرية رقم (١٢)، انظر أيضاً عفيف بطرس مرهج، اعرف لبنان، موسوعة المدن والقرى اللبنانية، بيروت، ١٩٧١-١٩٧٢م، م ٣، ص ٢٨٩-٢٩٢.

٨٤ - حول الفرزن راجع كشوف أسماء القرى رقم ٣٠، انظر عفيف مرهج، المرجع نفسه، م ٨، ص ٧٠-٧٢.

٨٥ - حول رعيث راجع كشوف اسماء القرى رقم (٣).

٨٦ - حول حشمش راجع كشوف أسماء القرى رقم (١٨).

ومن ذلك جميع البستان التوت تابع كرك الذي حده من القبلة ملك الحاج أيوب وشرقا البستان وغربا ملك السيد وشمالا النهر.

ومن ذلك جميع البستان المعروف بالطحان تابع كرك وشهرته في مكانه تغني عن الوصف والتحديد.

ومن ذلك جميع نصف البستان الكاين قرب الحمام المشتمل على أشجار توت وجوز وغير ذلك الذي حده من القبلة الطريق السالك وشرقا بستان السيد وغربا البيادر وشمالا ملك الشيخ عبد العال.

ومن ذلك جميع كامل البستان المعروف بالشمعة تابع كرك الذي حده من القبلة البستان بيد أربابه وشرقا الفريجة (الفريجية؟) وغربا الطريق وشمالا بيد أربابه.

ومن ذلك جميع نصف البستان تابع كرك المشتمل على أشجار توت وجوز وغير ذلك حده من القبلة الطريق وشرقا بستان الحاج أيوب وغربا بيد الجاموس وشمالا البستان بيد أربابه. يجمع حقوقها كلها طرقها ومرافقها من كل حق هو داخل فيها وخارج عنها وقفاً مؤبداً ومحرماً وإيقافاً ثابتاً ومحيا سرمدياً لا يباع أصل ذلك ولا يوهب ولا يناقل ولا يتلف ولا يخرج إلى ملك أحد كل ما مر به زمان أكده وكلما أتى عليه حين وأوان أكده وسدده فهو محرم بحرمات الله تعالى مدفوع عنه بقوة الله تعالى يبتغي فيه مرضات الله تعالى لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر ويعلم أنه لربه الكريم صابر ينقص هذا الوقف ولا يغيره ولا يزيده عن وجهه وشروط الآتي ذكرها لا بوجه ولا بسبب.

على مبتدأ أن يكون جميع غلال ذلك على عمارة المشهد الذي فيه النبي نوح المشار إليه صلى الله عليه وسلم. وعلى عمارة أوقافه وعلى خدامة المقيمين به، وللمتولي والناظر.

وسلم جميع ذلك لمولانا وسيدنا السيد علوان المشار إليه فاعترف بالتسليم تسليم مثله شرعاً. ثم شرط له التولية والنظر على وقفه هذا له، ثم من بعده لأولاده وأولاد أولاده، ولأعقابه وأنساله أبدا ما داموا ودايماً ما بقوا الأرشد منهم. وفوض لهم التصرف في ذلك وعلى أنه لا توجه وظيفة ولا خدمة إلا لمن يرضاه المتولي

منهم، وعلى أن وقفه هذا لا يؤجر لمتقلب ولا سفيه ولا لذوي شوكة ولا يؤجر إلا سنة بسنة شرطاً شرعياً. وقبل ذلك منه مولانا السيد علوان المشار إليه القبول الشرعي وفوض له التصرف في ذلك وأن يكون في ذلك متابعاً لما شرطه المرحوم المغفور له تنكز[٨٧] أمير أمراء بدمشق الشام سابقاً في وقفه رحمه الله تعالى المبرز من يد مولانا السيد علوان المزبور في المجلس فتأمله الحاكم المشار إليه ثم أمر بنقله حرف بحرف بهذا الكتاب وهو مضمونه.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين.
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحابته أجمعين.

حضر لدى مولانا وسيدنا شيخ الإسلام والمسلمين مفيد الطالبين حجة الله على الخلق أجمعين وارث علوم الأنبياء والمرسلين قاضي القضاة علاء الدين مفتي المسلمين أوحد العالمين صدر المدرسين ولي أمير المؤمنين أبا الحسن علي بن سيدنا ومولانا قاضي القضاة مفتي المسلمين مفيد الطالبين أوحد العلماء والمدرسين ولي

---

٨٧ - تنكز، أبو سعيد سيف الدين تنكز الحسامي (ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)، ولي نيابة دمشق سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م-٧٤١هـ/ ١٣٤٠م، كان صاحب نفوذ كبير لدى السلطان الناصر محمد، وشهد كلا من معركتي وادي الخازندار ومعركة شقحب والذي يهمنا هو أنه كان وراء بناء وتجديد عدد من المساجد والمدارس والترب أوقف عليها عدداً من القرى وقطع الأراضي والمزارع، كما أنه وسع الطرقات وجدد القنوات، صادره السلطان سنة ٧٤٠هـ/ ١٣٤٠م. تذكر المصادر أملاكه في دمشق وحمص وبيروت والبقاع وبقارا بالتفاصيل أما فيما يتعلق باملاكه في كل من صفد وعجلون والقدس ونابلس والرملة وجلجولية والديار المصرية فلم تفصلها. حول حياته راجع محمد بن شاكر الكتبي، (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٤م)، فوات الوفيات والذيل عليها، ٤م، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٩٧٣م، م ١، ص٢٥١-٢٥٨ انظر أيضاً شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ/١٤٤٨م) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٥ م، تحقيق محمد سيد جاد الحق الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٦٦م، م ٢، ص ٥٥-٦٢، راجع أيضاً حياة ناصر الحجي، "الأمير تنكز الحسامي نائب الشام"، من منشورات حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، ١٩٨٢م.

أمير المؤمنين المرحوم أبي بكر محمد القاضي بمدينة دمشق الشام وأعمالها أدام الله تعالى تأييده حضرة أمير الأمراء الكرام وكبير الكبرا الفخام ذو القدر والاحترام صاحب الخيرات والمبرات رافع الكرب والمضرات أبو الفقراء والمساكين قائد جيوش المسلمين المحفوف بعناية الملك المعين أمين مولانا وسيدنا سيف الدين تنكز بن عبد الله الحسامي كافل ولاية دمشق الشام أيد الله أيامه وختم بالصالحات أعماله بحق محمد وآله. وأحضر معه مفخر العلماء والمدرسين قدوة الفقهاء والمحدثين السيد الجليل الشريف الحسيب النسيب فرع الشجرة الطاهرة الزكية وطراز العصابة الهاشمية النبوية وغصن الدوحة التهامية المصطفوية ذا الحسب الزاهي الزاهر والنسب الباهي الباهر مولانا وسيدنا السيد حسين بن المرحوم السيد الجليل شيخ الإسلام والمسلمين وصدر المدرسين السيد موسى بن المرحوم السيد الجليل الشريف شيخ الشيوخ والمحدثين السيد علي الحسيني زاد الله تعالى شرفه عظماً وهو الأمير على السادة الأشراف، ونقده وحكم بصحته وواقعه على وجه مولانا شيخ الإسلام والمسلمين تقي الدين أبو بكر ابن الشيخ محمد المتولي على وقف جامع المرحوم تنكز الواقف المشار إليه بالالتماس الشرعي من مولانا السيد حسين المتولي المشار إليه أعلاه، مؤرخ أواسط شهر المحرم الحرام سنة اثنين وستين وسبعماية ومتصل بشهادة الشيخ حسن ابن الشيخ محمد وبشهادة الشيخ عمر بن الحاج عبد الله جميع ما نسب إلى مولانا شيخ الإسلام والمسلمين صدر المدرسين ولي أمير المؤمنين عبد الله محمد قاضي القضاة بدمشق من الاتصال والحكم والإيقاع وسائر ما نسب من الاتصال إليه لمولانا شيخ الإسلام قاضي القضاة صدر المدرسين ولي أمير المؤمنين ابي العباس أحمد بن المرحوم شيخ الإسلام شمس الدين محمد القاضي بدمشق الاتصال الشرعي بالتماس شرعي من مفخر السادة الأشراف الكرام السيد الشريف علاء الدين علي ابن المرحوم شيخ الإسلام والمسلمين السيد حسين المشار إليه أعلاه مؤرخ في أواخر شهر شعبان سنة تسعين وسبعماية ومتصل بشهادة الشيخ علي بن الشيخ أحمد المالكي وبشهادة الشيخ إبراهيم ابن الشيخ عبد الله جميع ما نسب إلى مولانا وسيدنا قاضي القضاة صدر المدرسين ولي أمير المؤمنين

ابي العباس أحمد بن المرحوم شيخ الإسلام شمس الدين محمد القاضي بدمشق من الاتصال والتنفيذ والحكم والإبقاء، وساير ما نسب إليه لمولانا وسيدنا شيخ الإسلام قدوة القضاة والحكام ينبوع الفضل والكلام أبي عبد الله محمد ابن الشيخ العارف إبراهيم الحسيني الحاكم يومئذ ببعلبك، الاتصال الشرعي بالتماس شرعي من مولانا وسيدنا شيخ الإسلام السيد الجليل الشريف علاء الدين علي ابن المرحوم شيخ الإسلام السيد الشريف حسين المتولي على الوقف المرقوم المشار إليه مؤرخ في أوائل شهر رجب سنة خمسة وعشرون (كذا) وثمانماية ومتصل بشهادة الشيخ محمد ابن الشيخ عمر البوني وبشهادة الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد الحافظ جميع ما نسب لمولانا وسيدنا شيخ الإسلام قدوة القضاة والحكام ينبوع الفضل والكلام ابي عبد الله محمد ابن الشيخ العارف إبراهيم الحسيني الحاكم بمدينة بعلبك من الاتصال والحكم والتنفيذ وساير ما نسب إليه لمولانا وسيدنا شيخ الإسلام والمسلمين أوحد العالمين صدر المدرسين أبي الوفاء شمس الدين محمد ابن المرحوم شيخ الإسلام والمسلمين صدر المدرسين أبو (كذا) المواهب نور الدين القاضي بدمشق الشام الاتصال الشرعي بالتماس شرعي من فخر السادة الأشراف الكرام السيد الشريف محمد ابن المرحوم السيد الشريف علي الوصي الشرعي على الطفل القاصر السيد الشريف علي بن المرحوم شيخ الإسلام السيد الجليل نقيب السادة الأشراف علي ابن المرحوم السيد الشريف حسين المشار إليه المنحصر به التولية والنظر على هذا الوقف الاقتضاء الشرعي. وأذن مولانا الحاكم للسيد المزبور أن يتعاطى مصالح الوقف المزبور إلى حين رشد السيد علوان المزبور، وذلك حسب ما أوصى به والده رحمه الله تعالى اتصالاً وتنفيذاً وإذناً مقبولات شرعاً، مؤرخ في الخامس من شهر ربيع الآخر سنة خمسة وخمسين وثمانماية ومتصل بشهادة الشيخ عبد الغني ابن الشيخ محمود بشهادة الشيخ علي ابن الشيخ عز الدين جميع ما نسب إلى مولانا وسيدنا شيخ الإسلام والمسلمين صدر المدرسين أبو الوفا شمس الدين محمد بن المرحوم شيخ الإسلام والمسلمين صدر المدرسين ابي المواهب نور الدين القاضي بدمشق الشام من الاتصال والأذن والتنفيذ وسائر ما نسب إليه لمولانا وسيدنا شيخ الإسلام

والمسلمين أوحد العلماء والمدرسين ابي الفضل علاء الدين ابن المرحوم شيخ الإسلام والمسلمين قدوة الفقهاء والمحدثين ابي المكارم خير الدين القاضي بدمشق الشام الاتصال الشرعي. أوقعه على وجه الشيخ حسن ابن الشيخ محمد الخطيب إيقاعاً شرعياً بالتماس شرعي من مولانا وسيدنا شيخ الإسلام والمسلمين السيد الشريف علي ابن المرحوم شيخ الإسلام والمسلمين السيد الشريف حسين الحسيني المتولي على الوقف المزبور حسب ما هو مشروط له فيه ومنعه من الأحداث على الوقف والطلب والتعرض له عملاً بشرط الواقف المزبور مؤرخ في يوم الخميس الثاني عشر من شهر الحجة الحرام سنة خمس وسبعين وثمان ماية وهو آخر ما وجد فيه من الاتصالات والتقاييد. وفي أدناه رسم شهادة تسعة أنفار الأول ما قراءته (١٩٩) شهد بذلك العبد الفقير محمد بن علي الثاني ما قراءته شهد بذلك أفقر الورى محمد الحسيني والثالث ما قراءته شهد بذلك الفقير عمر العدوي والرابع ما قراءته شهد بذلك العبد الضعيف علي الشاكي. والخامس ما قراءته شهد بما فيه شمس الدين الشاكي والسادس ما قراءته شهد بذلك الفقير حسن البصري والسابع ما قراءته شهد بذلك إبراهيم الوفاء والثامن ما قراءته شهد بذلك العبد الضعيف علي الأنطاكي والتاسع ما قراءته شهد محمد العدوي وقوبل على أصله حرف بحرف وكلمة كلمة وأنصال بعد أنصال، المقابلة الشرعية وثبت مقابلة لدى مولانا وسيدنا شيخ الإسلام الأمر بنقله الثبوت الشرعي بشهادة شهود آخره، ثم اتصل بشهادة المذكورين سيدي الشيخ عمر العدوي والشيخ شمس الدين الشاكي والشيخ محمد العدوي لطف الله تعالى بهم وبالمسلمين جميع ما نسب إلى مولانا وسيدنا شيخ الإسلام والمسلمين أوحد العلماء والمدرسين أبي الفضل علاي الدين بن المرحوم شيخ الإسلام والمسلمين وقدوة الفقهاء والمحدثين أبي المكارم خير الدين القاضي بدمشق الشام سابقاً رحمه الله تعالى من الاتصال والحكم والتنفيذ والإيقاع والمنع وساير ما نسب إليه لمولانا وسيدنا شيخ الإسلام والمسلمين صدر المدرسين حجة الله على الخلق أجمعين وارث علوم الأنبياء والمرسلين المحفوف بعناية الملك المعين أبي

المناقب شمس الدين محمد ابن المرحوم شيخ الإسلام والمسلمين قدوة الفقهاء والمحدثين طاهر، الأذن بنقلها المشار إليه أعلاه الاتصال الشرعي.

فعند ذلك عين مولانا الأمير محمد الواقف المشار إليه أعلاه أن يكون جملة هذا الوقف مشاعاً وأن يصرف على عمارة النبي نوح عليه السلام وعلى عمارة أماكنه وعلى عمارة أوقافه والقرار فيها وما فيه التماس المزيد في الوقف. ثم على تنويره وفرشه ثم على مطبخه في ثلاثة أشهر شهر رجب وشهر شعبان وشهر رمضان المعظم وإطعام العبدين والواردين والمنقطعين، ثم على المتولي والناظر عليه ثم على خدامه وأرباب شعايره حيث أنه لا يزاد ولا يحدث على الوظايف الآتي ذكرها وهي: أمام وخطيب والمؤذنين وقيم وتربدار وكاتب وجابي ومن يتعاطى مصالح المطبخ والطبخ ولوازمه ومن يخدم الأسمطة والماء وذلك كله يكون تبعاً للمتولي والناظر المزبور ينصب لذلك من يختاره ويرضاه ويصرف ذلك بحسب ما يراه مفوض في ذلك حسب ما عينه الواقف المشار إليه. ثم أشرط التولية والنظر على وقفة لمولانا وسيدنا السيد الشريف علوان ابن المرحوم السيد الشريف حسين الحسيني المشار إليه أعلاه، ثم من بعد لأولاده وأولاد أولاده وأولاد أولاد أولاده وأعقابه وأنساله أبداً ما داموا ودايماً ما بقوا للأرشد في الأرشد منهم وعلى أن لا توجه خدمة ولا وظيفة إلا لمن يرضاه المتولي منهم وأن لا تزاد على هذه الوظايف المذكورات ولا يحدث عليها، وعلى أن وقفه لا يؤجر لمتغلب ولا لذوي شوكة بل يؤجر سنة بسنة لمن يرضاه المتولي المزبور وإن فضل شيء عن ذلك فللمتولي المزبور إنْ خاس في سنة من السنين عن المصروفات المزبورة فليستدين المتولي على المستقبل بحسب ما يراه. وأن وقفه لا يداخله حاكم ولا محاسب في محاسبة أو في توجيه وظيفة بل إنه مفوض إلى رأي المتولي المزبور أو إلى رأي من يكون من ذريته بالتفويض الشرعي وتفويضاً شرعيين في ذلك كذلك ومن بدله أو تعداه فعليه لعنة الله ثم لعنة الله ثم لعنة الله والملايكة والناس أجمعين ﴿فمن بدله بعد ما سمعه فإنما أثمه على الذين يبدلونه﴾[٨٨] ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً

---

٨٨ - آية رقم ١٨١ من سورة البقرة.

وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد ﴾[٨٩].

وجرى ذلك بحضور الحاج عبد القادر بن كحيل والحاج محمد ابن الشيخ عراق بالصنهاجي(؟) وبحضور الآخرين هما عواد بيك وعلي بيك أولاد المرحوم الأمير محمد عم الواقف المشار إليه وصدقوا على صحة هذا الوقف وشروطه وأنه صدار فعله (؟) في محله. وقبل منهم ذلك السيد علوان المتولي المشار إليه القبول الشرعي وتصادقوا على ذلك كله التصادق الشرعي تحريراً في اليوم المبارك الثاني عشرين شهر رجب الفرد سنة خمس وتسعماية (سنة ٩٥٠هـ/١٥٤٣م) وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

وبه شهد على مولانا الواقف بما صدر لدى الحاكم علي بن محمد الحسيني
وبه شهد مولانا الشيخ

شمس الدين محمد	محمد حمزة الحسيني
محمد العدوي	الأمير حسين بن الحرفوش
من أفقر الورى محيي الدين عثمان العباسي	الشيخ عدي بن عمر شيخ قرية بر إلياس
علي بن شمس الدين الخطيب	الشيخ محمد بن الشيخ علي البقاعي
عمر الخطيب بقرية المرج	الشيخ محمد القاضي شيخ
المقدم علي بيدمر	قرية المرج فخر الدين السعداوي
علي بن يوسف	محمد بن نور الدين

٨٩ - آية رقم ٣٠ من سورة آل عمران.

أحداث بلاد طرابلس الشام

١٠١٥هـ/١٠١٦هـ-١٦٠٦م/١٦٠٧م

بُعَيدَ نهاية القرن السادس عشر الميلادي بدأت السلطنة العثمانية تعاني من أسباب الضعف والانحطاط[١]، ومن مظاهر هذا الضعف كثرة حركات العصيان التي أصبحت تلفّ مختلف الولايات العثمانية، حيث كان من أبرزها الحركة الجلالية التي اكتسحت بلاد الأناضول، مستغلة المظالم الاجتماعية التي كانت قد لحقت بريف تلك الهضبة[٢]. ولم تكن هذه الحركة لِتَمُرَّ دون أن تترك لها أثراً على المناطق الشامية، خاصةً المحاذية لها كحلب وبلاد طرابلس الشام[٣]، ولعله من المفيد هنا أن

---

١ - حول أسباب ضعف الدولة العثمانية في أواخر القرن السادس عشر انظر:
Bernard Lewis, *The Emergence of Modern Turkey, 2nd edition*, Oxford University Press, 1968, p. 21-39, Halil Inalcik, *The Ottoman Empire: The Classical Age 1300-1600*, Weidenfeld and Nicolson, London, 1973, p. 41-52.

٢ - حول الحركة الجلالية، انظر دارسة:
Mustafa Akdağ, *Turk Halkinin Dirlik Ve Duzenlik Kavgals*, Bilgi Yayinlari, Ankara, 1975.

كذلك رسالة:
W.J. Griswold, *Political Unrest and Rebellion in Anatolia 1606-1609*, Ph.D. Thesis, University of California, Los Angeles, 1966.

٣ - حول هذا الموضوع: انظر مزيداً من التفصيلات في الترجمة التي أوردها حسن بن محمد البوريني (ت ١٠٢٤هـ/١٦١٥م) لعبد الحليم اليازجي "الباغي الخارجي" (ت ١٠١٠هـ/١٦٠١م)، تراجم الأعيان من أبناء الزمان، م ٢، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٥٩، ١٩٦٣، م ٢، ص ٢٥٩-٢٧٠، كذلك انظر: المحبي، محمد أمين (ت ١١١١هـ/١٦٩٩م)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٤ م، تصوير دار صادر بيروت، لا، ت، م ٢، ص ٣٢٢-٣٢٤.

نتذكّر أن السَلْطَنة العثمانية، انسجاماً مع سياستها التقليدية[٤]، لم تلغ الزعامات المحلّية المتعاونة معها في بلاد الشام بعد ضَمّ هذه البلاد إلى الدولة العثمانية في عهد السلطان سليم الأول، بعد معركة مرج دابق (٢٥ رجب ٩٢٢هـ/ ٢٤ آب ١٥١٦م)، إذ أن معظم هذه الزعامات حافظت على وجودها مُستكينةً إبّان قوّة الدولة ضمن الإطار العثماني، إلا أنها بدأت تتحرّك في الربع الأخير من القرن السادس عشر، لِتُوَسِّع من دائرة نفوذها على حساب السلطة العثمانية المحلية، ولكنْ ليس بقصد الاستقلال عن السلطنة العثمانية، ولقد استفادت من انشغال الدولة العثمانية في حروبها الطويلة المستديمة على الجبهتين الصفوية والنمساوية، بالإضافة إلى الخسائر التي تكبّدها العثمانيون في إخضاع حركات التمرد والعصيان في اليمن وفي غيرها[٥] من بلدان سلطنتهم، كما أنه كان قد تَرتَّب على انتصار تحالف البابوية وإسبانيا والبندقية في معركة ليبانتو Lepanto البحرية في السابع من تشرين الأول سنة ١٥٧١م، أن قوّة الدولة العثمانية البحرية من حيث العَدد والعُدّة والنوعية والحالة النفسية، قد أصبحت دون مستوى الأساطيل الأوروبية[٦]، وأن الدول الأوروبية، خاصة الكاثوليكية منها، قد عاودتها من جديد الفكرة الصليبية المستَهدِفَة استخلاص فلسطين من أيدي المسلمين، ولكنْ هذه المرة ليس بإرسال حملات من

---

٤ – انظر مقالة:

H. Inalcik, « Ottoman Methods of Conquest », *Studia Islamica*, vol. II (1954), p. 102-29.

٥ – انظر:

M.A. Bakhit, *The Ottoman Province of Damascus in the 16th Century*, p.164-191.

٦ – حول معركة ليبانتو انظر:

Edward S. Creasy, *History of the Ottoman Turks*, Reprint, Khayats, Beirut, 1961, p. 219-22 Inalick, H. The Ottoman Empire, p. 41-42.

كذلك انظر التحليل العسكري لهذه المعركة من الناحية الحربية في دراسة:

John Francis Guilmartin (JR.), *Gunpowder and Galleys, Changing Technology and Mediterrannean Warfare at Sea in the Sixteenth Century*, Cambridge University Press, 1974, p. 221-252.

أوروبا، بل بالاعتماد على بعض القوى المحلّية من الأقليات العرقية والمذهبيّة لتنفيذ هذا المخطط[٧]. وكان من أبرز هذه القوى الأسرة المعنية الدرزية والأسرة الجانبولاطية الكردية في كلس وأعزاز. ولقد وسَّعت الأسرة الأخيرة من دائرة نفوذها، بحيث أُنيطت ولاية حلب في مطلع القرن السابع عشر بزعيمها آنذاك حسين باشا جانبلاط، الذي نتيجة لتلكئه في الانضمام إلى حملة الوزير سنان باشا جغال زاده ضد الشاه عباس الأول (٩٩٦هـ/١٥٨٨م-١٠٣٨هـ/١٦٢٩م)، أمر الوزير المذكور بقتله في بلدة وان التركية سنة ١٠١٤هـ/١٦٠٥م[٨].

---

٧ - حول هذه الخطة انظر:

K. SALIBI, « The Sayfas and the Eyalet of Tripoli », *Arabica*, vol. XX, (1973), p. 33.

انظر أيضاً للمؤلف نفسه: "فخر الدين المعني الثاني والفكرة اللبنانية"، أبعاد القومية اللبنانية، منشورات جامعة الكسليك، بيروت، ١٩٧١م، ص ٨٥-١١١، لمزيد من التفصيلات حول هذه الخطة انظر أيضاً ما نشره الأب بولس قرالي:

١) فخر الدين الثاني وعلاقته بفردناند الأول وقزماً الثاني أمير تسكانيا ١٦٠٥-١٦٢١م، حريصا ١٩٣٨م.

٢) وكتابه الثاني "فخر الدين المعني أمير لبنان وفردناند الثاني أمير تسكانيا ١٦٢١-١٦٣٥م، حريصا ١٩٣٨م.

٨ - حسين بن جانبلاط، كردي الأصل كان في ابتداء أمره من الطائفة العسكرية المعروفة باسم المتفرقة، ثم خَلَفَ والده في إمارة كلس وتدرّج في المناصب إلى أن أوكلت إليه حلب، ولكنه تلكأ في مساندة الوزير سنان باشا في حملته الفاشلة على بلاد فارس، وكان من نتيجة ذلك أنّ سنان باشا أمر بقتله في بلدة وان التركية في سنة ١٠١٤هـ/١٦٠٥م، البوريني، المصدر ذاته، م ٢، ص ٢٧١، انظر المحبي، خلاصة، م ٢، ص ٨٤-٨٧، أما سنان يوسف باشا المعروف باسم جغال زادة، فلقد تربى في القصر السلطاني، وتولّى عدة مناصب منها ولاية ديار بكر في سنة ٩٩١هـ/١٥٨٣م، كما تولى بعد ذلك بلاد وان وأرضروم وبغداد، وفي سنة ١٠٠٦هـ/١٥٩٧م، تولى بلاد الشام لبضعة أشهر، في سنة ١٠١٤هـ/١٦٠٥م، أوكلت إليه مهمة قيادة الجيوش العثمانية ضد بلاد فارس، وكانت وفاته في العام نفسه في ديار بكر، انظر ترجمة حياته في محمد ثريا، سجل عثماني ياخود تذكرة مشاهير عثمانية، اسطنبول سنة ١٣١١، م ٢، ص ١١١، كذلك انظر محمد بن جمعة المقار الحنفي (ت ١١٥٦هـ/١٧٤٣م)، الباشات والقضاة، نشره صلاح الدين المنجد مع نَصَّين آخرين باسم "ولاة دمشق في العهد العثماني"، دمشق، ١٩٤٩م، ص ٢٦.

ولما وصل خبر مقتله إلى حلب ثار ابن أخيه علي جانبلاط، "ورفع علم العصيان، وجَمَعَ الطائفة الذين يقال لهم السكبانية حتى صار عنده منهم ما يزيد على عشرة آلاف، ومنع مال السلطنة[٩]، في أثناء ذلك كانت قوات الدولة العثمانية مشغولة في حرب ضروس مع إمبراطورية النمسا، كما أن قوات الجلالية الخارجة عن طاعة السلطان كانت تصول وتجول في بلاد الأناضول؛ وكان قد سَبَق ذلك أن القوات العثمانية قد عادت خاسرة من حربها ضد الشاه عباس. في مثل تلك الظروف عرض الزعيم التركماني الأصل السني المذهب يوسف باشا سيفا (ت ١٠٣٤هـ/١٦٢٥م) صاحب عَكَّار، والذي كان يُوَلَّى من حين لآخر بلاد طرابلس، خدماته على السلطان على "أن يكون أميراً على عساكر بلاد الشام، على أن تكون جمعيّته بحماة، ويلتزم بإزالة علي بك المذكور عن حلب"، فلما جاءه الإذن السلطاني بذلك، أرسل يوسف باشا إلى العساكر العثمانية في دمشق وفي غيرها من القلاع لملاقاته عند حماة. وعند التقاء الجانبين تَمكَّن علي بك ابن جانبلاط بسهولة تلفت النظر من إلحاق الهزيمة بالعساكر العثمانية بقيادة يوسف باشا سيفا، الذي تَوَجَّه إلى طرابلس الشام ليهرب منها بأمواله إلى جزيرة قبرص، ومنها إلى حيفا، ملتجئاً إلى الأمير أحمد الحارثي، ومن هناك عاد إلى دمشق ليهرب منها إلى طرابلس مقرَّ سلطته.

ولحسن الحظ يتوافر لدينا نَصَّان لشاهدَي عيان لتلك الأحداث، صاحب النص الأول ويعرف باسم مصطفى بن جمال الدين بن كرامة، من أهالي طرابلس الشام كتب تعليقة حول ما أصاب مدينته نتيجة لحركة علي بن جانبلاط؛ والنَصّ الثاني للمؤرخ الدمشقي الشيخ حسن بن محمد البوريني (ت ١٠٢٤هـ/١٦١٥م) الذي

---

٩ - البوريني المصدر ذاته، م ٢، ص ٢٧١، لاحظ تعريف البوريني للسكبانية حيث يقول: "والسكبانية عبارة عن طائفة كان وضعهم أن الواحد منهم يحمل البندقية على ظهره ويقود الكلب في ساجورة ويمشي أمام الأمير أو الكبير حين يسير إلى الصيد، وهو لفظ فارسي مأخوذ من سك، فأما سك فهو الكلب بلغتهم وأما بان فهو بمعنى الحامي، أي حامي الكلب، م ٢، ص ٢٥٩، وكانوا يشكّلون وحدة بارزة في فرقة الانكشارية، انظر: CL. Huart, « Segban », *E.I.*, vol. IV, p. 203-204, Gibb and Bowen, *Islamic Society and the West*, Oxford University Press, Reprint, 1963, vol. I, Part 1, p. 59-61, 315.

يصف لنا دقائق تلك الأحداث ومجرياتها كما كان يراها من دمشق. والنَصّان يكملان ويَعْضُدان بعضهما البعض ومن هنا جاءت ضرورة نشرهما معاً، حيث إنهما ما زالا مخطوطين.

والذي يهمنا هنا أن التعليقة التي بين أيدينا تُصَوِّر لنا مشاعر أحد أبناء طرابلس، قاعدة السنة، ضمن إطار من الأقليات الإسلامية والمسيحية، كما أنها تبين مدى الولاء القوي من جانب الرعية للسلطان، حيث إنَّ من عصاه "قد أطاع الشيطان"، وتُصَوِّر لنا كذلك نظرة أهالي طرابلس ليوسف باشا سيفا، وهي نظرة احترام، لأن معظم المصادر المتداوَلة بين أيدينا والمعروفة لدينا، كتاريخ الأزمنة للبطريرك اسطفان الدويهي (ت ١٧٠٤م) وتاريخ الأمير حيدر أحمد الشهابي (ت ١٨٣٥م) وأخبار الأعيان في جبل لبنان، لطَنّوس الشدياق (ت ١٨٦١م)، قد اعتمدت المؤرخ السنّي الشيخ أحمد ابن محمد الخالدي الصفدي (ت ١٠٣٤هـ/١٦٢٤م) الذي كان معبراً عن وجهة نظر فخر الدين المعني الدرزي المتعاون مع العناصر المسيحية خاصة المارونية منها، بينما يوسف باشا سيفا كان سنّياً ينعم بثقة ودعم الدولة العثمانية له، ربما إلى درجة أن السكان كانوا ينظرون إليه على أنه رجل الدولة ووكيلها[١٠]. كما وأن هذه التعليقة تبين لنا أن قسماً من أهالي طرابلس الشام كانوا قد هجروا مدينتهم وركبوا البحر لعلمهم أن القوى المهاجمة هي قوى عاصية خارجة على طاعة السلطان، خاصة وأن قسماً منها كان درزياً بقيادة فخر الدين المعني، ومما زاد في حراجة موقفهم، أن ذلك جاء في الوقت الذي كانت فيه الدولة مشغولة في اجتثاث الجلالية ومشتبكة في

١٠ – حول مكانة اسطفان الدويهي وطنوس الشدياق في مدرسة التاريخ اللبناني الماروني انظر:
Kamal Salibi, *Maronite Historians of Medieval Lebanon*, Beirut, 1959, *Ibid.*, « The Traditional Historiography of the Maronites », *Historians of the Middle East*, Edited by Bernard Lewis and P.M. Holt, Oxford University Press, 1967, p. 212-225.

انظر في الكتاب نفسه مقالة :
A. Hourni, « Historians of Lebanon », p. 226-245.
حول أهمية دور أسرة آل سيفا في التاريخ المحلي وعن علاقاتها مع القوى المحلية الأخرى انظر مقالتي الدكتور كمال الصليبي : Kamal S. Salibi, « Northern Lebanon Under the Dominance of Gazir », *Arabica*, vol. XX, (1973), p. 25-52 ; « The Sayfas and the Eyalet of Tripoli 1579-1640 », *Arabica*, vol. XX (1973), p. 25-52.

حرب مع النمسا، بالإضافة إلى هزيمة العثمانيين أمام الشاه عباس الأول، وما ترك ذلك من خيبة ومرارة. فلم يعد لدى سكان طرابلس من حيلة إلا الهروب إلى أقرب الجزر.

يُعَرِّف صاحب هذه التعليقة نفسه بإيجاز كبير حيث يصف نفسه بقوله "... العبد الفقير مصطفى بن جمال الدين المدعو بابن كرامة" ولحسن الحظ فان يحيى بن أبي الصفا بن أحمد المعروف بابن محاسن (ت ١٠٥٣هـ/ ١٦٤٤م) يذكر أنه أثناء زيارته لمدينة طرابلس الشام ١٠٤٨هـ/ ١٦٣٨م قابل الشيخ مصطفى ابن كرامة واستعار منه كتاب الذخيرة وكان خطيب الشافعية بالجامع الكبير إلا أنه لسوء الحظ عند العودة إلى مخطوط لطف السمر وقطف الثمر من تراجم الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر[١١] لنجم الدين محمد الغزي (ت ١٠٦١هـ/ ١٦٥٠م) والقسم غير المنشور من تراجم الأعيان من أبناء الزمان[١٢]، للحسن بن محمد البوريني، (ت ١٠٢٤هـ/ ١٦١٥م)، وخلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، لمحمد أمين الدين المحبي (ت ١١١١هـ/ ١٦٩٩م)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م) فإننا لا نعثر على ذكر لهذا الشخص، زيادة على ذلك فإن خير الدين الزركلي وعمر رضا كحالة لا يذكرانه في معجميهما. وأما الرحالة رمضان بن موسى ابن أحمد لمعروف بالعطيفي الدمشقي الحنفي (ت ١٠٩٥هـ/ ١٦٨٤م) الذي زار طرابلس الشام سنة ١٠٤٣هـ/ ١٦٣٤م فإنه لا يذكر اسم هذا الشخص من ضمن العلماء الذين قابلهم في أثناء إقامته في طرابلس[١٣] إلا أن الشيخ والقطب الصوفي عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣هـ/ ١٧٣١م) يذكر في التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية، التي دَوَّن فيها أخبار رحلته في سنة ١١١٢هـ/ ١٧٠٠م إلى طرابلس، أن من بين من لقيه "... الشيخ الفاضل والبارع

---

١١ - مجلة الأبحاث، الجامعة الأمريكية، ١٩٧٠م، ص ٢١٣-٢٢٢. راجع يحيى بن أبي الصفا بن أحمد المعروف بابن محاسن (ت ١٠٥٣هـ/ ١٦٤٤م) المنازل المحاسنية في الرحلة الطرابلسية، دراسة وتحقيق محمد عدنان البخيت، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١م، ص ٧٨ ، ٨١. مخطوط المكتبة الظاهرية رقم ٤١، الأوراق ١٦٨-٢١٧.

١٢ - المكتبة الوطنية، فينّا، Cod, Arab, 1190 Mixt 346.

١٣ - انظر نص الرحلة مع الدراسة التي قدم لها بها ناشر الرحلة:
Stefan Wild, « Al-Utaifi's Journey to Lebanon in 1043/1634 ».

الكامل الشيخ علي بن كرامة"، ويذكر في مكان آخر أن علي بن كرامة قد زاره: "فزارنا في هذا اليوم أيضاً عدة من الأفاضل المكرمين والعلماء المدرسين، منهم الشيخ الفاضل حاوي الفضائل الشيخ علي بن كرامة". ويضيف أن علياً هذا قد زاره مرة ثالثة[١٤]. وعند العودة إلى كتاب تراجم علماء طرابلس وأدبائها لعبد الله حبيب نوفل (ت ١٩٤٧م)، لا نجد ذكراً لمصطفى بن جمال الدين بن كرامة هذا، بل لأفراد آخرين كعمر بن مصطفى أبي اللطف (ت ١١٦٠هـ/١٧٤٧م)، ومصطفى بن عبد الحميد كرامة[١٥]، وإذا ما رجعنا إلى التعليقة نفسها فإننا نلمس، من ثناياها ومن لغتها، أن مصطفى هذا كان على مستوى جيّد من حيث تَمَكُّنه من اللغة العربية، وأن له ولداً اسمه عمر، وقع معه في الأسر، وما عدا ذلك فإن المعلومات التي يوردها عن نفسه تكاد تكون شبه معدومة.

إن هذه التعليقة المصنفة ضمن مجموعة Levinus Warner[١٦]، (ت ٢٢ حزيران ١٦٦٥م)، قنصل هولندا في اسطنبول، مسجَّلة في مكتبة جامعة ليدن تحت رقم Cod.Or. 944[١٧]، وهي تقع في أربع ورقات، ومجموع أسطُرها مائة وأربعة وسبعون

١٤ – انظر النابلسي، الشيخ عبد الغني (ت ١١٤٣هـ/ ١٧٣١م) التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية، حققها وقدم لها هيربرت بوسة، بيروت، ١٩٧١م، ص ٤٩، ٧٦، ٨٧.

١٥ – نوفل، عبد الله حبيب، تراجم علماء طرابلس وأدبائها، مطبعة الحضارة طرابلس، ١٩٢٩، ص ٣٥، ١٣٧–١٣٨.

١٦ – ليفنوس فارنر Levinus Warner، من طلبة جامعة ليدن، درس اللغات الشرقية فيها، وسافر إلى اسطنبول سنة ١٦٤٥م. وفي سنة ١٦٥٥م، عين قنصلاً لهولندا في العاصمة العثمانية، وبقي في ذلك المنصب إلى حين وفاته في ٢٢ حزيران سنة ١٦٦٥م، وأثناء إقامته الطويلة تلك تمكّن من شراء عدد كبير من المخطوطات العربية والفارسية والتركية والعبرية التي أوصى بها قبل وفاته لمكتبة جامعة ليدن لتكون بذلك النواة الأولى لمقتنيات تلك المكتبة من التراث الشرقي حول حياته وإقامته باسطنبول انظر مقالة:
G.W.J. Drewes, « The Legatum Warneriamum of Leiden University Library », in *Levinus Warner and His Legacy*, E.J. Brill, Leiden, 1970, p. 1-31.

١٧ – انظر فهرس مكتبة جامعة ليدن:
P. Voorheove, « Handlist of Arabic Manuscripts in the Library of the University of Leiden and Other Collections in the Netherlands », in *Bibliotheca Universitatis*, Lugduni Batavorum, Leiden, 1957, p. 361.

سطراً مكتوبة بخط اعتيادي، ومدونة بتاريخ ١٠١٦هـ/١٦٠٦م، وعلى الأرجح أنها النسخة الأُم حيث لم أعثُر على أية إشارة أخرى عنها في بقية فهارس المخطوطات المنشورة، وعلى الغالب أنها وصلت فارنر باسطنبول عن طريق حلب، بواسطة محمد ابن عمر العرضي الحلبي (ت ١٠٧١هـ/١٦٦٠م)، الذي كان قد اتصل بفارنر وكان يشتري له المخطوطات العربية ويُزَوِّده بها[١٨]، أو عن طريق فردريك أخي فارنر،

١٨ - محمد بن عمر العرضي (ت ١٠٧١هـ/١٦٦٠م) نسبة إلى بليدة العرض في برية الشام من أعمال حلب، من أسرة حلبية معروفة بالعلم، ولي القضاء بحلب، وتولّى افتاء الحنفية فيها لمدة سنتين ثم سافر إلى اسطنبول حيث لم يستمرئ الإقامة هناك، وبعد عودته من العاصمة العثمانية نجده يتولى أفتاء الشافعية بعد وفاة أخيه، ونعثر على رسالة منه لفارنر، ونظراً لأهميتها فإننا نورد نصها: "حضرة بكر عطارد وواحد الفراقد (نلاحظ أنه يكرر مثل هذين التعبيرين حيث يورد له المحبي نصاً يذكر فيه حضرة شيخ الإسلام ودرة تاج الملك ونص الختام بكر عطارد العلم وثاني الفرقد"، خلاصة، م ٤، ص ٩٣)، ايلجي (السفير) بيك المكرم لا زال مدعي العلم له مسلم، تفاوض جنابه الترحاب (كذا النص). هو أن الواصل إليكم من كتب المرحوم كاتب جلبي (ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٧م) ستة كتب، نزهة الخاطر للكاشي، وهو كتاب جليل مشتمل على أشعار عربية وفارسية، وثمنه اثنا عشر غروشاً، المجلد الأول من تذكرة ابن حمدون وثمنه ستة عشرغروشاً وشرح شواهد التلخيص (لبدر الدين الغزي) وثمنه أربعة غروش ونصف، وشرح مقامات الحريري، المتوسط للشريشي وثمنه ثلثمائة عثماني، وجزء من العقد لابن عبد ربه وثمنه غرش واحد، وشرح العبدونية وثمنه غرشان، فالمجموع خمسة وثلاثون غرشاً وثلثمائة عثماني، وأما تاريخ البناكتي (محمد بن سليمان الأشعري (ت ٨٩١هـ/١٤٨٦م) صاحب كتاب روضة أولي الألباب في التاريخ، وتاريخ ختاي وتاريخ خسروي، ورسائل الخوارزمي، فوعدنا الدلالون بهما يكون معلوماً لكم؛ والفتون إن شاء الله نحصلها والسلام، من الفقير محمد العرضي، ويضيف في حاشية على تلك الرسالة ما يلي: "ولا تؤاخذنا بإخلاف الوعد بالمجيء إليكم يوم الأحد الماضي، فإنه صار لنا مانع بل موانع، وتبلغ شوقنا إلى المربوط في الدار بمقتضى تسميتكم نقولا والسلام، وقد اشترينا نحن لأنفسنا تأليفاً لجدنا الحنبلي (رضي الدين) بمائتي عثماني فتفضلوا بها لنا والسلام وإن شاء الله عن قريب نآتيكم"، من هذا النص نلحظ بوضوح مدى العلاقة الحميمة التي كانت تربط الاثنين. لمزيد من التفاصيل انظر الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر (ت ١٠٦٩هـ/١٦٥٨م) ريحانة الالبّا وزهرة الحياة الدنيا، ٢ م، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو،

الذي كان قد عمل لفترة قصيرة كقنصل لهولندا في حلب[١٩]، ممّا يدلّ على أن فارنر كان على اتصال بحلب، على مستوى النشاط التجاري، وكذلك على مستوى تجار المخطوطات التي شغف بشرائها.

تعليقة مصطفى بن جمال الدين بن كرامة حول أحداث سنة ١٠١٥هـ [١٠١٦هـ/ ١٦٠٦م-١٦٠٧م].

تعليقة تتضمن ذكر أَسرنا عند الكفّار والسبب الداعي للفرار وما أحل الله بالباغي من الويل والدمار، والحمد لله الملك القهار والصلاة والسلام على النبي المختار وعلى آله وصحبه السادة الأخيار آناء الليل وأطراف النهار صلاة تمحو عن قائلها الأوزار.

"بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وحسبي الله "ونعم الوكيل"[٢٠]. الحمد لله الذي وعد الصابرين المراتب العلية وألهمهم الشكر فنالوا به أعظم مزية، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تدفع عنا كُلَّ بَلِيَّة، وتورثنا سعادة أبدية سرمدية، وأشهد أن سيدنا محمد (كذا) عبده ورسوله القائم بأعباء الرسالة وأمر الرعية، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه المنعوتين بمكارم الأخلاق والصفات البهية صلاة دائمة متوالية يتضاعف ثوابها كل بكرة وعشية. أما بعد فيقول العبد الفقير مصطفى بن جمال الدين المدعو بابن كرامة أجاره الله من الزلل والندامة:

القاهرة، سنة ١٩٦٧م، م ١، ص ٢٧٤-٢٧٨، المحبي، خلاصة، م ٤، ص ٨٩-١٠٣، البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين البابانى (ت ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م)، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، م ٢، منشورات مكتبة المثنى، بغداد ١٩٥٥م، ص ٢١٤، انظر أيضاً "اللوحة رقم ١٢"، المنشورة صورة لها كملحق لكتاب: *Levinus Warner and His Legacy*.

١٩ - G.W.J. DREWES, « The Legatum Warnerlanu », in *Levinus Warner and His Legacy*, p. 16.

٢٠ - من سورة آل عمران، آية رقم (١٧٣).

لما كان بتاريخ أوائل شهر صفر سنة خمس عشرة بعد الألف، وقد حصل على الديار الطرابلسية ما هو ليس بقابل للوصف، ورد أمر من ظل الله في أرضه، القائم بسنّته وفرضه، المؤتمن على حقّه، واليد المبسوطة على خلقه، مَن احتباه الله لوراثة الرسالة، وجعل طاعته فريقاً بين الهدى والضلالة، لا دنيا إلا به ومعه، ولا دين إلا لمن والا(ه) وتبعه، كافل الأُمة وراعيها، وسايس الملّة وحاميها، نظام الجملة وجلاء الغمة، ورباط النعمة، من عصى السلطان فقد أطاع الشيطان، من شايعه حمد في يومه وغده، ورعى من العيش في أرغده، ومن نابذه صار في خسران، وعانقه الخذلان، جعل الله رايته العليا وآيته الكبرا، ما تسابح القمران[٢١]، وتوالى الملوان[٢٢]، واستقر في مكانه جبل لبنان.

بعد أن أنهى لسدّته، لا زالت الأيام طوع إرادته، أن علي بن جان[٢٣] بولاد بغى واستغنى فطغى، وركب أضاليل الهوى وأباطيل المنى، وأحاديث النفوس الكواذب

---

٢١ - القمران: الشمس والقمر، انظر جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م) لسان العرب، ١٥ م، بيروت، ١٩٥٥م، م ٥، ص ١١٣.

٢٢ - الملوان، الليل والنهار، وقيل طرفا النهار، ابن منظور، لسان العرب، م ١٥، ص٢٩٠-٢٩٢.

٢٣ - علي بك ابن الأمير أحمد ابن جانبلاط الكردي، ابن أخي حسين باشا جانبلاط، أنابه عمه في حلب عند خروجه لملاقاة الوزير السردار سنان باشا جغال زادة، وعندما وصله نبأ قتل عمه بأمر الوزير المذكور رفع راية العصيان في حلب وكان جيشه المكوّن من عناصر السكبان الهاربين من الخدمة العسكرية يزيد على عشرة آلاف شخص، ومَنَع الوالي المعين على حلب من الدخول إليها، وسار من حلب باتجاه الجنوب حيث هزم العساكر العثمانية بقيادة يوسف باشا سيفا (ت ١٠٣٤هـ/١٦٢٥م) قرب حماة، سنة ١٠١٥هـ/ ١٦٠٦م، وغنم أشياء كثيرة من معسكر العساكر الشامية، وبعد هذا الانتصار استدعى فخر الدين الذي أجاب دعوته وانضم إليه في حركة العصيان، فأرسلا واحتلا منّاطق يوسف باشا سيفا باستثناء قلعة طرابلس، وخرّبا بعلبك وتوجها باتجاه دمشق حيث هزما عساكرها للمرة الثانية في نواحي العراد، ومن هناك اتجهت عساكرهم لتهاجم دمشق من جهة المزة، وبدأ أفراد السكبانية والدروز بنهب الأحياء الخارجية لمدينة دمشق، ولم يرفع الحصار إلا بعد أن دفعت له أهالي دمشق مائة وخمسة وعشرين ألف غرش. وفي طريق عودته مرَّ على حصن الأكراد وجرت اتصالات له مع يوسف باشا سيفا، أدت إلى عقد مصاهرة ما بين ابن جانبلاط ويوسف باشا سيفا، ومن هناك

ووساوس الآمال الخوابث، جال في تيهه وشقائه، وسفاهة عقله وقلة رأيه، ودخل في ظلمة المعصية، وخرج من نور الطاعة، وركب المركب الذي لابد أن يترجل راكبه، بل ينخذل فارسه، مدَّ يداً قصيرة ليتناول غاية بعيدة، أضلّه عماه، وزلّت به قدماه، امتطى ظهر الاغترار، وأذاع دواعي البوار، أوقد ناراً للحرب بدر منها بوادر الفتنة، وهدَرت على يده شقاشق[٢٤] المحنة، فلما تقررت أحواله لديه، زالت حمائم النصر ترفرف بين يديه، عيّن عليه سردارا كافل المملكة الطرابلسية[٢٥]، لا برحت

عاد إلى حلب فأرسل السلطان له الوزير الكبير مراد باشا "لأنه (أي علي بيك) كان قد قارب أن يملك البلاد بالاستقلال"، وفي القتال الذي نشب قرب مرعش نجا علي بك جانبلاط برأسه إلى مدينة حلب ومنها إلى ملاطية ومن هناك قصد اسطنبول حيث عفا عنه السلطان وولاه حكومة طمشوار ليقتل فيما بعد حوالي ١٠٢٠هـ/ ١٦١١م. انظر ترجمته في البوريني، المصدر ذاته، م ٢، ص ٢٧١-٢٩١، المحبي، المصدر ذاته، م ٣، ص ١٣٥-١٤٠.

٢٤ - شقاشق: جميع الشقشقة وهي "لهاة البعير، ولا تكون إلا للعربي من الإبل" "وقيل هو شيء كالرئة يخرجها البعير من فيه إذا هاج"، وهدَرَ البعير هديراً: ردَّد صوته في حنجرته. ابن منظور لسان العرب، م ١٠، ص ١٨٥ و(م٥، ص ٢٥٨).

٢٥ - المملكة الطرابلسية: كانت تشكل إحدى ممالك ونيابات بلاد الشام في العهد المملوكي، حول هذه المملكة انظر أبا عبد الله بن محمد المعروف بشيخ الربوة الدمشقي الأنصاري (ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، تحقيق أ. مهران، بريل، ليدن، ١٩٢٣م، ص ٢٠٧-٢٠٩، كذلك أحمد بن علي القلقشندي، (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة، م ٤، ص ١٤٢-١٤٩، حول هذه المملكة في أواخر العهد المملوكي، راجع غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري، (ت ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، نشره لولس راويس، باريس، ١٨٩٤م، ص ١٣٣، أما فيما يتعلق بالحياة الثقافية في طرابلس في العصور الوسطى، فتراجع المادة المجموعة عند عمر عبد السلام التدمري، الحياة الثقافية في طرابلس الشام خلال العصور الوسطى، بيروت، ١٩٧٢، هذا بجانب المادة المتوافرة في كتاب أخبار الأعيان في جبل لبنان، ٢م لطنوس الشدياق (ت ١٨٥٩م) الذي حققه فؤاد أفرام البستاني، بيروت، ١٩٧٠م، م ١، ص ١١، كذلك انظر:
FR. BUHL, « Tarabulus », *E.I.*, vol. IV, p. 660.
وترجمة المقالة نفسها بالعربية في دائرة المعارف الإسلامية، م ١٥، ص ١١٧-١٢٠، أما مصطلح "كافل" فهو مرادف لمصطلح "نائب" وهو من ألقاب كبار النواب كنائب دمشق، راجع القلقشندي، المصدر ذاته، م ٤، ص ٤٥٣.

مدى الأيام من الأغيار محمية، أمير الأمرا الكرام، كبير الكبرا الفخام: حضرة يوسف باشا بن سيفا[٢٦] أسعفه الله في أموره إسعافاً وأدام الله أيامه الزاهرة وأعلى مقامه في الدنيا والآخرة، بولايته الرعية تنام وهم آمنون ويصحون (١أ) بوجوده مسرورون، نفوسهم في ظلال السكون وادعة، وفي رياض الأمن راتعة، فتَوجَّه امتثالاً لأمره المطاع، الواجب الاتباع، نفذه الله في سائر الأقطار والبقاع، ليخرجه من محروسة حلب، وجمع العساكر وحثّ بالطلب، هدى إلى إجهاد النفس في المصالح، ووقفها على سبيل المراشد والمناجح[٢٧] : بين ثَغر يُسَدّ، وعضد يُشدّ، وشتات يُجمع وخَرْق يُرقع وذمام يؤكَّد وعهد يؤيّد، فلما بارز في عاشر شهر ربيع خارج حماة كاتب (أ) بن جان بولاد لبعض أمراء العرب (على الهامش الأعراب) على مبلغ فأركبه هواه، هيهات ما أضلّ فِعْلَ ذلك الشقي من رأي وأسواه، تيمن الأماني الكاذبة وظن الظنون الخائبة. فلما تلاقى العسكران وتصادم الجيشان واصطف الخيل والرَّجْل، وامتلأ الحَزَن[٢٨] والسهل، وبرقت الأبصار بشعاع السيوف، وسفرت رسل الحتوف بين الصفوف، ودار كأس الموت دهاقا وعاد لقا الفريق بالفريق عناقا، وصار الفارس أقرب من ظلِّه، والسيف أدنى للوريد من حبله، ففي ذلك المحل فرَّ الشقي الموعود بالأموال، وزيَّن له الشيطان فعله وحثَّه بالاستعجال، وصوَّر له الأماني الفاسدة والآمال،

٢٦ - يوسف باشا سيفا (ت ١٠٣٤هـ/ ١٦٢٥م)، زعيم سُني من أصل تركماني أو كردي، كانت أسرته من القُوى المحلية البارزة في منطقة عكار، وأوكلت إليه ولاية طرابلس الشام أكثر من مرة، عرف عنه زعامته للجناح اليمني ضد الجناح القيسي بقيادة فخر الدين المعني، ربطته علاقات المصاهرة مع المعنيين والجنبلاطيين، حول حياته انظر البوريني، تراجم الأعيان من أبناء الزمان، انظر النص المنشور أدناه، المحبي، خلاصة الأثر، م ٤، ص ٤٧-٤٩، ص ٥٠٣، الدويهي، البطريرك اسطفان (ت ١٧٠٤م)، تاريخ الأزمنة، نشرة الأب فرديناد توتل اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٥١م، ص ٣٢٠، كذلك انظر مقالة:
K. Salibi, « The Sayfas and the Eyalet of Tripoli 1579-1640 », *Arabica,* vol. XX (1973), p. 25-52.

٢٧ - المناجح جاء في اللسان: "وأنجح الرجل: صار ذا نجح فهو منجح من قوم مناجح ومناجيح"، لسان العرب، م ٢، ص ٦١١.

٢٨ - الحزن: "ما غلظ من الأرض في ارتفاع"، لسان العرب، م ١٣، ص ١١٤.

فلما شاهد فراره العساكر، صار رأي كل لصاحبه مغاير، وعاد(ت) السواعد غير مساعد(ة) والأعضاء غير معاضد(ة) . ولم يزل صاحب الدولة والسعادة، بلَّغه الله الحسنى وزيادة، ثابت الجنان لا تهوله (جاءت يهوله) صدمات الفرسان، وصار كلما حَرَّض من العسكر جحفلا، يظهر ضعفاً وتجلجلا، فعند ذلك تطايرت من حوله العساكر قاصدين حماة، ولم يمكث معه إلا الذي رباه في حماه، فسار عند ذلك صاحب الدولة، وقد ادخر سعيه ليوم لا ينفع الإنسان قوَّته ولا حوله، والسما تحسد الأرض بوطئه لها في سيره، والنجوم تَوَدّ لأجل الثواب لو خرَّت مع سنابك خيله، ودخل محروسة طرابلس في خامس عشر شهر ربيع الأول ، وانَسرَّ الناس بقدومه لأنّه عليه المعوَّل .

وأما ابن جان بولاد طاوع شيطانه، إذ أضله وزل معه حين استزلّه أبى إلا امتداد عنانه في الانقياد لشيطانه، واستنفاد قواه في الاستسلام لهواه، فدعا ابن معن[٢٩] فاستجاب لدعائه وأسرع لندائه، وسوَّل لهم الشيطا(ن) تسويلاً، واستغواهم تغرراً وتضليلا، وحَبَّب إليهم العناد، حتى شيط بلحمهم ودمهم وكره إليهم الرشاد، حتى ألقوه وراء ظهرهم وصافح بينهم (ا ب) فغادرهم رهيناً وقارنهم وسا(ء)

---

٢٩ – فخر الدين المعني (ت ١٠٤٣هـ/ ١٦٣٥م)، درزي المذهب، كان زعيم الجناح القيسي في بلاد الشام، بنى جيشاً قوياً من العناصر الهاربة من الخدمة التي كانت تعرف بالسكبانية، استفاد من علاقاته بأوروبا عن طريق الموارنة وشجع التجارة مع أوروبا فازدهرت موانىء لبنان، خاصة صيدا، نشطت الزراعة في عهده، خاصة زراعة شجرة التوت لتربية دودة القز، حارب بني سيفا، وبنى القلاع وشحنها بالجنود، تم القضاء عليه في عهد السلطان مراد الرابع من أجل المزيد عن حياته انظر أحمد بن محمد الخالدي الصفدي (ت ١٠٣٤هـ/ ١٦٢٤م)، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، تحقيق أسد رستم وفؤاد البستاني، بيروت، ١٩٦٩م، المحبي، خلاصة، ٣ م، ص ٢٦٦–٢٧١ عيسى إسكندر المعلوف، تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٦م، الأب بولس قرألي، فخر الدين المعني الثاني أمير لبنان : إدارته وسياسته/ ١٥٩٠–١٦٣٥، حريصا ١٩٣٧، للمؤلف نفسه، لبنان والدولة العثمانية في عهد فخر الدين المعني الثاني، مطبعة مصر الجديدة، ١٩٥٢م، انظر أيضاً محاضرة كمال الصليبي : "فخر الدين المعني الثاني والفكرة اللبنانية"، أبعاد القومية اللبنانية، ص ٨٥–١١١، وللمؤلف نفسه : « Fakhr al-Din », *E.I.*², vol. II, p. 749-751 .

قريناً، ولم يزل يلحم في أسفاح الشحنا(ء) وهم له يجيبون حتى وصلوا ظاهر طرابلس ونزلوا بأرض الجون[٣٠]، جعلوا يغيرون وينشرون من الفتن ما ينشرون لا عن الدما(ء) كفوا ولا عن المحارم عَفّوا، ما الذئب بالقياس إليهم إلا من الصالحين، ولا الحجاج في العراق معهم إلا أول العادلين، ولا فرعون في بني إسرائيل إذا قابلته بهم إلا من المقربين، ما تركوا للرعايا فضة إلا فَضُّوها، ولا ذهباً إلا ذهبوا به ولا ضيعة إلا أضاعوها، ولا فرساً إلا افترسوه، توالت مظالمهم وظلمهم واتصلت غائمهم وغَمُّهم، عَيَّنوا درويش بن جان بولاد[٣١] مع شرذمة هي فراش النار وأوباش الأمصار، فتتابعت إليه كلاب الغارة الشعوا(ء) وتعاوت لديه ذئاب الفتنة الصما(ء). دخل طرابلس في أواخر شهر ربيع، فالأعيان من أهلها دخلوا السفن والبعض آوى (جاءت آوا) إلى حصن منيع دخلها بمن لفّ لَفَّه، وصافح على الضلال كفَّه، من أشياع الغواية وأتباع الغباوة أولئك الكلاب العاوية، والعصبة الضالة الباغية، لا يقيمون له وزناً ولا يمتثلون له أذناً وإنما صار لهم سُلَّماً إلى الأموال المستهلكة، والموارد المُرْدِيَة المهلكة. وفي صبيحة نهار السبت رابع عشر ربيع سافر بعض المراكب، فبكت لمصابهم الأرض والكواكب، قاصدين الجزيرة[٣٢] والناس تبكي بأدمع غزيرة، فلما أسفر نهار الأحد وكان يوم يشيب فيه لهوله الغراب والولد، غلايين[٣٣] النصارى علينا أقبلت، فالعقول طارت والدموع فارت والأصوات قد علت لهذه النازلة الهائلة والفظيعة والحادثة

٣٠ - الجون : يفيد معنى الزاوية ويذكر عادة مضافاً إلى عكار، جون عكار، وفي سنة ١٥٨٤م، نُهبت الخزنة المصرية التي كانت في طريقها إلى اسطنبول في ذلك الموقع، مما دعا الدولة العثمانية إلى تجريد حملة على تلك المنطقة كان من نتائجها ضرب الزعامات في جبل لبنان، خاصة الزعامة المعنية، حول هذه الحادثة انظر، الدويهي، اسطفان، تاريخ الأزمنة، ص ٢٨٤-٢٨٥، الشدياق، طنوس، أخبار الأعيان في جبل لبنان، م ١، ص ٦٧، ٢٣٣، ٢٣٨، حول معنى كلمة جون، انظر فريحة ، أنيس، أسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها، جونية، ١٩٥٦م، ص ٩٧.

٣١ - درويش بن جان بولاد : يُعَرِّفه البوريني بقوله، درويش بيك ابن عم علي بيك وأنه أخذ مدينة طرابلس الشام لكنه لم يتمكن من احتلال القلعة التي تحصن فيها مملوك يوسف باشا سيفا، الذي كان يعرف أيضاً باسم يوسف، انظر النص المنشور أدناه.

٣٢ - المقصود بالجزيرة هنا جزيرة قبرص، انظر نص البوريني المنشور أدناه والملاحظات المدونة عنها في الهامش.

الكارثة، يا لها من مصيبة لا يداوي كَلْمها آسٍ، ولا يسدّ ثلمها تَناسٍ، ففي لمحة أدركونا وضربونا بالمكاحل الطيّارة فأهالونا وبِشَرَر نارهم ألهبونا وأحاطوا بنا فأخذونا، كان في السفينة من المسلمين مائتا (جاءت ماتا) نفر وسبعة انفار، رجال ونساء وأطفال عبيد واحرار، صاروا بأجمعهم في قبضة الحربيين الكُفَّار، الأشقياء الفُجَّار بين مقتول نقل الله روحه إلى دار السلام، وأسير موثق بين أيدي الكَفَرة اللئام، وجريح تَمثَّل له الأجل فقال لسان حاله هذا أقصى المرام، ما الحيلة وقد حصل القضا(ء) ونزل البلا(ء) وكُتِب الرضى والتسليم ونحن به آمنون، لا حول ولا قوّة إلا بالله ﴿ إنا لله وانا إليه راجعون ﴾[٣٤]، لا نسخط لقدر الله وهو عدل، ولا نتنكر (٤٢أ) لقضاء الله وهو فضل ومن عنده الفضل، يولي ويبلي ويسلب ويعطي له

---

٣٣ – غلايين: جمع كلمة غليون التي هي تحريف لكلمة galleon, galion الإنجليزية و galeone الإيطالية، وهي سفينة أكبر من galley كان يستخدمها الأسبان في التجارة خاصة مع ممتلكاتهم في العالم الجديد، والجدير بالذكر أن الشيخ عبد الغني النابلسي في رحلته إلى طرابلس يذكر ما يلي: "وقد رأينا على حافة المينا أنواع المراكب والسفن وقد ذكر لنا أسماءهم صديقنا الشيخ الحاج نور الدين الطرابلسي المذكور... فاعلم أن أنواع المراكب واسماءها كثيرة بلغت عشرين نوعاً بعضها يخالف بعضاً في الصورة والهيئة وأسماؤها متعددة كل اسم يطلق على مركب مخصوص لا يتناول الآخر لكنه يطلق على الجميع المركبة والسفينة، ويعدد عشرين نوعا: منها الغليون ، انظر: التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية، ص ٧٠–٧١، كذلك:
R. Dozy, *Supplément aux Dictionnaires Arabes*, vol. II, p. 226. The Oxford English Dictionary, vol. IV, p. 21.
ونجد أن ابن اياس، (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م) يستخدم هذا المصطلح فيقول في أخبار سنة ٩١٨هـ/١٥١٢م، ما يلي: " ثم احضر السلطان قايتباي بالقرب من الجيزة المركب الكبير الغليون الذي عمره وأصرف عليه نحواً من عشرين ألف دينار فأرسوا به قبالة المقياس، وصنعوا له ثمانية مراسي وعلقوا في صواريه القناديل في الأمشاط، بدائع الزهور في وقائع الدهور، م ٤، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة ١٩٦٠م، ص ٢٧٦، انظر أيضاً حبيب الزيات، "معجم المراكب والسفن في الإسلام" المشرق، مجلد ٤٣، ١٩٤٩م، ص ٣٥٥، والجدير بالذكر أن أنيس فريحة لم يذكره في معجمه، معجم الألفاظ العامية في اللهجة اللبنانية، بيروت ١٩٤٧، كما أن البير مطلق لم يذكره في معجم ألفاظ حرفة صيد السمك في الساحل اللبناني، بيروت، ١٩٧٣م.

٣٤ – من سورة البقرة، آية رقم ١٥٦.

الخلق وفعله الحق، أمر الله سبحانه وتعالى لا يقابل إلا بالرضى والصبر على ما قضى وأمضى، علماً بأن مقاديره لا تجري إلا على موجبات الحكمة وتدبيره لا يخلو من باطن المصلحة وظاهر النعمة.

استمرَّينا بذلك الأسر نكابد المشقات والقهر بقلب هلوع، وروع مروع، نبكي على أيامنا الماضيات، ونحسد من تقدَّمنا من الأموات، ثم لما تجَّلت عنا غمة الخطوب، ودارت لنا بشاير الرضا من المحبوب، وانشقَّت سحابة محنته، وتجلّت غمرة كربته، وطلعت نجوم إرادته، وهطلت سحابة سعادته، وأذن الله سبحانه وتعالى بإخراجنا من الضيق إلى السعة، ومن الانزعاج إلى الدعة، ألقى (جاءت ألقا) الله سبحانه وتعالى الرأفة في قلب ذلك العلج النصراني، فأمرني بالخروج إلى محروسة صيدا في ثامن عشري شهر ربيع الثاني، وطلب فدوى (عني) وعن ثلاثة وعشرين نسمة ضممتهم إلي من الأهالي : نساء وأطفال أربعة آلاف وثمانمائة ذهباً عال، فعاهدته على ذلك وأسرعت بالذهاب من غير تكاسل ولا إهمال، مستجيراً برسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه خير صحب وآل، مستشفعاً مستغيثاً متوسلاً به في البكور والآصال، فأعطف الله الكبير المتعال على هذا الضعيف قلوب سراة ذي أموال، أعطونا تلك (جاءت ذلك) العشرة بخمسة عشر إلى مضي شهرين، فقبلت منهم على ذا الحكم جميع ذلك الغبن ثم قالوا نحن سخينا بمالنا عليك فلا تدعنا نطالبك، نحيل بكتابك على من يكاتبك، فشكرت فعلهم ومدحت فضلهم وقلت هذه المداينة لا أعدها إلا كأنها عطية وهي عندي بمنزلة الهدية وإنشا(ء) الله قبل تمام المدة نوصلكم جميع هذه العدة، ثم إني قبضت تلك (جاءت ذلك) النقود بالتمام والكمال وأقبضتها للحربيين فأخرجوا في الحين جميع العيال. فلما شاهدتُ الولد الأعزّ عمر، لطف الله به وبفضله له غمر، تهللت مني وجوه الأُنس وكانت قبل عابسة، وأورقت (جاءت وأورق) غصون من الفرج بعد أن كانت يابسة، ثم في أوائل شهر جمادى الأول دخلنا محروسة بيروت أقمنا برهة من الزمان. وفي غُرّة شهر شعبان من السنة المزبور(ة) جئنا (٢ب) إلى الأوطان فلاح لنا النجاح وانتشر نوره، وأومض برق الفلاح ولمعت تباشيره، فوجدنا صاحب الدولة والسعادة حضرة يوسف باشا بلغه الله من خيري الدنيا والأخرى ما يشا(ء) دخل

الديار الطرابلسية وحكمها، ومن أيدي الخوارج والبغاة قد أنقذها، وقطع عروق البغاة أهل العناد وأطلع فيها كواكب السداد، فكأنما بدلت من الظلمة نوراً، وأعقبت من موتها نشوراً.

ونرجع إلى ذكر الباحث عن مديته، المتعجل إلى انقطاع مدته، بسط يده في المظالم يحتقبها والمحارم يرتكبها وضرب على أهالي حلب ضرايب ضربت الأموال بالتمحيق والبضائع بالتمزيق. تلك البلاد تلهبت بجمرات ظلمه، وتنهبت ببدرات[٣٥] غشمه، فالمحارم مهتوكة والدما(ء) مسفوكة ولسان الحال يقول، قد يكون للباطل دولة وللفساد صولة، ثم يأتي من الانتقام والاصطلام، ما يسقط الهام على الأقدام، أما علم أن العزيمة من أمير المؤمنين تنزل أمثاله مثلاً وتجعله لأهل الشقاق والنفاق مثلاً! أما علم أنه إذا رماه بشعبة من أفكاره ومسّه بجذوة من ناره عاد حرصه ندماً وصار وجوده عدماً، وغُودِرَ أشياعه بدداً بل طرائق قدداً! نصب عليه سرداراً الصدر الأعظم والدستور المعظم نظام العالم مدبر جمهور بني آدم مراد باشا[٣٦] أدام الله إجلاله، وبَلَّغه من خيرَي الدنيا والأخرى آماله، فسار إليه بأسعد الطوالع والفواتح وأيمن المحامد والمناجح فخيلت لركوبه الأرض مائجة والبحار هائجة والمناجح تطرق بين يديه، والميامن تسير حواليه، وآيات الظفر تقرأ عليه والنصر يتراءى من ذائب أعلامه وبنوده، وعناية الله محيطة على مواكبه وجنوده، ولم يزل سائراً والسعود

٣٥ - البدرة: هي "جلد السخلة إذا فطم ويقال ثلاث بدرات" واستخدم بمعنى كيس فيه ألف أو عشرة آلاف، لسان العرب، م ٤، ص ٤٩.

٣٦ - مراد باشا "صاحب الحروب مع المجر والعجم والجلالية"، عين حاكماً لليمن سنة ٩٨٤هـ/١٥٧٦م، وأعطي بعد ذلك حكومة قرمان، شارك في الحرب ضد بلاد فارس، ولي دمشق حيث شيد فيها سنة ١٠٠٢هـ/١٥٩٣م سوقاً عرف باسمه، عقد صلح ستفاثروك Sitvatorok سنة ١٦٠٦م، مع النمسا، عين بعد ذلك سردارا على الشرق لإخضاع الحركة الجلالية وحركة علي بيك ابن جانبلاط، كانت وفاته سنة ١٠٢٠هـ/١٦١١م، انظر الغزي، لطف السمر وقطف الثمر، ورقة، ٤٤ ب-٤٥أ، المحبي، خلاصة الأثر، م٤، ص ٣٥٥-٣٥٨، ابن جمعة المقار، ولاة دمشق، ص ٢٣، عبد القادر بدران (ت ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م)، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، منشورات المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م، ص ٣٧٩-٣٨١، صلاح الدين المنجد "خطط دمشق" مجلة الشرق، م ٤٢، (١٩٤٨م)، ص ٦٢-٦٤.

تواكبه، ولطائف (جاءت الطايف) الله تصاحبه، حتى قرب من مدينة حلب، فخرج علي بن جان بولاد قاصداً له بالطلب، يحضره إلى مصرعه الأغاليل، ويعجله إلى هلكه الأباطيل، حدتهم (؟) لاستعجال (جاءت الاستعجال) الآجال، وتصورت لهم المنايا في سور الأماني والآمال، ساروا وآجالهم تفسح في مطامعهم ومناياهم تحثّ خطاهم إلى مصارعهم. نقلهم الله بأقدامهم إلى مصارع حمامهم (١٣أ) فلما التقوا وكان ذلك في شهر جمادى الآخرة، دارت على أعدا (ء) الله به الدائرة، من شهور سنة ست عشرة بعد الألف، وما أحلَّ الله بهم من الانتقام ما شبّ عن طوق الوصف، وعلت ريح الاقبال "لحزب الله"[٣٧] وذرت ريح الأدبار على أعدا "حزب الله" متعهدون بالمنايح الزهر وأعدا(ء) الله بوزر المعاندين ازداد "حزب الله" شدة مراس وقوة بأس وثبات مقام، وصدق انتقام، وأعدا(ء) الله انقلبت مواكبها وتضعضعت مراكبها وانخفض بيارقها لما شاهدوا الرايات المنصورة تزحف إليهم زحفاً، ملأت قلوبهم رجفاً، وهي تخفق بالنجح، والطبول تنطق بالفتح، أمر بتسوية الصفوف التي لا فلول يعتريها ولا رجوف، وجعل الجيوش ميامن يقاربها اليمن والنجاح، ومياسر اقتضت اليسر والفلاح، وصار هو وقواده قلباً قالباً لمن قابله وناكساً لمن واجهه، فحين تراءى الجمعان وأفضى الأمر إلى قرب العيان والتهبت جمرة الضراب والطعان التقى الجمع بالجمع، وقرع النبع بالنبع[٣٨]، وبلغت القلوب الحناجر وشافهت المناخر، فعند ذلك صمتت الألسنة وخَطَبت السيوف على المنابر، واشتجرَتْ[٣٩] سمر الرماح، وتصافحت بيض الصفاح، بلغ "حزب الله" من اقتناص الاعدا(ء) أقصى المبالغ، ووطؤوهم وطء القامع الدامغ[٤٠] زحموا الاعدا(ء) من جوانبهم وتمكنوا من نقض مواكبهم فضاق بهم المجال وتحكمت بهم الآجال فلم تَرَ

٣٧ - حزب الله، من سورة المائدة، آية رقم (٥٦)، وكذلك ذكرت في سورة المجادلة، آية رقم (٥٨).

٣٨ - النبع: من أشجار الجبال تصنع منها القسي، لسان العرب، م ٨، ص ٣٤٥-٣٤٦.

٣٩ - اشتجرت الرماح: أي تشابكت واختلفت، واشتجر القوم بالرماح: تشابكوا بها وتطاعنوا. لسان العرب ٤ / ٣٩٦.

٤٠ - القامع: القاهر المُذِلّ. والدامغ: المُهْلِك. وفي الحديث: دافع جيشات الأباطيل: أي مُهلكها. لسان العرب ٨ / ٢٩٤ و٤٢٤.

(جاءت ترا) إلا رؤوساً تندر، ودماءً تهدر، وأعضا(ء) تتطاير وأجساماً تتزايل أوسعهم ضرباً وشقّاً، وطعناً ورشقاً وجرحاً وزرقاً، وطؤوهم بسنابك الخيل، وتركوهم كجفا(ء) السيل صبوا عليهم سوط (جاءت صوت) (عذاب) فأسلموهم لعوادي تَبَارٍ وتباب، بين قتيل عجل الله بروحه إلى دار جزائه، وأسير قد أوثقه ما ارتكب من سوء رأيه، وابن جان بولاد نكص على عقبه وقد كادت صروف الأيام تفترسه وبأنيابها تنتهشه، لم ينج إلا بشرذمة لاذت بذمّة الهرب ولن يفوتوا يد الطلب، أطار الرعب قلوبهم وسكن الخوف لبهم، خرجوا من تحت طي السيوف وقد شارفتهم، وشبا[٤١] الحتوف وقد شافهتهم، ولم يزل دائرا في البلاد ليجد من يعينه على البغي والعناد فلم يجد (٣ب) له (من) مساعد ولا خل معاضد، فأحب عند ذلك قرب الموت لما رأى من ضيق العيش وبعد الأوطان وقهر الجيش، ودخل على بعض البغاة فأراد (جاءت فارد) بعضهم أن يوثقه ويجعله أسيراً وبعضهم ظاهرة وكان في خلاصة نصيرا، فانهزم وقصد العتاب العليّة والسدّة العالية السنيّة في سابع عشري شهر رمضان سنة ست عشرة بعد الألف من هجرة سيد ولد عدنان يلتمس العفو، وَرَمقُه على تلف، وشُفَافته على شرف[٤٢]، فأُخِّر لآجل مضروب وأُنْسِئ لأمدٍ مكتوب.

وأما "حزب الله" عادوا منصورين مؤيدين موفورين لم يَمَسَّهم جِراح ولا عضّهم سلاح، غنموا أموالهم التي لم يؤدوا منها حقاً معلوماً، ولم يغنوا منها سائلاً ولا محروماً، ودخل الصدر الأعظم مدينة حلب والزمان ضاحك متظاهر البشر من الفتح الذي نطقت به ألسنة الشكر وفتحت له أبواب البشر، والممالك ملأى (جاءت مليء) تهاني وبشارات والأوليا شورى بين أفراح ومسرات، وسلمت قلعة حلب الشهبا بعد دخوله بثلاثة أيام من غير حصار ولا اهتمام لعظيم حظوته، منحة من الكبير المتعال، عَرَتهم هزّة وتحكمت بهم الأوجال، طلبوا الذين (جاءت الذي) كانوا في القلعة الأمان فأعطاهم، فنزلوا على أسوأ الأحوال، هناه الله بالطوالع السعيدة

---

٤١ - شبا: الشباة طرف السيف وحده، وجمعها شبا، لسان العرب، م ١٤، ص ٤٢٠.

٤٢ - الشُّفَافة: بقية النهار، والشيء اليسير الذي يبقى في الإناء من الشراب. والشرف: الإشفاء والدنو من الخطر. لسان العرب ٩ / ١٧١ و١٨١.

عند نهضته ودلت عليه البشائر الحميدة في سفرته وقد دانت له الطوائف وأمن به الخائف، كان حلوله بمركز غرة الديمة الوطفاء غِبَّ السنة الشهباء، والنور المنتشر بعد الظلام المعتكر، انحسرت الغمْة بتلألؤ جبينه، ودرت النعمة بأخلاف[٤٣] يمينه، فأصبح العدل ممدود الرواق، والسلطان نصره الله ساطع الإشراق، محروساً بعين عناية الملك الخلاق، الواضع قدمه على ناصية الشمس، الساحق بضيائه أنوار البدر، الضارب برواقه من فوق النجم، المبسوط بين المغربين شعاعه، الممدود على الخافقين شراعه، فالله يديم له الفتح يميناً ويساراً ويزيد أعداءه ذلاً وخساراً ويجعل أعداءه حصائد سيوفه ورهائن خطوب الدهر وصروفه.

ترجمة يوسف باشا سيفا للشيخ حسن بن محمد البوريني[٤٤]

"الأمير يوسف بن سيفا وأخوه الأمير علي، قد اتفق (١٤٩ب) مسيرنا إلى طرابلس الشام فنهضت إليها من دمشق في شوال سنة ثمان وألف من الهجرة النبوية، على مهاجرها ألف ألف تحية، ومررنا على مدينة عكار[٤٥] فاجتمعنا بالأميرين

---

٤٣ - الأخلاف: جمع خِلْف، وهو ضِرع الناقة. لسان العرب ٩ / ٩٢.

٤٤ - الشيخ حسن بن محمد البوريني (٩٦٣هـ/١٥٥٦م-١٠٢٤هـ/١٦١٥م)، مؤرخ من أصل نابلسي عاصر أحداث سنة ١٠١٦هـ/١٦٠٥م، حول حياته وثقافته ومنزلته العلمية ومؤلفاته، انظر الترجمة الوافية ومصادرها التي أفردها له صلاح الدين المنجد في تقديمه للمجلد الأول من تراجم الأعيان من أبناء الزمان، دمشق ١٩٥٩م، ص ٥-٢٦، النص الذي ننشره مأخوذ من مخطوط تراجم الأعيان من أبناء الزمان، نسخة فينا، رقم Cod. Arab, 1190, Mixt, 346، وهذا النص يقع في خمس صفحات ونصف في كل صفحة تسعة وثلاثون سطراً.

٤٥ - النصوص المتوافرة بين أيدينا لا تشير إلى مدينة تعرف بعكار بل تشير إلى حصن عكار، فيقول عماد الدين إسماعيل أبو الفداء (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م): "وعكار حصن في الجبل المذكور (جبل عكار)". أما القلقشندي فيذكر ما يلي: "وهي قلعة على مرحلة من طرابلس في جهة الشرق بوسط جبل لبنان في واد، والجبل محيط بها وشرب أهلها من عين تجري إليها من ذيل لبنان المذكور ولها ربض ليس بالكبير"، وكانت تشكل نيابات مملكة طرابلس الشام في العهد المملوكي ونيابتها أمرة عشرة ونائبها يخاطب "النائب بحصن عكار"، انظر، تقويم البلدان، حققه م، رينود والبارون ماك

المذكورين وكان الأمير علي له تعلق بأهداب الآداب، وتوثق من معرفته بأوثق الأسباب، ولعمري لقد شاهدت دولة سيفية وشهدت بسعادة يوسفية وعاينت مجدا عالياً وجوداً وافياً يشمل البعيد والقريب، وكانت بهما عكار صافية، ووعود الزمان بالمراد لمن قصدها وافية، فاشتهرت بعد الخمول وقُصِدتَ حتى صارت محطَّ الحمول، ولعمري إن الدولة السيفية كانت وريفة الظلال، باسمة الثغور عن عقود الاقبال. وقد مدحتُ صاحب إنشاء الدولة المذكورة، الأمير يوسف ذو السيرة المشكورة بقصيدة ميمية ومدحت أخاه عليًّا بأخرى رائية، وانصرفتُ من عكار إلى طرابلس الشام وطرفي لبرق أقيال هاتيك الديار قد شام، ورأيت في الطريق بقايا حصن يقال له عِرْقا[٤٦] وقد عرقه الدهر الجاير بمدية جوره عرْقا، وشاهدت تحامل الزمان على نواحيه وتشتيته لجموع ساكنيه وأهليه مع أنه من الحصون القديمة التي محت رسومه كل ديمة مستديمة، فلما دخلت طرابلس عجبت من محاسنها ورأيتُ عجايب البحر بالقرب من مساكنها ودخلتُ إليها مساء ليلة الأحد من أواسط ذي القعدة المنتظم في سلك شهور سنة ثمان بعد الألف من هجرة خير الأنام عليه من الله الصلاة والسلام. ونزلتُ في منزل وكيل علي اليوسفي السيفي وهو المسمى بعلي ابن المقدم، وكان بين جماعته هو المشكور المقدم وكان النزول عنده بإشارة أستاذه المذكور بل بأمره الذي يطيعه كل مأمور، فأكرمنا إكراماً وواصل إلينا أنعاماً وحبانا ألطافاً ومَنَّ علينا إسعاداً وإسعافاً وحضر إلينا علماء طرابلس مسلّمين ولدعوى العلم من جانبنا مسلمين. وقد صدر أن الأمير يوسف بن سيفا حاكم مدينة طرابلس

كوكين دي سلان، المطبعة الملكية، باريس، ١٨٤٠م، ص ٦٨، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، م ٤، ص ٨٥، ١٤٤، ٢٣٥، م ٧، ص ١٧٦، م ٩، ص ٢٥٣، م ١٢، ص ٤٦٤-٤٦٥، يورد المؤلف هنا نص كتاب تقليد لأحد النواب.

٤٦ - يعرف ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، عِرْقه، بقوله: "عرقه بكسر أوله وسكون ثانيه ... بلدة في شرقي طرابلس بينهما أربعة فراسخ وهي آخر عمل دمشق وهي في سفح جبل بينهما وبين البحر نحو ميل وعلى جبلها قلعة لها"، ويذكرها أبو الفداء بقوله: "هي بلدة صغيرة ذات قلعة صغيرة ولها بساتين ونهر صغير" ... انظر معجم البلدان، م ٦، تحقيق فردناند وستنفلد ليبزج، ١٨٦٨م، م ٣، ص ٦٥٣-٦٥٤، تقويم البلدان، ص ٢٥٤-٢٥٥.

صاحب هذه الترجمة أرسل في أواسط سنة خمسة عشر بعد الألف إلى باب السلطنة العلية بقسطنطينية المحمية يتطلب حكماً سلطانياً منشوراً خاقانيا، بأن يكون رأس العساكر الشاميَّة وأمير الأمرا في هاتيك الولاية السنية لينتقم من علي بيك ابن الأمير أحمد بن جان بولاد الخارج بحلب الشهبا الذي تباعد عن الطاعة وأبى، فأجيب إلى ذلك، وظنّ السلطان أيده الله تعالى أنه قادر على ما هنالك، وأرسل إليه الحكم المطاع الواجب الاتباع بأن يكون رأساً على جميع العساكر لجميع الجماهر من حدود غزة والقدس ونابلس واللّجُّون وعجلون والكرك إلى حدود طرابلس وجبلة واللاذقية وحمص وحماة وما هناك من الأكراد والترك والعرب، وأن يسعى على إزالة حكمه من حلب ونواحيها وأن يعيد الحكم السلطاني في البلاد المذكورة من قوادمها إلى خوافيها. فلما جاء الأمر المذكور وتَقَدَّر عنده الحكم المنشور أرسل إلى حكام العباد وراسل الأمراء في ساير البلاد فاجتمعوا في حماة وجعلها موطنه وَحِماه وذهب هو أيضاً إليها ونصب سرادقه عليها. ونهض علي بيك من حلب إلى هناك وتقابلا وتقاولا وتجاولا، ذاك مع السكبانية الباغين وابن سيفا مع عساكر حضرة سلطان المسلمين، فقدر الله تعالى أن الكسيرة الكبيرة وقعت على جانب عسكر السلطان، وخرج سيف ابن سيفا من الأجفان ولكنه ما عاد إليها بعد الخروج وقد قيل: قدم الخروج قبل الولوج، ففر إلى الشام وما عرجوا على الخيام، فيالها (١٥٠أ) من كسرة ما وجدوا بعدها نصرة، فلما دخل علي بيك إلى مخيم الشاميين وابن سيفا ورأى هناك سعادة وسلاحاً ورمحاً وسيفاً، قوي مزاجه وعزّ مع الغير امتزاجه، فأرسل إلى ابن معن فخر الدين يطلبه للإقبال إليه بعد انكسار الشاميين، فأقبل إليه وورد عليه وكان اجتماعهما عند منبع العاصي، وكان ذلك رسماً لاجتماع العصاة من الداني والقاصي ، فاتفق رأيهما أن يرسلا إلى طرابلس عسكر (أ) يأخذها من يد ابن سيفا وأتباعه، فعيَّنا لذلك درويش بيك ابن عم علي بيك مع جماعة لتفريق جيش ابن سيفا بعد اجتماعه، فبادر ابن سيفا إلى الهرب، من شدة الخوف والرهب، إلى ركوب السفينة بنفس لفراق وطنه حزينة وأبقى قلعة طرابلس حصينة بجيوش في ضمنها كمينة وجعل رأسهم مملوكة يوسف، ودعا له بالحماية من موجبات التلهُّف والتأسُّف، واتخذ سبيله في البحر سرباً وقضى الناس من فراقه لأوطانه

عجباً، وأخذ معه أمواله الكثيرة، وصحب محاسن أمتعته الغزيرة، وسار معه غالب أهل طرابلس من الرجال والنساء في مراكب متعددة وسفن في البحر متبددة فأ(ما) سفينته التي سار فيها فقد جَرَّتْها الريح إلى قبرص[٤٧] ونواحيها، ودخل إلى بعض مداين الجزيرة المذكورة، ولم يجد ما رامه عندما قدم عبوره، فطار في السفينة بأجنحة الشراع، وأقلع عن ذلك الساحل بقوادم القلاع، وسار إلى الجانب القبلي ملجحاً، ولم يلو على طرابلس معرجاً، حتى خرج من ساحل حيفا[٤٨] من توابع اللجون (جاءت الجون) ولم يسمع نصيحة اخوانه الذين في نصحه يَلِجّون. وأما

---

٤٧ - حول تاريخ جزيرة قبرص في العهد العثماني انظر:
Hill, Sir George, *A History of Cyprus*, vol. iv, Cambridge University Press, 1952, p. 1-99.

٤٨ - حول النصوص الجغرافية التي تذكر حيفا انظر ما جمعه الأب مرمرجي الدومنيكي في بلدانية فلسطين، بيروت، ١٩٤٨م، ص ٦٥، في سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م كان عدد سكان حيفا عشرين خانة جميعهم من المسلمين وربع حاصلاتهم المدفوع للدولة كان يساوي ٤٧٨١ أقجة، كما يشار إلى وجود أسكلة (ميناء) فيها تتقاضى الدولة رسوماً عن السفن التي ترده، مقدارها ألف أقجة سنويا، والجدير بالذكر أن البحار العثماني بيري محيي الدين ريس (ت ح ١٥٥٥م) يشير في وصفه لساحل فلسطين إلى وجود قلعة مدمرة في حيفا إلا أن ميناءها كان يصلح للرسو وبموجب إحصاءات سنة ١٠٠٥هـ/ ١٥٩٦م، كان عدد سكان حيفا ٣٢ خانة جميعهم من المسلمين ومجموع ما يتحصل منها عشرة آلاف آقجة. إلا أن هذا الإحصاء لا يشير إلى رسوم الاسكلة مما يوحي بأنها كانت معطلة كميناء، انظر طابو دفتري رقم ١٩٢ اسطنبول، ص ٣، طابو دفتري رقم ١٨١ أنقرة، ص ١٩-٢٠.

U. Heyd, « A Turkish Description of the Coast of Palestine in the Early Sixteen Century », *Israel Exploration Journal*, vol. VI, (1956), p. 210-211.

وانظر أيضا : « Hayfa », *E.I.*[2], vol. III, p. 324-326.

راجع بالإضافة إلى ما ذكر أعلاه جميل البحري، تاريخ حيفا، المكتبة الوطنية، حيفا ١٩٢٢م، من أجل مقارنة حيفا مع كل من يافا والناصرة في القرن السادس عشر انظر مقالتي:

Bernard Lewis, « Nazareth in the Sixteenth Century, According to the Ottoman Tapu Registers » ; « Jaffa in the 16th Century, According to the Ottoman Tahrir Registers », in *Studies in Classical and Ottoman Islam Variorum Reprint*, London, 1977, p. 416-446.

انظر أيضاً دراستي "حيفا العثمانية" التي نشرت في كتاب دراسات في تاريخ بلاد الشام: فلسطين، منشورات أمانة عمان الكبرى، ٢٠٠٧م، ص ٩٥-١٢١.

السفينة التي حملت أمتعته المصونة واحتملت درره المكنونة فإنها صارت للنصارى غُنْماً ولقي بذهابها خسراناً وغرماً، وكاد (جاءت وكان) يقتل وكيلها الذي أقامه عليها وجعله ناظراً وحافظاً لديها؛ والذاهب لا يعود والطوالع ليست متمخّضة للسعود، وأما من سار من رجال طرابلس ونسائها في صحبة الأمير ابن سيفا فإنهم وَجَدوا بالأَسر حَيْفا، وليتهم لو تبعوه حتى دخلوا حيفا، فأخذتهم النصارى وصاروا في قبضتهم أسارى، فكم عزيزة صارت في أيديهم ذليلة، ومن مصونة أصبحت في قبضتهم بعد الصحة عليلة، وكم من عزيز في أيديهم قد ذَلّ، ومن عظيم قد احتُقِر بعد ما جَلّ. ولعمري إنها كانت لفضيحة قبيحة، ومصيبة أصابت لعدم قبول النصيحة. ثم إن الطاغية الذي أسَر نساء أهل طرابلس الشام مكث في نواحي قبرس كاسبا للآثام، وشرع يبيع النسا لرجالها، وينادي لكل فرقة وعيالها، فبلغ الناس في النسا مبلغاً عظيماً وثمناً جسيماً لكنْ مع الفضيحة الكاملة والحسرة الشاملة التي أحرقت القلوب وعظّمت الكروب وكان الرجل ينظر زوجته مأسورة، ويرى جاريته منظورة والمنادي ينادي في كل نادي، فمنهم من يقدر على الفكاك ومنهم من يسقى من الإشراك في الأشراك، ومنهم من يفك نفسه دون أهله فيذهب عنها وقد فقد نور عقله، فكم مَن بِكْر جميلة الصورة أصبحت في يد المشركين وهي مأسورة، وكم من غلام يفوق البدر عند التمام، وقد ناح عليه أبواه عند الفراق وذاب منهما الجسم بشديد الاحتراق، وذلك من أعظم المصايب وأشد النوايب. وأما ابن سيفا فإنه خرج من البحر ضيفاً عند الأمير أحمد[٤٩] ابن المرحوم الأمير طرباي

٤٩ - حول حياة الشيخ أحمد بن طرباي الحارثي، (ت ١٠٥٧هـ/١٦٤٧م)، أمير لواء اللجون ودور أسرته في تاريخ سنجق اللجون بشمالي فلسطين منذ أواخر العهد المملوكي، انظر المحبي، خلاصة الأثر، م ١، ص ٢٢١-٢٢٢، كذلك مقالة موشي شارون:
« The Political Role of the Bedouins in Palestine in the Sixteenth and Seventeenth Centruries », in *Studies on Palestine during the Ottoman Period*, edited by Moshe Maoz, Jerusalem, 1975, p. II-30.
كذلك دراستي: الأسرة الحارثية في مرج بني عامر ٨٨٥هـ/١٤٨٠م-١٠٨٨هـ/١٦٧٧م، نشرت في كتابي تاريخ بلاد الشام: فلسطين، منشورات أمانة عمان الكبرى، ٢٠٠٧م، ص ٥١-٩٣.

ابن الأمير علي الحارثي، وهو الآن أمير لواء اللجون[٥٠] فقام إليه مكرِّماً ولنزوله معظماً وأظهر له ما يليق بأمثاله من أكارم الأمرا وأمرا الأكارم، وأبرز له ما يساوي البحار الزاخرة من المكارم، والحال أن ابن سيفا طلع إلى الأمير المذكور وليس معه من جماعته سوى سبعة رجال على ما هو مشهور (١٥٠ب) غير أن معه من الأموال مالا يدخل تحت الإحصا ولا يشمله الاستقصا، وأرسل علي بيك ابن جان بلاد إلى الأمير أحمد طرباي رسالة تشتمل على ما معناه، أنك يا أمير أحمد اجتهد في قتل ابن سيفا وجرد في قتله وقتاله رمحاً وسيفا ولك المال بأسره وتحز لنا الرأس فبادر بذلك فلا حرج عليك ولا بأس، وإن لم تفعل جوزيت منا بالعتاب أو بغاية التعزير والعقاب، فأجاب بأن هذه كلمة لا تقال، ومن وقع في مثل هذا فعثرته لا تقال، ليس ذلك من فعل الأمرا ولا من شأن الأعيان والكبرا، كيف يكون ضيفي ويناله رمحي وسيفي؟ ثم إنه بادر إلى إهداء الخيول المسومة[٥١] وتقديم الضيافات المعظمة وقال له مرحباً بك يا أمير وأهلاً بجودك الخطير، لو كان لي مال لقدمته إليك ووضعته بين يديك، ولكن عندي خيول ليس لها مثيل ولا يشابهها جواد ولا في التمثيل وفيها جواد جيد قوي أيد جموح أبي ما علا ظهره أحد بعد أبي، وهو لك مني عطية راضية مرضية ليس فيها منة عليك بل هي نعمة منك إليك. ثم إنه أضافه أياماً عديدة

---

٥٠ – حول لواء اللجون انظر دراستي المشار إليها سابقاً خاصة هامش رقم ٢، ص ٢٥ لقد كان هذا اللواء يشمل النواحي التالية: شفا، ساحل عثليت، ناحية شعرا وناحية جنين، لمزيد من التفاصيل انظر:

Wolf-Dieter Hutteroth and Kamal Abdulfattah, *Historical Geography of Palestine, Transjordan and Southern Syria in the Late 16th Century*, Erlangen, 1977, p. 157-161.

كذلك انظر مقدمة ودراسة دفتر مفصل لواء اللجون، T.D. 181 ١٠٠٥هـ/١٥٩٦-١٥٩٧م، دراسة وتحقيق وترجمة محمد عدنان البخيت ونوفان رجا الحمود، عمان ١٩٨٩م، ص ٩-٢٥.

٥١ – يلاحظ أنه عند عودة الأمير فخر الدين المعني من إيطاليا، بناء على موافقة السلطات العثمانية سنة ١٠٢٧هـ/١٦١٧م، إلى صيدا عبر عكا، أن الأمير أحمد الحارثي "أرسل كتخدا بتقدمة الخيل أيضاً التي ترتضيها الغواة"، راجع الشيخ أحمد بن محمد الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، ص ٦٩.

وخدمه خدمة سعيدة وأكرم مثواه وأجل ممشاه، ثم إنه أرسل إلى عسكر الشام يطلبهم إلى بلاد اللجون فساروا إليه ووردوا عليه، فسار معهم على طريق حوران[٥٢] ولم يسر على جب يوسف[٥٣] وأرض كنعان[٥٤] خوفاً من الأمير فخر الدين ابن معن

٥٢ - في أواخر القرن السادس عشر الميلادي كانت حوران تشكل قضاءً من ضمن سنجق دمشق الشام، وشمل هذا القضاء النواحي التالية : ناحية البطيحة، ناحية الجولان الغربي، ناحية الجولان الشرقي، ناحية الكفارات، ناحية بني كنانة، ناحية بني جهمة، ناحية بني عاتكة، ناحية بني الأعسر، ناحية جيدور، ناحية بني كلاب، ناحية بني مالك الصدير، ناحية بني مالك الأشراف، ناحية البثنية، ناحية بني عبد الله، ناحية بني صرما، ناحية بني مقلد وناحية بني نشبة، وليست نشية كما جاءت عند Hutteroth، والملاحظ أن هوتروث يضيف ناحية أخرى هي ناحية بني عطية، انظر هوتروث، المرجع ذاته، ص ٢٠٤-٢٠٥ . انظر كذلك :

M.A. Bakhit, *The Ottoman Province of Damascus in the 16th Century*, p. 35-90.

٥٣ - جب يوسف بالقرب من نابلس، فيما يتعلق بهذا المكان انظر ما جمعه عنه الأب مرمرجي الدومنيكي، بلدانية فلسطين، ص ٤٩-٥٠ .

٥٤ - أرض كنعان (الأرض المنخفضة أو الغور)، كانت في البداية تطلق على بلاد الساحل ثم اتسع مدلولها ليشمل بلاد سورية الجنوبية الغربية بأكملها، إلا أن مفهوم الجغرافيين المسلمين لهذه البلاد كان على الأرجح يقتصر على الشمال الشرقي لبلاد فلسطين، يذكر أبو الفداء وادياً يعرف بوادي كنعان فيه ضيعة تعرف باسم كفر لا تبعد عن جب يوسف اثني عشر ميلاً وأنها بالقرب من بانياس، كما أن الشيخ صدر الدين أبا عبد الله محمد بن عبد الرحمن الدمشقي الشافعي العثماني (ت ٧٨٠هـ/١٣٧٦م)، يذكر صفد بقوله "أما صفد نفسها فحصن منيع بقنة جبل كنعان" راجع ياقوت، معجم البلدان، م ٤، ص ٣١١-٣١٢، أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٤٨-٢٤٩، ٢٧٠-٢٧١ .

Bernard Lewis, « An Arabic Account of the Province of Safad », *BSOAS*, vol. XV, (1953), p. 974.

فيما يتعلق بالمفهوم التوراتي لهذه البلاد، انظر :

George-Adam Smith, *The Historical Geography of the Holy Land*, New York, 1907, p. 4-5.

كذلك الخارطة رقم (٣) المرفقة بكتاب :

Sh. Yeivin, *The Israelite Conquest of Canaan*, Nederlands Historishch Archaelogisch Institute, Istanbul, 1971.

فإنه عدوه وعند(٥) أصحاب الضرب والطعن، فلما دخل إلى أرض الشام وجد أهلها في الخيام وهم في انتظار العساكر القادمة من الاطراف لحصول الإسعاد منهم والإسعاف على ابن جان بلاط ومن معه من الأخلاط كابن معن ويونس[٥٥] ابن الحرفوش، وكل من باطنه خاين مغشوش، فإنهم لما كسروا جيوش ابن سيفا على حماه حرس كل منهم بيت المغرور وحماه، وقصدوا طرابلس الشام فهتكوا حريمها ولم يبق لها احترام، وأقام بها درويش ابن حبيب ابن جان بلاط مدة يفسد فيها ومن معه من الخلاط إلى أن أصبحت قاعاً صفصفاً وما عفا عن أهلها، فما هي من ظلمه عفا، لاسيما بيوت توابع ابن سيفا فإنه قد أورثهم حيفا، اللهم إلا قلعة طرابلس المحمية فإنها نجت من حوادث البلية، وما ذاك إلا أن يوسف مملوك ابن سيفا حماها وحصن ربعها وموطنها وحماها، وكان يلقي من باطن القلعة المذكورة نيراناً محرقة يخرب بها بيوت أكابر طرابلس، لا سيما بيوت التابعين لابن سيفا. ولما وصل درويش ابن حبيب إلى طرابلس الشام وأوصل إلى أهلها ما قدر عليه من التعدي والآلام ذهب علي بيك ابن عمه وابن معن إلى نواحي بعلبك فأحرقوا ربضها ونهبوا المدينة وما قدروا عليه من قراها، واستمروا راحلين إلى أن استقروا في البقاع وأنزلوها في الحضيض بعد اليفاع، ولنذكر في أثناء هذه الحكاية (التي) توجب غاية النكاية، وهي ان الأمير موسى ابن الحرفوش أمير الأمراء ودار الأماجد الكبرا فخر بني حرفوش بالاتفاق، بل هو فخر أمراء الشام على الإطلاق، كرم لا يباريه الغمام وعهد صادق العقدة في غاية الإبرام وشجاعة فاقت على الأسود وأصالت على كل ذي أصل يسود، نهض من بعلبك وهو حاكمها إلى نواحي حمص مستقبلاً لابن جان بلاط وجيوشه، مدارة عن عرضه ومحاماة عن أرضه فتحادثا وتقاولا وتشاورا فيما صدر

٥٥ - جاءت في النص يوسف بن الحرفوش، والأصح كان اسمه يونس بن حسين بن موسى الحرفوش الذي أصبح "أمين بلاد بعلبك" بدل عمه الأمير موسى بن علي الحرفوش الذي كان ذا ميول سنية، وتدخل للصلح ما بين علي بن جانبلاط من جهة وما بين يوسف باشا سيفا من جهة أخرى، إلا أنه فشل في مهمته وهرب مع يوسف باشا سيفا، انظر البوريني، تراجم الأعيان، م ٢، ص ٢٧٥، أيضاً ورقة ١٤٨ب، ١٤٩أ، المحبي، خلاصة، م ٤، ص ٤٣٢-٤٣٣.

وتجاولا، فقال الأمير موسى هلا تعطيني عهداً على الصلح به جرح الخراب يوسي، وأنا أذهب إلى الشام وآخذ لك العهد الوثيق من الأنام، فقال إذهب سليماً وكن يا موسى كليماً، فحضر إلى الشام ورمي من عسكرها بغاية الكلام لشدة ما أوجعوه بغيظ الكلام ظناً من جهلائهم أنه عليهم، وما كان إلا ناوياً سوق الخير إليهم، (١٥١أ) فلما حضر إلى أمير الأمرا قال له بما قد جئت على قدر يا موسى فجرد سيف عزمك لعله يذهب البوسى، فقال يا أمير الأمرا: ابن جان بلاط يطلب منك أن تعطوا حوران لعمرو[٥٦] البدوي من العرب المفارجة، والبقاع العزيزي لابن الفريخ[٥٧]

٥٦ - عمرو البدوي هو عمرو بن جبر شيخ عشيرة المفارجة، حليف فخر الدين المعني؛ كان رشيد بن سلامة بن نعيم شيخ السرديين من المفارجة ينافسه على المشيخة في حوران، وكان رشيد موضع عطف الدولة العثمانية، حيث أعطي سنة ١٠٢١هـ/١٦١٢م، المشيخة بحوران "حول دورهما في معركة الصراع القيسي- اليمني، انظر البوريني، المصدر ذاته، م ٢،ص ٢٢٤-٢٢٥ ، ٢٣٢-٢٣٣، انظر كذلك نص البوريني الموجود في مكتبة جامعة ليدن باسم: كراستان نقلتا من خط الشيخ حسن البوريني Cod. Or. 1515، ورقة ٤أ، حيث أن هذا النص يتفق مع النص الذي نشره صلاح الدين المنجد في هامش ص ٢٢٥ من المجلد الثاني، راجع أيضاً الشيخ أحمد الخالدي الصفدي، المصدر ذاته، ص ٨ ، ٩ ، ١٠ ،١١، ١٣ .

٥٧ - الأمير منصور بن الفريخ (ت ١٣ ربيع الثاني ١٠٠٢هـ/٦ كانون الثاني ١٥٩٤م)، قتل في دمشق بأمر من السلطان بناء على رغبة والي دمشق آنذاك مراد باشا، ولقد كان أمير البقاع العزيزي بعد القضاء على أسرة آل الحنش البدوية السنية أعطي حكومة نابلس وإمارة الحاج والتزام أموالاً للدولة على صفد، كان يقف ضد الدروز والمعنيين خاصة، ترك عشرة أولاد أكبرهم قرقماس الذي قتل على يد الأمير موسى بن الحرفوش في ١٠٠٣هـ/١٥٩٤م، بإيعاز من فخر الدين المعني بعد أن رفض الأمير يوسف باشا سيفا إيواءه. من هنا نرى أن منصور بن الفريخ قد قتل قبل هذه الحوادث، ولربما اختلط الأمر على الناسخ فخلط ما بين اسم ابن الفريخ واسم الأمير فروخ بن عبد الله الجركسي أمير الحاج الذي تولى حكومة نابلس وعجلون والكرك سنة ١٠٢١هـ/١٦١٢م، وإمارة الحاج ولم يزل في هذا المنصب إلى أن مات بمكة المشرفة في سنة ثلاثين وألف [١٠٣٠هـ]/١٦٢٠م، انظر أحمد الخالدي الصفدي، المصدر ذاته، ص ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٦ ، ٢٧ ، ٣٥ ، الغزي، لطف السمر، ورقة ٢١٢ب-٢١٣أ، المحبي، المصدر ذاته، م ٣، ص ٢٧١، م ٤، ص ٤٢٦-٤٣٢.

منصور بن بكري، وأدخلوا كيوان[٥٨] إلى الشام كما كان، واكتبوا عرضاً بأن ابن جان بلاط لم يدخل إلى أرض الشام، وأن ابن معن فخر الدين يؤدي ما عليه من مال السلطان، وبلاده موصوفة بالأمان، فعقد أمير الأمرا ديواناً لهذه المطالب، التي جاء الأمير موسى وهو طالب، فاتفقوا على ان حوران تعطى لعمرو ولكن في السنة القابلة، وأما البقاع فإن إعطاءه لمنصور المذكور غير معقول، لكونه عند الرعايا غير مقبول، وأما كيوان فإنه يرجع إلى الأوطان وعليه ما على الناس من الأمان، واليمين من جانبنا لازمة لجميع الإخوان وقد كنت حاضر (أ) في الديوان بدعوة من وكيل السلطان، فقال أمير الأمرا وهو الوكيل للفقير العليل : اكتب لنا صورة مكتوب إلى ابن جان بلاط وأخبره بما جرى عليه الاتفاق من قبول دخول كيوان والعفو عنه وعن ذنوبه، ومن وعده بإعطاء (جاءت با إعطا) حوران لعمرو في السنة القابلة، ومن الاعتذار من عدم إعطاء البقاع لمنصور بن الفريخ ابن بكري، وأخبره بأن المحضر سيصل إليه بما طلب في حقه وفي حق ابن معن. فلما انفض الديوان على ذلك وقع الاتفاق على أن يحضروا في اليوم الثاني إلى بيت رجل من الجند الشامي يقال له تركمان[٥٩] حسن فاجتمع الجند كله في بيت الجندي المذكور ما عدا الوكيل الأكبر عن السلطان وقاضي القضاة فإنهما ما حضرا ولا استحضرا، فوقع الاتفاق على كتابة مكتوب مرغوب خطاباً لعلي بيك ابن جانبلاط بما سبق من الاتفاق، وعلى

---

٥٨ - كيوان بن عبد الله (ت ١٠٣٣هـ/١٦٢٣م)، زعيم الجناح العسكري بدمشق المتعاون مع فخر الدين المعني، كانت نهايته على يد فخر الدين نفسه، حول دوره في معركة الصراع ما بين العسكر في دمشق، انظر الغزي، لطف السمر، ورقة ٤٣ب-٤٤أ، ب، المحبي، المصدر ذاته، م ٣، ص ٢٩٩-٣٠٣.

٥٩ - تركمان حسن المقصود به حسن باشا ابن عبد الله الأمين الكبير المعروف بشويزة حسن من صدور دمشق وأعيانها الذي كان يرجع إليه في المهمات ويعول عليه في الأمور، وكانت تناط به أمور دمشق عند غياب ولاتها، توفي سنة ١٠٢٧هـ/١٦١٧م، احتل = ابنه محمد دوراً مماثلاً إلى حين وفاته سنة ١٠٧١هـ/ ١٦٦٠م، "حول حياتهما انظر، الغزي، لطف السمر، ورقة ٢٩ب، ٣٠أ، المحبي، المصدر ذاته، م ٢، ص ٢٤-٢٧، م ٣، ص ٤٢٧-٤٢٨.

كتابة ديباجة محضر بأن المذكور ما وطيء أرض الشام، وأن ابن معن يوصل مال السلطان في محله، وبلاده آمنة الطرقات. فأما المكتوب فقد كتبته وختمه أعيان الجند، وأما المحضر فإنه عرض على الشيخ محمد بن سعد الدين[٦٠] فما قبل معناه ولا رضي بفحواه، وأبرق وأرعد وما وعد، بل توعد و (قال) أنا لا أكتب هذا ولا أرتضيه ولا أقبله ولا أمضيه، فرجع الأمير موسى إلى ابن جانبلاط بغير المراد، فعند ذلك قال ابن جان بلاط ما يظهر مقامي عند جند الشام إلا بإظهار البرهان، وإظهار السيوف البارقة والخرصان[٦١]، وقام من يومه قاصداً بلاد بعلبك وبلاد البقاع، وتخريب الأماكن والبقاع، وأما الأمير موسى ابن الحرفوش فإنه استمر هارباً من ابن جانبلاط إلى دمشق، فأخبرهم بأنه ترك الجماعة قصداً للموت على الطاعة، واقتضى حضوره إلى دمشق حضور جند ابن جانبلاط وحشرات ابن معن إلى بعلبك فنهبوها، وإلى من بقي من النسا والرجال ففرّقوها، وخيّم ابن جان بلاط وابن معن في البقاع العزيزي، وانحاز إليهم يونس بن الحرفوش ومن معه من أولاد عمه مغاضباً لحضرة الأمير الكبير ذو القدر الخطير الأمير موسى ابن عم يونس المذكور، وخرج الجند الشامي إلى الميدان الأخضر بدمشق وخيموا هناك، واستحضروا سنجق القدس وسنجق نابلس وسنجق غزة وسنجق اللجون وسنجق عجلون، وأما صفد فإنها كانت مع فخر الدين بن معن وهو كان مع المخالفين الخارجين. ولم تزل الجند تتزايد في دمشق، وكذلك عسكر الخوارج فإنه أيضاً كان يزيد. وترددت الرسل في الصلح من الجانبين فما حصل اتفاق، واختلفت آراء الجند الشامي فمنهم من كان يميل إلى الصلح ومنهم من كان يميل إلى القتال، حتى أن ابن جان بلاط أرسل من خوارجه جماعة إلى دمشق (١٥١ب) يطلبون الصلح فما رضي بذلك رأس جاويشة العسكر

---

٦٠ - الشيخ محمد بن سعد الدين الجباوي (ت ١٠٢٠هـ/١٦١١م)، شيخ الطريقة الجباوية بدمشق كان ملاكاً كبيراً، وكان يتوسط لدى الحكام نيابة عن الرعية خاصة عند زيادة الضرائب لمزيد من التفاصيل حول حياته راجع البوريني، المصدر ذاته، م ١، ص ٣٠٥-٣٠٦، الغزي، لطف السمر، ورقة ٦ب-٧أ، المحبي، المصدر ذاته، م ٤، م ١٦٠-١٦١.

٦١ - خرصان: جاءت خرصاز، أما الخرصان فهي الرماح، انظر لسان العرب، م ٧، ص ٢١-٢٤.

الدمشقي، وهو محمد الشهير بابن الدزدار[٦٢] وخرج العسكر الشامي من الميدان الأخضر إلى مكان يسمى العراد[٦٣] وزحف ابن جان بلاط وابن معن ومن معهم إلى مقابلة العسكر الشامي. ومع ذلك أيضاً فإن ابن جان بلاط كان يظهر إرادة الصلح، فما وافق على ذلك ابن الدزدار المذكور ومن تبعه من الجند الشامي؛ والقدرة غالبة ويد الله غالبة، وفي أوساط جمادى الآخرة من شهور سنة خمس عشرة بعد الألف زحف الفريقان، ووقع بينهما القتال فما فاتت ساعة أو قريب من ساعتين وإذا بالعسكر الشامي قد رهب فهرب، مع كثرة عدده ووفور عدده، وبالله لقد أخبرني من رأى الفريقين أن خيل أهل الشام حزرت فكانت تناهز أربعين ألف فرس، وكانت عددهم وآلة (جاءت آلت) حربهم في غاية القوة والمتانة ولكن جند الله غالب وقدره سالب؛ ولما هرب أهل الشام انقسموا فرقتين، فواحدة ذهبت إلى أذرعات[٦٤] في أواخر أرض حوران هرباً من ابن جان بلاط وابن معن، وأخرى رجعت إلى الشام. والراجعة إلى الشام قسمان، القسم الأول ساروا متفرقين مشتتين، والقسم الثاني مكثوا في دمشق محاصرين، وغلقت الأبواب وتهيأ من بها للحراب؛ فقصدها حزب العدو ونهبوا ما كان خارج السور من المساجد والخانات والأسواق والدور، وانبث الخوارج الأشقيا في البيوت الواقعة خارج دمشق، واخذوا الأسباب عن آخرها إلا قليلاً تخبوا تحت الأرض، وأسروا كثيراً من الأولاد وتحاموا الحريم من النسا؛

٦٢ - لم أعثر له على ترجمة في المصادر المتوافرة لدي.

٦٣ - العراد تقع إلى الجنوب الغربي من دمشق.

٦٤ - أذرعات، كانت في العهد الفاطمي كما نقل أبو الفداء عن حسين بن أحمد المهلبي (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، صاحب كتاب المسالك والممالك المعروف بالعزيزي، "مدينة كورة البثنية"، ويذكر ياقوت أنها "بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان، ينسب إليه الخمر"، في القرن السادس عشر كانت تقع في ناحية بني مقلد. وتذكرها دفاتر الطابو باسم "قرية مدينة أذرعات" وأنها كانت خاص ميرميران، بلغ عدد سكانها حوالي سنة ٩٣٠هـ/١٥٢٣م، ثماني عشرة خانة مسلمة، ليرتفع عدد سكانها حوالي سنة ٩٥٠هـ/١٥٤٣م، إلى ثمان وأربعين خانة مسلمة وخمسة مجردين وخانة مسيحية واحدة، انظر: ياقوت، معجم البلدان، م ١، ص ١٧٥-١٧٧، أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٥٢-٢٥٣، طابو دفتري (T.D. 430 اسطنبول)، ص ٥٥٥، طابو دفتري T.D. 401 (اسطنبول)، ص ٦٧٠.

وذهب ابن سعد الدين الشيخ محمد إلى ابن جان بلاط وهو نازل على قرية المزة[٦٥] فما قابله بالعزة، وطلب منه حامياً يحمي محلته المعروفة بالقبيبات[٦٦] فأعطاه رجلاً من السكبانية يقال له عقيل فمكث عنده حامياً بيته وحده، ولم يحم بيتاً من القبيبات سوى بيته. على أن بيته قد أخذ منه خيله وبغاله ودوابه وغالب ماله

٦٥ - المزة بالكسر ثم التشديد : وهي قرية كبيرة غناء في وسط بساتين دمشق ويقال لها مزة كلب، كان عدد سكانها في النصف الأول من القرن السادس عشر على النحو التالي :

طابو دفتري رقم (T.D. 401)	طابو دفتري رقم (T.D. 263)
(ح٩٥٠هـ/١٥٤٣م) اسطنبول	(٩٥٥هـ/١٥٤٨م) اسطنبول
(١٥٠) خانة مسلمة	(٢٦٢) خانة مسلمة
(٣٥) خانة مجرد مسلم	(—)
(١) خانة مسيحية	(٣ خانة مسيحية)

طابو دفتري رقم (T.D. 401) : طابو دفتري رقم (T.D. 263)، ص ١٨٢-١٨٥، ص ٦٠-٦١ ياقوت، معجم البلدان، م ٤، ص ٥٢٢.

٦٦ - القبيات : يعرفها الشيخ محمد أحمد دهمان بأنها محلة مشهورة في الميدان قرب الجامع الكريمي "جامع الدقاق"، سميت بذلك لأن أكثر بيوتها ذات قباب ولا يزال بعضها باقياً إلى الآن، انظر القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية لابن طولون، م ٢، تحقيق الشيخ دهمان، دمشق، ١٩٤٩، ١٩٥٦، م ١، ص ١١٠ (الهامش)، كان عدد سكان هذا الحي بموجب دفاتر الطابو على النحو التالي :

أ- الشاغور البراني :

طابو دفتري (T.D. 401)	طابو دفتري (T.D. 263)	طابو دفتري (T.D. 474)
(٥٥٩) خانة مسلمة	(٤٣٦) خانة مسلمة	(٥٣٦) خانة مسلمة
(٤٢) مجرد مسلم	(—)	(١٧) مجرد
(٢) خانة مسيحية	(—)	(٤) خانة مسيحية
ص ٢٦-٢٩	ص ٨٢-٨٨	ص ٩٢-١١٠

ب- الشاغور الجواني :

طابو دفتري (T.D. 401)	طابو دفتري (T.D. 263)	طابو دفتري (T.D. 474)
(٣٢٧) خانة مسلمة	(٢٦١) خانة مسلمة	(٢٢٠) خانة مسلمة
(٣٠) مجرد مسلم	(١٩) مجرد مسلم	(٨) مجرد مسلم
(٦) خانة مسيحية	(٤) خانة مسيحية	(٢) خانة مسيحية
(١٣) شريف	ص ٨٨-٩٢	ص ٨٧-٩٢
ص ٢٩-٣٢		

النقد، فكان الحامي يحمي لنفسه، أما أهل القبيبات فقد غدروا من شيخهم المذكور لأنه قال لهم من رفع يده للقتال كان من المقتولين، فألقوا سلاحهم وظنوا أنهم يرحمون بترك قتالهم؛ فما كان إلقاء السلاح إلا سبباً لخراب الديار وعدم حماية الذمار، فاجتمع عليهم الذل والجبن ونهب المال وبعض الأولاد، والله تعالى ينتقم من أهل الغرور والعناد واستمر النهب في المحلات الخارجة عن سور دمشق ثلاثة أيام ولم يبقوا صامتاً ولا ناطقاً ولا ولداً صغيراً من أهل الإسلام، وما نجا سوى أهل محلة الشاغور (٦٤) فإنهم حاربوا الخوارج خارج السور وقتلوا منهم ما يزيد على ثلاثين رجلاً بالخصوص. وقد قتل من الخوارج في الأيام الثلاثة في نواحي بساتين دمشق وعلى أبوابها وبين بيوتها ما يقرب من ألفي رجل، وغالب القتل كان من شباب دمشق وأحداثها، وأما ابن سيفا فإنه ما خرج مع الجند الشامي إلى القتال، فاستمر محتجباً في البيوت مع النسا لا الرجال زاعماً أنه مريض؛ فلما بلغته كسر العسكر خاف وعمَّ أعضاءه الارتجاف فوزن لقاضي دمشق وبعض أعيانها ما يزيد على مائة ألف غرش، وهي التي كانت سبباً لخلاص المدينة من حصار ابن جان بلاط وابن معن، وذلك أنه أعطى المال المذكور وفتحت له أبواب دمشق ليلاً ونجا براس حمراه، ونجا وخرج مع البازي عليه سواد وسار معه بعض الجند الشامي، وسار معه أيضاً المرحوم الأمير موسى ابن الحرفوش، ولم يزالوا معه حتى وصل إلى حصن الأكراد[٦٧]

---

٦٧ - يذكرها ياقوت في عهده بقوله "حصن الأكراد على الجبل المقابل، وهو بين بعلبك وحمص، وكان بعض أمراء الشام قد بنى في موضعه برجاً وجعل فيه قوماً من الأكراد طليعة بينه وبين الفرنج، وأجرى لهم أرزاقاً فتدبروها بأهاليهم ثم خافوا على أنفسهم في غارة فجعلوا يحصنونه إلى أن صارت قلعة حصينة منعت الفرنج عن كثير من غاراتهم، فنازلوه فباعه الأكراد منهم ورجعوا إلى بلادهم، وملكه الافرنج وهو في أيدهم إلى هذه الغاية وبينه وبين حمص يوم ولا يستطيع صاحبها انتزاعها من أيديهم ويذكر أبو الفداء أنه كان مقر ولاية السلطنة قبل فتح طرابلس، أما القلقشندي فيذكر أنه إحدى نيابات مملكة طرابلس الشام ونيابته إمرة عشرة ورسم المكاتبة للنائب "النائب بحصن الأكراد"، ياقوت، معجم البلدان، م ٢، ص ٢٧٦، أبو الفداء كتاب تقويم البلدان، ص ٢٥٩، القلقشندي، صبح الأعشي، م ٤، ص ٨٥، ٢٣٥، م ٧، ص ١٧٦، راجع المادة التي أوردها عز الدين بن شداد (ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)، عن

واستحصن به لأنه كان محفوظاً مع عمه الأمير محمود بن سيفا. وقبض ابن جان بلاط المال (١٥٢أ) الذي أعطاه ابن سيفا ورحل عن دمشق بعد الأيام الثلاثة، وذهب متوجهاً إلى نواحي حلب وسيشرب في مجلسه ما جلب وحلب، وللقصة تتمة مفيدة تذكر إن شاء الله تعالى في هذا الكتاب بالخصوص لأنها مشروحة في فصل بها مخصوص، والله أعلم.

حصن الأكراد في كتابه الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق سامي الدهان، منشورات المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٦٢، الجزء المتعلق بلبنان والأردن وفلسطين، ص ١١٥–١٢٠، انظر كذلك:

N. Elisséeff, « Ḥiṣn al-Akrād », *E.I.*[2], vol. III, p. 503-506.

جوانب من تاريخ بيروت
في العهدين المملوكي والعثماني

أ - الغارات الإفرنجية على بيروت في العهد المملوكي:

إن الانتصار الحاسم الذي أحرزه السلطان المملوكي الأشرف خليل على الفرنجة الصليبيين، في يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الآخرة سنة ٦٩٠هـ/ ١٨ حزيران ١٢٩١م، باستخلاصه مدينة عكة[١] الساحلية نهائياً من أيديهم واسترجاعها للمسلمين كان بداية مرحلة جديدة تميزت بتصفية الوجود الصليبي في سواحل بلاد الشام، وبإعادة السيطرة على تلك المناطق إلى الدولة المملوكية. فلقد رسم السلطان الأشرف إلى نائب الشام الأمير علم الدين سنجر الشجاعي المنصوري[٢] بأن يفتح بيروت. "فلما وصل سنجر الشجاعي إلى بيروت تلقاه

---

١ - حول عدد من النصوص المتعلقة بعكة في بعض المصادر الإسلامية، راجع بلدانية فلسطين العربية للأب أ.س. مرمرجي الدومنيكي (مطبعة جان دارك، بيروت، ١٩٤٨م)، ١٦١-١٦٦، وانظر كذلك مقالة: F. Buhl, « Akka », *E.I.*^{2}, I, 34 .

٢ - كان وزير الديار المصرية ومشد دواوينها وعمل نائباً لدمشق، حيث وسع ميدان المدينة وزاد في برج الطارمة ومن منشآته في القاهرة البيمارستان المنصوري ما بين القصرين؛ قتل سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م، لمزيد من التفاصيل حول حياته راجع الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (المتوفى سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) ١٥، تحقيق Bernd Radtke، فيسبادن ١٩٧٩م، ٤٧٥-٤٨٧، واعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى لشمس الدين محمد بن طولون (المتوفي سنة ٩٥٣هـ/١٥٤٦م)، تحقيق محمد أحمد دهمان، دمشق، ١٩٦٤م: ٩.

صاحبها[٣] وخيّالته أحسن ملتقا ونزل في القلعة وأمرهم أن ينقلوا أولادهم وحريمهم وأثقالهم إلى القلعة ففعلوا، وظنوه شفقة عليهم، فلما صاروا بالقلعة قبض على الرجال وقيّدهم وألقاهم في الخندق، وذلك في نهار الأحد الثالث والعشرين من رجب سنة تسعين وستماية (٢٢ تموز / ١٢٩١م)، ثم شرع سنجر الشجاعي في هدم سور بيروت وقلعتها، وكانت محكمة البنا، ثم جهز سنجر الشجاعي أهل بيروت إلى دمشق ومنها أنفذهم إلى مصر بأجمعهم فهلك منهم المشايخ والعجايز والنساء، ولما وصلوا إلى مصر أطلقهم السلطان وقال :

---

٣ - بعد استرجاع الفرنجة لبيروت في نهار الجمعة عاشر ذي الحجة سنة ٥٩٣هـ/ ٢٤ تشرين أول ١١٩٧م أقطعت سنيورتها إلى أسرة Ibelin ، ووريثة هذا البيت ببيروت كانت تعرف باسم Eschiva of Ibelin وقد تزوجت Humphrey de Monfort (المتوفى سنة ١٢٨٤ ميلادية)، صاحب صور، وأثمر هذا الزواج ابناً باسم Roupen ، لعله المقصود هنا باسم صاحب بيروت، والجدير بالذكر أن Eschiva كانت قد سالمت السلطان الظاهر بيبرس وعاهدته، وعندما استدعيت سنة ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م إلى قبرس احتج الظاهر على ذلك برسالة بعث بها إلى الفرنجة بعكة يقول فيها "هذه الملكة بيني وبينها هدنة، وما سافر زوجها حتى أودعها عند جاهي، وعادتها إذا سافرت تستودعني بلادها، وفي هذه المرة ما سيرت لي رسولاً، ولا بد من حضورها وأن تتوجه رسلي وتشاهدها وإلا أنا أحق ببلادها" . ويبدو أن رسالة السلطان الظاهر بيبرس لم تغير شيئاً من مجريات الأمور، راجع أخبار السلف من ذرية بحتر بن علي أمير الغرب ببيروت (نشر باسم تاريخ بيروت) لصالح بن يحيى (المتوفى نحو سنة ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م) تحقيق فرنسيس هورس اليسوعي وكمال صليبي، بيروت ١٩٦٩م، ٢١-٢٢، والروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر لمحيي الدين ابن عبد الظاهر (المتوفى سنة ٦٩٢ / ١٢٩٢م)، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض، ١٩٧٦م: ٤٤٧، وانظر كذلك كتاب حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية لشافع بن علي عباس (المتوفي سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م)، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض، ١٩٧٦) : ١٥٧، وانظر أيضاً شجرات النسب، ملحق رقم (٣) في كتاب:
Steven Runciman, *A History of the Crusades* (CUP 1966).

"أماني باقي عليكم، وخيّرهم بين العودة إلى بيروت أو التوجه إلى قبرس، بأجمعهم"[٤] ويذكر مؤرخ متأخر هو البطريرك اسطفان الدويهي (المتوفى سنة ١٧٠٤م) أن عدد الأسرى كان ستمائة أسير، أطلق سراحهم الأشرف خليل[٥].

لم يكن طرد الفرنجة الصليبيين، من بلاد الشام نهاية الحركة الصليبية، فقد نشطت في أوروبا حركة جديدة، فكرية في بعض مضامينها، تهدف إلى استرجاع مملكة القدس، كما نشطت حركة الاهتمام باللغة والتاريخ العربي لأعداد المبشرين. ومن جانب آخر فقد شهد البحر الأبيض المتوسط حركة قرصنة واسعة ضد المسلمين، كان يقف من ورائها - في معظم الحالات - فرسان القديس يوحنا والإسبطارية. ففي الوقت الذي كانت جهود الدولة المملوكية مركّزة ضد هجمات التتار على بلاد الشام، كانت تلك الحركة تنطلق من جزر قبرس ورودس ومالطا وبقية الشواطىء الأوروبية المطلة على البحر الأبيض المتوسط[٦]. فعلى سبيل المثال، في سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م، "وصل إلى بيروت مراكب كثيرة وبطس[٧] للفرنج فيها جماعة كثيرة من المقاتلة يقال إن البطس كانت ثلاثين في كل بطسة منها نحو سبعماية وقصدوا أن يطلعوا من مراكبهم إلى البر ويحصل غارتهم على بلاد الساحل، فلما قربوا من البر أرسل الله عليهم ريحاً مختلفة، فغرقت بعض هذه السفن وتكسر بعضها ورجع

---

٤ - أخبار السلف لصالح بن يحيى: ص ٢٣-٢٤، ويذكر أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير (المتوفى سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) خبر استرجاع المسلمين لبيروت بشكل مختصر موجز حيث يورد ما يلي: "وسار السلطان نحو الديار المصرية في أواخر رجب وبعثه أي سنجر الشجاعي، إلى بيروت وليفتحها، فسار إليها ففتحها في أقرب وقت"، انظر البداية والنهاية، بيروت، ١٩٦٦م، ١٣: ٣٢١، والملاحظ أن مؤرخي الحواضر الكبرى في دمشق وحماه وحلب قلما كانوا يعنون بتاريخ ما كان يجري في المناطق الساحلية.

٥ - تاريخ الأزمنة لاسطفان الدويهي، نشرة الأب فردنان توتل اليسوعي، بيروت، ١٩٥١م: ٥١.

٦ - حول هذه النشاطات انظر المرجع السابق لرنسمن، ٣: ٤٢٧-٤٨٠،
Aziz S. Attya, *Crusade, Commerce, and Culture* (CUP 1967), p. 92-119.

٧ - البطس، مفردها بُطْسة، وهو نوع من السفن. انظر:
R. Dozy, *Supplément aux Dictionnaires Arabes*, Leiden 1881, I, p. 94.

من سلم منهم على أسوأ حال، وكفى الله شرهم. ثم قال وحكي عن الريس ببيروت أنه قال "والله لي خمسين سنة لازم هذا البحر فما رأيت مثل هذه الريح التي جرت على هذه المراكب وليست في الرياح المعروفة عندنا"[٨]. وفي القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي شنّ الفرنجة عدداً من الغارات على مدينة بيروت. فيذكر صالح ابن يحيى، دون أن يحدد تاريخ الغارة، أنه في عهد ولاية الأمير شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن برق[٩] (المتوفى سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٦م) "حضر إلى بيروت ستة شواني[١٠] وواقعوا المسلمين وقعة لا عهدوا مثلها"[١١].

وبعد ذلك بفترة وجيزة تعرضت بيروت لهجوم على مينائها بسبب الصراع ما بين الجنويين والكتلانيين، ففي سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٣م، "حضروا شواني افرنج جنوية قاصدين أخذ قرقورة[١٢]

٨ - أخبار السلف لصالح بن يحيى: (٢٦).

٩ - يترجم شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) للوالد وللابن، فالوالد أبو بكر بن أحمد بن برق السنبسي كان أمير عشرة بدمشق، وله سماع من أبي اليسر، ولم يحدث ومات في شعبان سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م، أما أحمد ولده "الوالي بدمشق ولاه تنكز (والي الشام) نقلاً له من ولاية الساحل بصيدا وكان مشكوراً حسن السياسة ومات بدمشق سنة ٧٣٦"، انظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، القاهرة، ١٩٦٦م، ١:١١٦ و٤٦٧.

١٠ - يذكر محمد بن قاسم بن محمد النويري الإسكندراني (المتوفى نحو سنة ٧٧٥هـ/١٣٧٢م أنه يقال للغربان شواني وأحدها "شيني"، انظر كتاب الإلمام بالإعلام في ما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية، تحقيق عزيز سوريال عطية، حيدر أباد الدكن، ١٩٦٨م، ٢:٢٣٣.

١١ - أخبار السلف لصالح بن يحيى: ٧٢.

١٢ - يعدد محمد بن قاسم النويري أنواع المراكب في البحر الرومي بقوله: "فمراكبه الكبار تسمى قراقر، وأحدها قرقورة، وصاحبها يسمى بلغة الفرنج كبطان، وكاتبها على حملها لبضائعها يسمى شكربان (Scrivano)، وتاجرها يسمى البترون (Patrone)، والقراقر والزوارق لحمل البضائع: "ففي القراقر ما هي بثلاث ظهور وتوسق البضائع من أبواب بأجنابها، فإذا قرب الماء من الباب الأسفل بعد كمال سفلها بالسوسق غلق وسمر وقلفط وطلي بالأطلية المانعة للماء وحملت البضائع إلى الباب الذي أعلاه في الطبقة الثانية إلى أن يتكمل وسقها، فإذا تكمل سد بابها الذي هو في ظهرها وصار سطحها فارغاً للركاب وأثاثها وليمر الماء عليه عند هيجان البحر، فتمر الأمواج على سطح القرقورة ليخرج من ميازيبها المصنوعة لها بجوانبها، ولكل قرقورة ثلاث قلاع، القلع الواحد يسمى بلغة

لطايفة الكتيلان[١٣] في ولاية عز الدين البيسري[١٤] من قبل تنكز[١٥] نائب الشام، وقصدوا المسلمين منع الجنوية من أخذ القرقورة، فقاتلوا قتالاً شديداً، وفي الآخر أخذوا القرقورة ولم تقدر المسلمين تمنعهم، وقتل جماعة من الجند والرجال وتجرح بعض الأمرا بعرامون، ودخلوا الجنوية المينا وأخذوا الأعلام السلطانية عن البرج، وقتل جماعة في البر، وانهزم المسلمون وقاتلوهم في الأزقة، وذكروا أن القتال استمر بينهم يومين" .

الفرنج بنيطة (Bonnette) والثاني أرومون (Artimon) والثالث كاتوا (Cactois) انظر الإلمام ٢ : ص ٢٣٣-٢٣٤، وشروحات المحقق هناك .

١٣ - شهدت شواطئ أوروبا الجنوبية خلال هذا العهد ظاهرة تجمّعات العسكر المغامرين الذين كانوا يؤجرون أنفسهم كمرتزقة أو يعملون في القرصنة ضد الشواطئ والسفن الإسلامية أو يسعون إلى تأسيس دويلات لهم . ومن هؤلاء طائفة الكتلانيين الذين استطاعوا أن يوجدوا لهم كياناً في كل من صقلية وبعض أجزاء من اليونان . حول دويلاتهم ونشاطهم راجع مقالة :

Denneth M. Setton, « The Catalans in Greece, 1311-1380 », in *A History of the Crusades*, ed. Harry W. Hazard, University of Wisconsin Press, 1975, III, p. 167-224.

ومقالة ثانية للمؤلف نفسه في ذات المرجع بعنوان :

« The Catalans and Florentines in Greece, 1380-1462 », p. 225-277.

١٤ - لم أعثر له على ترجمته إلا أن ابن كثير يذكر في أخبار سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٧م، أنه ألقي القبض على شخص كان يعرف باسم بدر الدين البيسري، واحتيط على أمواله في مصر، وكان قد أفرج عنه قبل ذلك في سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م، بعد سبع سنوات من السجن . كما يذكر في أخبار سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م، وفاة شخص يعرف باسم شمس الدين البيسري : " كان من أكابر المتقدمين في خدمة الملوك" ، فلربما كان عز الدين البيسري المذكور هنا ينتمي لتلك الأسرة، البداية والنهاية لابن كثير١٣ : ص ٣٢١ و٣٥٣ و١٤ : ٥ .

١٥ - هو الأمير الكبير سيف الدين تنكز، ولي دمشق في شهر ربيع الآخرة سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م، قام بعدة إنشاءات في دمشق وفي نيابتها، جمع ثروة طائلة وقاد الجيوش ضد ملاطية، ألقي القبض عليه سنة ٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م، لمزيد من التفاصيل حول حياته راجع فوات الوفيات والذيل عليها لمحمد بن شاكر الكتبي (المتوفى سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (١٩٧٣ ، ١ : ص ٢٥١-٢٥٨)، والدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ٢ : ص ٥٥-٦٣ ، وإعلام الورى لابن طولون : ص ١٢-١٥ .

إن الهجمات الأوروبية على السواحل الإسلامية في البحر الأبيض المتوسط كانت قد نشطت في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي. وقد كان لتوجيه ملك قبرس، بطرس الأول - الذي كان يلقب نفسه بملك القدس - ولقيادته أكبر الأثر في ذلك. فسعى إلى استعادة القدس، كما أنه نشط في الحفاظ على مركز قبرس التجاري أمام منافسة الإسكندرية لموانىء تلك الجزيرة. وفي سبيل ذلك شن عدداً من الغارات على الإسكندرية وعلى أبو قير وكذلك على رشيد، وحيث أن الغارات كانت تشن تباعاً على جميع سواحل المدن الإسلامية. فقد كانت كل من تلك المدن تتأهب للدفاع عن السواحل التي يبدأ الهجوم عليها تحسباً من ذلك الهجوم، ويتضح ذلك لنا عندما هاجمت ثلاثة أغربة أبو قير سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م، وأسرت ستة وستين نفراً من المسلمين افتداهم أهالي صيدا، وكانت كبرى الغارات على الإسكندرية بقيادة بطرس الأول، ملك قبرس، سنة ٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م حيث استباح المدينة لمدة ثمانية أيام وأحرق قسماً كبيراً منها، مما اضطر عدداً كبيراً من سكانها لهجرها[١٦].

وتعرضت مدينة بيروت كذلك لمثل هذا الهجوم، ففي شهر جمادى الآخرة سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م قامت "تعميرة" جنوية بمهاجمة صيدا، وقصدت بيروت، فما إن رأت العساكر "والعشران" موجودة في بيروت لحمايتها، حتى تحولت عنها

---

١٦ - لمزيد من التفاصيل حول هذه الغارات من قبرس، راجع كتاب الإلمام لمحمد بن قاسم النويري الإسكندري ٢ : ص ٩٧-٩٨ و ١٠٣ و١٠٦ و١٠٧- ١٠٩ و١١٠ و١١٤ و١٣٠- ١٣٤ و١٣٦-١٦٥ و١٧١-١٧٩، وانظر أيضاً مقالتي :

Sir Harry LUKE, « The Kingdom of Cyprus 1291-1369 », and « The kingdom of Cyprus 1369-1489 », in *A History of the Crusades, op. cit.*, III, p. 340-95.

وانظر أيضاً :

P.W. EDBURY, « The Crusading Policy of king Peter I of Cyprus 1359-1369 », in *The Eastern Mediterranean Lands in the Period of the Crusades*, ed P.M. HOLT, London, 1977, p. 90-105.

إلى قبرس، لتعود بعد ذلك وتهاجم المدينة "فرموا الفرنج بالجروخ[١٧] والمدافع، فتنحوا المسلمين عن قبالة الفرنج واستطروا (استتروا) بالحيطان، فتقدموا الشواني إلى البر ما بين البرج الصغير والخرايب التي كانت مكان البرج الكبير، ونصبوا سقايلهم[١٨] من الشواني إلى البر، ونزل منهم شرذمة كبيرة وعليهم مقدم من كبارهم وبيده سنجق[١٩] وصعدوا في الحدرة إلى جهة الخرايب لنصب السنجق على علوة إشارة أنهم ملكوا البلد، وشرعوا ينزلوا من الشواني شرذمة بعد أخرى، فهجم من المسلمين شرذمة مع الوالد (سيف الدين يحيى والد صالح)، على الذي معهم ، فقهروهم ورموا السنجق" ، وقوي عزم المسلمين، وتراجع الفرنجة حيث غرق عدد كبير منهم، ولقد وصلت أخبار هذه الغارة إلى دمشق بواسطة المنارات، فجاءت المدد متأخرة بعد انسحاب المهاجمين[٢٠] وبعد ربع قرن من الزمان تعرضت بيروت لغارة من قبل الجنويين، تضرر بسببها تجار البنادقة في بيروت، ففي العشرين من محرم سنة ٨٠٦هـ/ ٩ آب١٤٠٣ توجهت مراكب الجنويين مخذولة من طرابلس إلى بيروت، ويبلغ عددها

---

١٧ - الجروخ مفردها جرخ، فارسية الأصل، من أدوات الحروب على شكل قوس ترمي عنها السهام والحجارة (قطر المحيط : ٢٥٦)، وانظر أيضاً قاموس شمس الدين سامي : ٥٠٨ وكذلك Redhouse, p. 716. R. Dozy, *Supplément*, I, 182

وجاء في نص نشره كلود كاهين ما يلي : "وذكرني أيضاً الشيخ أبو الحسن الأبرقي المذكور أنه تعمل أربع قسي جرخ في برج له أربع جهات في كل جهة منها قوساً ولك منها مجراه تنتهي الأربع مجاري إلى قفل واحد، وكل مجراه فيها ثلث سهام أو أربعة ، ويرمي بهذه القسي الأربعة رجل واحد فتخرج في دفعة واحدة ستة عشر سهماً" ، انظر : "تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء ونشر إعلام الأعلام في العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء" تحقيق كلود كاهين في :

BEO, 12 (1942-8), 106-126, sp. 112.

١٨ - حول تعريف هذا المصطلح راجع "من تاريخ حيفا العثمانية" لمحمد عدنان البخيت، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ٢ (١٩٧٨م) : ص ١٣١، الحاشية رقم (٣١).

١٩ - كلمة تركية دخلت إلى اللغة العربية في مرحلة مبكرة من العهد العثماني وتفيد معنى العلم، انظر صبح الأعشى للقلقشندي (القاهرة، ١٩٦٣-١٩٧٢م)، م ٥، ص ٣٤، حيث يذكر القلقشندي السنجق اليمني في عرفات سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٧م.

٢٠ - أخبار السلف لصالح بن يحيى : ٣١-٣٢.

ستة وأربعين مركباً منها ٣٧ شنين، فما إن رآها السكان حتى هربوا بأهاليهم، ولم يكن بالمدينة آنذاك من العسكر وأصحاب الدرك سوى أمراء البيت البحتري "ومعهم بعض جماعة"، فنزلت الإفرنج من الشواني ونهبت المدينة وأحرقوا بيتاً لآل بحتر والسوق القريب من الميناء. ولاقى الفرنجة مقاومة من العناصر الإسلامية التي تجمعت من المحيط إلا أن الفرنجة أقاموا في المدينة إلى العصر وغادروها إلى مراكبهم قاصدين صيدا التي لم ينزلوا بها، ربما بسبب تجمع العساكر والعشران الإسلامية للدفاع عنها. "ومن جملة ما نهبوه الجنوية المذكورين من بيروت حواصل بهار لفرنج البنادقة بقيمة عشرة ألف دينار، فبلغ البنادقة ذلك واقتصوا من الجنوية بنظرها وأزيد"[٢١].

ويبدو أن عدد القتلى من الفرنجة كان كثيراً بحيث أن "ملك الأمراء قد رسم لمتولي بيروت بقطع رؤوس [قتلى] الفرنج وأن يعمر على أبدانهم مسطبة على باب بيروت ويكتب عليها اسم ملك الأمرا، وجهز الرؤوس إلى دمشق ثم إلى مصر، فجعل في أنفس الذين قتلوا الفرنج الغيرة كون أن المسطبة تنسب إلى غيرهم، فهدموها ليلاً وأحرقوا ما كان بها من رمم الفرنج"[٢٢].

من المتوافر لدينا من المصادر والوثائق يبدو لنا أن مدينة بيروت نعمت بالهدوء والسلام خلال ما تبقى من القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي إذ لا يرد ما يدل على أنها هوجمت من قبل الأوروبيين، ولعل السبب وراء ذلك بروز القوة البحرية العثمانية التي استطاعت أن تطهر جزر إيجة من القرصان. والخبر الوحيد الذي وصلنا عن غارة بحرية شنت على بيروت كانت في مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، إذ ذكر المؤرخ الدمشقي شمس الدين محمد بن علي بن طولون (المتوفي سنة ٩٥٣هـ/١٥٤٦م) أنه في أواخر شوال سنة ٩٢٦هـ/أواخر تشرين الأول ١٥٢٠م جيء برؤوس افرنج مع جماعة من أهل بيروت، "وأخبروا أن يوم الأربعاء ثامن عشريه طلع من البحر إلى عند عين البقر هناك هؤلاء الفرنج في زي الأروام وراموا أخذ مينا بيروت، ففاق عليهم المسلمون واقتتلوا، فقتل من المسلمين

٢١ - المصدر نفسه: ٣٣.
٢٢ - المصدر نفسه: ٣٤.

نحو مائة ومن الفرنج نحو الأربعماية وهرب الباقون، وقد كانوا في تسعة مراكب منها خمس برشات[٢٣] والباقي في أغربة" . ويذكر لاحقاً أنه يوم السبت مستهل ذي القعدة سنة ٩٢٦هـ/ تشرين الثاني ١٥٢٠م وصلت خمسة أحمال من رؤوس الإفرنج إلى دمشق، فرقت على أحيائها كالشاغور وميدان الحصا وحارتي النصارى واليهود. ويذكر أنه تحرر أنه قتل من المسلمين خمسة أنفس، وهذا الرقم غير معقول إذا علمنا أنه ينص على أن عدد قتلى الفرنجة كان خمسماية وستة وثمانون نفساً، وأن عدد مراكبهم كانت عشرة، وأنهم نزلوا بثلاثة صناجق وثلاثة طبول، وعندما علم نائب الشام جان بردي الغزالي بأخبار ذاك الهجوم، سافر إلى بيروت لتفقدها وليأخذ أسلاب الفرنجة[٢٤] .

ب - تعمير بيروت وتحصينها :

تذكر المصادر الجغرافية وكتب الرحالة بيروت على أنها مدينة وأنها ميناء دمشق وفرضتها، وكانت محاطة بسور من الحجارة الكبيرة - قبل أن يهدمه سنجر الشجاعي - وبجوارها غابة من الصنوبر. كما تشير المصادر أيضاً إلى وجود جبل بقربها يستخرج منه الحديد بكثرة ويحمل إلى دمشق[٢٥] . وإن الانطباع السائد لدى عدد كبير من الدارسين أن مدن سواحل بلاد الشام وقراها بقيت خربة مهجورة، نتيجة لسياسة التدمير التي اتبعها صلاح الدين الأيوبي، وسار عليها بعض أوائل سلاطين المماليك،

---

٢٣ - برشات : يذكرها حبيب الزيات في "معجم المراكب والسفن في الإسلام"، مجلة المشرق، (٤٣) (١٩٤٩م) : ٣٢١-٣٦٤، لكن لا يذكر أصلها اللغوي.

٢٤ - مفاكهة الخلان في حوادث الزمان لابن طولون (تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، ١٩٦٢م) ٢ :١٢٣، وإعلام الورى للمؤلف نفسه: ٢٣١.

٢٥ - حول بيروت انظر نزهة المشتاق في اختراق الآفاق لمحمد بن محمد الإدريسي (المتوفى سنة ٥٦٠هـ/ ١١٦٠م) (روما، ١٩٧٤م) ٤ :٣٧١، ومعجم البلدان لشهاب الدين ياقوت الحموي (المتوفى سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) تحقيق فردناند وستنفلد، طبعة مصورة، طهران، ١٩٦٥م، ١ :٧٨٥-٧٨٧، وتقويم البلدان للملك المؤيد عماد الدين إسماعيل أبو الفداء (المتوفى سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م) (تحقيق م. رينود م. ديسلان، باريس، ١٨٥٤م) : ٢٤٦-٢٤٧، وزبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك لغرس الدين خليل بن شاهين

وذلك خوفاً من عودة الفرنجة إليها والاستفادة منها . إلا أن المدقق في تاريخ كل موقع على حدة، يجد أن مثل هذا التعميم بحاجة إلى تعديل جذري، إذ إن هذه المناطق شهدت حركة عمرانية ضخمة، وصاحب هذه الحركة أيضاً ظاهرة تحبيس مساحات كبيرة من الأراضي والعقارات لتوفر دخلاً للصيانة وللإنفاق على المساجد والزوايا التي شيدها المماليك[٢٦] .

فعلى أثر الهجوم البحري الذي شنه الجنويون على مدينة بيروت سنة ٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م، أُلزم كبير أمراء البيت البحتري ناصر الدين حسين[٢٧] (المتوفى في ١٣ شوال ٧٥١هـ/ ١٤ كانون الأول ١٣٥٠م) وأقاربه بالسكنى في بيروت . وبذلك بدأت هذه الأسرة تتحول إلى بيروت من قرى منطقة الغرب التي كانت تعطى لها كإقطاع ضمن إطار أجناد الحلقة، والجدير بالذكر أنه عندما كانت هذه الأسرة

الظاهري (المتوفى سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م) تصحيح بول راويس، باريس، ١٨٩٤م : ٤٨ ، والروض المعطار في خبر الأقطار لمحمد بن عبد المنعم الحميري (المتوفى سنة ٧٢٠م/ ١٣٢٠م) (تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٧٥م) : ١٢٣ ، وانظر أيضاً مقالة الأب لويس شيخو "بيروت : تاريخها وآثارها" ، مجلة المشرق، ٢٣ (١٩٢٥م) : ٥٤-٥٩ و١٢٥-١٣١ و١٩٤-٢٠٠ و٢٩٢-٢٩٨ و٣٧٢-٣٧٧ و٤٥٨-٤٦٣ و٥١٧-٥٢٣ و٦١٨-٦٢٥ و٦٦٨-٦٧٢ و ٧٧٤-٧٧٧ و٨٦٤-٨٦٨ و٩٤٤-٩٤٨ ، والمجلة نفسها ٢٤ (١٩٢٦م) : ٧٥٧-٧٦٢ ، وانظر وصفها للرحالة الإيطالي :

Fra Niccola of Poggibonsi, *A Voyage Beyond the Seas, 1346-1350*, transl. Fr. T. Bellorini and Fr. Beirut.

وكتاب :

E. Hoade (Jerusalem 1945), 82, *Crossroads of Cultures*, ed. Anne Zahlan (Beirut 1970)

هذا بالإضافة إلى مقالة : N. Elisséeff, « Bayrut », *E.I.*², I, 1137-1138 .

٢٦ - إن الوقفيات المتعلقة ببلاد الشام لم تحظ إلى الآن باهتمام الدارسين بالرغم من أهمية دلالاتها، وربما كانت سجلات الأوقاف ودفاترها المحفوظة في كل من مديرية المحفوظات باسطنبول ومديرية تسجيل الأراضي بأنقرة من أغنى المراكز، انظر على سبيل المثال دفتر رقم (٦٠٢) اسطنبول .

٢٧ - حول حياة ناصر الدين الحسين راجع أخبار السلف لصالح بن يحيى : ٨٢-١٣٥ ، والوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ١٢ (حققه رمضان عبد التواب، فيسبادن، ١٩٧٩م) : ٣٦٢-٣٦٤ ، والدرر الكامنة لابن حجر ٢ : ١٤٠-١٤١ .

تشارك في حراسة مدينة بيروت على شكل "أبدال" (وحدات تتناوب الحراسة والخفر)، اتخذت كنيسة القديس فرنسيس الأسيسي Francesco d'Assisi ١١٨٢-١٢٢٦م مقراً لهم، حيث جعلوها اسطبلاً "وجعلوا على أعلاها أطباق". إلا أن ناصر الدين حسين بعدما أمر بالانتقال إلى بيروت هجر الكنيسة لبعدها عن البحر وعمر لنفسه طباقاً ومسجداً في حارة مجاورة للبحر، وأحاط أبنيته تلك بسور. وعندما استقر في بيروت استملك زقاق الخيالة " وهو من باب الحارة من جهة القبلة إلى قريب الحمام العتيق جانبي الزقاق يمنة ويسرة"، ولقد كان الأمير البحتري ينظم الشعر، وقصده الشعراء[٢٨] ومدحوه، ولفت الانتباه عن طريق مشاركته في حملة جردت سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٢م ضد السلطان الناصر أحمد بن الناصر محمد ابن قلاوون[٢٩] في الكرك، كما ربطته علاقات وثيقة مع المتنفذين من الحكام المماليك[٣٠] في دمشق الشام آنذاك، بحيث أنه استحق أن يذكره المؤرخ خليل بن أيبك الصفدي، وزاره في بيروت ووصفه بقوله: "وأما هذا ناصر الدين، فإنه كثير المكارم والإحسان

٢٨ - من هؤلاء الشعراء محمد بن علي بن محمد الغزي، يعرف بابن طرطور (المتوفى سنة ٧٦١هـ/١٣٦٠م)، الذي يصفه صالح بن يحيى باسم شاعر السلف ويورد له بعضاً من قصائد المديح في ناصر الدين حسين، حول حياته انظر الدرر الكامنة لابن حجر ٤: ٢٠٦-٢٠٧، والوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ٤ (تحقيق Seven Dedering، فيسبادن، ١٩٧٤م): ٢٢٣-٢٢٤، كما أن الشيخ بهاء الدين محمود ابن الخطيب محمد بن عبد الرحمن السلمي المعروف بابن خطيب بعلبك (المتوفى سنة ٧٣٥هـ/١٣٣٤م) كتب له "في الخط المنسوب درج يحتوي على الأقلام السبعة وبالغ في حسن الكتابة في ورق حرير وجعله هدية إليه"، انظر أخبار السلف لصالح بن يحيى: ٨٣، والدرر الكامنة لابن حجر ٥: ١٠٤-١٠٥.

٢٩ - حول هذه التجاريد انظر أخبار السلف لصالح بن يحيى: ٩٩-١٠٣: وللمزيد من التفاصيل حول عصيان السلطان الناصر أحمد في الكرك، راجع كتاب مملكة الكرك في العهد المملوكي لمحمد عدنان البخيت (عمّان ١٩٧٦م): ١٠٣-١٠٦.

٣٠ - من هؤلاء المتنفذين الأمير صارم الدين صاروجه المظفري أحد الأمراء الناصرية، أمر بصفد ثم بدمشق، كحل ومات سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٢م، انظر أخبار السلف لصالح بن يحيى: ٩٧-٩٨، والدرر الكامنة لابن حجر ٢: ٢٩٦، والوافي بالوفيات لابن أيبك الصفدي ١٢: ٣٦٢-٣٦٤.

يخدم كل من يتوجه إلى تلك الناحية، وهو مقيم بقرية أعبية بالجبل، وله دار حسنة في بيروت، يخدم الغادي والرائح، ويهدي إلى أكابر الناس وأعيان الدولة، وكنت قد توجهت إلى بيروت، ولم يكن بها، فسيَّر إليَّ قاصداً يطلبني لأتوجه إليه إلى أعبية، فرأيت الحركة تشق علي، فاعتذرت فحضر هو بعد أيام، بعدما تفضَّل وأحسن واجتمعت به، ورأيت منه رياسة كثيرة. وهو يعرف عدة صنائع أتقنها، ويكتب جيداً ويترسل وفيه عدة فضائل"[٣١]. والظاهر أن المماليك أنفسهم قد عنوا بإقامة أبنية لهم في بيروت كنوع من تنشيط المدينة، فهذا سيف الدين تنكز نائب الشام عندما صودرت أملاكه (قتل يوم الثلاثاء ١٥ محرم ٧٤١هـ/ ١١ حزيران ١٣٤٠م) قدرت أملاكه التي تخصه في بيروت وكانت على النحو التالي: "الأملاك: بيروت الخان مائة وخمسة وثلاثون ألف درهم، الحوانيت والفرن مائة وعشرون ألف درهم، المصبنة بآلاتها عشرة آلاف درهم، الحمام عشرون ألف درهم، المسلخ عشرة آلاف درهم، الطاحون خمسة آلاف درهم، قرية زلايا(؟) خمسة وأربعون ألف درهم"[٣٢]. ويورد لنا صالح بن يحيى نصوص بعض أبيات الشعر التي ثبتت على طرز الحمام والخان، كما أن صالحاً يذكر لنا منشآت والده سيف الدين يحيى (توفي ١٣٨٨م) حيث يورد ما يلي: "... ثم عمر إيوان بيروت وقصد ترخيمه وزخرفته فلم يكمله بالزخرفة والترخيم وأجرى الماء إلى حارة بيروت مجاورة البحر المعروفة بنا، ونابه على العماير أكلاف كثيرة وحمل الديون تخلفت بعده[٣٣].

---

٣١ - الدرر الكامنة لابن حجر ٢: ١٤٠-١٤١، وكتاب منطلق تاريخ لبنان لكمال الصليبي: ١٤٥، ولمزيد من التفاصيل حول دور أسرته في درك بيروت وعن موقعهم في نظام الحلقة، راجع مقالة:

K.S. Salibi, « The Buhturids of the Garb », *Arabica*, 8 (1961), 74-97.

٣٢ - فوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي ١ : ٢٥٧، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لأبي المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي (المتوفى سنة ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م) مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٩-١٩٥٦م) ٩: ١٥٢-١٥٧، وحول ثرائه راجع:

Ira Marvin Lapidus, *Muslim Cities in the Late Middle Ages* (HUPCM 1967, 50.

٣٣ - أخبار السلف لصالح بن يحيى: ١٩٣.

ولم تمض مدة طويلة حتى جُدد سور مدينة بيروت على يد نائب الشام الأمير سيف الدين بيدمر الخوارزمي[٣٤] (المتوفى سنة ٧٨٩هـ/١٣٨٧م) أثناء ولايته على الشام، وكان السور على جانب البحر: "أوله من عند الحارة التي لنا على البحر واصلاً إلى تحت البرج الصغير العتيق عمارة تنكز نايب الشام وتعرف ببرج البعلبكية، وجعل بين آخر هذا السور وبين البرج المذكور باباً وركب عليه سلسلة تمنع المراكب الصغار من الدخول والخروج وسمي باب السلسلة"[٣٥]. والجدير بالذكر أنه بعيد مهاجمة ملك قبرس للإسكندرية سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م رسم للأمير بيدمر الخوارزمي هذا بالتوجه إلى بيروت ليعمر من حرشها مراكب للدخول إلى قبرس، "فحضر إلى بيروت وأحضر صناع (كذا) كثيرة منساير الممالك فكانوا جماً غفيراً"، فعمر بظاهر بيروت مسطبة عرفت به، حيث كانت المراكب تعمل عندها لبعدها عن البحر، وزيادة في الحيطة أحضر عسكراً من الشام وأنزلوا ما بين المسطبة والبحر خوفاً من هجوم مباغت من جانب الفرنجة. إلا أن النجاح لم يكتب لمشروع بناء المراكب، إذ صرف النظر عنه ولم ينزل منها سوى حمالتين كبار وبقيا في ساحة بيروت حتى تلفا. وكذلك بقية الشواني التي كانت تحت المسطبة، ولم تنزل للبحر، "وكان قد صرف عليهم مال عظيم (كذا) فذهب ضياعاً لم يستفاد (كذا) منهم سوى الحديد بعد ما أخذت الناس منه شيئاً كثيراً"[٣٦]، ونلاحظ أن مثل هذه التجربة تعاد مرة أخرى سنة ٨٩٢هـ/١٤٨٦م عندما أمر السلطان بعمارة حمالتين ببيروت، وشاركتا في فتح قبرس[٣٧]. ولا شك أن هاتين

٣٤ - سيف الدين بيدمر الخوارزمي: ولي نيابة حلب سنة ٧٦٠هـ/١٣٥٨م، وكانت توليته دمشق للمرة الأولى في ١٩ شعبان سنة ٧٦١هـ/١٣٥٩م وثانية سنة ٧٦٣هـ/١٣٦١م وثالثة سنة ٧٧٥هـ/١٣٧٣م، وفي التولية الأخيرة غلت الأسعار ووصل إلى دمشق خلق كثير "وبيدمر بدمشق قد أهمل مصالح المسلمين مشغول بأخذ أموالهم"، وهذا على عكس سياسته السابقة بدمشق عندما أبطل منها مكس الملح ومكس المغاني، قبض عليه وتوفي مسجوناً سنة ٧٨٩هـ/١٣٨٧م، انظر الدرر الكامنة لابن حجر ١: ٤٦-٤٧، وإعلام الورى لابن طولون: ٢٥-٢٧.

٣٥ - أخبار السلف لصالح بن يحيى: ٣٥-٣٦.

٣٦ - المصدر نفسه: ٣٠.

٣٧ - المصدر نفسه: ٢٤٩-٢٥٠.

التجربتين وغيرهما قد ساهمتا في إنعاش بيروت وبرفدها بعنصر بشري ذي مهارة صناعية، والجدير بالذكر أن أسرة بني الحمرا[٣٨] كانت قد نزحت من البقاع إلى بيروت، وجلبت معها عدداً من أسر البقاع للعمل في فلاحة مزارعها، وحوالي سنة ٨١٠هـ/١٤٠٧م أنشأت مدرسة في بيروت شيدتها من حجارة كنيسة فرنسيس الأسيسي التي ابتاعتها من آل بحتر[٣٩] .

إن بُعداً من أبعاد العمران في بيروت تمثل في توفير الحراسة لها وذلك عن طريق ترميم عدد من الأبراج فيها وبنائها، فالمصادر المملوكية تشير عادة إلى البرج الصغير في بيروت الذي عمره نائب الشام تنكز، وكان يعرف باسم برج البعلبكية، ربما نسبة إلى أجناد حلقة بعلبك الذين كانوا يشاركون أمراء البيت البحتري في حراسة بيروت[٤٠] . وفي عهد السلطان الملك الظاهر سيف الدين برقوق[٤١] (٧٨٤-٨٠١هـ/١٣٨٣-١٣٩٩م)، "عمر البرج الكبير ببيروت على قاعدة برج أبراج القلعة الخراب" ، وكان ابن أخي صلاح الدين الأيوبي وأول ملوك بني أيوب في حماة الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب[٤٢] (٥٧٤-٥٨٧هـ/١١٧٨-١١٩١م)، قد أوقف "وقفاً على جماعة خياله ورجاله برسم الجهاد في سبيل الله تعالى وأشرط عليهم بأن يكونوا في أقرب المين إلى دمشق" ، وبعد أن عمر برقوق البرج الكبير "فقرروا به المجاهدين المذكورين"[٤٣] . ويشير صالح بن يحيى إلى برج كان السلطان قد أمر ببنائه حوالي سنة ٨٢٨هـ/١٤٢٤م، وكان السلطان قد أنعم به على المؤرخ

---

٣٨ - حول هذه الأسرة، انظر ص ٦٩ من هذه الدراسة :
٣٩ - أخبار السلف لصالح بن يحيى : ١٠٦ .
٤٠ - المصدر نفسه : (٣٦) .
٤١ - عن الظاهر برقوق انظر: G. Wiet, « Barḳuḳ », *E.I.*², I, 1050-51 .
٤٢ - انظر عن تفاصيل حياته المختصر في أخبار البشر لعماد الدين إسماعيل أبي الفداء (المتوفى سنة ٧٢٢هـ/ ١٣٣١م) دار المعرفة، بيروت، ٣ : ٨٠-٨١، وكذلك وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لشمس الدين أحمد بن خلكان (المتوفى سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م) تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة ، بيروت (١٩٦٨-١٩٧٢م) ٣ : ٤٥٦-٤٥٨ .
٤٣ - أخبار السلف لصالح بن يحيي : ٣٧ .

صالح نفسه بعد أن كملت عمارته مقابل "عدة جهات من جهات بيروت" لدرك البرج المذكور[٤٤]. كما أن شمس الدين محمد بن طولون يذكر في أخبار سنة ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م، خبراً مفاده أن السلطان جدد برجاً في بيروت[٤٥].

لقد وجدت سواحل بلاد الشام منذ مطلع العهد العثماني قدراً من العناية والرعاية يفوق ما لقيته في العهد المملوكي وتمثل هذا بسلسلة من الأبراج والقلاع موازية للساحل، جددها العثمانيون أو أنشؤوها لحراسة الشواطىء ضد أية غارات إفرنجية محتملة[٤٦].

وتزودنا دفاتر الطابو والمالية المدوّرة[٤٧] بتفاصيل أوفى عن عدد حراس تلك الأبراج، وهم على النحو التالي:

---

٤٤ – المصدر نفسه: ٢٤٨.

٤٥ – مفاكهة الخلان لابن طولون: ١: ٢٤٥–٢٤٦.

٤٦ – انظر وصف البحار العثماني بيري محيى الدين ريس (المتوفى حوالي سنة ٩٦٢هـ/ ١٥٥٤–١٥٥٥م) في مؤلفه "كتاب بحرية" الذي قدمه إلى السلطان سليمان القانوني سنة ٩٣٢هـ/ ١٥٢٥–١٥٢٦م كإشارة على اهتمام العثمانيين بالساحل الشامي، راجع الجزء المتعلق بسواحل فلسطين في مقالة:
U. HEYD, « A Turkish Description of the Coast of Palestine in the Early Sixteenth Century », *Israel Exploration Journal,* 6 (1956), 201-206.
وراجع كذلك
M.A. BAKHIT, *The Ottoman Province of Damascus in the 16 th Century*, Librairie du Liban, 1982, p. 94-101.
هذا بالإضافة إلى مقالة الدكتور محمد عدنان البخيت "من تاريخ حيفا العثمانية– دراسة في أحوال عمران الساحل الشامي"، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ٢ تموز ١٩٧٨م، ١١٣–١٣٧، وراجع أيضاً مقالة الكونت دومنيل دوبويسون، "استحكامات بيروت وتحصيناتها القديمة"، مجلة المشرق ٢٠ (١٩٢٢م): ٧٥١–٧٦٦.

٤٧ – عن أهمية هذه الدفاتر وأماكن توفرها راجع:
Midhat SERTOGLU, *Muhteva Baktmindan Başvekalet Arşivi* (Ankara 1955).
وكذلك:
Bernard LEWIS, « Başvekalet Arşivi », *E.I.*², I, 1089-1091, *idem,* « Daftar », *E.I.*², II,77-81, O.L. BARKAN, « Daftar-iKhakani », *E.I.*², II, 81-82.

١ - البرج البراني : الذي كان يعرف أيضاً ببرج القنطاري : كان يقوم على حراسته حوالي سنة ٩٣٠هـ/١٥٢٣م تسعة عشر من جنود القلاع الذين يذكرون باسم "جماعت مستحفظان"[٤٨]، ولكن عددهم في النصف الثاني من القرن السادس عشر تناقص إلى تسعة[٤٩]. وربما كان هذا عائداً إلى مشاركة جنود ولاية دمشق الشام في حروب السلطنة العثمانية، وكان هؤلاء الجنود يتقاضون رواتب شهرية نقدية، وربما كان ينفق عليهم أيضاً من مردود مزرعة بجوار البرج حبست عليه، مسجلة حيناً باسم مزرعة جنب البحر، وفي بعض الأحيان ترد باسم مزرعة قنطاري، والموارد المتوفرة منها كانت على النحو التالي، بعد أن تقتطع الدولة العشر:

	مجمل الوارد / أقجة[٥٠]	العشر / أقجة
طابو[٥١] دفتري ٣٨٣ (ح ٩٣٧هـ/ ١٥٣٠م)	٢٥٠٠٠	٢٥٠٠
طابو[٥٢] دفتري ٥٤٣ (ح ٩٧٦هـ/١٥٦٨م)	٣٠٠٠٠	٣٠٠٠
طابو[٥٣] دفتري ١٧٧ (١٠٠٥هـ/١٥٩٦م)	٣٢٠٠٠	٣٢٠٠

ومن الأسلحة والمواد الحربية المستخدمة التي يرد لها ذكر في أحد الدفاتر: السيوف والأقواس والدروع والنشاب والمدافع والبنادق والبارود والخوذ[٥٤].

٤٨ - طابو دفتري، ٤٣٠ (حوالي سنة ٩٣٠ / ١٥٢٣) اسطنبول: ٢٥٦، وحول مصطلح مستحفظان راجع: U. Heyd, *op. cit.*, 73, 77, 102, 104.

٤٩ - دفتر مالية دن مدور رقم ٢٧٢٣ (اسطنبول ٩٦١-٩٧٤هـ/١٥٥٣-١٥٦٦م): ٧٤-٧٥.

٥٠ - الأقجة وحدة النقد العثمانية المضروبة من الفضة وتشير إليها المصادر الأوروبية عادة باسم أسبر المحرف عن اليونانية، حول قيمة وتاريخ هذه الوحدة النقدية راجع:
H. Bowen, « Akçe » *E.I.*², I, 317-18.

٥١ - طابو دفتري، ٣٨٣ (اسطنبول) : ٢٧٠.

٥٢ - طابو دفتري، ٥٤٣ (أنقره) : ٢٣٧.

٥٣ - طابو دفتري/ ١٧٧ (أنقره) : ١٠٠.

٥٤ - طابو دفتري، ٤٣٠ (سنة ٩٣٠هـ/١٥٢٣م) اسطنبول: ٢٥٦.

٢ - برج عليني: كان يقوم على حراسته في مطلع العهد العثماني أحد عشر جندياً[٥٥] من "جماعت مستحفظان"، إلا أن هذا العدد يعود ليتدنى في النصف الثاني من القرن السادس عشر إلى ستة جنود[٥٦]. والأسلحة الموجودة في هذا البرج كانت كالأسلحة المدونة في برج القنطاري، ونجد من بين المزارع التابعة لبيروت مزرعة تعرف باسم مزرعة عليني وقف على هذا البرج، وكانت بيد أهالي قرية البرج، وكان حاصل وقف هذه المزرعة على هذه الشاكلة:

	مجمل الوارد / أقجة	العشر / أقجة
طابو[٥٧] دفتري ٣٨٣	٧٥٠٠	٧٥٠
طابو[٥٨] دفتري ٥٤٣	٨٠٠٠	٨٠٠
طابو[٥٩] دفتري ١٧٧	٩٠٠٠	٩٠٠

٣ - برج سنبطية: يذكر صالح بن يحيى أن الإفرنج عندما هاجمت بيروت عام ٨٠٦هـ/١٤٠٣م، نزلت "من الشواني إلى البر في مكان يسمى الصنبطية غربي البلدة"[٦٠]. ومن هنا يمكننا تحديد موقع هذا البرج على أنه كان في الجهة الغربية من بيروت، ونجد أن عدد الذين كانوا يقومون على حراسته عشرة "مستحفظان" مسلحين بمثل الأسلحة السالفة الذكر، وأن عددهم لم ينقص[٦١].

٥٥ - طابو دفتري، ٤٣٠ (اسطنبول): ٢٥٧.
٥٦ - مالية دن مدور، رقم ٣٧٢٣:٧٣.
٥٧ - طابو دفتري، ٣٨٣: ٢٧١.
٥٨ - طابو دفتري، ٥٤٣: ٢٣٧.
٥٩ - طابو دفتري، ١٧٧: ١٠٠.
٦٠ - أخبار السلف لصالح بني يحيى: ٣٢.
٦١ - طابو دفتري، ٤٣٠: ٢٥٧، مالية دن مدور، رقم ٣٧٢٣ : ٧٣-٧٤.

٤ - برج شيخ تقي الدين[٦٢] : وكانت حراسته مناطة بثمانية من جنود "المستحفظان"، وإن هذا العدد يحافظ على نفسه بدون تناقص[٦٣].

٥ - برج القلعة : وقد أشرنا إليه سالفاً، وكان السلطان الظاهر برقوق قد جدده على برج من أبراج القلعة المدمرة. وكان يقوم على حراسته تسعة عشر جندياً من "المستحفظان"[٦٤]، ويذكر في دفاتر الطابو باسم برج القلعة أو البرج التقوي، وهو غير برج شيخ تقي الدين، لأن الدفاتر تذكر الاثنين كلاً على حدة[٦٥].

ومع احتلال العثمانيين لبلاد الشام فقدت الأسرة البحترية نفوذها، وحل محلها في بيروت خلال القرن السادس عشر الأسرة التركمانية التي كانت تعرف باسم آل عساف[٦٦]، وكانت تتخذ من قرية غزير مقراً لها، ومن أبرز أبناء تلك الأسرة الأمير منصور عساف (المتوفى سنة ١٥٨٠م)، الذي يصفه البطريرك اسطفان الدويهي بقوله: "وفي هذا العصر امتد حكم الأمير منصور ابن العساف من نهر الكلب إلى حمص وحماه بمناشر (بمناشير)، وأموره شريفة، وكان يولي من تحت يده حكام في البر، و[بني] صرايا في بيروت وفي جبيل وفي قرية غزير ..."[٦٧]. ويصف لنا الشيخ عبد الغني النابلسي (المتوفى سنة ١١٤٣هـ/ ١٧٣١م)، هذه السرايا عند زيارته لبيروت سنة ١١١٢هـ/ ١٧٠٠م بقوله: "ونزلنا في سراية حاكم البلدة وأميرها وحافظ ثغرها ووزيرها، ولله من سراية رفيعة البنيان مشيدة الأركان، بها أماكن

---

٦٢ - لم أتمكن من العثور على ترجمة لهذا الشيخ فلربما تساعدنا دراسة نقوش هذا البرج وعادياته إن وجدت على التعريف به.

٦٣ - طابو دفتري، ٤٠١ (حوالي سنة ٩٥٠هـ/١٥٤٣م) (اسطنبول): ٤٠٨، طابو دفتري، ٤٣٠ : ٢٥٧، مالية دن مدور، رقم ٣٧٢٣ : ٧٥-٧٦.

٦٤ - مالية دن مدور، رقم ٣٧٢٣ : ٧١-٧٢.

٦٥ - طابو دفتري، ٣٨٣ : ٢٧٠، طابو دفتري، ٤٠١ : ٤٠٨.

٦٦ - حول تاريخ هذه الأسرة انظر مقالة:

Kamal S. Salibi, « Northern Lebanon Under the Dominance of Gazir (1517-1591) », *Arabica*, 14 (1967), 144-66.

٦٧ - تاريخ الأزمنة لاسطفان الدويهي : ٢٧١.

كثيرة ومياه غزيرة، وبها بركة ماء طولها ثلاثون ذراعاً وعرضها عشرة أذرع بذراع الكرباس المعروف بين الناس ... فإنها بالسكن معمورة وأرجاؤها مشرقة بالحسن والبهاء، فلذا حاكم البلدة اختار السكنى بها، وقد أخبرنا بأن هذه السراية عمارة الأمير (منصور) عساف"[٦٨] . ولقد شيد الأمير منصور جامعاً في بيروت عرف باسمه، ولقد زاره الشيخ النابلسي ووصفه لنا بقوله: "الجامع الثالث جامع الأمير (منصور بن) عساف وهو الذي عمر السراية المتقدم ذكرها، وبناؤه من العجائب وهو مبنى على أربعة عواميد وفوق ذلك قبة عظيمة يحوط بها أربع قبب وأربعة أقبوة، كل ذلك مركب فوق هذه الأربعة عواميد . وفي فناء هذا الجامع بركة ماء غزيرة، وله أيضاً بابان، وهو أصغر من الجامع الكبير بيسير، ويجتمع فيه أناس من الحفظة ما بين العشاءين يتلون القرآن ويتقيدون في طاعة الرحمن"[٦٩] .

وببروز الأمير فخر الدين المعني في أواخر سنيّ القرن السادس عشر، شهدت مدينة بيروت مرحلة جديدة من الانتعاش الاقتصادي والعمراني، ويرد أنه شيد في بيروت حماماً زاره الشيخ النابلسي وذكره بقوله: " وهذا الحمام هو المستعمل الآن الذي هو حمام فخر الدين، مبلط بالرخام الملون، يشتمل على شاذروان في داخله، يحوط بجوانبه الأربعة أربعة إيوانات كل إيوان بقبو وقوس، وفي مسلخه بركة ماء

---

٦٨ - التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية لعبد الغني النابلسي (تحقيق Heribert Busse، بيروت، ١٩٧١م) : ٣٨ .

٦٩ - المصدر نفسه: ٤٢، والجدير بالذكر أن عبد الغني يذكر أربعة جوامع منها: الجامع الكبير الذي كان في الأصل كنيسة ثم حول إلى مسجد جامع، وجامع الأمير منذر التنوخي الذي ولاه فخر الدين بيروت سنة ١٦١٦م "وفي دائر هذا الجامع رواقات بأقبية على عواميد عالية عظيمة ، وجامع الأمير منصور عساف، والجامع الرابع جامع البحر الذي كان يسمى بالجامع العُمَري، وهو أصغر الجوامع، قال: "وهذه الجوامع الأربعة كلها بمنابر تقام فيها الجمعة" (ص٤٢-٤٣)، وانظر كتاب أخبار الأعيان في جبل لبنان لطنوس الشدياق (المتوفي سنة ١٨٥٩م) تحقيق فؤاد أفرام البستاني، بيروت، ١٩٧٠م) ١ : ٢٥٣، كذلك انظر كتاب محمد طه الولي: تاريخ المساجد والجوامع الشريفة في بيروت (بيروت ١٩٧٣م) .

مثمنة ويشتمل على قبة مرتفعة على أربعة عواميد، يحوط بتلك القبة أربعة أقبوة على أسلوب جامع الأمير (منصور) عساف"[٧٠]. وعندما قام الرحالة الإنجليزي Henry Maundrell، سنة ١٦٩٧م، برحلته من حلب إلى القدس مر ببيروت ووصف حالة الخراب التي صارت إليها العمائر والمنشآت التي شيدها الأمير فخر الدين المعني، ومنها قصره الذي كان يشمل عدة أجنحة، والإسطبلات والحيشان للخيول، واليواخير للأسود. هذا بالإضافة إلى بساتين البرتقال التي استحوذت على إعجابه[٧١]. إلى جانب هذا كان الأمير قد بنى برج الكشاف ببيروت لمراقبة السفن القادمة إلى ميناء المدينة[٧٢].

ومنذ مرحلة مبكرة بعد الفتح الإسلامي، اتصفت مدينة بيروت بأنها مكان "مثاغرة" ومرابطة للعلماء وللصوفية، وأعطتها إقامة الإمام عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي[٧٣] (المتوفى سنة ١٥٧هـ/٧٧٣م) "إمام أهل الشام" فيها هيبة وجاهاً فقهياً كبيراً، ونجد في أواخر القرن التاسع ومطلع القرن العاشر الهجريين، أن عدداً من أبرز العلماء ورجال الصوفية قد عاشوا في بيروت بنية المرابطة والمجاهدة. ومن هؤلاء الشيخ الصوفي والقطب الربّاني الكبير الأستاذ أبو علي شمس الدين محمد بن علي بن عبد الرحمن، المشهور بابن عراق (المتوفى سنة ٩٣٣هـ/١٥٢٦م) الذي بنى في بيروت سنة ٩٢٣هـ/ ١٥٨٠م "داراً لعياله ورباطاً لفقرائه ثم قصده الناس لأخذ الطريق عنه"[٧٤]، والقطب علي بن ميمون الهاشمي المغربي (المتوفى سنة

---

٧٠ – يذكر النابلسي أنه كان يوجد في بيروت أربعة حمامات من بينها حمام فخر الدين، أما الثلاثة الأخرى فهي الغيشاني وحمام الأوزاعي وآخر لا يذكر اسمه، وكلها مهجورة (المصدر نفسه: ٤٣).

٧١ – Henry MAUNDRELL, *A Journey From Aleppo to Jerusalem in 1697*, (Reprint, Khayats, Beirut 1963), (51-57).

٧٢ – تاريخ سورية للمطران يوسف الدبس (المطبعة العمومية، بيروت، ١٩٠٣م) ٤/٧: ١٨٥

٧٣ – عن الإمام الأوزاعي انظر مقالة: J. SCHACHT, « al-Awza i », *E.I.*^{2}, I, 772-773.

٧٤ – من أجل ترجمة وافية له راجع الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة لنجم الدين الغزي (تحقيق جبرائيل جبور، بيروت، ١٩٤٥–١٩٥٨م) ١: ٥٩–٦٨.

٩١٧هـ/١٥١١م) الذي اجتمع مع محمد بن عراق في بيروت[٧٥]، والشيخ عبد القادر بن اللحام البيروتي[٧٦] (المتوفى سنة ٩٤٢هـ/١٥٣٥م)، والشيخ إبراهيم بن يحيى بن الدويك (المتوفى سنة ٩٦٧هـ/١٥٥٩م)، وكان قد رابط في بيروت "وصادف خروج بعض الفرنج وجاهدهم فيمن جاهدهم"[٧٧]. ويورد الشيخ عبد الغني النابلسي في رحلته أنه كان يوجد في بيروت زاويتان: زاوية ابن القصار حيث كان يجتمع الحفاظ لتدارس القرآن ما بين العشاءين، وزاوية ابن الحمرا، لعلها أقيمت في المدرسة التي أسستها أسرة آل الحمرا بعد سنة ٨١٠هـ/١٤٠٧م كما ذكر أعلاه: "يقام فيها الذكر والأوراد، وبها حفاظ تقرأ، وهي متسعة، بها إيوان به محراب كبير، وفيها بركة ماء بجانبها بئر يستخرج منه ماء غزير ويصب في تلك البركة"[٧٨].

وبعد استرجاع السلطان الناصر لدين الله صلاح الدين الأيوبي لبيروت سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م يقول صالح بن يحيى: "وكان بها جماعة من المسلمين مستوطنين مساكين بمساكنة الفرنج، فانجلت عنهم الكمدة"[٧٩]، كما أن سكان القرايا التي كانت حول بيروت كانوا من المسلمين، وبعد استرجاع الفرنجة لبيروت سنة ٥٩٣هـ/١١٩٦م، " ... أدّوا الطاعة والخراج للفرنج"[٨٠]، ويبدو لنا أنه بعد طرد الفرنجة من بيروت سنة ١٢٩١م، بقي عدد المسلمين في بيروت ضئيلاً بحيث أنهم كانوا "يجتمعون لصلاة الجمعة فلم يكملوا أربعين، فيصلّي بهم الخطيب ظهراً في بعض الأوقات وفي بعضها يكملوا بمن يحضرهم من الضواحي فيصلي بهم جمعة، ثم تكاثرت المسلمون بها، جعلها الله دار إسلام وإيمان إلى يوم الدين"[٨١] والظاهر أنه

---

٧٥ – لمزيد من التفاصيل عنه راجع المصدر نفسه ١: ٢٧١–٢٧٨.
٧٦ – لترجمته انظر المصدر نفسه ٢: ١٧٦.
٧٧ – المصدر نفسه ٣: ٩١–٩٢.
٧٨ – التحفة النابلسية لعبد الغني النابلسي: ٤١.
٧٩ – أخبار السلف لصالح بن يحيى: ١٩.
٨٠ – المصدر نفسه: ٢٢.
٨١ – المصدر نفسه: ٣٤–٣٥.

مثمنة ويشتمل على قبة مرتفعة على أربعة عواميد، يحوط بتلك القبة أربعة أقبوة على أسلوب جامع الأمير (منصور) عساف"[٧٠]. وعندما قام الرحالة الإنجليزي Henry Maundrell، سنة ١٦٩٧م، برحلته من حلب إلى القدس مر ببيروت ووصف حالة الخراب التي صارت إليها العمائر والمنشآت التي شيدها الأمير فخر الدين المعني، ومنها قصره الذي كان يشمل عدة أجنحة، والإسطبلات والحيشان للخيول، والبواخير للأسود. هذا بالإضافة إلى بساتين البرتقال التي استحوذت على إعجابه[٧١]. إلى جانب هذا كان الأمير قد بنى برج الكشاف ببيروت لمراقبة السفن القادمة إلى ميناء المدينة[٧٢].

ومنذ مرحلة مبكرة بعد الفتح الإسلامي، اتصفت مدينة بيروت بأنها مكان "مثاغرة" ومرابطة للعلماء وللصوفية، وأعطتها إقامة الإمام عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي[٧٣] (المتوفى سنة ١٥٧هـ/٧٧٣م) "إمام أهل الشام" فيها هيبة وجاهاً فقهياً كبيراً، ونجد في أواخر القرن التاسع ومطلع القرن العاشر الهجريين، أن عدداً من أبرز العلماء ورجال الصوفية قد عاشوا في بيروت بنية المرابطة والمجاهدة. ومن هؤلاء الشيخ الصوفي والقطب الربّاني الكبير الأستاذ أبو علي شمس الدين محمد بن علي بن عبد الرحمن، المشهور بابن عراق (المتوفى سنة ٩٣٣هـ/١٥٢٦م) الذي بنى في بيروت سنة ٩٢٣هـ/ ١٥٨٠م "داراً لعياله ورباطاً لفقرائه ثم قصده الناس لأخذ الطريق عنه"[٧٤]، والقطب علي بن ميمون الهاشمي المغربي (المتوفى سنة

---

٧٠ - يذكر النابلسي أنه كان يوجد في بيروت أربعة حمامات من بينها حمام فخر الدين، أما الثلاثة الأخرى فهي الغيشاني وحمام الأوزاعي وآخر لا يذكر اسمه، وكلها مهجورة (المصدر نفسه: ٤٣).

٧١ - Henry Maundrell, *A Journey From Aleppo to Jerusalem in 1697*, (Reprint, Khayats, Beirut 1963), (51-57).

٧٢ - تاريخ سورية للمطران يوسف الدبس (المطبعة العمومية، بيروت، ١٩٠٣م) ٤/٧ : ١٨٥

٧٣ - عن الإمام الأوزاعي انظر مقالة: J. Schacht, « al-Awza i », *E.I.*², I, 772-773.

٧٤ - من أجل ترجمة وافية له راجع الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة لنجم الدين الغزي (تحقيق جبرائيل جبور، بيروت، ١٩٤٥-١٩٥٨م) ١ : ٥٩-٦٨.

٩١٧هـ/١٥١١م) الذي اجتمع مع محمد بن عراق في بيروت[٧٥]، والشيخ عبد القادر بن اللحام البيروتي[٧٦] (المتوفى سنة ٩٤٢هـ/١٥٣٥م)، والشيخ إبراهيم بن يحيى بن الدويك (المتوفى سنة ٩٦٧هـ/١٥٥٩م)، وكان قد رابط في بيروت "وصادف خروج بعض الفرنج وجاهدهم فيمن جاهدهم"[٧٧]. ويورد الشيخ عبد الغني النابلسي في رحلته أنه كان يوجد في بيروت زاويتان: زاوية ابن القصار حيث كان يجتمع الحفاظ لتدارس القرآن ما بين العشاءين، وزاوية ابن الحمرا، لعلها أقيمت في المدرسة التي أسستها أسرة آل الحمرا بعد سنة ٨١٠هـ/١٤٠٧م كما ذكر أعلاه: "يقام فيها الذكر والأوراد، وبها حفاظ تقرأ، وهي متسعة، بها إيوان به محراب كبير، وفيها بركة ماء بجانبها بئر يستخرج منه ماء غزير ويصب في تلك البركة"[٧٨].

وبعد استرجاع السلطان الناصر لدين الله صلاح الدين الأيوبي لبيروت سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م يقول صالح بن يحيى: "وكان بها جماعة من المسلمين مستوطنين مساكين بمساكنة الفرنج، فانجلت عنهم الكمدة"[٧٩]، كما أن سكان القرايا التي كانت حول بيروت كانوا من المسلمين، وبعد استرجاع الفرنجة لبيروت سنة ٥٩٣هـ/١١٩٦م، "... أدّوا الطاعة والخراج للفرنج"[٨٠]، ويبدو لنا أنه بعد طرد الفرنجة من بيروت سنة ١٢٩١م، بقي عدد المسلمين في بيروت ضئيلاً بحيث أنهم كانوا "يجتمعون لصلاة الجمعة فلم يكملوا أربعين، فيصلّي بهم الخطيب ظهراً في بعض الأوقات وفي بعضها يكملوا بمن يحضرهم من الضواحي فيصلي بهم جمعة، ثم تكاثرت المسلمون بها، جعلها الله دار إسلام وإيمان إلى يوم الدين"[٨١] والظاهر أنه

٧٥ - لمزيد من التفاصيل عنه راجع المصدر نفسه ١: ٢٧١-٢٧٨.
٧٦ - لترجمته انظر المصدر نفسه ٢: ١٧٦.
٧٧ - المصدر نفسه ٣: ٩١-٩٢.
٧٨ - التحفة النابلسية لعبد الغني النابلسي: ٤١.
٧٩ - أخبار السلف لصالح بن يحيى: ١٩.
٨٠ - المصدر نفسه: ٢٢.
٨١ - المصدر نفسه: ٣٤-٣٥.

نتيجة للحملات العسكرية المملوكية[٨٢] على مناطق الجرد والمتن وكسروان لإخضاع الطوائف الإسلامية غير السنية قد أجبر عدداً من أهالي تلك المناطق على هجر أماكن سكناهم للإقامة في بيروت، خاصة بعد حملة سنة ٧٠٥هـ/ ١٣٠٥م التي شارك فيها نحو من خمسين ألف جندي، تمكنوا من إلحاق هزيمة بأهالي كسروان وأخلي "ما كان تأخر بجبال كسروان، وقتل من أعيانهم جماعة، ثم أعطوا أماناً لمن استقر في غير كسروان"[٨٣] . ويبدو أن قسماً من هؤلاء الذين يعتقد أنهم استقروا في بيروت وضواحيها قد احتفظوا بعقيدتهم الشيعية، وأخذوا بنشر مبادئهم بين الناس، مما حدا بالسلطان في ٢٥ جمادى الآخرة سنة ٧٦٤هـ/ ١٠ نيسان ١٣٦٣م أن يرسل توقيعاً لأهالي بيروت وصيدا يمنعهم من اعتناق هذا المذهب، وقد جاء في بعض فقرات هذا التوقيع ما يلي : "وقد بلغنا أن جماعة من أهل بيروت وضواحيها وصيدا ونواحيها وأعمالها المضافة إليها وجهاتها المحسوبة عليها، ومزارع كل من الجهتين وضياعها وأصقاعها وبقاعها قد انتحلوا هذا المذهب الباطل وأظهروه وعملوا به وقرروه وبثوه في العامة ونشروه واتخذوه ديناً يعتقدونه وشرعاً يعتمدونه وسلكوا منهاجه وخاضوا لجاجه ... يستحلون دم أهل السنة من المسلمين ويستبيحون نكاح المتعة ويرتكبونه ويأكلون مال مخالفيهم وينتهبونه ... وأردنا أن نجهز طائفة من عسكر الإسلام وفرقة من جند الإمام تستأصل شأفة هذه العصبة الملحدة ثم رأينا أن نقدم الإنذار ونسبق إليهم بالإعذار، فكتبنا هذا الكتاب ووجهنا هذا الخطاب ليقرأ على كافتهم ويبلغ إلى خاصتهم وعامتهم ..."[٨٤] . وهناك إشارة يعود تاريخها إلى حوالي سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م مفادها أن الشيعة في بيروت تظاهرت بالسّنة، "وكانوا في الباطن قايمين بمذهب أهل الشيعة، فجرى في بيروت بذلك حركة

---

٨٢ - حول هذه الحملات راجع المصدر نفسه : ٢٥-٢٦، والسلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي (تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٣٤م) ١ : ٧٧٩ .

٨٣ - أخبار السلف لصالح بن يحيى : ٢٨ .

٨٤ - حول هذا النص المهم؛ راجع : صبح الأعشى للقلقشندي ١٣ : ١٣-٢٠ .

ردية"[٨٥]. وعرفت بيروت أسراً سنيّة هاجرت إليها من البقاع، ومن بينها أسرة بنو الحمرا من قرية صغبين من نيابة البقاع التي نافست آل بحتر، وكان من أبرز زعمائها سيف الدين أبو بكر الحمرا المعروف بشعث، حيث أعطي إقطاعاً في بيروت، وكانت أسرته قد اشترت عمارة آل بحتر وهدمتها لتبني من حجارتها مدرسة لها، تحولت على ما يبدو إلى الزاوية التي وصفها لنا الشيخ عبد الغني النابلسي سنة ١٧٠٠م[٨٦]. وإلى هذه الأسرة ينسب حي الحمرا في بيروت الحديثة المعاصرة، ومما لا شك فيه أن عدد السنة قد ازداد نتيجة لوجود الأسر البقاعية السنية التي استقدمتها أسرة بني الحمرا للعمل في فلاحة الأرض، واستقرت تلك الأسر في بيروت[٨٧]. ويبقى انتقال آل بحتر بعد سنة ٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م علامة فارقة في تاريخ بيروت العمراني والسكاني، وكما أشرنا سابقاً فإن أعداداً كبيرة من العمال المهرة في صناعة السفن كانت تُستقدم إلى بيروت[٨٨]، وعلى الأغلب أن قسماً منها قد أقام في المدينة، وإلى جانب هذا يجب أن نتذكر أن عدداً من الموظفين المماليك كالمتولي والناظر والمشارف والشاد والقاضي والخطيب[٨٩] كانوا يقيمون في بيروت كرمز للاستقرار ولسيطرة الدولة، ونظراً لطبيعة بيروت كميناء تجاري، فإن العديد من التجار والحجّاج الأوروبيين، مسيحيين ويهود، كانوا يفدون إليها ويقيمون فيها بشكل مؤقت، وبعضهم ربما بشكل دائم "وكان للقبارسة كنس ببيروت وجماعة تجار ساكنين بها، ولهم حانات وخمامير، ثم بطل ذلك وتكاثر حضور مراكب طوايف الفرنج، وكان جميع الموجبات الواردة والصادرة تؤخذ ببيروت، وكان ارتفاعها جملة مستكثرة"[٩٠].

---

٨٥ - أخبار السلف لصالح بن يحيى: ١٩٥.

٨٦ - تاريخ الأزمنة لاسطفان الدويهي: ٢٠٨، ومنطلق تاريخ لبنان لكمال الصليبي: ١٥٢-١٥٣.

٨٧ - منطلق تاريخ لبنان لكمال الصليبي: ١٥٢-١٥٣.

٨٨ - أخبار السلف لصالح بن يحيى: ٣٠.

٨٩ - حول هؤلاء الموظفين انظر المصدر نفسه: ٣٥، ومنطلق تاريخ لبنان لكمال الصليبي: ١٤٧.

٩٠ - أخبار السلف لصالح بن يحيى: ٣٥.

ج - سكان بيروت ومحلاتها :

توفر الدفاتر وسجلات الطابو العثمانية مادة غنية للباحثين المعنيين بإحصاءات السكان وتوزيعاتهم المذهبية والعرقية، ولحسن الحظ فإنه لدينا خمسة[91] دفاتر تذكر بيروت وتعود إلى القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، ومن خلالها تبدو لنا بيروت سكانياً على النحو التالي :

ط. د ٤٣٠
ح ٩٣٠هـ/١٥٢٢م

	خانة[92]	مجرد[93]	رجل دين	مريض
المسلمون	٦١٠	٣٩	١٦	-
جماعت النصارى	٦٦	١١	-	-
جماعت اليهود	١٢	-	-	-

ط. د ٣٨٣
ح ٩٣٧هـ/١٥٣٠م

	خانة	مجرد	رجل دين	مريض
المسلمون	٨٠٩	٢٣٠	١٧	-
جماعت النصارى	٩٥	٦٦	-	-
جماعت اليهود	١٦	-	-	-

ط. د ٤٠١
ح ٩٥٠هـ/١٥٤٣م

	خانة	مجرد	رجل دين	مريض
المسلمون	٨٤٧	٢٤	٣	-
جماعت النصارى	٣٠	١١	-	-
جماعت اليهود	١٩	-	-	-

ط. د ٥٤٣
ح ٩٧٦هـ/١٥٦٤م

	خانة	مجرد	رجل دين	مريض
المسلمون	٧٧٣	١١٧	١١	-
جماعت النصارى	١٤٠	٦٦	-	-
جماعت اليهود	٩	-	-	-

---

٩١ - طابو دفتري، ٤٣٠ : ٢٤٨-٢٥٠ ، و٢٥٣-٢٥٥ ، وطابو دفتري ٣٨٣ : ٢٥٣-٢٧٦ ، وطابو دفتري ٤٠١ : ٤٠٣-٤٠٧ ، و٤١٠-٤١١ ، وطابو دفتري ٥٤٣ : ٢١٨-٢٣٤ ، وطابو دفتري ١٧٧ : ٩١-١٠٢ .

٩٢ - الخانة يقصد بها الأسرة المؤلفة من الأب والأم ومن يعولان، ويقدر المختصون عددهم ما بين (٥-٧) أنفار.

٩٣ - المجرد : الأعزب الذي لا يعيش مع أسرته، وربما عنى به أيضاً الغرباء .

ط. د ٤٠١
ح ٩٥٠هـ/١٥٤٣م

	خانة	مجرد	رجل دين	مريض
المسلمون	٨٦٥	٢١٣	٥	-
جماعت النصارى	١١٠	١٤٠	-	-
جماعت اليهود	١٩	-	-	-

من هذه الكشوفات يتضح لنا أن الغالبية العظمى من سكّان بيروت كانت مسلمة، وأن عددهم كان في ازدياد باستثناء إحصاء طابو دفتري رقم (٥٤٣). ونلاحظ ظاهرة أشار إليها الدارسون وهي الزيادة في عدد السكان ثم التناقص، ولم يجد الذين عنوا بهذه الجوانب إجابة شافية لتفسيرها، ويظنون بأن ذلك عائد إلى إهمال الموظفين في إحصاء الناس بشكل دقيق، أو ربما كان ذلك عائداً إلى أمراض أو إلى هجرة. كما يلمس زيادة عدد المجردين، وعلى الأرجح أن مرد ذلك أن بيروت كانت فرضة دمشق الشام وكانت تستقطب العديد من العمال للعمل في الميناء.

والجدير بالإشارة هو أن عدد المسيحيين في بيروت الذين يشار إليهم عادة باسم (جماعت نصارى) كان ضئيلاً، وكانوا يدفعون الجزية، وعلى الأغلب كمبلغ مقطوع، والمعلومات التاريخية المتوفرة لدينا لا تسعفنا كثيراً في رسم شكل العلاقة التي قامت بين المسلمين والمسيحيين في بيروت، خاصة بعد خروج الفرنجة الصليبيين، اللهم إلا ما جاء عند صالح بن يحيى من أن المسلمين استولوا على كنيسة مار يوحنا في بيروت وحولوها إلى مسجد[٩٤]، وكذلك جاء في أخبار سنة ١٥٧٠م القول " وفي هذه السنة أهالي بيروت وضعوا يدهم على

٩٤ - أخبار السلف لصالح بن يحيى: ٣٤.

كنيسة الموارنة فهجروها وجعلوها قيسارية ولم يتبق للطايفة إلا كنيسة مار جرجس الذي خارج المدينة، فاجتمع الشيخ أبو منصور يوسف بن حبيش[٩٥] مع مشايخ بيت الدهان واتفقوا على أن طائفة الروم وطائفة الموارنة يشتركوا [كذا] في كنيسة ماري التي للموارنة خارج بيروت وفي كنيسة السيدة التي للملكية بداخل المدينة"[٩٦] والجدير بالذكر أن كنيسة مار جرجس التي كثيراً ما يذكرها ويصفها الرحالة الذين زاروا المدينة[٩٧] قد استولى عليها المسلمون سنة ١٦٦١م إذ "... أذّنوا فيها وجعلوها جامع [كذا] وأخذوا وقوفاتها[٩٨]" هذا مع العلم أنه كان يوجد في بيروت أسقفية للموارنة وأن الأسقف يوسف البلوزاني قد سيم في سنة ١٦٢٦م أسقفاً عليها[٩٩].

إن دفترين من خمسة دفاتر للطابو العائدة لبيروت، تذكر المدينة على أنها مؤلفة من محلتين: المحلة الفوقانية والمحلة التحتانية، وأن تعداد سكانهما كان على النحو التالي :

---

٩٥ - حول دور أسرة آل حبيش في تعاونها مع أسرة آل عساف التركمانية في كسروان، انظر تاريخ الأزمنة لاسطفان الدويهي : ٢٣٦، وأخبار الأعيان في جبل لبنان لطنوس الشدياق ١ : ٧٦-٨٢، وانظر كذلك دراسة:

Muhammad Adnan Bakhit, « The Christian Population of the Province of Damascus in the 16th Century », in *Christian and Jews in the Ottoman Empire*, vol. II, Edited by B. Braude & B. Lewis, Holmes & Meier Publishers, N.Y. London, 1982, vol. II, p. 19-66.

٩٦ - تاريخ الأزمنة لاسطفان الدويهي : (٢٧).

٩٧ - من هؤلاء الرحالة Leonard Frescobaldi الإيطالي الذي زار بيروت سنة ١٣٨٤م، ووصفها لنا، انظر:

Visit to the Holy Places of Egypt, Sinai, Palestine, and Syria in 1384, by Guccial Sigol, Frescobaldi, transl. Fr. Theophilus Bellorini and Eugene Hoade (Jerusalem 1948), p. 88-89.

٩٨ - تاريخ الأزمنة لاسطفان الدويهي : ٣٥٩.

٩٩ - المصدر نفسه : ٣٢٣.

	طابو دفتري ٥٤٣ (ح ٩٧٠هـ/١٥٦٨م)					طابو دفتري ١٧٧ (ح ١٠٠٥هـ/١٥٩٥م)			
	خانة	مجرد	مؤذن	خطيب		خانة	مجرد	مؤذن	خطيب
المحلة الفوقانية	٤٧٤	٧٢	٤	٢	المحلة الفوقانية	٤١١	٩٠	٢	٢
المحلة التحتانية	٣٩٩	٤٥	٤	١	المحلة التحتانية	٢٤٥	٨٠	–	–
جماعت نصارى بيروت	١٤٠	–	–	–	جماعت نصارى بيروت	١١٠	٤٠	–	–
جماعت يهوديان	٩	–	–	–	جماعت يهوديان	٩	١	–	–

من خلال استقراء هذين الجدولين يتبين لنا أن عدد سكان بيروت المسلمين في أواخر القرن السادس عشر قد بدأ بالتناقص على مستوى "الخانات" وازداد على مستوى "المجردين"، أما فيما يتعلق بعدد المسيحيين، فإن الزيادة التي أصابتهم كانت طفيفة، بينما حافظ اليهود على عددهم ثابتاً، ونجد أن الدفترين: ٣٨٣ (ح ٩٣٧هـ/١٥٣٠م) ودفتر ٤٠١ (ح ٩٥٠هـ/١٥٤٣م)، يذكران محلات بيروت بتفصيل أوسع كما هو مبين أدناه:

	طابو دفتري ٣٨٣ (ح ٩٣٧هـ/١٥٣٠م)				طابو دفتري ٤٠١ (ح ٩٥٠هـ/١٥٤٣م)			
اسم المحلة	خانة	مجرد	إمام	مؤذن	خانة	مجرد	إمام	سيد
١ - محلة ابن سور الهوا (؟)	٤٩	١٠	١	–	٤٣	–	–	٢
٢ - محلة ابن عجافة (؟)	٧٩	٢٠	١	١	٦٢	٢	–	–
٣ - محلة حاجي زين الدين	٤٤	١٨	١	–	٢٨	–	–	–
٤ - محلة باب المدينة (خليل القزاز)	٢٤	١١	١	–	٥٧	٥	–	–
٥ - محلة سيدي أحمد شعرون (؟)	١٨	٥	١	١	١٧	٥	١	١
٦ - محلة حاجي أحمد بن وليد	٣٨	١٣	١	–	٣٤	–	–	٥ شريف
٧ - محلة حميدي	٢٧	٩	١	–	٣٣	–	–	–

٨ - محلة حاجي أبو بكر جمال	١١	١٣	١	–	١٩	–	–	–
٩ - محلة ابن عبد الرزاق	٤٤	١٣	١	–	٣٥	الأسماء المدونة (٣٩)		
١٠ - محلة الفوال	٢٥	٧	١	–	١٨	–	–	–
١١ - محلة عبد القادر عيتاني	٤٤	٨	١	–	٤١	–	–	–
١٢ - محلة صيداوي	٤١	١٥	١	–	٤٥	٢	١	–
١٣ - محلة أبو حمد	٣٥	٢٠	٢	–	٣٨	١	–	٢ سيد
١٤ - محلة ابن آقسماوي	٦٢	١٢	١	–	٥٠	٤	–	–
١٥ - محلة ابن النايب (؟)	٤٣	٨	١	–	غير مذكورة			
١٦ - محلة ابن روعة (؟) الخربة	٣٩	–	–	–	٣٢	–	١	–
١٧ - زقاق سليمان المصري	غير مذكورة				٣٦	–	–	–
١٨ - زقاق عبد القادر خطيب	غير مذكورة				٢١	–	–	–
١٩ - زقاق عبد الرزاق	غير مذكورة				٦٥	٢	–	–

إن استقراء أسماء المحلات المذكورة سابقاً يبين أن قسماً منها قد شهر باسم بعض الأشخاص من الذين سكنوا في ذلك الحي . كذلك نلاحظ أحياء عرفت بمهنة أحد القاطنين هناك، كالفوال أو ابن آقسماوي أي بائع الأشربة والمرطبات، كما يظهر لنا أن محلة باب المدينة قد زاد عدد سكانها، وعلى الأرجح أن مرد ذلك كان عائداً إلى اعتماد الأهالي على التجارة، وهذا ما كان يجعلهم يتجمعون في باب المدينة، مركز النشاط التجاري، وذكر أسماء محلات جديدة في الدفتر الأحدث زمنياً يدل على الأغلب على نمو المدينة من حيث بروز أحياء جديدة .

من جانب آخر نلاحظ ذكر أعداد ضئيلة من السادة والأشراف في المدينة، وأن المعلومات المتوفرة عنهم وعن نشاطهم في الحياة العامة تكاد تكون معدومة .

إن مدينة بيروت بالإضافة إلى قرية البرج - على الأغلب برج البراجنة - كانت تشكل ناحية تعرف باسم ناحية بيروت، وإن إحصاءات الدفاتر المتوفرة عن قرية البرج تعطينا الصورة التالية:

	طابو دفتري ٤٣٠			طابو دفتري ٣٨٣		طابو دفتري ٤٠١			طابو دفتري ٥٤٣			طابو دفتري ١٧٧	
	خانة	مجرد	إمام	خانة	مجرد	خانة	مجرد	سيد	خانة	مجرد	إمام	خانة	مجرد
مسلمون	١٤٨	٦٣	٢	١٨٠	٤٩	١٦٩	١٠	١	٢٤٢	١	١	٢٠٩	٤٣
نصارى	١١	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–

من هذه الإحصاءات نلاحظ الزيادة في عدد سكان القرية، ولكن الذي يبدو بشكل جلي هو النسبة العالية من أعداد المجردين الذين كانوا يعيشون في تلك القرية، فلربما كان هؤلاء من الوافدين عليها، ولعله من المفيد هنا أن نشير إلى أن أسماء عدد من المزارع وقطع الأراضي ترد في الدفاتر وأعدادها تتراوح من دفتر لآخر كما يلي:

طابو دفتري ٣٨٣		طابو دفتري ٤٠١		طابو دفتري ٥٤٣		طابو دفتري ١٧٧	
مزارع	قطع أراضي	مزارع	قطع أراضي	مزارع	قطع أراضي	مزارع	قطع أراضي
٢٠	١٢	٢٣	٢	٢٨	٧	٣٠	٦

ومن أسماء المزارع التي ما زالت معروفة في بيروت: القنطاري وجديدة وأنطلياس وأشرفية ومرداسية وغابة الجامع.

لقد قسم المماليك بلاد الشام إلى عدد من النيابات (وكان يطلق عليها أحياناً اسم مملكة)، من أبرزها وأهمها نيابة دمشق الشام، وشملت هذه النيابة، بالإضافة إلى ولايتها الصفقات التالية:

١ - الساحلية والجبلية
٢ - القبلية
٣ - الشرقية
٤ - الشمالية حيث كانت مؤلفة من خمسة أعمال شكلت بيروت الرابع منها[١٠٠] وكانت "معاملة" بيروت في ذاك العهد تناط بوال من رتبة "طبلخانة"[١٠١]، ومن خلال استقراء المصادر التاريخية يتبين لنا أمران :

أ - إن إدارة المدينة وجباية ضرائبها والحفاظ على أمنها كانت من مسؤولية موظفين مماليك يعينون فيها، إلا أننا في بعض الحالات نجد بعض العناصر المحلية تعين لشغل تلك الوظائف، ومن هذه الوظائف :

١ - المتولي : الذي كان يولَّى من قبل النائب بدمشق الشام وله "جامكية[١٠٢]" ومن الأسماء التي يرد لها ذكر وشغلت هذا المنصب حوالي سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٩٠م شخص باسم مقبل الشمسي[١٠٣] وآخر باسم دولت يار السنجاري[١٠٤]. وكان الأمير عز الدين صدقة (المتوفى سنة ١٤٤٤م)[١٠٥]

---

١٠٠ -حول هذه التقسيمات راجع صبح الأعشى لأحمد بن علي القلقشندي ٤ : ٩١-١١٦

١٠١ -المصدر نفسه ٤ : ٢٠٢.

١٠٢ -جامكية : مصطلح فارسي مركب من "جامة" أي قيمة، وكي وهي أداة النسبة، وتعني الراتب والجراية، انظر صبح الأعشى للقلقشندي ٥ : ١٤٠ و١١ : ٤٢، و١٣ : ١٠٠، وانظر كتاب معجم الألفاظ الفارسية المعربة للسيد أدي شير (المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٠٨م) : ٤٥.

١٠٣- يذكره صالح بن يحيى إلا أنني لم أعثر له على ترجمة، انظر أخبار السلف لصالح بن يحيى : ٣٦.

١٠٤ -المصدر نفسه : ٢١٢.

١٠٥ -المصدر نفسه : ٢٤٨، وتاريخ الأزمنة لاسطفان الدويهي : ٢٠٨، ومنطلق تاريخ لبنان لكمال الصليبي : ١٣٩ و ١٤٨.

والأمير عساف بن الحنش (المتوفى سنة ٩٠١هـ/١٤٩٦م)، وهو من العناصر السنية المحلية من منطقة البقاع، قد تولى هذا المنصب في كل من بيروت وصيدا في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي[١٠٦] ويذكر صالح بن يحيى من ضمن أصحاب الوظائف "العامل" وعلى الأغلب أنه يقصد به المتولي.

٢ - الناظر: لا يحدد صالح بن يحيى مهماته، ولكن يبدو أنه كان مسؤولاً عن مراقبة البحر إذ يذكر أن من الذين كانوا يتقاضون رواتب "مناظرية للبحر ورهجية"[١٠٧]. ويبدو أن خلافاً قد وقع ما بين ناصر الدين الحسين والناظر في أيامه فهجاه ناصر الدين الحسين بقوله[١٠٨] (البحر البسيط):

فأنت أخربت [بيروتاً] وساحلها   واعتديت على أهل السهل والجبل
فاذكر خراب قرايا الخاص فهي لكم   كفاية مع ذهاب القند والعسل
فالأشرفية قد أخلت لجوركم   كذا المزارع والأقصاب والحلل
كذلك رجالة الخدمة تركتهم   وليس يوجد فيها منهم رجل

١٠٦ - مفاكهة الخلان لشمس الدين محمد بن طولون ١: ١٦٧-١٦٨، ومنطلق تاريخ لبنان لكمال الصليبي: ١٥٣، يذكر ابن طولون ما يلي عنه: " وفي ليلة الأربعاء خامس عشرة (ذي الحجة) أصبح الأمير عساف نائب بيروت وصيدا وتلك المعاملة مقطوع الرأس مرمياً على مصطبة بمحلة العنابة، وكان النائب على ما قيل حاملاً منه في الباطن واستأذن منه مراراً في الرجوع إلى بلده فلم يأذن له، وتأسف الناس عليه لحرمته على المناحيس في بلاده".

١٠٧ - قرأها محققو أخبار السلف "رهجية" بينما قرأها الأب فردنان توتل اليسوعي "رهمجية"، وهي أقرب إلى الصواب، إذ يبدو لي أنها محرفة عن كلمة راه = ره الفارسية وتعني الطريق، وجية- المقطع التركي الذي يفيد صاحب المهنة أو من يقوم بهذا العمل، ويذكر شهاب الدين أحمد بن ماجد (المتوفى سنة ٩٠٦؟/١٥٠٠؟) في كتابه: كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، لفظة "رهمانج" بمعنى كتاب الطريق، ولكنه لا يذكر رهمجية، انظر المصدر المذكور أعلاه (تحقيق إبراهيم خوري وعزة حسن، دمشق، (١٩٧١م): ٢٥٢، وكذلك أخبار السلف لصالح بن يحيى: ٣٥، وتاريخ الأزمنة لاسطفان الدويهي: ١٥٣.

١٠٨ - أخبار السلف لصالح بن يحيى: ١١٦. والشطر الثاني من البيت الأول مختل الوزن، وكذا الشطر الأول من البيت الرابع، وفي الأبيات إقواء.

٣ - وظيفة الشاد : ولكن صالح بن يحيى لا يورد لنا أية معلومات تذكر عن مهام صاحب هذه الوظيفة[١٠٩] .

٤ - ومن أصحاب الوظائف الدينية في بيروت الذين كانوا يتقاضون "جوامك" (رواتب)، القاضي وخطيب الجامع ومحتسب المدينة[١١٠] . ومن أسماء الذين تولوا حسبة بيروت، عز الدين عبد العزيز العسقلاني[١١١]، الذي قتل في الحركة المنطاشية[١١٢] في سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م، ضد السلطان الظاهر برقوق . ومن الجدير بالذكر أن المحتسب كان يفرض ضرائب معينة على أصحاب المخابز . فنجد مثلاً في نقش على الجامع الكبير يعود تاريخه إلى سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م (أو ٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م) ونشره جان سوفاجيه النص التالي : "بتاريخ سنة ستة (ستين؟) وثمانماية رسم الجناب الجمالي أميركو نائب السلطنة الشريفة ببيروت المحروسة أعز الله تعالى أنصاره بإبطال ما كان استحدث على الخبازين ببيروت الشريفة وهو في كل شهر على كل فرن خمسة دراهم، وكان الخبازون طلبوا ذلك وإن لا يؤخذ ... ولا ... ولا يجدو مظلمة، وملعون بن ملعون من يعودها (يعيدها) أو يجدد ... أو يأخذ منهم شيئاً ولا يأخذ المحتسب إلا جامكية لا غير، ومن يأخذ شيئاً غير جامكية تكون عليه لعنة الله واجبة إلا (إلى) يوم الدين"[١١٣] .

---

١٠٩ - المصدر نفسه : ٣٥ .

١١٠ - المصدر نفسه : ٣٥ .

١١١ - لم أعثر له على ترجمة، انظر المصدر نفسه : ٢١٥-٢١٦ .

١١٢ - حول حركة العصيان التي قادها يلبغا الناصري وتمر بغا الأشرف المعروف بمنطاش ضد السلطان الظاهر برقوق أول سلاطين المماليك البرجية، راجع الإمارة الطائية لمصطفى الحياري (عمّان، ١٩٧٧م) : ١١٣-١١٨ .

١١٣ - J. Sauvaget, « Décrets mamelouks de Syrie », *Bulletin d'Etudes Orientales*, 12 (1947-1948), 32-5.

ب - الوظائف العسكرية: عني المماليك بعد تصفيتهم للوجود الإفرنجي الصليبي من سواحل بلاد الشام بتوفير الأمن والحماية لتلك السواحل، فأوكلوا أمر حراسة بيروت وسواحلها إلى ثلاث فئات:

١ - يفهم من نص مقتضب يرد لدى صالح بن يحيى وينقله عنه اسطفان الدويهي أنه كان يوجد في بيروت أربعون قراً (أسود) غلام بخيول، وكانوا يأخذون "جوامك"، وعشرون من المشاة، "وطبلخانات كؤسات" لا يحدد عددهم، "وأنفرة وزمر" لا يذكر عددهم أيضاً، وهؤلاء كانوا يشاركون في مهمة حماية المدينة[١١٤].

٢ - إن كرامة بن بحتر جد الأسرة البحترية قد هاجر إلى نور الدين زنكي، "فأقطعه الغرب وما معه بإمرته فسمي أمير الغرب"[١١٥] لمراقبة تحركات الفرنجة، ولقد زيد في مسؤوليات هذه الأسرة بأن أضيف إليها أمر حراسة بيروت ودركها بعد استرجاعها من أيدي الفرنجة: "وأما [أمراء] الغرب استقر دركهم على بيروت سنة ثلاثة وتسعين وستماية وهي ثالث سنة الفتوح... وفي أيام ناصر الدين الحسين استقروا [أمراء] الغرب تسعين فارس وانقسموا ثلاثة أبدال كل شهر بدل ثلثون فارس تقيم ببيروت، وفي انقضاء الشهر يحضر بدلهم"[١١٦]. وكما هو معروف فإن ناصر الدين الحسين بعد غارة الجنويين سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٣م تحول للسكنى في بيروت. والظاهر أن أمراء البيت البحتري أبدوا كفاية كبيرة في أداء مهمتهم، بحيث أن ولاية بيروت في عهد السلطان المملوكي الأشرف برسباي قد أوكلت إلى الأمير عز الدين صدقة (المتوفى سنة ١٤٤٤م) أمام منافسة أسرة آل الحمرا السنية من البقاع لهم، ولقد قام أمير حاج،أحد أبناء بني الحمرا،

---

١١٤ - أخبار السلف لصالح بن يحيى: ٣٥.

١١٥ - الوافي بالوفيات لخليل بن أيبك الصفدي ١٢: ٣٦٢، ويورد صالح بن يحيى معلومات مفصلة عن ذلك في كتابه: أخبار السلف.

١١٦ - أخبار السلف لصالح بن يحيى: ٣٧.

في سنة ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م بالنزول إلى بيروت عند الصبح على غفلة وكبسه على الأمير عز الدين صدقة بن أمير الغرب متولي بيروت وقتل من جماعته استاداره... (بياض) ففر ونجا المذكور بنفسه بعدما احتاطت الأعدا به ولم يقدرهم الله عليه"[١١٧] . ولقد كانت نهاية أمير حاج هذا على يد أحد أمراء بني الحنش، من البقاع. وهو علاء الدين علي الثاني. وقام أمير آخر من بني الحنش هو ناصر الدين محمد سنة ١٥٠٥م بمهاجمة جمال الدين حجي الثالث (المتوفى سنة ١٥١٩م) من آل بحتر، فنهب ما في مخازنه من الصابون المعد على الأغلب للتصدير، فأصاب جمال الدين من ذلك أذى كبير[١١٨] .

٣ - فيما يتعلق بالمنطقة الواقعة إلى شمالي بيروت من حدود نهر الكلب إلى مغارة الأسد على حدود معاملة طرابلس أوكل أمر دركها إلى عشائر تركمانية، استقدمت إلى كسروان حوالي سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م، "وكانوا يمنعوا من يستنكروه من التعدي في دربند نهر الكلب إلا بورقة طريق من المتولي أو من أمرا الغرب كما يفعلوا بقطيا...، وجعلوا التركمان المذكورين ثلاثة أبدال كل بدلٍ يقيم في الدرك شهر موجب استقرارهم بكسروان، إنه لما فتح كسروان (سنة ١٣٠٥ ميلادية) كما ذكرنا أقطعوه لأناس يكفوه فنزلوا به التركمان لكثرتهم ولحفظ المين[١١٩] والدروب"[١٢٠] وكانت أسرة أبي علي الأعمى من أبرز زعامات هؤلاء التركمان، وإن تلك الأسرة نافست

---

١١٧ - المصدر نفسه: ٢٤٨ .

١١٨ - منطلق تاريخ لبنان لكمال الصليبي: ١٥٣ .

١١٩ - المين: لم أعثر لها على معنى إلا إذا كان يقصد الميناء، حيث أن لسان العرب يورد الميناء تحت مادة مين، أو ربما تكون المتن وقرأها المحققون المين، ويرى كمال الصليبي أنها جمع ميناء في اللهجة المحلية في لبنان.

١٢٠ - أخبار السلف لصالح بن يحيى: ٣٧، وتاريخ الأزمنة لاسطفان الدويهي: ١٦٣- ١٦٤ .

البحتريين حتى إنها كادت، ولو لفترة وجيزة سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٦م، أن تحل محلهم في القيام بمهام درك بيروت[١٢١]. وفي أواخر العهد المملوكي ومطلع العهد العثماني نجحت أسرة آل عساف، التي اتخذت من بلدة غزير مقراً لها، في تزعم التركمان من جهة، ومن جهة ثانية أن تكون الموكولة بأمور بيروت[١٢٢]، وكان ذلك على الأرجح بعد وفاة الأمير البحتري جمال الدين حجي الثالث (المتوفى سنة ١٥١٩م). وقد استمر نفوذها على المدينة طيلة القرن السادس عشر، إلى أن برز الأمير الدرزي فخر الدين المعني الكبير ليضم بيروت إلى دائرة سيطرته، أما فيما يتعلق بالساحل، من بيروت إلى نهر الدامور، فلقد أوكل المماليك أمر دركه إلى أسرتي بني العدس وبني السويزاني، وكانتا قد تعرضتا لهجوم من قبل الفرنجة سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م، وأثناء تلك الغارة قتل عدد من آل بحتر الذين كانوا هناك بهدف فلاحة أرض لهم، كما قتل الفرنجة عدداً من أفراد الأسرتين المذكورتين، وأسر الفرنجة أناساً آخرين، وقد وقع أحدهم بالأسر وهو شمس الدين عبد الله ولد جمال الدين حجي البحتري، وقد أطلق سراحه بعد أن افتدي بثلاثة آلاف دينار صورية، أسهم فيها ناصر الدين الحسين "بجانب كبير من ماله"[١٢٣].

---

١٢١ - أخبار السلف لصالح بن يحيى: ١٧٩.

١٢٢ - المعلومات خلال المرحلة الانتقالية من السلطنة المملوكية إلى السلطنة العثمانية ضئيلة، ولكن يستشف من أخبار سنة ٩٢٤هـ/١٥١٨م التي يوردها اسطفان الدويهي نقلاً عن أحمد بن سباط العاليهي أن بيروت كانت ضمن نفوذ أولاد الأمير عساف التركماني، وهم حسن وحسين وشقيقهما من والدهما قتيبة، الذي قتل أخويه في بيروت، انظر تاريخ الأزمنة: ٢٣٨.

١٢٣ - أخبار السلف لصالح بن يحيى: ٩٥.

٤ - لم يكتف المماليك بكل هذه الإجراءات، بل إننا نجدهم يكلفون "أجناد الحلقة"[١٢٤] في بعلبك أن تتجرد إلى بيروت على شكل "أبدال" لمدة شهر. وكانوا على الأرجح يقيمون في البرج الصغير الذي أصبح فيما بعد يعرف باسم برج البعلبكية. ويجب أن لا تفوتنا هنا الإشارة إلى أن نظاماً من المناور كان يربط بيروت بمدينة دمشق. فإذا ما تعرضت بيروت لغارة في الليل كانت تشعل نار في ظاهر المدينة تجاوبها نار في رأس بيروت العتيقة (دير القلعة قرب بيت مري) ومنه إلى جبل بوارش إلى قرية يبوس ومنها إلى جبل الصالحية شمالي دمشق ومنه إلى القلعة في دمشق. وكثيراً ما نجد أن النصرة كانت تأتي من دمشق إلى بيروت، ولكن غالباً ما كانت تصل متأخرة، أما إذا كانت الغارة أثناء النهار، فكان يتم استخدام الحمام الزاجل ، الذي يسميه صالح بن يحيى "حمام بطاقة" ، زيادة على ذلك، كانت هنالك خيول ومحطات بريد ما بين بيروت ودمشق، فكانت هناك محطة خان الحصين[١٢٥] . (ما بين عالية وبحمدون) ومنه إلى قرية زبدل (من قرى البقاع) ومها إلى خان ميسلون ومنه إلى دمشق ١٢٦) .

لقد أعاد العثمانيون تقسيم بلاد الشام في القرن السادس عشر وذلك بأن دمجوا نياباتها المملوكية في ثلاث ولايات هي : دمشق الشام وطرابلس وحلب، وقسمت كل ولاية بدورها إلى عدد من السناجق (الألوية)، وكل سنجق إلى عدد من الأقضية، حيث كان كل قضاء مؤلفاً من عدد من النواحي، فكانت مدينة

---

١٢٤ - عن هذه التشكيلات العسكرية من أبناء البلاد ومن أبناء المماليك، راجع مقالة :
D. AYALON, « Halka » *E.I.*², III, 99.

١٢٥ - خان الحصين : عمره الأمير زين الدين صالح سنة ١٣٧٣م ووقفت عليه مزرعة جرن الدب التي تغلب عليها بنو الحمرا، يرد ذكره في معرض أحداث السنوات ١٧٨٤م و١٧٩٢م و١٨٠٣م، وفي سنة ١٨١٢م "أمر الأمير بإبطال الخفارة من جميع طرق بلاده فبطلت، وكانت عادة قديمة مرسومة على خان الحصين وخان المديرج في طريق دمشق وعلى خان الناعمة وميناء جونيه وجبيل في الطريق البحرية"، أخبار الأعيان لطنوس الشدياق ١ : ٢٢٧ و٢ : ٣٤٤ و٣٨٠ و٣٩٩ .

بيروت، بالإضافة إلى كونها قاعدة ناحية تعرف باسمها، مركز قضاء تابع لسنجق دمشق الشام، فكان قضاؤها يشمل بالإضافة إلى ناحيتها، نواحي الجرد[١٢٦] والمتن[١٢٧] والغرب[١٢٨] . وإن دفاتر الطابو تعكس لنا صورة مفادها أن هذه النواحي كانت تشمل عدداً كبيراً من القرى، وأنها كانت بالمقارنة مع غيرها من النواحي في بلاد الشام كثيفة السكان، ونلاحظ من خلال دفاتر المهمة أن بيروت يشار إليها أحياناً "سنجق بيروت"[١٢٩] مما يدل على أهميتها، ونجد في دفاتر المهمة بعض الأوامر السلطانية المتعلقة ببيروت، ونلاحظ أن معظمها يتعلق إما بتحركات الدروز، أو في التحقيق بمخالفات أو تجاوزات على الشريعة أو القانون، فيذكر أمر سلطاني في ٢٨ ربيع الآخر سنة ٩٧٣هـ/ ٢٢ تشرين الثاني ١٥٦٥م أن أهالي قرية عين دارا الدروز، من ناحية الجرد بقضاء بيروت، قد عصوا وأن السلطان يأمر بإخضاعهم. وبعد ذلك بسنتين يجيء في حكم سلطاني أن الطائفة الدرزية في سنجق بيروت تحمل البنادق، فيقول الحكم المؤرخ في ٢٢ ربيع الآخر سنة ٩٧٥هـ/ ٢٦ تشرين الأول ١٥٦٧م :

---

١٢٦ – كانت ناحية الجرد تشمل القرى التالية : مجدل معوش، بحمدون، مسامي (؟)، خربة لوزه، بدعان، خربة حامد، أخمية، بطلون، عين تراز، رعمه (؟)، رشمية، ملعا (؟)، شارون، بتأثر، سبعل، عزونية، عين دارا، مشرفة، مجدل بعنا، القصيبة، قرنايل، ترشيش، سريدس (؟)، خريبة، ساي (؟)، اسوسة (؟)، سمهرة (؟)، الدوير، صيلمة، انظر طابو دفتري، ٤٣٠ : ٢٧٠–٢٧٦، وطابو دفتري، ٣٨٣ : ٢٧٧–٢٩٩، وطابو دفتري، ٤٠١ : ٤٢٦–٤٣٥ .

١٢٧ – حول ناحية المتن وقراها انظر :

M.A. Bakhit, *The Ottoman Province of Damascus*, p. 70-71.

١٢٨ – أما ناحية الغرب فشملت القرى والضياع التالية أسماؤها : كفرا، عيناب، بسوس، عيتات، ناعمة، نيبيه، كيفون، قماطية، بمكين، بشعقاب، عين كسور، اعبية، بيصور، عين دراقيل، بشامون، دفون، كفريريا (؟)، شملان، عالية، شطرا، مجدلية، عين عنوب، صحة (؟)، اوسوس، دوير اليمون، نمرولا، معورية (؟)، عين صبحية، فيسقين، عرامون، دير قوبل، رامطون، شويفات، معيسون، تيمزين، طردت، البويضة، انظر طابو دفتري، ٤٣٠ : ٢٧٧–٣٠٠، وطابو دفتري، ٣٨٣ : ٣٠٠–٣٣٧، وطابو دفتري ٤٠١ : ٤٣٦– ٤٥٣ .

١٢٩ – انظر مهمة دفتري رقم ١٤، حكم تاريخ ١٧ ربيع الأول سنة ٩٧٨هـ/ ١٩ آب ١٥٧٠م، ومهمة دفتري ١٦، حكم تاريخ ٢١ جمادى الآخرة ٩٧٩هـ/ ١٠ تشرين الثاني ١٥٧١م.

"حكم إلى أمير أمراء الشام وإلى قضاة صيدا وبيروت: بناء على رغبة البعض الذين جاؤوا إلى سدتنا السعيدة ، وأعلمنا أن هناك في سنجق بيروت الطائفة الدرزية ومقدميها ورعاياها يحملون البنادق، يرغبون منا إصدار أمر بأخذ هذه البنادق، إنني آمر عند وصول حكمي الشريف هذا أن تجمع جميع البنادق الموجودة في أيدي هذه الطائفة أو في أيدي غيرها وأن تتعاونوا معاً وأن تسلم البنادق إلى قلعة دمشق".

وعندما يخالف أحد الموظفين ويظلم نجد السلطان في ١٦ محرم ٩٧٦هـ ١ تموز ١٥٦٨م يوجه هذا الأمر إلى مراد باشا والي الشام والي قاضي الشام وقضاة بيروت وصيدا فيقول: لظهور ظلم محمد بك المتصرف بالخواص الهمايونية وفي الأسكلة وفي مقاطعة فائدة الملح تؤخذ المقاطعة الأخيرة منه ويفتش على حسابه ويسترد كل ذي حق حقه[١٣٠].

وحكم آخر يرد في سنة ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م إلى أمير أمراء الشام رداً على أخبار أرسلها قاضي بيروت "بأن شخصاً يدعى سيف ومعه تسعة عشر شخصاً قد هاجموا إحدى القرى وقتلوا من أهلها تسعة أشخاص وأن في ذمة هذا الشخص أيضاً أموال أميرية" : فإذا ثبتت الجرائم هذه يحصل منه المال الميري وتحصل حقوق الأهالي ويعامل بموجب الشرع[١٣١].

الرسوم المحصلة في بيروت:

من أجل استكمال صورة بيروت في مطلع العهد العثماني، نرى إدراج أسماء وأنواع الرسوم التي كانت تحصل في بيروت ومقدارها، ونوردها هنا مترجمة من اللغة العثمانية إلى العربية، محاولين أن تكون أقرب ما تكون إلى مسمياتها المستخدمة في زمنها، وذلك كما هو مبين في الجدول التالي:

---

١٣٠ – مهمة دفتري، مجلد (٧)، رقم الحكم ٦١٦، ١٦ محرم سنة ٩٧٦هـ/ ١٥٦٨/٧/١١م.

١٣١ – مهمة دفتري، مجلد (١٢)، رقم الحكم ربيع الثاني سنة ٩٧٩هـ/آب-أيلول ١٥٧١م.
حول مزيد من الأوامر السلطانية المتعلقة بالدروز انظر عبد الرحيم أبو حسين، لبنان والإمارة الدرزية في العهد العثماني وثائق دفتر المهمه ١٥٤٦-١٦١١، دار النهار، بيروت، ٢٠٠٥م.

رقم المقاطعة		ط.د ١٦٩ ص ٢٥-٢٦	ط.د ٤٣٠ ص ٢٥١-٥٢	ط.د ٣٨٣ ص ٢٦٩-٧٠	ط.د ٤٠١ ص ٤٠٨	ط.د ٤٢٣ ص ٥١-٥٢	ط.د ٥٤٣ ص ٢٣٤-٣٦	ط.د ١٧٧ ص ٩٨-٩٩
I	محصول كمرك أسكلة (ميناء) نفس بيروت بموجب القانون البادشاهي (السلطاني)	٢٥٠٠٠٠	٢٥٠٠٠٠	١٣٠٠٠٠	٢٨٣٣٣٣	١٣٠٠٠	١٤٠٠٠٠	١٧٠٠٠٠
II	محصول احتساب نفس بيروت	٧٠٠٠	٧٠٠٠	٢٤٠٠٠	١١٥٠٠	٢٤٠٠٠	٢٦٠٠٠	٣٠٠٠٠
III	محصول قبان نفس بيروت	٧٠٠٠	٧٠٠٠	١٦٦٦٧	٢٢٠٠٠	١٦٦٦٧	٢٠٠٠٠	٢٥٠٠٠
IV	محصول ميزان حرير ودلالية في نفس بيروت وتوابعها لكل ميزان في (٣٠٠)	١٠٠٠٠	١٠٠٠٠	٦٧١٩	٢٥٠٠٠	٦٧١٩	٧٠٠٠	٨٠٠٠
V	محصول خبازين على كل فرن في الشهر ١٠٠ عدد الأبواب / ٥	٧٢٠٠	٧٢٠٠	٦٠٠٠	٤٤٦٦	٦٠٠٠	٧٢٠٠	٧٢٠٠
VI	محصول قصابات (قصابين) نفس بيروت على كل رأس غنم ومعز في واحد عثماني	٧٢٠٠	٧٢٠٠	٩٣٦٠	٧٠٠٠	٩٦٣٠	١٠٠٠٠	١٢٠٠٠
VII	محصول رسوم دواليب حرير في نفس بيروت باب (٣٠) على كل باب ٦٠ (دفتر ٣٨٣ يجعلها ٢٠ بابا) .	٢١٠	٢٠٠	١٢٠٠	٧٢٠	١٢٠٠	١٨٠٠	١٨٠٠
VIII	محصول بساتين خندق تابع بيروت	٤٠٠	٤٠٠	٢٥٠	٢٠٠	٢٥٠	٣٠٠	٥٠٠
IX	محصول رسوم المعصرة على الحمل والحل	٣٠٠	٣٠٠	٢٠٠	١٥٠	٢٠٠	٢٤٠	٣٠٠
X	محصول رسوم مصبنة على كل باب في السنة (٥٠٠) أقجة	٣٠٠	٣٠٠	١٥٠٠	١٥٠٠	١٥٠٠	٢٠٠٠	٢٥٠٠
XI	محصول عشر سمك	٣٠٠	٢٠٠	١٥٠٠	٥٠٠	١٥٠٠	١٦٠٠	٢٥٠٠
XII	باج على الكفرة (المسيحيين) واليهود وغيرهم من الكفرة الذين يأتون لزيارة كنيسة القمامة (القيامة) في القدس أو لزيارة قبور أولاد النبي يعقوب وغيرها من المزارات في صفد . فيؤخذ من اليهود القادمين عن طريق البحر من كل نفر خمسون أقجة بموجب القانون القديم .	٢٠٠٠	٢٠٠٠	٢٠٠٠	٢٠٠٠	٢٠٠٠	لا يذكر	لا يذكر

رقم المقاطعة		ط.د ١٦٩ ص ٢٥-٢٦	ط.د ٤٣٠ ص ٢٥١-٥٢	ط.د ٣٨٣ ص ٢٦٩-٧٠	ط.د ٤٠١ ص ٤٠٨	ط.د ٤٢٣ ص ٥١-٥٢	ط.د ٥٤٣ ص ٢٣٤-٣٦	ط.د ١٧٧ ص ٩٨-٩٩
XIII	باج على الخمرة في نفس بيروت التي تجلب من أجل مشروب الكفرة ويؤخذ عنها باج بموجب العادة القديمة شريطة عدم البيع للمسلمين وكذلك عدم الإتجار بها خلال الأشهر الحرم.	١١٠٠	١١٠٠	٩٠٠٠	١٤٤١٦	٩٠٠٠	١٠٠٠٠	لا يذكر
XVI	محصول دكاكين في نفس بيروت (٢٠) باب بموجب الدفتر العتيق منها خاص شاهي ١٨قيراط، حصة وقف ٦ قيراط.	١٥٠	٢٠٠	١٣٥٠٠	-	١٣٥٠٠	١٨٠٠٠	١٨٠٠٠
XV	محصول خان بالقرب من اسكلة بيروت	١٧١٠	٢٢٨٠	١٠٠٠٠	٨٧٢٠	-	١٠٠٠٠	١٠٠٠٠
XVI	محصول حمام مينا نفس بيروت، حصة خاص شاهي حصة وقف	١٨٠٠٠٠	٢٤٠٠	٥٢٠٠	٧٢٠٠	٣٩٠٠	٦٠٠٠	٦٠٠
XVII	باج يجبى من الكفرة (المسيحيين) واليهود الوافدين من أجل الإقامة والمتاجرة في بيروت عن طريق البحر، فيؤخذ من كل منهم واحد فلوري بموجب القانون القديم.	١٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	لا يذكر	لا يذكر
XVIII	رسم معز ونحل	-	-	٣٠٠	-	٣٠٠	٥٠٠	١٥٠٠
XIX	محصول رسم جواميس على كل رأس ٦ اقجات	-	-	٣٠٠	١٥٩٦	٣٠٠		١٠٠
XX	محصول فايدة الملح في بيروت وصيدا وعكا	-	-	٣٠٠٠٠٠	٢٣١٣٣٣	٣٠٠٠٠٠	٢٢٠٠٠٠	٣٥٠٠٠٠
XXI	محصول مقاطعة سمسارية نفس بيروت	-	-	١٥٠٠٠	٢١٠٠٠	١٥٠٠٠	١٦٠٠٠	١٨٠٠٠
XXII	محصول دشتبان قضاء بيروت	-	-	٣٠٠٠	-	٣٠٠٠	٢٠٠٠	٥٠٠٠
XXIII	محصول عسية في نفس بيروت	-	-	٤٠٠٠	-	٤٠٠٠	٥٠٠٠	٦٠٠٠
XXIV	محصول بويه خانه (المصبغة) في نفس بيروت	-	-	٥٠٠	-	٥٠٠	٦٠٠	١٠٠٠
XXV	محصول جزية كبران (الكفرة)	-	-	١٩٠٠٠	-	-	-	-
XXVI	جزية اليهود في نفس بيروت	-	-	٣٠٠٠	-	-	-	-

رقم المقاطعة		ط.د ١٦٩ ص ٢٥-٢٦	ط.د ٤٣٠ ص ٢٥١-٥٢	ط.د ٣٨٣ ص ٢٦٩-٧٠	ط.د ٤٠١ ص ٤٠٨	ط.د ٤٢٣ ص ٥١-٥٢	ط.د ٥٤٣ ص ٢٣٤-٣٦	ط.د ١٧٧ ص ٩٨-٩٩
XXVII	محصول (عبد) ابق وبيت المال ومال غايب ومال مفقود في نفس بيروت وفي نواحي المتن والجرد والغرب .	-	-	-	-	٨٠٠٠	١٠٠٠٠	١٥٠٠٠
XXVIII	محصول بادهوا ورسم عروس في نفس بيروت	-	-	-	-	-	٣٨٠٠	٤٣٠٠
XXIX	باج الاغفار في خان الحصين تابع بيروت حيث يؤخذ أقجتان على حمل الجمل، وعلى كل حمل فرس وعلى حمل بغل أقجة واحدة، ونصف أقجة على حمل الحمار، ويؤخذ على كل من تاجر مسيحي عشرة أقجات، ومن التاجر اليهودي خمس أقجات .			٣٠٠٠			٦٠٠٠	٧٠٠٠
XXX	باج اغفار في مزرعة خلدا كما جرت العادة بحيث يؤخذ على حمل الجمل أقجتان وعلى حمل الحصان أو البغل أقجة على كل منها، وعلى حمل الحمار نصف أقجة، ومن التاجر الكافر (المسيحي) عشرة أقجات، ومن التاجر اليهودي خمس أقجات .			٤٠٠٠			١٠٠٠٠	١٢٠٠٠
XXXI	باج اغفار في أرض حرباء (؟) تابع المتن بموجب ما جرت به العادة وشرحت			٣٠٠٠			٦٠٠٠	٨٠٠٠
XXXII	باج اغفار في ارض يبوسه (؟) تابع المتن، على حمل الجمل أقجتان، على حمل الحصان أو البغل أقجة واحدة، وعلى حمل الحمار نصف أقجة، ومن التاجر الكافر (المسيحي) عشرة أقجات ومن التاجر اليهودي خمسة أقجات			٣٠٠٠			٤٠٠٠	٥٠٠٠
XXXIII	باج اغفار عند جسر نهر الكلب بالقرب من بيروت، من توابع كسروان، يؤخذ على حمل الجمل من الحرير القادم من حلب عشرة أقجات، وعلى حمل الحصان أو البغل خمسة أقجات، وعلى حمل الجمل من الجوقة (القماش) وعلى حمل الحصان أو البغل أربعة أقجات، وإذا كانت البضاعة أرز (برنج) فعلى حمل الجمل أقجتان وعلى حمل الحصان أو البغل أقجة واحدة وعلى حمل الحمار نصف أقجة .			١٠٠٠٠			١٢٠٠٠	١٥٠٠

العوائد المالية لمقاطعات دمشق الشام
على ضوء دفتر طابو (T. D. 474)
سنة ٩٧٧هـ / ١٥٦٩م*

يُقدّم لنا علي دفتري، محرر دفتر طابو (T. D. 474) تاريخ ٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م، المحفوظ بأرشيف رئاسة الوزراء باسطنبول، قائمةً تفصيليةً بمحصول المقاطعات في نفس دمشق الشام، وكان ريع هذه المقاطعات يُشكّل جزءاً من خاص السلطان "خلّد الله مُلكه" الذي يشير إليه الدفتر باسم "پاديشاه عالم پناه" "سلطان العالم

* يسرني أن أتوجه بالشكر هنا إلى الزميلين الأستاذين: خليل ساحلي أوغلو من كلية الاقتصاد بجامعة اسطنبول، وفاضل بيات من لجنة تاريخ بلاد الشام بالجامعة الأردنية، لما قدّماه لي من عون علمي كبير في قراءة قانون نامة ولاية الشام. وتقديري لزميلي نوفان رجا السوارية على جهوده في تقديم العون والمساعدة. والشكر أجزله إلى الأستاذ عبد العزيز الدوري على قراءته الدقيقة للبحث وللملحوظاته القيّمة التي أبداها. كما وأتقدم بالشكر إلى المسؤولين عن إدارة أرشيف رئاسة الوزراء باسطنبول الذين وافقوا على تصوير (T. D. 474) لغايات هذا البحث، والشكر موصول إلى السفير الأردني السابق بأنقرة، دولة الدكتور معروف البخيت، والسيد حمود القطارنة من بعثة السفارة هناك، لما بذلاه من جهود في تصوير الدفتر، والشكر أيضاً إلى الزميل مهند المبيضين، وللسيدة إيمان عمورة لما بذلت من جهود مشكورة في طباعة النص.

وملاذه" . كما يزودنا بأسماء نواحي لواء الشام[١] التي كان ريعها يعتبر جزءاً من خاص السلطان .

ومن المفيد جداً قراءة أسماء هذه المقاطعات[٢] وفهم مكوناتها على ضوء المادة المتوافرة في قانون نامة الشام[٣] سواء التي جاءت في مقدمة هذا الدفتر أم ما جاء في الدفتر الذي سبقه المفصل لعام ٩٥٥هـ/١٥٤٨م، فالفترة الفاصلة بين إجراءات

---

١ - يورِد الدفتر أسماء النواحي التالية : نفس الشام، ناحية غوطة، ناحية مرج، ناحية قلمون، ناحية جبة العسال، ناحية وادي بردة (بردى)، ناحية زبداني، ناحية قورنة، ناحية شوف الحرادين، ناحية شوف البياض، ناحية حمّارة، ناحية وادي التيم، ناحية عرقوب، ناحية حولا (حوله)، ناحية شعرا، ناحية إقليم الزبيب، ناحية إقليم البلان، ناحية إقليم الداراني، ناحية وادي العجم، (T. D. 474)، ص ٢٦ .

٢ - حول مصطلح مقاطعة في إطار التزام العوائد والرسوم انظر:

H. Gerber, « Mukata'a in the Ottoman Empire », *E. I.*[2], vol. vii, p. 508.

ولعله من المفيد أن نشير هنا إلى أن السيد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م) صاحب تاج العروس ينقل عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م) قوله : "ومن الإقطاع إقطاع إرفاق لا تمليك كالمقاعدة بالأسواق التي هي طرق المسلمين فمن قعد في موضع منها كان لهِ بقدر ما يصلح له ما كان مقيماً فيه فإذا فارقه لم يكن له منع غيره منه" ، ج ٢٢ ، الكويت (١٩٨٥م)، ص ٣٩ . ويقول بهذا الخصوص، فيما بعد، موفق الدين عبد الله بن قدامة (ت ٦٢٠هـ/١٢٢٣م)، إقطاع الإرفاق ومن ذلك إقطاع مقاعد السوق والطرق الواسعة، المغني في شرح الخِرَقي، ج ٦، ص ١٦٣ ، ١٦٤ . من هنا نلحظ مدى الحاجة للبحث في الجذور الأولى لولادة المقاطعات ونموها وكيف أصبحت مصدر مورد كبير للملتزمين، كما أن الحاجة ماسة لبيان دور الأمناء في مراقبة العملية وضبطها .

٣ - حول نصوص قانون نامة بلاد الشام، انظر:

Ö.L. Barkan, (ed.), *XV re XVI inci asirlarda Osmanli Imparatorlugunda zirai ekorominin hukuki ve mali esaslari*, vol. i, published under the title of Kanunlar, Istanbul, 1943, p. 220-226.

انظر : Osmanli Kanunnameleri, *Ve Hukuki Tahlilleri*, 9 vols., edited by Ahmed Akgunduz, Istanbul, 1994. vol. vii, p. 20-48.

وللترجمة الفرنسية، راجع:

المسوحات للدفترين كانت ٢١ عاماً. ويذكر لنا علي دفتري المُشار إليه مُبرراً إجراء هذه المسوحات في مقدمة القانون نامة أنه مع جلوس السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان القانوني (٩٧٤هـ/١٥٦٦م-٩٨٢هـ/١٥٧٤م) على عرش السلطنة، تقرر: "تجديد وتعديل لباس حروف دفاترها [أي دفاتر دمشق] العتيقة وتحقيق زيادة ونقصان قراها ومزارعها وتحريرها وتوجيه تيمارات طائفة السباهية وتصحيح أصحاب الأوقاف والأملاك". ويشير إلى أنه تم "توجيه وتعيين توزيع وتقسيم الدفتر لأمير الأمراء والسباهية والزعماء على قدر طبقاتهم واختلاف درجاتهم وأصحاب الأوقاف والأملاك بحسب استحقاقاتهم بمقتضى الشرع المطهر والقانون المنيف". وتم تحرير "المحصولات الشهرية والسنوية والحقوق الشرعية والعرفية".

من هنا نلحظ القواعد التي اتُّبعتْ والتي تشير هنا بشكل خاص إلى التكامل بين "الشرع المطهر والقانون المنيف".

وبموجب هذا الدفتر، فإن لواء الشام قد شمل خمس (شهر) بلدات[٤] أو قصبات[٥]، وكان عدد القرى (١١٢٩) قرية مُضافاً إليها (٢١٠٠) مزرعة، هذا بجانب (٢١٠)

R. Mantran and J. Sauvaget, *Règlements fiscaux ottomans, Les Provinces Syriennes*, Institut francais de Damas, Beyrouth, 1951, p. 3-34.

أما فيما يتعلق بالقوانين نامة عامةً، فانظر: مجموعة القوانين التي ترجمها من العثمانية إلى العربية خليل ساحلي أوغلو، وهي: قانون نامة آل عثمان (السلطان محمد الفاتح)، قانون نامة السلطان سليمان القانوني، رسالة عين علي أفندي في التجار و"المأجورون" وقوانين الاعتماد لعلي جاويش الصوفيوي، وكان قد تم نشرها بمجلة "دراسات" الصادرة عن الجامعة الأردنية وأُعيد نشرها ضمن كتاب: من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني، بحوث ووثائق وقوانين، إرسيكا، استانبول، ٢٠٠٠م. وانظر أيضاً:

H. Inalcik, « Kanunname », *E.I.*^{2}, vol. IV, p. 562-566.

٤ - لا يحدد الدفتر أسماء هذه "الشهر" بل يمكن التقدير أنها تشمل دمشق الشام، بعلبك، بيروت، وصيدا حيث كانت توجد محلات في البلدة الواحدة "وبازار سوق والمسجد الجامع. حول بيروت، انظر محمد عدنان البخيت: "جوانب من تاريخ بيروت في العهدين المملوكي والعثماني" المنشور في هذا الكتاب. كذلك انظر:

قطع أراضٍ. ويشير هذا المسح لخمس قصبات (شهر)، حيث توجد المحلات والأسواق والمسجد الجامع، ويذكر الدفتر أن عدد الخانات (الأسر) الخاضعة للرسوم العرفية والعوارض الديوانية (٥٧١١٠) خانات مُضافاً إليها (٨٣٤٨) مجرداً (أعزب أو غريب)، أما عدد الخطباء والأئمة والمؤذنين فكان (٢٨٧) . والمعلوم أن قانون نامة الشام يعفي هؤلاء من الرسوم العرفية والعوارض الديوانية : "كما أن الأئمة معفون من العوارض الديوانية والتكاليف العرفية" (مادة ٨١) .

ويُبيِّن الدفتر أن محصولات لواء دمشق الشام بلغت (١٥٨٠٤٣٠٠) آقجة[٦] سنوياً منها حصة خاص السلطان "خُلِّدت خلافته" البالغة (١١٠٤٤٣٠٠) آقجة سنوياً . وبلغ خاص أمير الأمراء / مير ميران مليون آقجة سنوياً، أما بقية المبلغ فكانت موزعةً بين أصحاب الخاص وأصحاب التيمارات من أهالي التذاكر (باتذكرة)

M.A. Bakhit, « Sidon in Mamluk and Early Ottoman Times », *al-Abhath*, A.U.B., Beirut, 1981, p. 51-64.

حول بعلبك انظر : (T. D. 383) (حوالي ٩٣٧هـ/ ١٥٣٠م)، أرشيف رئاسة الوزراء، اسطنبول، ص ٣٦ . كانت بعلبك مركزاً لناحية تحمل اسمها وتتبعها (٣٤) قرية مع (١٣١) مزرعة ، حيث يُعدِّد الدفتر محلاتها ويذكر قيمة محاصيل أسواقها . وانظر كذلك : Bakhit, *Ibid.*, p. 54-56.

٥ - يذكر السيد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م) أن : "القصبة من البلد المدينة، وتأتي القصبة أيضاً بمعنى القرية "وقصبتها وسطها" . انظر : تاج العروس من جواهر القاموس، صدر في أربعين جزءاً، (١٩٦٥-٢٠٠١م)، الكويت، ج ٤ ، (١٩٦٨م)، ص ٤٣ . ولعله من المفيد أن نشير إلى ما ذكره شمس الدين محمد بن أحمد البشاري المقدسي (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م، إلى أن دمشق كانت قصبة ومدنها : بانياس، صيدا، بيروت، طرابلس، عرقة . . . الخ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق M. J. De Goeje، بريل، ليدن، ١٩٠٦م، ص ١٥٤ . ويذكر أن "طبرية هي قصبة الأردن" ، ص ١٦١ ، و"الرملة هي قصبة فلسطين" ، ص ١٦٤ .

٦ - الآقجة هي وحدة العملة الفضية المستخدمة في الدولة العثمانية، حول تاريخها وما لحق بها من الزغل وهبوط قوتها الشرائية، انظر :

H. Bowen, « Akçe », *E.I.*², vol. I, p. 317-318.

أو بدون تذاكر (بلا تذكرة) كما هو موضح أدناه . وسنتناول هنا محصول المقاطعات[٧] من نفس دمشق الشام التي كان ريعها يعتبر من خاص السلطان . ويشير الدفتر إلى أن الضمان كان يوفر دخلاً سنوياً مقداره (١٢٠٠) آقجة . ويُفهم من ذلك أن السلطات العثمانية بدمشق كانت تعرض المقاطعات للالتزام والمشاركون يدفعون رسماً لذلك .

١ - محصول مقاطعة احتساب نفس شام في السنة (٦٠٠,٠٠٠) آقجة

والملحوظ أنه عند استقراء المادة المتوافرة لدينا فإنها لا توضح القاعدة التي كانت تُتّبع في جمع هذا المبلغ الضخم، وهناك تخمين بأن الأمناء[٨] (موظفي الدولة الماليين) كانوا يجمعون رسوماً على الدكاكين والمحال التجارية على أسس شهرية وبذلك تكوّن هذا المبلغ الكبير . ويشير قانون نامة القدس إلى عادة الاحتساب في القدس الشريف، بما نصه : "منذ القدم كان يتم استيفاء آقجة واحدة عن كل دكان في كل خميس باستثناء سوق العطارين، فمنذ القدم لا يؤخذ منه شيء" فيمكن قياس الشام على القدس"[٩] . وعند العودة إلى القانون نامة نفسه لبلاد الشام نجده ينصّ على ما يلي :

"لم يكن يوجد منذ القدم قانون مقرر يتعلق بالاحتساب في نفس الشام ولهذا يتم العمل بقانون قايتباي" (مادة ٧٩ من القانون) . والملحوظ أن كتب الحسبة لا تتعرض لموضوع الاحتساب بمفهوم أنه رسوم وعوائد مالية .

وقانون السلطان المملوكي الملك الأشرف قايتباي المحمودي (٨٧٢هـ/١٤٦٨م -٩٠١هـ/١٤٩٦م) غير متوافر للباحثين، وإلى أن يكتشف، تبقى الإشارات

---

٧ - حول مفهوم مقاطعة كوسيلة لجمع مستحقات الدولة من الرسوم والعوارض الديوانية والتكاليف العرفية، انظر :

H. Gerber, « Mukata'a in the Ottoman Empire », *E.I.*^{2}, vol. VII, p. 508.

٨ - حول مهمة الأمين، وهو موظف يقبض راتباً ويُعيَّن ببراءة، وعن دوره، انظر :

B. Lewis, « Amin », *E.I.*^{2}, vol. II, p. 695-696.

٩ - انظر :

Ahmed Akgündüz, *Osmanli Kanunnameleri*, ve Hukuk Tahlilleri, vol. VII, p. 53.

التاريخية قليلة، مثل ما جاء في أخبار سنة (٩١٠هـ/١٥٠٥م) "وفي يوم الجمعة خامس عشري (٢١ / ١ / ١٥٠٥م) شعبان المذكور نودي بدمشق بإبطال مشاهرة المحتسب وفرح الناس بذلك فرحاً شديداً ودعوا للنائب"[١٠].

٢ - محصول القبّان[١١] في نفس شام مع دار البطيخ[١٢] ودار الخضر مع محصول عنب العصير من اليهود والنصارى والسامرى (السمراء) في السنة (١٦٠٠٠) آقجة

لقد اعتمد الأمناء قاعدة الحمل والقالب[١٣] في احتساب مقدار الرسوم المجباة على المنتوجات الحيوانية أو النباتية، كما ويستخدم الدفتر مصطلح "علبة" عند

---

١٠ - انظر: محمد بن طولون الصالحي (ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م)، إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تحقيق محمد أحمد دهمان، دمشق، ١٩٤٦م، ص ١٧٠، وسيُشار إليه فيما بعد: ابن طولون، إعلام. وإلى مثل هذا يُشير رضي الدين محمد بن إبراهيم الحلبي (ت ٩٧١هـ/١٥٦٣-١٥٦٤م) عندما يشير إلى أن اسكندر بك دفتردار المملكة الشامية أبطل كثيراً من "منكرات المحتسب" في حلب، درّ الحبب في تاريخ أعيان حلب، تحقيق محمود الفاخوري ويحيى عبارة، ٣ ج، دمشق، ١٩٧٣م، ج ١، ص ٢٩٤، وسيُشار له فيما بعد: ابن الحنبلي، درّ.

١١ - يُعالج السيد مرتضى الزبيدي كلمة (قبّان) بشكل مقتضب، ويشير إلى أنها كلمة معرّبة: القبّان القسطاس معرب، ومنها أخذ معنى الأمين والرئيس. "والقبّاني لمن يعمل القبّان أو يزن به"، تاج العروس، ج ٣٥، ص ٥٢٥-٥٢٦.

١٢ - يذكر عبد الله بن محمد البدري (ت ٨٩٤هـ/١٤٨٩م) أن دار البطيخ كانت تحت القلعة: "الذي يُباع فيه جميع فواكه البلد"، نزهة الأنام في محاسن الشام، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤١هـ، ص٦٢-٦٣. وسيُشار إليه فيما بعد: البدري، نزهة الأنام. ويُضيف أيضاً: "دار البطيخ كانت تحت القلعة"، نزهة الأنام، ص ٦٣. يذكر أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) من أنواع "الشدود" الصغار "كشد دار البطيخ والفاكهة"، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج ٤، نسخة مصورة، وزارة الثقافة، القاهرة، د.ت، ص ١٨٨.

١٣ - قالب: "كالمثال هو الشيء الذي يفرغ فيه الجواهر ليكون مثالاً لما يُصاغ عليه" وكذلك "قالب الخف ونحوه"، السيد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج ٤، (١٩٦٨م)، ص ٧٣. ويرى صاحب التاج أنه دخيل وأصله "طالب".

الإشارة للبن واللبن الرائب، ومصطلح "ظرف"[١٤] عند الإشارة للدبس[١٥]. ويُفصِّل القانون نامة في هذا الموضوع ويُفقِّطها مفصلةً على النحو التالي:

١- ثلاث آقجات (٣) عن حمل الدبس
٢- أربع آقجات (٤) عن حمل العسل
٣- أربع آقجات (٤) عن حمل الأرز[١٦]
٤- خمس آقجات (٥) عن حمل الجبن[١٧]
٥- ست آقجات (٦) عن حمل حب الرمان[١٨]
٦- ثلاث آقجات (٣) عن حمل الملح

---

١٤ - الظرف هو: "الوعاء، وهو وعاء كل شيء، حتى إن الإبريق ظرف ما فيه"، السيد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج ٢٤، (١٩٨٧م)، ص ١١١.

١٥ - يذكر البدري ما يلي: "ويعمل من ماء العنب الدبس والملبن، نزهة الأنام، ص ٢٣٥.

١٦ - حول الأرز في الشام، انظر: البدري، حيث يشير إلى طرق طهيه مع الدهن واللبن، ومع الحليب. نزهة الأنام، ص ٣٠٣.

١٧ - كان هناك سوق للجبن في دمشق، الزبيدي، تاج، ج ٣٤ (٢٠٠١م)، ص ٣٤٤. حول الجبن وخانه وأنواع الجبن، انظر أيضاً: محمد سعيد القاسمي (ت ١٣١٧هـ/١٩٠٠م) وجمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢هـ/١٩١٤م) وخليل بن مصطفى بن حافظ باشا العظم (ت ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م)، (الجبن) - قاموس الصناعات الشامية، حققه وقدّم له ظافر القاسمي، دمشق، ١٩٨٨م، ص ٧٦-٧٧.

١٨ - يتحدث البدري فيقول: "والرمان أصناف: شويكي، بردي، ماوردي، مليسي، كوفي - برجنيقي، سحاقي، شويخي، مصري، سلطاني، محجر، مطوق، تدمري، لقيط، حصوي، طقاطقي، قطي، مشبه، حامض للطعام لفان، راس البغل، مجهول، نزهة الأنام، ص ٢١٤. والجدير بالذكر أن كثيراً من هذه المسميات ما زالت سائدة إلى اليوم.

٧- ثماني آقجات (٨) عن حمل البعير من التمر العراقي بالإضافة إلى رطلين يؤخذان كطعمة[١٩]

٨- أربع آقجات (٤) عن حمل القنبرس[٢٠]

---

١٩ -الطعمة : يفهم أنها كانت نوعاً من الفيء أو الخراج أو الإتاوة، راجع : السيد مرتضى الزبيدي، مادة "طعم" ، تاج العروس، ج ٣٣، ص ١٥ ، ٢١ . حول الطعمة بدمشق، انظر : صلاح الدين المنجد، هامش ٧٤ أدناه . أما فيما يتعلق بالطعمة، فيذكر محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م) "كانت الطعمة تؤخذ بصاع الرسول (صلعم) حتى كان يحيى بن عبد الحكم فزاد في الصاع سدس المدّ" ، كتاب المغازي، ٣ ج، تحقيق مارسدن جونز، مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٦٦م، ج ٢، ص ٦٩٧ . ويذكر الإمام أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ/ ٩١٥م) "إن صاع الرسول كان يساوي مدين وثلثي المد" ، السُّنن، ٨ ج، ط ١ ، تحقيق حسن محمد المسعودي، المطبعة المصرية بالأزهر، ١٩٣٠م، ج ٥، ص ٥٤ . يشير إليها القلقشندي عند استعراضه للوظائف وماهيتها بدمشق، فيذكر : "شد دار الطعم وهي بمثابة الوكالة بالديار المصرية وولايتها عن النائب" ، صبح، ج ٤ ، ص ١٨٧ . ويذكر ابن طولون الصالحي، "حارة دار الطعم" ، انظر : حارات دمشق القديمة، تحقيق حبيب الزيات، الخزانة الشرقية، ص ٥٣ . لقد أفدتُ كثيراً في تتبع الجذور الفقهية والاقتصادية والمالية والتاريخية لكثير من المصطلحات المالية والضريبية التي وردت في الجامع لنصوص الاقتصاد الإسلامي، ٣ ج، إشراف عبد العزيز الدوري، منشورات مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي، عمان، ٢٠٠٢-٢٠٠٣م . وللمزيد من بيان خلفية مصطلح الفيء والطعمة، انظر : محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي (ت ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م)، "الفيء : ما يُؤخذ من أرض العنوة" ، وتعريفه للطعمة على النحو التالي : "هي أن تدفع الضيعة إلى رجل ليعمرها ويؤدي عشرها وتكون له مدة حياته فإذا مات ارتجعت عن ورثته" ، مفاتيح العلوم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢ ، ١٩٨٩م، ص ٨٥-٨٦ . كذلك انظر : أحمد آق كوندوز، التشريع الضريبي عند العثمانيين، ترجمة فاضل بيات، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، عمان، ٢٠٠٤م .

٢٠ -القنبرس (القنبرص) : قنبريس، يذكره شمس الدين محمد ابن طولون الصالحي (ت ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م) على أنه من منتوجات بعلبك، ويشرحه محمد أحمد دهمان على أنه "اللبن الخاثر وما زال الاسم مستخدماً في بعلبك وجوارها" ، القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، ٢ق، تحقيق محمد أحمد دهمان، مكتب الدراسات الإسلامية، دمشق،

٩- نصف آقجة (٠٫٥) عن كل علبة لبن رائب الوارد من الجهات القبلية لمدينة دمشق
١٠- نصف آقجة (٠٫٥) عن كل علبة من اللبن الوارد من جهة حمص وطرابلس
١١- آقجتان (٢) عن كل مائة آقجة من الزيت (السمن) الصافي
١٢- ست آقجات (٦) عن حمل العنّاب[٢١]
١٣- ست آقجات (٦) عن حمل تين المعرّة بالإضافة إلى رطل من التين[٢٢]
١٤- آقجتان (٢) عن كل مائة آقجة ثمن فستق وبندق[٢٣] وصنوبر

ق ٢ ، ١٩٤٩م، ق ٢، ص ٣٧٧، والهامش رقم (١). جاءت لدى موسى بن محمد اليونيني (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٦م) في أخبار وباء سنة ٦٥٦-٦٥٨هـ/١٢٥٨-١٢٦٠م بدمشق أن أوقية "القيبرسي" بدرهم، والخطأ واضح في القراءة، ذيل مرآة الزمان، ٤ ج، ط١، حيدر أباد الدكن، ١٩٥٤م، ج ١ ، ص ٣٧٦ .

٢١ - كان هناك محلة في دمشق تُعرف باسم (العناب). حول العناب في دمشق الشام وجوارها، انظر: البدري، حيث يذكر أنه كان يؤكل ويُشرب ماؤه: "والمختار فيه ما عظم حبه وإن أُكل قبل الطعام فهو أجود" . لمزيد من التفاصيل، انظر: نزهة الأنام، ص ٢٧١-٢٧٢ . حول محلة العنّاب، راجع: (T. D. 474)، ص ٥٤ .

٢٢ - حول التين وأنواعه في لواء دمشق الشام، انظر: البدري، حيث يذكر التين البرزي (نسبةً إلى قرية برزة) والتين المزي وماسوني والرومي وبعلبكي، كعب الغزال، غريب، طيفور (ترد في الدفاتر ديفور وما زالت التسمية مستخدمة إلى اليوم للدلالة على التين الذي يحل موسمه مبكراً)، شتوي، جبلي، حفيراني، ملكي، عسيلي، مكتّب، مجهول ورق الطير، نزهة الأنام، ص ٢٦١ . أما فيما يتعلق بالمعرة، فيشير الجغرافي المشهور ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) إلى أن ماء معرّة النعمان من الآبار: "وعندهم الزيتون الكثير والتين" ، معجم البلدان، ٥ ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م، ج ٥، ص ١٥٦، وسيشار إليه فيما بعد : ياقوت، معجم.

٢٣ - يأتي البدري بقصص عن زراعة البندق الأخضر والفستق وعن خصائصهما الطبية. انظر: نزهة الأنام، ص ٣١٢-٣١٧ . ويشير إلى نمو الصنوبر بجبال الثلج، ص ٣٥١ . حول رأي الفقهاء في بيع ذوات القشور: الجوز واللوز والبندق والفستق والفول والحمص، انظر: تقي الدين أحمد بن تيمية (ت ٧٢٨هـ/١٣٢٨م)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ٣٠ ج، مطابع الرياض، ١٩٦١-١٩٦٣م، ج ٢٩، ص ٢٢٥ .

١٥- ثلاث آقجات (٣) عن حمل الخل
١٦- نصف آقجة (٥ر٠) عن حمل زيت السيرج / من السمسم[٢٤]
١٧- ست آقجات (٦) عن حمل الزيت من عجلون[٢٥]
١٨- ثلاث آقجات (٣) عن حمل الزيت المشقراني ـ (المشغراني)[٢٦]
١٩- ثلاث آقجات (٣) عن حمل الحمار من القلقاس[٢٧]
٢٠- ست آقجات (٦) عن حمل البغل من القلقاس

---

٢٤ - يذكر البدري السمسم بالشام ويشير إلى خصائصه الطبية ويضيف : "ودهن السمسم هو السيرج"، ويهمنا هنا الإشارة إلى استخدام كلمة "دهن" التي ترد في السجلات العثمانية بدل زيت، نزهة الأنام، ص ٣٠٨ .

٢٥ - حول محاصيل عجلون والزيتون في لوائها، انظر: دفتر مفصل لواء عجلون رقم (٩٧٠)، نشر محمد عدنان البخيت ونوفان رجا الحمود، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٩م، وبخاصة الصفحات ٣١-٣٧ من الدراسة حيث تبين حاصل أشجار الزيتون مع العنب والكروم. وانظر أيضاً: دفتر مفصل لواء عجلون رقم (١٨٥) لعام ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م، دراسة وتحقيق محمد عدنان البخيت ونوفان رجا الحمود، عمان، ١٩٩١م. انظر ص ٨٢-٨٧ بشأن معاصر الزيتون.

٢٦ - لا يوجد في معاجم سورية ذكر لمشقرا، وربما كان المقصود "مشغرا" - على الأغلب - في البقاع بلبنان. مشغري: قرية من قرى دمشق من ناحية البقاع، ياقوت، معجم، ج ٥، ص ١٣٤ . انظر أيضاً: أنيس فريحة، "مشغرة" في أسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها، الجامعة الأمريكية ببيروت، ١٩٥٦م، ص ٣٣٥ .

٢٧ - القلقاس: ينبت في الأراضي الحارة مثل قرية غور من أعمال دمشق ولا ينبت بغيرها من أرض الشام. انظر خصائصه الطبية، البدري، نزهة الأنام، ص ٣٥٢-٣٥٣ . انظر موقف الفقهاء حول بيع المغيبات في الأرض كالجزر واللفت والقلقاس والبصل والثوم والباقلاء، أحمد بن تيمية (ت ٧٢٨هـ/١٣٢٧م)، مجموع الفتاوى، ٣٠ جزءاً، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد النجدي، الرياض، ١٩٦١-١٩٦٣م، ج ٢٩، ص ٢٢٥ ، ٢٢٨ . انظر أيضاً: العز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م)، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ٢ ج، ط ٢ ، القاهرة، بيروت، دار الجيل، ١٩٦٨م، ١٩٨٠م، ج ٢ ، ص ١١ .

٢١- سبع آقجات (٧) عن حمل الخيار[٢٨] الوارد من الخارج

٢٢- أربع آقجات (٤) عن حمل جبن النصارى[٢٩] بالإضافة إلى ثلاثة (٣) قوالب جبن

٢٣- خمس آقجات (٥) عن حمل البغل من الليمون[٣٠]

٢٤- ثلاث آقجات (٣) عن حمل الحمار من الليمون

٢٥- أربع آقجات (٤) عن حمل العجوة إضافة إلى نصف رطل من العجوة

٢٦- ثماني آقجات (٨) عن حمل الكماء[٣١] وإذا كان الحمل ناقصاً غير كامل تؤخذ أربع آقجات (٤)

٢٧- آقجتان (٢) عن ظرف دبس الخرنوب[٣٢]

٢٨- أربع آقجات (٤) عن حمل الكستناء

ويوضح هذا الجرد أسماء وحدات القياس للكيل من "الحمل" و"القالب"، أما فيما يتعلق بالسوائل، فتشير القوائم إلى استخدام "علبة" و"ظرف"، والملحوظ في بعض المنتوجات كالتمر العراقي وتين المعرّة والعجوة، أن الأمناء كانوا يأخذون كمية إضافية يُشار إليها أحياناً باسم "طعمة"، وكانوا يأخذون أيضاً عن كل حمل من

---

٢٨ - الخيار: يذكر أن هناك قابون فوقاني وقابون تحتاني وإلى القابون يُنسب الخيار، ويعقد مقارنة ما بين الخيار والقثاء مثل الفقوس، البدري، نزهة الأنام، ص٢٦٤-٢٦٨.

٢٩ - حول الجبن، أشرنا أعلاه إلى سوق للجبن بدمشق، لكن ليس لدينا تفصيلات كافية عن المقصود بجبن النصارى، هذا، ويشير قاموس المنجد في اللغة المعاصرة "لقالب الجبن"، المنجد، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ١١٧٧. ويشير عز الدين محمد بن شداد (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م) إلى حمام الجبن، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٦٢م، ص ٢١.

٣٠ - الليمون: يعد البدري الأترج والليمون من الأشجار المثمرة بدمشق، نزهة الأنام، ص٣٣٢-٣٣٤.

٣١ - يشير البدري إلى أن الكمأة من خواص الشام، ثم يأتي بنقولات للعلماء في الكمأة، نزهة الأنام، ص ٣٠١-٣٠٣.

٣٢ - يذكر البدري أن الخرنوب من أشجار الشام، نزهة الأنام، ص ٣٤٢-٣٤٥. حول تعريف الظرف، انظر هامش رقم (١٤) أعلاه.

جبن النصارى، ثلاثة قوالب جبن. ويجيء ذكر محصول دكان الجبن المغلي في نفس الشام والذي كان يوفر دخلاً سنوياً مقداره (٢٤٠٠) آقجة كرسم مقاطعة. وتوضح هذه القائمة أسماء السلع الزراعية والتموينية التي كانت تُباع في أسواق دمشق، وإذا ما استعرضنا المواد التي ترد تحت دار البطيخ[٣٣]، نجد أنها تشمل ما يلي، مع بيان مقدار الرسوم المُجباة عن كل حمل أو جوَال - شوال[٣٤] (كيس) :

١ - آقجتان (٢)	عن حمل المشمش[٣٥]
٢ - آقجتان (٢)	عن حمل التفاح[٣٦]
٣ - ثلاث آقجات (٣)	عن حمل التفاح الشتوي
٤ - أربع آقجات (٤)	عن حمل الكراس (الكرز)
٥ - آقجتان (٢)	عن حمل الإجّاص[٣٧]

---

٣٣ - حول دار البطيخ، انظر هامش رقم (١١) أعلاه.

٣٤ - الشوال - (الجوَال) : الكيس من الخيش، "يُعبأ فيه الحب أو الدقيق أو نحوه"، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار الشروق، بيروت، ٢٠٠٠م.

٣٥ - يذكر البدري واحداً وعشرين صنفاً من المشمش بدمشق : حموي، سندياني، أُويسي، عربيلي، خراساني، كافوري، بعلبكي، لقيس، لوزي، دغمشي، وزيري، كلابي، سلطاني، حازمي، ايدمري، سنيني، بردى، ملوح، فراط النجاتي (البخاتي) وجلاجل القلوع. ونلاحظ أن بعض الأصناف تحمل أسماء أمكنة وبعضها أسماء أفراد، انظر : نزهة الأنام، ص ١٨٧-١٩٢. حول مشمش دمشق، انظر : حبيب الزيات (ت ١٩٥٤م)، "مشمش دمشق"، الخزانة الشرقية، ج ٢، بيروت، ١٩٣٧م، أُعيد تصويرها، طرابلس، لبنان، ١٩٩٩م، ص ١٠٧-١١١.

٣٦ - يذكر البدري الأصناف التالية من تفاح دمشق : سكري، عسلي، فتحي، صيني، شتوي، بلدي، صيفي، قاسمي، فاطمي، قحابي، فضي، حديثي، جناني، حرستاني، لبناني، حلواني، دهشاوي، اخلاطي، بريري، نبطي، ماوردي، بطيخي، ومجهول، نزهة الأنام، ص٢٠١-٢٠٦.

٣٧ - يذكر البدري أن من محاسن الشام الإجاص ويسميها بعض أهالي الشام "الخوخ" وهو أصناف "صيفي، زجاجي، قبرصي، أسود، عين البقر، خوخ الدب، خوخ الطعام، أغبر، شقير، حايكي، برقوق، مجهول، بزرة وله نوار أبيض، صغير دون نوار، الكمثرى"، ويضيف أن كل هذه الأصناف بأرض المزة وأرض اللوان، نزهة الأنام، ص ٢١٠-٢١٢.

٦ - آقجتان (٢)	عن حمل الأنجاص الصيفي
٧ - ثلاث آقجات (٣)	عن حمل العنب[٣٨] الوارد من الخارج
٨ - آقجتان (٢)	عن حمل التين الديفور[٣٩]، وتؤخذ آقجتان إذا تم بيعه بالطبلية[٤٠]، وتؤخذ آقجة واحدة إذا بيع بالسلة[٤١]
٩ - آقجتان (٢)	عن حمل الرمان
١٠ - آقجتان (٢)	عن حمل البطيخ[٤٢] والشمام[٤٣]

٣٨ - كان هناك خان للعنب في الصالحية وآخر بسوق باب السريجة. انظر: جمال الدين يوسف بن عبد الهادي (ت ٩٠٩هـ/١٥٠٣م)، كتاب الإعانات على معرفة الخانات، حققه حبيب الزيات، المشرق، م ٣٦، (١٩٣٨م)، أُعيد تصويره ونُشر مع دراسات أخرى لحبيب الزيات باسم "الخزانة الشرقية"، طرابلس، ط ٢، ١٩٩٩م، ص٥٢-٥٣.

٣٩ - حول التين الديفور انظر الهامش رقم (٢١) أعلاه، وهو الموسم المبكر للتين الخضاري حيث يعمد أصحاب البساتين إلى دهن راس "النونة" لحبة التين بالزيت للإنضاج المبكر.

٤٠ - الطبلية: يعرفها السيد مرتضى الزبيدي على أنها "سلة الطعام وهو كالخوان ويُقال الطبلية والجمع الطبالي"، تاج العروس، ج ٢٩، (١٩٩٧م)، ص ٣٦١-٣٦٢، وما زال المصطلح مستخدماً، ولكن يكون على شكل صفيح من المعدن المقوى أو من الخشب على شكل طاولة صغيرة، ويشير إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ/١٠٠٢م) إلى الجونة والخابية والحفنة وهذه المكاييل ما زالت أسماؤها رائجة إلى اليوم. انظر: الصحاح، ٦ ج، تحقيق أحمد عبد القادر عطار، ط ٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م، ج ٥، ص ٢٠٩٦، ٢١٠٢.

٤١ - السلة: شبه الجونة المطبقة، ويشير البعض إلى أنها غير عربية، السيد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج ٢٩، (١٩٩٧م)، ص ٢١٢، ٢١٥.

٤٢ - يذكر البدري أن من محاسن الشام قرية داريّا وإليها يُنسب البطيخ الداراني. ويذكر أصناف البطيخ الأخضر بدمشق، وهي: داراني، مرجي (نسبةً إلى المرج)، دومي (نسبةً إلى قرية دوما)، حبشي، قبلي، عواميدي وهو المسمى بالنموس، نزهة الأنام، ص٢٢٠-٢٢٣.

٤٣ - يُسميه البدري البطيخ الأصفر ومن أهم أصنافه البطيخ الضميري الأصفر ومن أصناف الشمام: السمرقندي والسلطاني والشمام. ويضيف أن البطيخ المخطط الأصفر هو المسمى بالشام بالشمام، نزهة الأنام، ص ٢٥٩.

١١ - آقجة واحدة (١)	عن حمل الخيار البلدي
١٢ - أربع آقجات (٤)	عن حمل الدراق[٤٤]
١٣ - أربع آقجات (٤)	عن حمل الفستق والبندق الأخضر غير الناشف
١٤ - آقجة واحدة (١)	عن كل قفة عقابية (؟)
١٥ - أربع آقجات (٤)	عن حمل الانجاص الشتوي
١٦ - آقجتان (٢)	عن حمل العنب[٤٥] الوارد من مدينة دمشق
١٧ - أربع آقجات (٤)	عن حمل المشمش الناشف
١٨ - آقجتان (٢)	عن كل شوال من المشمش الناشف

---

٤٤ - يذكر البدري أن من محاسن الشام الدراقن وهو أصنافٌ بدمشق وأنه يُسمى في القاهرة باسم الخوخ. ومن أصنافه بدمشق: خكواجكي، رصاصي، حمصي، نيرباني، لوزي، لزيق، لقيس، كلابي، صالحي، ختمي، مظفري، مسافري، صوري، زهري، لحم الجمل، مجهول، نزهة الأنام، ص٢٠٦-٢١٠ . تجدر الإشارة هنا إلى أشجار الفواكه في دمشق التي يوردها القلقشندي، وهي: التين، العنب، الرمان، القراصيا، البرقوق، المشمش، الخوخ وهو المسمى بالدراقن، التوت، الفِرصاد، ويكثر بها التفاح والكمثرى والسفرجل والجوز والبندق والإجاص والعُناب والزعرور والزيتون، والأترج والليمون والكبّاد والنارنج والموز" ، صبح، ج ٤ ، ص ٨٧ . حول دراقن الشام، انظر: حبيب الزيات، "دراقن الشام" ، الخزانة الشرقية، ج ٣ ، ط ٢ ، (١٩٩٩م)، ص ١٤٦-١٤٨ .

٤٥ - يذكر البدري أن من محاسن دمشق قرية يلدا (يلداه، يلدان) جنوب شرقي قرية عربيل "وما بينهما من القرى الجميع برسم زراعة كروم العنب وعرائشه" ، والعنب صنوفٌ بدمشق، فمنها: البلدي، خناصري، عاصمي، زيني، بيتموني، قناديلي، إفرنجي، مكاحلي، بيض الحمام، حلواني، بوارشي، جبلي، قصيف، أبزاز الكلبة، قشلميش، كوتاني، عبيدي، شحماني، جوزاني، دراقني، مخّ العصفور، عرايشي، رومي، شبيهي، نيطاني، عصيري، رناطي، ورق الطير، سماقي، حرصي، مجزع، شعراوي، دربلي، قاري، علوي، عينوني، مورق، مشعر، مسمط، مرصص، محضر، مقوس، حمادي، تفاحي، رهباني، زردي، مبرد، مخصل، مغاربي، شحمة القرط، نزهة الأنام، ص٢٢٣-٢٢٤ وما بعدها. حول يلدا، انظر، ص ٥٤ من هذه الدراسة.

١٩ - آقجة واحدة (١) عن كل ألف حبة جوز[٤٦]
٢٠ - نصف آقجة (٥ر٠) عن كل زنبيل (سلّ) لزهر النارنج والورد[٤٧]

نلاحظ أن هذه القائمة تكمل قائمة دار القبان، حيث ترد الإشارة إلى الفواكه المجففة، وورد مصطلح "جوال" (كيس) و"قفة"[٤٨] و"زنبيل" (سلّ)، بالإضافة إلى استخدام مصطلح "حمل" ومصطلح "طبلية".

وتكتمل الصورة أكثر إذا ما تفحّصنا العناوين الواردة تحت اسم "عوائد دار الخضر"[٤٩] حيث شملت ما يلي:

---

٤٦ - حدّد القانون نامة مقدار الرسم الذي يُؤخذ على أشجار الجوز على النحو التالي: "تُؤخذ آقجتان خراجاً عن كل شجرة جوز على أن تكون ناضجة وكاملة النمو وتُؤخذ آقجة واحدة عن كل شجرة جوز صغيرة وغير مكتملة النضوج".
ويشير البدري إلى الجوز من قرية منين المعروف "برقّة قشره وبياض قلبه"، وهو صنوف: مغاربي، فرك، منيني، جبلي، بستاني. والجدير بالذكر أن الصباغين كانوا يستخدمون قشره، نزهة الأنام، ص ٣٤٥-٣٤٧.

٤٧ - يورد البدري أشعار بعض الشعراء في النارنج، نزهة الأنام، ص ٣٣٥-٣٣٩. ويذكر من محاسن دمشق "الورد" وهو جنس تحته ستة أنواع بدمشق خلا الأسود"، منه الجوري. ويذكر أن قرية الزبداني "هي قلعة الورد يستخرجون بها ماورد القاهرة المحروسة ومكة المشرفة وغيرهما من البلاد"، ومن محاسن الشام الورد النسريني وهو نوار أبيض وأصله بري.... ويعرش كالكرم وله أغصان برؤوسها الورد كل غصن فيه مائة وردة وأكثر". انظر: نزهة الأنام، ص ١٠٤-١٢١. وعلى ذكر ماء الورد وما يصدر للقاهرة ولمكة المكرمة وذلك على ضوء كثرة الورود، فإن شمس الدين محمد بن أبي طالب الأنصاري المعروف باسم شيخ الربوة (ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م) يصف لنا طريقة استخراج ماء الورد في دمشق، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، تحقيق أ. ف. مهرن، تصوير بغداد، ١٩٢٨م، ص١٩٥-١٩٨.

٤٨ - القفة: "القرعة اليابسة تتخذ من الخوص تكون مقورة ضيّقة الرأس"، السيد مرتضى الزبيدي، تاج، ج ٢٤، (١٩٨٧م)، ص ٢٧٦.

٤٩ - حول أنواع الخضر في بلاد الشام، كما أوردها القلقشندي، فإنه يذكر: البطيخ، القثاء، القلقاس، الملوخيا، الباذنجان، اللفت، الجزر، الهليون، القنبيط، الرجلة، البقلة اليمانية، قصب السكر في الأغوار. القلقشندي، صبح، ج ٤، ص ٨٧.

١ - آقجة واحدة (١)	عن كل كيس جوال من البصل[٥٠] والباذنجان[٥١] أو اللوبيا[٥٢] أو القرنبيط[٥٣] مع رطل طعمة .
٢ - آقجتان (٢)	عن كل كيس عجور[٥٤]
٣ - آقجة واحدة (١)	عن حمل الرمان الحامض والحصرم[٥٥]
٤ - آقجة واحدة (١)	تؤخذ كل يوم جمعة من باعة الهوج (الجزر)[٥٦] والهليون

ويشير القانون نامة إلى أن العادة قد جرت ببيع الزيت والفحم بخان الخليلي[٥٧] بدمشق . والملحوظ أن دفاتر الطابو لا تأتي على أسماء الأشجار المثمرة ولا تذكر

---

٥٠ - يذكر البدري أن من المحاصيل بالشام البصل، ويُعدد مزاياه الطبية، نزهة الأنام، ص ٢٩٥ .

٥١ - يذكر البدري عن الشام : "ومن خصوصياتها الباذنجان الأحمر الرفيع والأبيض القليل البزر الرقيق القشر" ، نزهة الأنام، ص ٢٨٥ .

٥٢ - يذكرها البدري في الشام، نزهة الأنام، ص ٣٠٣ .

٥٣ - يذكرها البدري باسم القنبيط "ويُدعى عند المصريين بالكرنب" ، ويذكر خصائصه الطبية، نزهة الأنام، ص ٢٨٣-٢٨٤ .

٥٤ - العجور في الاستخدام المحلي الدارج هو الفقوس وهو نوع من القثائيات ولا تذكره كتب الفلاحة والزراعة، ويذهب الشيخ عبد الله البستاني (ت ١٩٣٠م) على أنه "ضرب من البطيخ" ، البستان (معجم لغوي)، ٢ ج، المطبعة الأمريكانية، بيروت، ١٩٣٠م، ج ٢، ص ١٥٢٢ .

٥٥ - الحصرم ثمر الكرم قبل الحلاوة، نزهة الأنام، ص ٢٢٥-٢٢٦ .

٥٦ - الجزر : يذكر البدري "من خضار دمشق الجزر" ويأتي بنقولات حول خصائصه الطبية، نزهة الأنام، ص ٢٩٠ .

٥٧ - خان الخليلي : يذكر ابن طولون خان الحرير، خان زاكية، خان السلطان، خان الشيخ، خان القصير، خان ابن الحارة، خان البقسماط، خان جقمق، خان الجورة، خان السبيل، خان السلطان تحت القلعة، خان الشومر. لكنه لا يذكر خان الخليلي، إعلام الورى، ص ١ ، ١٤١ ، ١٤٨ ، ١٦٤ ، ١٨٤ . انظر : مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ٢ ق، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، ١٩٦٤م، ق ٢، ص ٣٢٦ . ولا يذكر يوسف بن عبد الهادي هذا الخان أيضاً في كتاب الإعانات على معرفة الخانات .

أنواع الخضراوات الطازجة أو الناشفة التي ترد هنا في الدفتر ضمن إطار "المقاطعات"، فيتوفر بذلك للباحث كشف دقيق بأسماء الثمار والخضراوات التي كانت تُزرع في بلاد الشام، وما يُعصر منها من زيت ودبس أو مجففات مثل الزبيب والمشمش والفستق والبندق الجاف... الخ. والتي كانت تُباع في أسواق دمشق.

٣ - محصول بازار (سوق) اسب (حصان / خيول) وجمل واستر (البغل) وحمار وساير الدواب في السنة (٦٠٠٠٠) آقجة

جاءت الإشارة في قانون نامة بلاد الشام على تطبيق العادة القديمة الموروثة من زمن السلطان قايتباي في جمع الرسوم في سوق الدواب، ويُفصِّل القانون نامة ذلك ليُبيِّن لنا مقدار الرسوم التي يجبيها الأمناء عند بيع الحيوانات التالية:

١ - ست آقجات (٦) عند بيع الحصان، ويكون المبلغ مناصفةً بين البائع والشاري

٢ - ثماني آقجات (٨) عند بيع الجمل، ويكون المبلغ مناصفةً بين البائع والشاري

٣ - أربع آقجات (٤) عند بيع الحمار، ويكون المبلغ مناصفةً بين البائع والشاري

٤ - ثماني آقجات (٨) عند بيع الجاموس[٥٨] أو الثور، ويكون المبلغ مناصفةً بين البائع والشاري

---

٥٨ - يشير القانون نامة للجواميس أنه تقرر "فرض ست عثمانيات / آقجات على الجاموس الحلوب والسمين" (مادة ٧٥). ويشير النص إلى أنه في بعض بلاد العرب كان يُؤخذ اثنتا عشرة آقجة، وفي بعض الأماكن لا يُستوفى أي مبلغ، لذا وحّدت جميع بلاد العرب كما أشير له أعلاه. أما فيما يتعلق بالأسواق، انظر: يوسف بن عبد الهادي، نزهة الرفاق، ص ١٢٧. ولقد عني مؤرخو مدينة دمشق بذكر أسواقها فهذا عز الدين بن شداد (ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) يورد أسماء الأسواق التالية: سوق علي في دمشق، سوق

وتدل قيمة المبلغ المجموع (٦٠,٠٠٠) آقجة على مدى حجم التبادل في سوق الخيل والدواب. والجدير بالذكر أنه لا ترد إشارة هنا إلى بيع الأغنام والماعز والمواشي في هذا السوق، حيث كان لها سوق خاص بها. ويشير يوسف بن عبد الهادي إلى ما يلي: سوق الخيل تحت القلعة بكرة كل يوم، سوق الحمير تحت القلعة بكرة كل يوم، سوق البقر يوم الجمعة تحت القلعة وسوق الجمال يوم الجمعة تحت القلعة[٥٩]. وقبل ذلك يشير القلقشندي إلى نظر الأسواق في دمشق: "وموضوعها... التحدث على سوق الرقيق والخيل ونحوها وولايتها عن النائب"[٦٠].

الصرف، السوق الكبير، سوق البزوريين، سوق الجلادين، سوق الطير، سوق أم حكيم (العلبيين)، سوق الأحد، سوق الغزل العتيق، سوق الدواب خارج المدينة، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تاريخ لبنان وفلسطين والأردن، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، دمشق، ١٩٦٢م، ص ٢٠, ٢١، ٢٧-٣٠. ويذكر شمس الدين بن طولون (ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م) أيضاً أسماء أسواق في دمشق، منها: سوق بيع العقيق وسوق حكر السماق وسوق ساروجا وسوق جسر باب الحديد وسوق باب البريد وسوق باب الشاغور وقيسارية القواسين لبيع الحرير قبالة الجامع الأموي وسوق الذراع لبيع القماش. كما وأن نجم الدين الغزي (ت ١٠٦١هـ/١٦٥٠م) يشير أيضاً إلى سوق الرصيف بالقرب من الجامع الأموي وإلى سوق الحياكين وسوق القاضي وسوق الخيل، انظر: ابن طولون، أعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تحقيق محمد أحمد دهمان، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٦٤م، ص ٧، ٥٩، ٦١، ١٠١، ١٢٦، ١٥٠، ١٦٤، ١٧٤، ١٨٦؛ نجم الدين الغزي (ت ١٠٦١هـ/١٦٥٠-١٦٥١م)، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، ٣ ج، تحقيق جبرائيل جبور، ط ٢، دار الآفاق، بيروت، ١٩٧٩م، ج ١، ص ١١١، ٢٧١، ٢٧٩، ٢٨٢، ج ٣، ص ١٥٨، ٢١٥.

٥٩ - يوسف بن عبد الهادي، "نزهة الرفاق عن شرح حال الأسواق"، تحقيق حبيب الزيات، الخزانة الشرقية، ج ٣، ط ٢، طرابلس، ١٩٩٩م، ص ١٢٧، أرقام الأسواق: ٧٢-٧٥.

٦٠ - القلقشندي، صبح، ج ٤، ص ١٩١.

٤ - محصول بازار (سوق) الاسارى (الأسرى) في نفس الشام في السنة (٣٠٠٠٠) آقجة

يجدر بنا التنبيه هنا إلى أن كلمة "اسرى" قد لا تعني دائماً (أسير الحرب) بمقدار ما تعني الرقيق والعبيد من الذكور والإناث، البيض أو السمر، الذين كان يجلبهم تجار النخاسة، وعلى ضوء إشارة القلقشندي أعلاه كان هناك سوق خاص بالرقيق في دمشق، وكانت هناك "عادة" تُؤخذ باسم "عادة سوق الأسرى والعبيد" مقدارها (٣٠) ثلاثون آقجة تُجبى عند بيع العبد أو الجارية سمراء أو بيضاء، وتؤخذ من البائع فقط ويُشار لهذا على أنها "عادة من قديم الزمان" . ويأتي يوسف بن عبد الهادي على ذكر النخاسين وبياعي الرقيق، ويذكر أن "الحسبة عليهم في الصدق والأمانة وعدم التدليس والوطء قبل الاستبراء"[٦١] . ويذكر في رسالته "نزهة الرفاق" (٢٩) سوق الجواري والرقيق يباعون بدمشق في التكّة في يوم الاثنين والخميس.

٥ - محصول باج بازار (سوق) أغنام (الأغنام) (٢٢٠٠٠٠) آقجة / سنوياً

ويشير القانون نامة إلى أن مقدار الرسوم على الرأس عند البيع آقجتان تؤخذان من البائع، كما جرت العادة على الوجه المشروح منذ القديم. وكانت تدرّ دخلاً عالياً مقداره (٢٢٠٠٠٠) آقجة سنوياً مما يدل على حجم البيع في العام الواحد إذ كان في إطار (١١٠٠٠٠) رأس سنوياً. وعلى الأغلب أن سوق الغنم قد استمر، فقد ذكره مؤرخ دمشق محمد خليل المرادي (ت ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١-١٧٩٢م)[٦٢] .

---

٦١ - يوسف بن عبد الهادي، كتاب الحسبة، ص ١٣٢؛ نزهة الرفاق، ص ١٢٥ .

٦٢ - محمد خليل المرادي (ت ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م)، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ٤ ج، بولاق، القاهرة، ١٣٠١هـ، ج ٢، ص ١٥٨ . ويشير أيضاً عبد القادر بن محمد النعيمي (ت ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م) أن سودون النوروزي (ت ٨٣٠هـ/١٤٢٧م) قد جهز مع نائب القلعة الأغنام إلى القاهرة " ... وكانت العادة أن الأغنام تُذبح وتُباع بدمشق" ، الدارس في تاريخ المدارس، ٢ ج، تحقيق جعفر الحسني، دمشق، ١٩٤٨م، ١٩٥١م، ج ١، ص ٥٠١ .

٦ - محصول باشخانه (دكان رؤوس الماعز والأغنام) في نفس الشام (٤٠٠٠٠) آقجة / سنوياً

كان من عادة الروّاسين الذين يبيعون رؤوس المواشي من الماعز والأغنام بعد سلخها، وفي بعض الأحيان طبخها وتقديمها مع الشوربة، وجرت العادة شراء عشرة رؤوس بآقجتين وبيعها بخمس وذلك في أيام الصيف . أما في موسم الشتاء فيشترون العشرة رؤوس بخمس آقجات ويبيعونها مع أقدامها بثمانية . ويشير البدري عند تناوله للربوة أن الصيّادين كانوا يصطادون السمك والقلاّيين يقلونه، "ويذبح فيها كل يوم خمسة عشر رأساً من الغنم خلاف ما يجيئها من المدينة، وبها عشرة شرايحية" شغلهم "الطبخ والغرف في الزبادي"[٦٣] .

٧ - محصول كمرك[٦٤] (الكمرك، الجمرك) في نفس الشام في السنة (٢٣٠٠٠٠) آقجة

يُفصِّل قانون نامة لواء الشام عوائد الجمرك على البضائع سواء الواردة إلى قصبة دمشق الشام أو الصادرة عنها . ويُشار هنا بشكل خاص إلى مجموعة التوابل والسلع التي ترد مع التجار المرافقين لقافلة الحج الشريف عند عودتها من مكة المكرمة والمدينة

---

٦٣ - البدري، نزهة الأنام، ص ٨٣ . والجدير بالذكر أن يوسف بن عبد الهادي يشير في رسالته : "الحسبة" إلى اللحامين "وشرط النظافة عليهم وحُسن المعاملة" ، وأشار كذلك إلى الشرايحية والحسبة عليهم في النظافة والإصلاح وعدم السرقة، ويشير أيضاً إلى المصالخية (أهالي السلخ) والحسبة عليهم في النظافة وحُسن العمل، كما ويشير إلى أصحاب الكوامخ والمخللات و "الحسبة عليهم في حُسن العمل والنظافة" ، وعمال السنبوسك و "الحسبة عليهم في النظافة وعدم الغش. . ." ، كتاب الحسبة، ص ١٣٠- ١٣٢ . حول مهنة القصابين واللحامين في دمشق، انظر : محمد سعيد القاسمي، قاموس الصناعات الشامية، ص ٣٥٥ ، ٤٠٠-٤٠١ .

٦٤ - الكمرك : لم تكن ولاية الشام في القرن السادس عشر تشكل وحدة جمركية واحدة بل كان هناك محطات لجبي الجمارك على السلع والمواشي والعبيد الذين يعبرون من عند هذه المحطات، والكمرك هي المبالغ النقدية التي تؤخذ على البضاعة الداخلية أو الخارجة . انظر : R. Dozy، تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية جمال الخياط، بغداد، ١٩٩٩م، ج ٩، ص ١٤٠ .

المنورة إلى دمشق. فإذا ما كانت عودتها عن طريق غزة، كانت الدولة تجبي الكمرك (الجمرك) بخان يونس[٦٥] . أما إذا كانت العودة عن طريق حوران، فكان الجمرك يُجمع في بلدة الكسوة[٦٦] جنوبي دمشق. وكان الأمناء يتقاضون سبع "ذهبات" عن كل حمل بعير من البهار[٦٧] أو الأقمشة بالإضافة إلى مبلغ نصف ذهبة يُجمع كـ"رسم مباشرية" ويتم ضبط الوارد لحساب الميري وهو هنا الخاص السلطاني. وكان هذا الباج على البهار والأقمشة وغيرها، الواردة مع قافلة الحج الشريف، توفر دخلاً للخاص السلطاني مقداره (٦٠٠٠٠٠) آقجة سنوياً. وعند بيع أي من هذه السلع للتاجر الإفرنجي، يأخذ الأمناء عشر ذهبات من البائع وتسع ذهبات أيضاً من التاجر الإفرنجي، هذا بالإضافة إلى ذهبتين عن كل ما قيمته مائة ذهبة يدفعها التاجر الإفرنجي تحت رسم "تخزين" . وعند نقل البضاعة إلى ميناء بيروت، يدفع التاجر الإفرنجي سبع آقجات وثلث آقجة عن كل مائة تُعرف بحق (القبلة ؟ ربما مثله؟) "حسب الاصطلاح المعتاد"[٦٨] .

---

٦٥ - حول خان يونس راجع مقالة "خان يونس"، الموسوعة الفلسطينية، ٤ م، ١٩٨٤م، م ٢، ص ٣١٤-٣١٦ . أقام العثمانيون فيها قلعة سنة ١٦٠٣م لحماية المسافرين من تعرض القبائل البدوية لهم؛ Uriel Heyd, *Ottoman Documents on Palestine 1552-1615*, Oxford University Press, 1960, p. 185-186.

٦٦ - الكسوة بلدة على بُعد ١٩كم إلى الجنوب من دمشق وهي مركز ناحية في حوض نهر الأعوج، المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، ٥مج، مركز الدراسات العسكرية، دار طلاس للدراسات والترجمة، دمشق، ١٩٩٠-١٩٩٣م، م ٥، ص ٣٤ .

٦٧ - يشير السيد مرتضى الزبيدي في تعريفه للبهار بما يلي: "البهار ما يحمل على البعير بلغة أهل الشام"، تاج العروس، ج ٤، ص ٨٤ . لمزيد عن أوزان الحمل حسب نوعية السلعة والبلد، راجع: فالترهنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ط٢، ترجمه عن الألمانية كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٨٢م، ص٢٦-٢٧ .

٦٨ - يذكر القلقشندي من الوظائف بدمشق "شد العشر" وموضوعها التحدث في واصل الفرنج"، صبح، ج ٤، ص ١٨٧ . ربما كلمة "قبلة" هنا هي تحريف لكلمة قبالة وتعني "وكل من تقبل بشيء مقاطعة وكتب عليه بذلك الكتاب، فعمله القبالة، والقبيل أيضاً هو "العريف والضامن"، السيد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج ٣٠ ، (١٩٩٨م)، ص ٢١٤-٢١٥ .

وعند استيراد بعض المواد من بلاد الفرنجة كالجوخ والأطلس والكمخا والمرجان والقصدير والنحاس وما شابهها من المواد، يتم تقدير قيمتها وتجبي الدولة ثلاث أشرفيات[٦٩] عملة السلطان الأشرف أبي النصر سيف الدين برسباي ٨٢٥هـ/١٤٢٢م - ٨٤١هـ/١٤٣٨م) عن كل مائة أشرفية. أما الخردوات كالمواد الزجاجية والخيوط والكرباس[٧٠] والورق، فيؤخذ رسم "حق قبله/مثله" مقداره أربع آقجات عن كل حمل، وعند تصدير الزبيب[٧١] من العنب الأحمر إلى بلاد الفرنجة، تأخذ الدولة اثنتي عشرة آقجة عن كل صندوق (علبة) ويساوي الصندوقان (العلبتان) منهما خمسين منّا.

---

٦٩ - الأشرفيات: المقصود بذلك، النقود الذهبية التي كانت على طرازين وقام بضربها السلطان الأشرف سيف الدين برسباي (٨٢٥هـ/١٤٢٢م -٨٤١هـ/١٤٣٨م)، كما قام بضرب دراهم فضية جديدة، وحملت اسم الدراهم الأشرفية، وضرب فلوساً من النحاس. انظر حمود بن محمد النجيدي، النظام النقدي المملوكي ٦٤٨هـ/١٢٥٠م-٩٢٢هـ/١٥١٧م: دراسة تاريخية حضارية، مؤسسة الثقافة الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٣م، ص٢٤٠-٢٤٢. وحول أوزان دنانير الأشرف برسباي التي كان يُشار إليها، حتى سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م، باسم "الذهب البارسبيهي"، انظر: أحمد السيد الصاوي، نقود مصر العثمانية، مركز الحضارة العربية، الإسكندرية، ٢٠٠١م، ص ١٤١-١٤٢.

٧٠ - الكرباس: ثوب من القطن "وكل من يبيع الكرابيس بدمشق يسمى الطاطري"، انظر: عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٨ ج، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت، ج ٢، ص ٢٤؛ السيد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج ٣، ص ٣٥٩. انظر أيضاً: عبد الكريم السمعاني (ت ٥٦٢هـ/١١٦٧م)، في تعريفه "للطاطري" أنه "لقب يُطلق في مصر ودمشق على من يبيع الكرابيس والثياب البيض"، الأنساب، حيدر أباد الدكن، ١٩٦٢-١٩٨١م، ج ٩، ص ٦.

٧١ - الزبيب هو: "جفيف العنب خاصةً وأفضله أكثرها لحماً وأرقه قشراً، وبعض الناس يميل إلى الزبيب الكبار فيخرج عجمه، والكشمش هو الزبيب الصغير الذي لا عجم له وهو أجود". انظر: البدري، نزهة الأنام، ص ٢٣٤.

٨ - محصول دلاّليه[٧٢] (السمسارية[٧٣]) الجوانية في نفس الشام بين المسلمين والنصارى (الفرنجة)[٧٤] في الكمرك في السنة (٥٥٠٠) آقجة

يوضح قانون نامة لواء الشام أنه عند ورود المواد الواردة أدناه مع قافلة الحج الشريف، وهي: الزنجبيل والنيل واللوك والصمغ الهندي، يؤخذ من المشتري والبائع

٧٢ - الدلالية، يعرف السيد مرتضى الزبيدي (الدّلاّل) على أنه: "الجامع بين البيعين" ويُشير إلى حرفة (الدّلاّل)، وذلك في إطار السوق والترويج للسلع، ومنها مصطلح المبرطش وهو "الدلال الساعي بين البائع والمشتري"، ويضيف السمعاني ما يلي: "الدلال حرفة من يتوسط بين الناس في البياعات وينادي على السلعة من كل جنس"، الأنساب، ج ٥، ص ٤٣٠-٤٣١؛ تـاج، ج ٤، ص ٢٨١؛ ج ١٧، ١٩٧٧م، ص ٧٣؛ ج ٢٨، ص ٤٩٨؛ انظر أيضاً: R. Dozy, *Supplément aux Dictionnaires Arabes*, 2 vols., Librairie du Liban, Beyrouth, 1968, vol. I, p. 456.

٧٣ - السمسارية: التوسط ما بين البائع والمشتري وهو الذي يُسميه الناس (الدّلال)، فإنه يدلّ المشتري على السلع ويدل البائع على الأثمان، وذكر البعض أنها معرّبة عن الفارسية. الزبيدي، تاج العروس، ج ١٢،ص ٨٦-٨٧. ويذكر جمال الدين بن عبد الهادي الدمشقي في رسالته "الحسبة" "السماسرة والحسبة عليهم في الصدق والأمانة وعدم الشيطنة"، ص ١٣٠. ومصطلح "سمسار" كان رائجاً في أسواق المدينة المنورة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الذي سمّى السماسرة بالتجار. انظر: محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م)، كتاب التاريخ الكبير، ٤ ج، في ثمانية مجلدات، حيدر أباد الدكن، ١٩٣٤-١٩٤١م، ج ٤، الأول، ص ١٤٩. وانظر أيضاً: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، الجامع الصحيح، ٥ ج، ط ٢، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة، ١٩٧٨م، ج ٣، ص ٥٠٥.

٧٤ - يذكر ابن طولون الصالحي وجود تجار إفرنج بدمشق، فيشير في أحداث سنة ٩٣٥هـ/ ١٥٢٩م إلى قصة سيدة ذهبت إلى سوق الذراع لشراء "ثلاث شقف عجمي من شغل الإفرنج". انظر، حوادث دمشق اليومية ٩٢٦-٩٥١هـ، ص ٢١٥-٢١٦. ولا شك أن الحركة التجارية للإفرنج وأيضاً منزلة التجار الفرنسيين قد تعززت بعدما منح السلطان سليمان القانوني الامتيازات من خلال "عهد نامة" الذي عقده في السنة ٩٤٣هـ/ شباط ١٥٣٦م مع ملك فرنسا فرنسوا الأول (ت ١٥٤٧م). انظر: H. Inalcik, « Imtiyazat », *E.I.*², vol. III, p. 1179-1189.
انظر أيضاً: B. Lewis, « Beratli », *E.I.*², vol. I, p. 1171 .

مبلغ خمس آقجات عن كل ما قيمته ألف آقجة . ويؤخذ العُشر من صاحب الزنكار وهو كحل العين، والصبر والكافور وما شابهها من البضائع . أما البضائع التي يوردها الفرنجة، وعلى الأغلب يشار إليهم باسم (النصارى)، كالأطلس والكمخا والقديفة والكهرباء[٧٥] ومسابح المرجان وما شابهها فتؤخذ عشرون آقجة عن كل ما قيمته ألف آقجة، كذلك تؤخذ عشر أشرفيات عن كل صندوق من المرجان . وكان ناظر الجيش في السابق، أي في العهد المملوكي، يأخذ نصف حاصل الدلالية ويأخذ الدلاّلون النصف الآخر، أما في الوقت الحالي (سنة إعداد الدفتر) فيخصص ثلثا الدخل للميري أي للسلطان، ويأخذ الدلاّلون الثلث الثالث، ويذكر القانون أن المترجمين[٧٦] يسمون ذلك الدلالية الجوانية . ونلاحظ هنا أن أكثر من عملة ذهبية وفضية مملوكية وعثمانية كانت تستخدم في سوق الدلالية الجوانية .

حول موضوع الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني، انظر: ليلى الصبّاغ، الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين السادس عشر والسابع عشر (العاشر والحادي عشر الهجريين)، ٢ ج، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م، وبخاصة ج ١، ص ١٣٥ وما تلاها.

٧٥ - الكهرباء: كلمة فارسية الأصل-وهي مؤلفة من كلمتين (كاه - ربا) أي جاذب التبن وهي نوع من أنواع الأحجار تستخدم في نظم المسابح، السيد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج ٤ ، (١٩٦٨م)، ص١٨٣-١٨٤ .

٧٦ - يذكر السيد مرتضى الزبيدي لفظ "ترجم" ترجمان أي نقله من لغة إلى أخرى، وأشار إلى أن البعض يعتبرونها معرب "درغمان"، تاج العروس، ج ٣١، ص ٤٢٧-٤٢٨، وارتبط عمل المترجمين مع الحجاج المسيحيين، وكان المترجمون يراقبون الحجاج للضرورات الأمنية، وكان للترجمة دور كبير في الأعمال التجارية . وأنه كان "للتراجمة سلطة على تجار الفرنج" . لمزيد من التفاصيل انظر: سمير الدروبي، "حركة الترجمة والتعريب في ديوان الإنشاء المملوكي - البواعث واللغات والمترجمات"، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، عدد (٦٢)، ٢٠٠٢م، ص ١١-٥٧ . انظر أيضاً: "أصناف التراجمة في ديوان الإنشاء المملوكي"، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عدد (٦٥)، ص ١١-٣٦ . راجع أيضاً: محمد سعيد القاسمي حول دور الترجمان وبخاصة من النصارى في مجتمع دمشق، قاموس الصناعات الشامية، ص٦٩-٧٠ .

٩ - محصول الدلالية البرانية في سوق البزورية[٧٧] في السنة (٢٤٠٠٠) آقجة

تؤخذ خمس آقجات بالمائة من قيمة كل مادة أو سلعة تباع في سوق البزورية. ولا توفر المصادر المتاحة لنا مواد واسعة عمن كان يقوم بالسمسارية والدلالية، وتجيء المعلومات على شكل نتف منها مثلاً: أن والد العالم علي بن إسماعيل الشافعي (ت ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م) كان سمساراً في القماش بسوق جقمق[٧٨].

١٠ - محصول مشدية[٧٩] الأنهار مع خراج مفصول (أي مقطوع) في السنة (٦٨٠٠٠) آقجة

كانت العادة في زمن المماليك التي يُشار إليها بـ "العادة القديمة" أن رسماً يُجمع من أصحاب البساتين التي تُروى بمياه أنهار دمشق السبعة فيتم صيانة

---

٧٧ - سوق البزورين (البزورية) : "تحت سوق السلاح يُباع فيه العطر والأبازير ونحو ذلك". انظر: يوسف بن عبد الهادي، نزهة الرفاق عن شرح أحوال الأسواق (بدمشق)، نشره حبيب الزيات، الخزانة الشرقية، عن مجلة المشرق، ج٣، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٤٤م، ص ١٢٥. انظر أيضاً: ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص٢٠-٢١ ، ٢٧-٣٠.

٧٨ - انظر نجم الدين الغزي، الكواكب السائرة، ج ٣، ص ١٨٢. لقد أورد الغزي عدداً من تراجم العلماء (١٩ ترجمة) في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي بدمشق، قد عملوا في الصنائع والحرف، انظر: الدوري، الجامع لنصوص الاقتصاد الإسلامي، ج ١، ص ٦٦٢-٦٦٣. ومن مهام الشادّ: "المراقبة والإشراف والتفتيش والمعاونة والتوجيه والتعمير والاستثمار"، حول هذا المصطلح، انظر: حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ٣ج، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٦م، ج ٢، ص ٦٠٤-٦١٣.

٧٩ - يُفهم من الإشارات الواردة لدى أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)، أن "الشاد" كان من أصناف المباشرين وكذلك الكاتب والمشارف، بما يفيد الأشراف. ويذكر في دمشق وظائف تحمل اسم "شدّ"، وهي: شد الدواوين، شد الأوقاف، شد الخاص، شد الزكاة، شد العشر وشد دار الطعم. ويُفهم من كل هذا أن مصطلح "الشدّ" يعني "النظر"، صبح الأعشا، ج ٣، ص ٤٥٢ ، ٤٥٨ ، ٤٦٠ ، ٤٨٣؛ ج ٤، ص ١٨٦-١٨٧.

مجاريها[٨٠]، وترمم الأقنية فيها والتي كان عددها يزيد على مائة وعشرين قناة، ويتم تنظيف المجاري وتُزال الأعشاب والأوساخ المتجمعة، وبخاصة في قلبيط، لتيسير تدفق المياه وما يزيد على هذه النفقات فيضبط لحساب الخزائن السلطانية. ويشير القانون نامة إلى تعبير "عدان" الذي ما زال مستخدماً في محيط دمشق إلى يومنا هذا، ويُطلق هذا المصطلح، كما يذكر القانون نامة في بعض الأماكن "على مساحة الأرض التي يسقيها النهر الذي يتم سدّ مجراه ويُسمح له بالمسيل من فتحة وذلك في غضون يوم وليلة". وكانت الأنهار التالية تجري في مدينة دمشق أو في محيطها لتزويد المدينة بالمياه ولتنظيف المكاره، مثل نهر قليط، ولري قرى الغوطة وبعض قرى المرج: نهر بردى، يزيد، قناة المزة، الديراني، ثورى [تورا]، قنوات، بانياس، العقرباني، الداعياني والمليحي، وهناك أقنية خاصة تنقل المياه من الأنهار إلى القرى[٨١].

---

٨٠ – حول أنهار دمشق وقنواتها، انظر: عز الدين محمد بن علي بن الحلبي ابن شداد (ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ٢ ج، دمشق، ١٩٦٢م، ص١١-٣٢.

٨١ – انظر: محمد كرد علي (ت ١٩٥٣م)، غوطة دمشق، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ط ٢، ١٩٥٢م، ص ١٠٤-١١٩. حول مصادر المياه، وحول نظم توزيع المياه في الغوطة. انظر أيضاً في نفس المرجع: ص ١٥٥-٢٢٣. انظر أيضاً: صفوح خير، غوطة دمشق، دمشق، ١٩٦٦، ص ١١٣-١٥٣. يشير صفوح خير إلى وظيفة "شيخ النهرين" المسؤول عن نهريْ يزيد وثورا، ص ٢١٩، ويُشير أيضاً إلى "شيخ البساتنة"، ص ٢١٩. ويورد لنا مؤرخ الشام شمس الدين محمد بن طولون الصالحي (ت ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م) نصاً فريداً صادراً عن القاضي بدمشق بتاريخ ٨ شعبان ٦٤٧هـ/ ١٦ / ١١ / ١٢٤٩م ومصادق عليه من جديد في ٣ ذي الحجة ٩٠١هـ/ ١٣ / ٨ / ١٤٩٦م، ص ٢٦٤-٢٦٥، حول توزيع المياه بنظام "العدّان"، والنص هو: "إن العادة المستمرة والقاعدة المستقرة الجارية في عدادين نهر ثورا [كذا] من أهل الأماكن الآتي ذكرها من كورة غوطة دمشق من السنين المتقادمة، والأعوام المتطاولة، أن لأهل قريتيْ دومة وحرستا الزيتون بينهما نصفان ثمانية عدادين في ثمانية أيام متوالية ثم يتلوها لأهل قرية عربيل وقرية كفر مدير وقرية مسرابا الوقف على البيمارستان النوري ولداريا الصغيرة، ولثلاثة مزارع من قرية حرستا الزيتون تُعرف إحداهن بعذرون والأخرى بسطرا، والأخرى بانطايا،

١١ - محصول باج بازار (سوق[٨٢]) الغلة في نفس شام في السنة (٤٠٠٠٠) آقجة

يشير القانون نامة إلى "العادة القديمة" لسوق الغلة والخلاصة أنه تؤخذ آقجتان من المشتري عند بيع كل غرارة[٨٣] قمح ومثل هذا المبلغ يُجبى عن كل غرارة من

أربعة عدادين من هذه الأماكن المؤخر ذكرها من وقت العصر إلى طلوع الشمس ما خلا ماصيتي أمير المؤمنين وقناة السبيل المعروفة بالزينبية والماصية الخامسة المعروفة بدار الضيافة وسدها من الربوة إلى أن تنتهي إلى مقسم الثلث الذي منه هذه العدادين الأربعة وأن هذه العادة لم يغيرها مغير ولا أزالها مزيل من السنين المتقادمة إلى الآن وكتبوا شهادتهم في الثامن من شعبان سنة سبع وأربعين وستمائة هجرية، وقد اتصل بحكام الشريعة المطهرة حاكماً بعد حاكم بالطريق الشرعي إلى أن اتصل بالشهادة على الخط وحكم بثبوت الصحة فيها شيخنا قاضي القضاة نجم الدين عمر بن إبراهيم بن مفلح الحنبلي في ثالث الحجة سنة احدى وتسعمائة". القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، ق١، ص٢٦٣-٢٦٤. لمزيد من المعلومات عن أنهار دمشق، انظر: جمال الدين يوسف بن عبد الهادي، غدق الأفكار في ذكر الأنهار، تحقيق صلاح الخيمي، *Bulletin d'Études Orientales*, Damascus, vol. XXXIV, (1982), p. 197-207.

٨٢ - السوق: هو "من سوق الناس بضائعهم إليها، وهو موضع البياعات"، السيد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج ٢٥، ١٩٨٩م، ص٤٧٦، ٤٨٢. حول أسواق دمشق في العهد العثماني، انظر: Sarab Atassi and J.-P. Pascual, « Sūḳ Damascus under the Ottomans », *E.I.*², vol. IX, p. 792-795.

٨٣ - يذكر لنا كل من ابن فضل الله العمري والقلقشندي أن "مكيل دمشق بالغرارة وهي اثنتا عشر كيلاً كل كيل ستة أمداد ينقص قليلاً عن ربع الويبة المصري ونسبة الأردب من الغرارة أن كل غرارة ونصف ثلاثة أرداب بالكيل المصري"، أحمد بن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج ٣، تحقيق محمد خريسات وزميليه، مركز زايد للتراث، العين، دولة الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠١م، ص٢٤٣؛ صبح، ج ٤، ص ١٨١. والجدير بالذكر أن شمس الدين محمد بن أحمد المقدسي (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) يذكر أن مكاييل وأوزان الشام هي: "القفيز ٨ مكاكيك "المكوك صاع ونصف"، الويبة، المكوك، الكيلجة بالرملة المدي (الجريب ٤٥ رطلاً)، القب بايلياء، الغرارة، الأوقية، الرطل". أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق

الشعير والغلال الأخرى، ويؤكد القانون نامة أنه يمنع بيع الحبوب والغلال خارج سوق الغلال. ويشير ابن عبد الهادي في السنة ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م إلى سوق الحبوب بباب الجابية وإلى سوق القمح وهو "عرصات بميدان الحصى وما والاه". ويشير أيضاً إلى سوق الدقيق بباب الجابية"[٨٤].

(M. J. De Goeje)، بريل، ليدن، ١٩٠٩م، أعيد تصويره في بيروت، د.ت.، ص١٨١-١٨٢ . انظر ايضاً، من باب المقارنة: جمال الدين محمد بن المكرم بن منظور (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب، ١٥ ج، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥-١٩٥٦م، ج ١٥، ص ٢٧٤ . حول المكاييل والأوزان في بلاد الشام، انظر أيضاً:

B. Lewis, « The Jews in Palestine in the 16th Century », Notes and Documents from the Turkish Archives, in *Studies in Classical and Ottoman Islam*, Variorum, London, 1976, section XX, p. 16-17.

ويُقدِّر هنتس الغرارة الشامية من الحنطة (٢٠٤،٥) كغم أو حوالى (٢٦٥) لتراً بوصفها مكيالاً حيث كان الكيل الواحد ١ / ١٢ غرارة أي حوالى ٢٢،٠٨ لتر، المكاييل والأوزان، ص ٦٤، ٧٠.

٨٤ - انظر يوسف بن عبد الهادي، نزهة الرفاق عن شرح حال الأسواق، ص ١٢٦، (أرقام ٤٠، ٤٢، ٥٥). ويقول مضيفاً في كتاب الحسبة: "الدقاقون وهم الطحّانون والحسبة عليهم في الجودة وعدم الغش". أما فيما يتعلق بالحبوبية "وهم من يبيع الحبوب كلها والحسبة عليهم في التقوى وعدم الغش بالرديء"، كتاب الحسبة، ص ١٢٩ . والجدير بالذكر أن شمس الدين بن طولون يذكر أنه في ٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م أبطل السلطان الناصر محمد بن قلاوون (٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م - ٧٤١هـ/ ١٣٤١م) مكوس الغلة بالشام كلّه وكان مبلغاً عظيماً يؤخذ من ثمن الغرارة ثلاثة دراهم ونصف"، اللمعات البرقية في النكت التاريخية، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٤م، ص ٤٨ . والجدير بالذكر أن دفاتر الطابو تشير، عند تناول حصة الدولة من عوائد الحاصلات الشتوية أو الصيفية، إلى غرارة الحنطة وغرارة الشعير وغرارة الحمص وغرارة العدس وغرارة الفول وغرارة الجِلتوك (الأرز) وغرارة السمسم، مع إيراد أثمانها التقديرية بالآقجة.

١٢ - محصول بيت الحشيش وغيره في نفس الشام في السنة (٣٦٠٠٠) آقجة

لا يشير القانون نامة إلى بيت الحشيش في دمشق ولكن في أحداث عام ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م، يذكر شمس الدين محمد بن طولون (ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م) أن نائب السلطان سليم الأول في دمشق جان بردي الغزالي (ت صفر ٩٢٧هـ/ شباط ١٥٢١م)، وأثناء حركة عصيانه ضد العثمانيين، منع استخدام الخمر والحشيش وكذلك الرسوم التي "نظّمها" العثمانيون على هذين الصنفين[٨٥].

١٣ - محصول دار الضرب : الذهب والفضه والفلوس في نفس الشام في السنة (١٠٠,٠٠٠) آقجة

كانت دار الضرب تقع في قلعة مدينة دمشق[٨٦]، ولا يشير قانون نامة الشام إلى دار الضرب، ولكن دفاتر أخرى، بالإضافة إلى دفاتر الطابو، تشير إلى هذه الدار وأنه

---

٨٥ - M.A. Bakhit, *The Ottoman Province of Damascus in the 16th Century*, p. 42, p. 141-142.

٨٦ - البدري، نزهة الأنام، ص ٦٠ . ولا تسعفنا المصادر المتوفرة لدينا في معرفة المزيد عن دار الضرب بدمشق ومن أين تحصل على سبائك الذهب والفضة والنحاس، على غرار ما يصف لنا الأسعد بن مماتي (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)، عن تفاصيل الإجراءات في دار الضرب بالقاهرة والإسكندرية فيما يتعلق بسبك الذهب، ودار العيار، انظر : كتاب قوانين الدواوين، جمعه وحققه عزيز سوريال عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١م، ص ٣٣١-٣٣٤ . انظر كذلك : القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٦١-٤٦٤ . وجلّ ما يتوفر لدينا هو ما جاء لدى القلقشندي من أن معاملة أهل الشام بالدنانير المصرية ونحوها وزناً والدنانير الإفرنتية نسبةً إلى مدينة "Florence" عدّاً، والدراهم النقرة وزناً لا تختلف النقود في ذلك. "إلا أن الصنجة الشامية في أوزان الذهب تخالف الصنجة الشامية فتنقص الصنجة الشامية عن المصرية كل مائة مثقال مثقال وربع مثقال، وتنقص صنجة الدراهم الشامية عن الصنجة المصرية كل مائة درهم درهم والمعاملة فيها بفلوس صغار - وراجت الفلوس الجدد عندهم سنة ٨٠٢هـ" [١٣٩٩م]، صبح، ج ٤، ص١٨٠-١٨١ .

في عام ٩٧٠هـ/ ١٥٦٢م قد لزمت إلى الخواجا عبيد ومحمد بن مزيد لمدة أربع سنوات بمبلغ إجمالي قدره (٢٨٧٠٠٠) آقجة أي بمقدار (٧١٧٥٠) آقجة سنوياً، ونلاحظ من خلال هذا الدفتر، وبعد سبع سنوات، أن المبلغ قد ارتفع إلى مائة ألف آقجة سنوياً، وكان رأس مال دار ضرب الشام يوزع على أهل الأسواق. وبالإضافة إلى الذهب والفضة، كان النحاس يستخدم في صك الفلوس التي يُشار إليها أحياناً باسم "مانقر (نحاس)". ويُشار في بعض الأحيان إلى "الزغل" في العملة وأن عملية التنقية للحصول على صك (سكّ) پادشاهي وعملة "حسنة" فإن دار الضرب كانت تأخذ "حق النار" أي قيمة المعدن الذي يضيع لدى إذابة الذهب والفضة وما سواها. وأصبحت دمشق وحلب وحميد من ديار بكر من مراكز ضرب العملة كالآقجة" والدرهم الفضي بالإضافة إلى السلطانية الذهبية. وكانت الدولة تعتمد موظفين "أمناء" مختصين للإشراف على صك العملة وحفظ وزنها وحمايتها من الزغل والتزوير. كما كانت دار الضرب التي تخضع للتلزيم تقوم بالإشراف على العيارات ووحدات الوزن في أسواق الذهب والفضة وبقية الأسواق. كما أنه لم يكن يسمح للأفراد أو الجماعات من التجار والأثرياء بصك القطع الذهبية أو الفضية على مسؤولياتهم، ويذكر البدري عن دمشق: "وفيها تعمل صناعة الذهب المسبوك والمضروب والمجرور والمرفوع والمحدّود والمرصوع"[٨٧]، بل عليهم تقديمها إلى دار الضرب التي كانت تأخذ خُمس القيمة[٨٨] مقابل عملية التقطيع والسك.

---

٨٧ - البدري، نزهة الأنام، ص ٣٦٣.

٨٨ - راجع خليل ساحلي أوغلي، من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني بحوث ووثائق وقوانين، استنبول، ٢٠٠٠م، ص ٣٠، ص ٤٤، ص ٤٦. راجع أيضاً:
Halil Inalcik, « Dār al-Ḍarb – The Ottoman Period », *E.I.*^{2}, vol. II, p. 118-119.
انظر ما ذُكر في هامش (٨٥) أعلاه لدى القلقشندي عن صنجة الذهب وصنجة الدراهم ومعاملة الفلوس، صبح، ج ٤، ص ١٨١. انظر أيضاً: شوكت باموك، التاريخ المالي للدولة العثمانية، تعريب عبد اللطيف الحارس، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ١٩١-١٩٢.

١٤ - محصول بيت المال العام الذي يقل عن عشرة آلاف آقجة سنوياً باستثناء الخاص [السلطاني] ومال الغائب ومال المفقود في نفس الشام (١٠٠٠٠٠) آقجة سنوياً

كان المبلغ الذي يقل عن عشرة آلاف آقجة يدفع حسب ما هو محدد في الدفتر وغالباً لأمير السنجق أو للعامل أو الملتزم في اللواء. أما المبلغ الذي يزيد على عشرة آلاف آقجة سنوياً، والمتأتي من ريع أرض الميري والرسوم المُجباة على العبيد الآبقين أو القطعان الضالة، بالإضافة إلى تركات خدام السلطان الذين لا وارث لهم، فإنها كانت تُعتبر ملك بيت المال[٨٩]. وكان هذا استمراراً للإجراءات المتّبعة في موضوع المواريث الحشرية[٩٠].

١٥ - محصول مقاطعه فايده البلس[٩١] في نفس شام في السنة (٦٨٠٠٠٠) آقجة

وهو مجموع الرسوم التي كانت تتقاضاها الدولة على "رماد الاشنان"[٩٢] بعد حرقه ويُعرف رماده باسم "القلي" وكانت الأعشاب البرية التي تنمو خارج دمشق

---

٨٩ - B. Lewis, « Bayt al-Mal - The Ottoman Times », *E.I.*², vol. I, p. 1147-1148.

٩٠ - المواريث الحشرية: يعرّفها القلقشندي كما يلي: "وهي مال من يموت وليس له وارث خاص بقرابة أو نكاح أو ولاء أو الباقي بعد الفرض من مال من يموت وله وارث ذو فرض ولا يستغرق جميع المال ولا صاحب له"، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٦٠.

٩١ - عند العودة للمعاجم اللغوية وكتب الأدوية نجدها تُعرِّف (البلس) على أنه التين أو ما يشبه التين والذي يكثر باليمن، ولا يرد بمعنى الأعشاب البرية، انظر: ضياء الدين عبد الله بن أحمد المالقي بن البيطار (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ٤م، تصوير مكتبة المثنى، بغداد، د.ت، م ١، ص ١١٤؛ كذلك انظر: جمال الدين محمد بن منظور (ت ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، ١٤م، بيروت، ١٩٥٥-١٩٥٦م، م ٦، ص ٣٠. وانظر أيضاً: السيد مرتضى الزبيدي، تاج، ج ١٥، (١٩٧٥م)، ص ٤٦٢. حول هذا اللفظ انظر أيضاً رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي، ج ١، بغداد، ١٩٧٨م، ص ٤٢٣.

٩٢ - يأتي أبو بكر أحمد بن علي بن قيس الكسداني (ق ٤هـ/١٠م) على معلومات واسعة عن الأشنان وفوائده فإنه إذا ما حُرق كان عنه القلي "والقلي بعيد في الصورة والجوهر من

في ناحية المرج[٩٣] وجبة العسّال[٩٤] والقلمون[٩٥] تُحرق ويُنقل رمادها بإشراف مسؤولي الدولة إلى دمشق ويُباع لصالح الميري أو للخاص السلطاني ويقبض أصحاب الأرض ثماني آقجات عن كل قنطار[٩٦] أجرة للأرض وثماني آقجات أخرى أجرة نقل عن كل قنطار، ويذكر القانون نامة أسماء ست قرى حدّد القانون مقدار ما تقدمه كل قرية منها من القلي كحد أدنى سنوياً، وهي :

الأشنان" وأن الأشنان يستخدم أيضاً للتدليك لأنه طيب الرائحة ويستخدم مطبوخاً لتنظيف الثياب وكذلك في معالجة الذراريح في الكروم. انظر: الفلاحة النبطية، ٣ ج، تحقيق توفيق فهد، المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، دمشق، ١٩٩٣-١٩٩٨، ج ١، ص ٣٩ ، ٩٦ ، ٣٨٥ ، ٥٠٠ ، ٦١٣ ، ٦٦٠؛ ج ٢، ص١٠٩١, ١٢٨١. كان هناك درب بالشام اسمه درب القلي فيه مسجد، ابن شداد، الأعلاق الخطيرة - دمشق، ص ١١٧.

٩٣ - حول أسماء قرى ناحية المرج القبلي والشمالي، انظر: (T. D. 474)، ص ٢٣٧. حيث تشمل (١٢) قرية و(٣٩) مزرعة و(١٦) قطعة أرض.

٩٤ - حول أسماء قرى ناحية جبة العسال، كان للخاص السلطاني فيها (٩) قرى و(١٨) مزرعة، راجع: (T. D. 474), p. 263, p. 265-276.

٩٥ - يذكر الدفتر اسم قرية واحدة في ناحية القلمون تابعة للخاص السلطاني مع مزرعتين، كما كان يجبى باج أغفار بالقرب من قرية قطيفة مقداره ثمانية آلاف آقجة سنوياً: (T. D. 474), p. 259-261.

٩٦ - القنطار: يرد لفظ "القنطار" في القرآن الكريم، ولكن الفقهاء يختلفون في وزنه ومقداره. انظر: علي بن إسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م)، المخصص، ١٧ ج، تحقيق جماعة من علماء الأزهر، ١٣٢١هـ، إعادة تصوير دار الفكر، القاهرة، ج ١٢، ص ٢٦٦. انظر أيضاً: محمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت ٤٦٠هـ/١٠٦٧م)، التبيان في تفسير القرآن، ٩ج، صححه ورتبه أحمد شوقي وأحمد حبيب، النجف، ١٩٥٧-١٩٦٣م، ص ٢٦٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٥٠٤، وهو يساوي مائة رطل، أي حوالي ١٨٠ كغم. انظر أيضاً: B. Lewis, « The Jews in Palestine », p. 16-17.

١ - قرية ضمير[٩٧]، تقدم ألف قنطار قلي على الأقل وألفي قنطار سنوياً على الأكثر. ويكون الحساب فيما يتعلق بأجرة الأرض وكراء النقل كما ذُكر أعلاه.

٢ - قرية جرود[٩٨]، تلتزم بخمسمائة قنطار قلي وأن تكون أجرة الأرض لقاء ذلك (١٢٠٠) آقجة سنوياً، لكن القانون نامة لم يُذكر شيئاً عن أجرة النقل.

٣ - قرية روحية[٩٩] (رحيبة) (؟)، يُقدم أهلها ثلاثمائة قنطار (٣٠٠) قلي ويُدفع لهم ألف آقجة أجرة للأرض.

٤ - قرية معيصرة[١٠٠]، يقدم أهلها ألف قنطار قلي ويقبضون (١٢٠٠) آقجة إيجاراً للأرض.

---

٩٧ - حول قرية ضمير وحاصلها قسْم من النصف (٦٢٠٠٠) آقجة سنوياً، يقول البدري: "ومن محاسن دمشق ضمير وهي من القرى القديمة وإليها يُنسب البطيخ الضميري"، نزهة الأنام، ص ٢٥٦. وبموجب إحصاءات (T. D. 401) حوالى سنة ٩٥٠هـ/١٥٤٣م)، أرشيف رئاسة الوزراء، اسطنبول، فإنها كانت تتبع ناحية المرج وعدد سكانها (٢٠٠) خانة و(٩) مجردين وإمام واحد وحاصلها السنوي (٤٤٠٠٠) آقجة، ص ٨٥.

٩٨ - حول قرية جرود، التي كانت تتبع ناحية القلمون، كان سكانها (٢٧٤) خانة و(٢) إمام وحاصلها (٢٠٢٥٠) آقجة سنوياً. انظر: (T. D. 401) (حوالى سنة ٩٥٠هـ/١٥٤٣م)، ص ١٤١-١٤٣.

٩٩ - حول قرية روحية (رحيبة)، من ناحية القلمون التي كان سكانها (١٢٥) خانة وحصلها على وجه المقطوع (٣٧٢٠٠) آقجة سنوياً، (T. D. 474), p. 259-261.
وانظر (T. D. 430) (حوالى ٩٣٠هـ/١٥٢٣م)، أرشيف رئاسة الوزراء، كان عدد سكانها، بموجب هذا الدفتر: خانة (٥٢)، مجرد (١٥)، إمام (١)، فدان (٤٨)، حصة ميري، ٤٠٠٠، ص ٣-٤.

١٠٠ - حول قرية معيصرة، تابع المرجة، عدد سكانها: خانة (١٠٨)، مجرد (١٠)، خطيب (١)، وريعها للدولة [حصل] على وجه المقطوع سنوياً (١٦٠٠٠) آقجة. انظر: (T. D. 401)، ص ٨٦.

٥ - قرية معظمية[١٠١]، يقدم أهلها (٥٠٠) قنطار قلي ويأخذون إيجاراً للأرض على شكل مقطوع مبلغ (١٢٠٠) آقجة.

٦ - قرية قطيفة[١٠٢]، ويقدم أهلها (٦٠٠) قنطار ويقبضون أجرة الأرض (١٢٠٠) آقجة سنوياً.

ويشير القانون إلى وجود قطعة أرض بجوار جامع قرية عذرا[١٠٣] وقفاً على الجامع المذكور ويستغلها أهالي القرية المذكورة مقابل (٢٠٠) آقجة سنوياً وقفاً للجامع المذكور. ويبدو أن أهالي عذرا كانوا يجلبون القلي من خارج القرية ويبيعونه على أنه من إنتاج أرض وقف الجامع المُشار إليها أعلاه فيحذر القانون المسؤولين وأهالي القرية من مثل هذا التلاعب، ويحذر القانون أيضاً أهالي بقية قرى نواحي دمشق من حرق وبيع أي قلي خارج "دار الطعمة"[١٠٤] بدمشق، حيث يُباع ثلثه للإفرنج وثلث لعمال الميري

١٠١ - حول قرية معظمية، تابع القلمون، عدد سكانها (١٠٠) خانة، (٢٤) مجرد، (١) إمام. تكون حصة الدولة (١٨١٠٠) آقجة سنوياً. انظر: (T. D. 401)، ص ١٣٩.

١٠٢ - كانت قرية قطيفة من ناحية القلمون وفيها مركز باج: p. 261 (T. D. 474).

١٠٣ - قرية عذرا من قرى الغوطة، يدرجها دفتر (T. D. 401) من قرى المرج ويذكر أن عدد سكانها (١٥٦) خانة و(٤) مجرد وحاصلها السنوي (٦٩١٥٦) آقجة. ويصفها ابن طولون بأنها "شرقي دومة، صارت الآن وقفاً على التكية (السليمية) وهي بلدة كبيرة وشربها من نهر تورا وإليها يُنسب البطيخ"، ابن طولون، ضرب الحوطة، ص ٤٩. كان عدد سكانها (١٠٦) خانة، (٢) إمام، يكون حاصلها (١٨٣٠٠) آقجة سنوياً، (T. D. 401)، ص ١٤١.

١٠٤ - كانت دار الطعم العتيقة تقع خارج سور المدينة من ناحية الغرب، وكانت تُسمى باصطبل السلطان، وكذلك تأتي الإشارة إلى خان الطعم الذي حولت إليه دار الطعم سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م وهي قرب باب توما، وكان هناك دار الطعم بالصالحية ذُكرت سنة ٨٤٧هـ/١٤٤٣م. انظر: صلاح الدين المنجد، "دور الطعم بدمشق - خطط دمشق"، مجلة المشرق، مجلد ٤٢، ١٩٤٨م، ص ٣٦٢-٣٦٤. حول الدلالة الفقهية للطعمة، انظر هامش رقم (١٩)، ص ٦ أعلاه.

والثلث الأخير للمصابن والمصابغ وللقصارين ولا يُباع للتجار ولا للمحتكرين. ويشير القانون بالقول بأن "قوانينهم"، أي قوانين المماليك، كانت تقضي بمصادرة ما يُباع خارج "دار الطعمة" ويقرر القانون الحالي مثل ذلك أيضاً.

١٦ - محصول رسوم تذاكر براءات التيماريين (أصحاب الإقطاعات) بولاية دمشق الشام في السنة (٣٢٠٠٠) آقجة

يشير الدفتر الذي بين أيدينا إلى وجود صنفين من أصحاب التيمارات بولاية دمشق الشام، الصنف الأول، وعددهم (١٥٥) تيمارياً، كانوا من أصحاب الخاص وهي الإقطاعات ذات الريع العالي، وكان على كل مستفيد منهم أن يحصل على براءة[١٠٥] سلطانية بذلك مقابل رسم معين بقيمة ٢٠٥,٥ آقجة سنوياً للفرد الواحد يدفعه للخاص السلطاني، وكان مجموع دخل هؤلاء (١٢٣٣٠٠٠) آقجة سنوياً، أي بمعدل (٧٩٥٥) آقجة سنوياً لصاحب الخاص الواحد من هذا الصنف.

أما الصنف الثاني من أصحاب التيمارات وهم من "صغار التيماريين"، وكان عددهم (٢١١) نفراً، فكانوا يحصلون على "تذاكرهم" من الوالي "مير ميران" مقابل رسم سنوي يدفعونه لحساب الوالي بمعدل (٧١,١) آقجة سنوياً، وكان مجموع دخلهم (٧٥١٠٠٠) آقجة سنوياً، أي بمعدل (٣٥٥٩) آقجة للفرد الواحد.

١٧ - محصول مصبغة القطن في نفس الشام في السنة (٢٠٠٠٠) آقجة.

١٨ - محصول بويخانه (المصبغة) للأقمشة في نفس الشام في السنة (١٦٠٠) آقجة.

لاحظنا، عند تناولنا لمادة القلي، أن قسماً منها كان يُباع للقصارين ولأصحاب المصابغ، ولاحظ الباحثون من خلال استقرائهم لسجلات المحكمة الشرعية بدمشق في القرن الثامن عشر وجود عدد كبير من طوائف الحرف النسيجية بحيث بلغ

١٠٥ –حول مفهوم "براءات"، انظر: H. Inalcik, « Berat », *E.I.*², vol. i, p. 1170-1171.

عددها أربع عشرة طائفة، منها : الفتالون، القطانون، حياكو الحرير، حياكو الكتان، العقادون، الدقاقون، الملقيون . . . الخ[١٠٦] . ويذكر البدري أنه كان تحت القلعة سوق للقماش المذروع وسوق قماش للمخيط أحدهما للرجال والآخر للنساء وبها سوق للفراء والعبي وغير ذلك. ويزيد على ذلك بقوله : "ومن محاسن الشام ما يصنع فيها من القماش والنسيج على تعداد نقوشه وضروبه ورسومه ومنها عمل القماش الأطلس بكل أجناسه وأنواعه" والقماش الهرمزي والقماش الأبيض المصور للأحياء والأموات، وبها أيضاً القماش السابوري بجميع ألوانه وحسن لمعانه[١٠٧] .

١٩ - محصول حمام الغزالي في محلة الطواقية (الطواقين) في السنة (٨٠٠٠٠) آقجة.

٢٠ - محصول شيخ الحمامين وعريف قصرميل مع مشاطيات وطوائف في السنة (٢٤٠٠٠) آقجة.

١٠٦ -انظر عيسى أبو سليم، الأصناف والطوائف الحرفية في مدينة دمشق خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، عام ٢٠٠٠م، ص ١٣٩-١٩٤ .

١٠٧ -البدري، نزهة الأنام، ص٦٢ ، ٣٦٢ . انظر أيضاً : جمال الدين يوسف بن عبد الهادي عن أسواق الأصواف والقطن في دمشق ومدى حاجتها للصباغ، سوق القطانين، سوق النجادين، سوق الجوخيين، نزهة الرفاق عن شرح أحوال الأسواق، ص ١٢٥ . حول أصحاب المهن الذين تعاطوا بالأقمشة على أنواعها، انظر : "بزّاز"، الأجاتي، جوخي، حائك، دقاق، ديمجي، رسّام، الصوفاناتي، صوّاف، طبّاع، عبّجي، عقّاد، فتّال، فرّاء، فرواتي، قاموس الصناعات الشامية، ص ٣٩ ، ٤٣ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٥٤ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨٧ ، ٢٩٢ ، ٣٠١ ، ٣١٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٨ ، ٣٤١ . وتدل هذه الصناعات على مدى تمكنها من الأسواق في مدينة دمشق. انظر معالجة برنارد لويس لمصابغ الأقمشة في مدن فلسطين مثل نابلس وغزة :
B. LEWIS, « The Jews in Palestine in the 16th Century », Section XX, p. 13-15.
حول طبيعة هذه المهنة في دمشق، انظر : محمد سعيد القاسمي، قاموس الصناعات الشامية، ص٢٦٧-٢٦٨ .

٢١ - حمايه حمام الورد بقاسيون - مرفوعة

يُلاحظ كثرة الحمامات في قصبة دمشق وفي محيطها، فلقد عدّدها الحسن بن أحمد بن زفر الأربعي الشافعي (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦-١٣٢٧م) حين وروده لدمشق، فوجد أربعة وسبعين حماماً داخلها وأربعة وثلاثين حماماً في خارجها. أما عدد الحمامات في الحواضر المتصلة بالمدينة فكانت تسعة وعشرين حماماً، فيكون مجموع ما بداخل المدينة وما بخارجها من حمامات (١٣٧) مائة وسبعة وثلاثين حماماً[١٠٨]. ولا توضح المصادر المملوكية القاعدة التي اتبعها المماليك في جباية الرسوم على الحمامات، فلا يذكر لنا الدفتر هنا أسماء كل هذه الحمامات[١٠٩]، بل اكتفي بذكر حمام الغزالي، وأنه بمحلة الطواقين، وأنه كان يدر دخلاً سنوياً لحساب السلطان مقداره ثمانون ألف آقجة، وهذا مبلغٌ ضخمٌ جداً. ويُشار هنا إلى شيخ طائفة الحمامين ويبدو أنه كان يدفع رسماً للدولة على الأغلب، وكان يجمعه من أصحاب الحمامات وربما العاملين فيها، والذي يهمنا هنا أن الدولة كانت تعتمد عريفاً لجمع الرماد المتحصل من حرق جذوع الأشجار والأعشاب وروث الدواب المستخدم في تدفئة الحمامات وتسخينها، لأن هذا الرماد المعروف باسم "قصرميل" كان يستخدم

١٠٨ -الحسن بن زفر الأربلي (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م)، مدارس دمشق وحمّاماتها، تحقيق محمد أحمد دهمان، مجلة المجمع العلمي العربي، م ٢٢، ج١-ج٢، دمشق، ١٩٤٧م.

١٠٩ -يذكر البدري في متنزه البهنسية وجود حمام فيه يُقال له حمام الزمرد، نزهة الأنام، ص ٨٠. ويذكر حماماً في الربوة "ليس على وجه الأرض نظيره لكثرة مائه ونظافته وله شبابيك تطل على النهر وهو مبني ما بين الأنهر من فوقه ومن تحته"، ص ٨٤. ويذكر ابن طولون الحمّامات التالية: حمام ابن العيني بالصالحية، حمام بين النهرين، حمام رضي الدين الغزي، حمام قبلي القيمرية، حمام القزازين، حوادث دمشق اليومية، انظر أرقام صفحات ورودها في فهرس الأماكن والمواقع، ويشير (T. D. 474) إلى محلة حمام مقدم تشمل عدداً من الأزقة ومحلة حمام علاني أيضاً، ص ١٦٢-١٦٣، ١٧٠، ٤٠٩.

في صناعة البناء، هذا بجانب جمع رسوم على المشطين و"الماشطات" الذين كانوا يقومون بمشط وغسل مرتادي الحمامات ويُعرفون باسم البلان أو "البلانة"، وكان مجموع الحاصل السنوي (٢٤٠٠٠) آقجة، والغالب أن هذه الخدمة كانت تُلَزَّم. والجدير بالذكر أن هناك رسماً للحماية يؤخذ على حمام الورد بجبل قاسيون وأن هذا الرسم كان مُحدثاً وضعته زوجة والي الشام المملوكي السابق سيباي[١١٠]، والمعلوم أن الحمامين في دمشق في القرن الثامن عشر نظموا أنفسهم في طائفة خاصة بهم ولها شيخ ورتب كالمعلم والناطور والريِّس المكيِّس والتبع الذي يقوم باستقبال المستحمين، أما السيدات، فوُجدت المرأة الحماميّة والناطورة والأسطة مهمتها

---

١١٠ -سيباي: ملك الأمراء سيباي ولي الشام للمرة الثانية ودخلها في ٩ محرم ٩١٢هـ/ ١/ ١٥٠٦م وبقي والياً عليها إلى أن هُزم المماليك في معركة مرج دابق في ١٤ رجب ٩٢٢هـ / ١٥ /٧/ ١٥١٦م حيث فُقد سيباي في ميدان المعركة، يُذكر أنه كان هناك مشروع مصاهرة لابنته مع ابن السلطان قانصوه الغوري (٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م - ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م)، ويذكر أن زوجة سيباي أدّت فريضة الحج عام ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م وكان دخولها إلى دمشق على شكل موكبٍ مع ضرب النساء للدفوف "وقد عصبن [أي النساء] فوق رؤوسهن بالعصائب الصفر وكان مدخلاً مهولاً ولا قوة إلا بالله"، ويبدو أن طول مدة إقامته في الولاية والعلاقة مع بيت السلطان الأشرف قانصوه الغوري قد أطلقت يدها في فرض رسوم، إلا أن المصادر لا تصرح بذلك بشكل واضح. انظر: محمد بن طولون الصالحي الدمشقي (ت ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م)، إعلام الورى بمن ولّي من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تحقيق محمد أحمد دهمان، دمشق، ١٩٦٤م، ص ١٨٢-٢١٤، وبخاصة ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢١٢ ، ٢١٤ . ومن الجدير بالإشارة لما أورده مؤرخ دمشق محمد أديب آل تقي الدين الحصني (ت ١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠م)، أنه يذكر ما يلي: "ويوجد جماعة في دمشق يدعون أنهم من نسله [أي سيباي والي الشام المملوكي] لأجل توليتهم على أوقافه ولا نعلم أحداً ينتمي إليه اليوم"، كتاب منتخبات التواريخ لدمشق، قدم له كمال سليمان الصليبي، ٣ ج، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩م، ص٨٦٢-٨٦٣.

التكييس والتفريك والبلانة، ومهمتها التدليك، والزبال والقميمي والشاوي، وهو المسؤول عن تسخين المياه[١١١].

٢٤ - محصول دواليب الحرير في نفس الشام في السنة (٢٤٠٠) آقجة على كل باب [أي دولاب] (٦٠) آقجة سنوياً

٢٥ - محصول ميزان الحرير في نفس الشام (١٢٠٠٠٠) آقجة

من المعروف أن زراعة شجرة التوت[١١٢] وتربية دودة القز قد ازدهرت في بلاد الشام نظراً لكثرة طلب التجار الأوروبيين من فرنسيين وإنجليز وغيرهم على مادة

١١١ - عيسى أبو سليم، الأصناف والطوائف الحرفية، ص ٣٠٨-٣١٩. والجدير بالذكر أن جمال الدين يوسف بن عبد الهادي المعروف بابن المبرد (ت ٩٠٩هـ/١٥٠٣م)، في تعداده لصناع دمشق وباعتها في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، يقول: "ذكره أحمد رحمه الله كسب بياعة الدقيق وكسب الماشطة ويحرم أجر النائحة والمغنية"، كتاب الحسبة، نشر حبيب نقولا الزيّات (ت ١٩٥٤م)، الخزانة الشرقية، ج ٢، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٣٧م، ص ١٢٧. ويضيف: "المواشط والحسبة عليهن في العمل وعدم تعاطي المحرم"، ص ١٣٢. حول الحمامات والناطور والناطورة، والمصوبن والقهوجي والمشاط والمعلمة والبلان والأسطة والبلاّنة وزقاقة البارد بها. ويشير السيد مرتضى الزبيدي في تعريفه "للبلانة" بقوله: "وهو يُطلق الآن في العامة على الدلاك بالحمام"، تاج العروس، ج ٣٤، ص ٢٧٣؛ انظر: محمد سعيد القاسمي، قاموس الصناعات الشامية، حققه وقدم له ظافر القاسمي، دمشق، ١٩٨٨م، ص ٣٦٣، ص ١٠٧-١١٠.

١١٢ - يذكر البدري أنه بأرض بضار وبهران بجوار دمشق أنهما معدن التوت "وهو أصناف: محسني، بندقي، عجمي، مخضب، قرشي، صراديني شامي وهو الأسود"، نزهة الأنام، ص ٣١٨-٣٢٠. ويشير ابن شداد إلى مسجد في مربعة القزّ، الأعلاق الخطيرة، تاريخ مدينة دمشق، ص ١١١. حول دور لبنان في تاريخ الحرير، انظر أيضاً: الأمير موريس شهاب، دور لبنان في تاريخ الحرير، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٨م. انظر، عن موضوع الحرير:
H. Inalcik, « Harir - The Ottoman Empire », *E.I.*², vol. iii, p. 211-218.
عن البلاد العربية، انظر: A. K. Gharaibeh, « Harir - The Arab Lands in the Post-Mongol Period », *E.I.*², vol. iii, p. 218.

الحرير التي أصبحت تشكل موسماً رئيساً من مواسم بلاد الشام. ويشير القانون نامة أن النصف الثاني من رسم الديموس[١١٣] كان يؤخذ في بعض الأماكن في موسم الحرير. ويُشار في قانون جمارك بيروت وصيدا وصور وعكا ويافا بولاية الشام عند ذكر التجارة مع الخارج: "تؤخذ ثلاث آقجات ونصف عن الحرير الوارد من دمشق بلا ختم إذا ما تم بيعه بالميناء ولا يؤخذ عنه إذا ورد مختوماً" (مادة ٦٥)، و"يؤخذ على كل بالة حرير ترد من الخارج مثل حلب خمس وستون آقجة" (مادة ٦٩).

وينص القانون نامة أيضاً أنه: "تؤخذ أربع آقجات عن كل رطل مناصفة ما بين الشاري والبائع وأن كمية المبلغ الذي يتم تلزيمه يدل على حجم تجارة الحرير التي تمر من خلال ميزان الحرير". وقبل ذلك أشار البدري إلى صناعات دمشق قائلاً: "وفيها صناعة الحرير بالفتل والدواليب والسرير"[١١٤].

ويشير يوسف بن عبد الهادي إلى "سوق الحرير[١١٥] عند باب الجامع القبلي بياعة الحرير والخيطان والحسبة عليهم في المعاملة وعدم الغش بالردي"، ويضيف

---

١١٣ -رسم الديموس "Dimus": مصطلح يوناني (بيزنطي) الأصول تذكره المصادر في بلاد الشام وهو يقابل المصطلح المملوكي ذي الجذور اللاتينية "فصل، مفصول" أو المصطلح العربي "مقطوع"، انظر: BAKHIT, *The Ottoman Province*, p. 148.

لمزيد من التقصي حول تاريخ هذا المصطلح، انظر:

B. LEWIS, « Studies in the Ottoman Archives », in *Studies in Classical and Ottoman Islam*, Section XVI, p. 484.

ولعله من المفيد هنا أن نورد تعريف القانون نامة للديموس: "ويطلقون على ما هو مقطوع بالآقجة أو بالغلات في الولاية المذكورة [دمشق الشام] اسم ديموس وفصل ومفصول وذلك حسب اصطلاحهم والآقجات [المبالغ النقدية] التي تكون ديموساً تؤخذ حسب الأصول على قسطين نصفها وقت البيدر والنصف الآخر وقت الدبس...".

١١٤ -البدري، نزهة الأنام، ص ٣٦٣.

١١٥ -يوسف بن عبد الهادي، نزهة الرفاق، (سوق رقم ٤)، ويذكر أيضاً أن البزّ من الحرير والكتان والثياب الرقيقة التي كانت تباع في سوق الذراع، وكان البز يباع في سوق جقمق غربي التكة وهو دون ما يباع في سوق الذراع. انظر كتاب الحسبة، ص ١٢٨.

انظر أيضاً: نزهة الرفاق، ص ١٢٤، سوق رقم (٤)، سوق رقم (٣٠)؛ وكذلك إشارة ابن شداد (هامش ١٠٠) عن مربعة القزّ.

أيضاً لذلك عن "حاكة الحرير وهم أكثر من أربعين صنف وهؤلاء الحسبة عليهم في الجودة وعدم الغش وعدم الخلوة بالصبيان وغلق الأبواب عليهم معهم".

٢٦ - محصول اقسماوية في نفس الشام في السنة (٢٤٠٠٠) آقجة

الاقسماوية شراب من المثلجات الممزوجة بالزبيب المدقوق، ويشترى الزبيب من خان الخليلي، ويتم تقديمه بعد تصفيته في قدور من النحاس[١١٦]، ويشير قانون بلاد الشام إلى خان الثلج[١١٧] الذي يقوم أهالي قرية منين، من ناحية جبة العسال، بنقل الثلج إلى هذا الخان في دمشق بالتناوب ما بين أهالي القرية. ويشير يوسف بن عبد الهادي إلى صنعتيْ "الفقاعية والشراباتية والحسبة عليهم في النظافة وتغطية الأواني وعدم الغش والتنقيص"[١١٨]، ويشير كذلك إلى سوق الاقسماوية، وهم: "مفرقون وجلهم تحت القلعة".

٢٧ - محصول غربتان (؟) غريبان (؟) (الغرباء) نفس الشام مع نواحيها في السنة (٣٠٠٠٠) آقجة

يذكر شمس الدين محمد بن طولون الصالحي (ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م) في كتابه "القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية" عند تعداده لمساجد الصالحية مسجد

---

١١٦ - انظر عيسى أبو سليم، الأصناف والطوائف، ص ٢٥٤-٢٥٥.

١١٧ - على سبيل المثال كان تخزين الثلج في الرها وبيعه يُشكل مورداً "للحقوق السلطانية" منها على الثلج خمسة آلاف درهم، انظر: ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج ٣، ق ١، ص ٩٩.

١١٨ - انظر يوسف بن عبد الهادي، كتاب الحسبة، ص ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠؛ يوسف بن عبد الهادي، نزهة الرفاق، ص ١٢٩، (سوق رقم ٣٦). ويرى حبيب الزيات، محقق النص، أن الكلمة ذات أصل يوناني، ويصفها بـ "رومي". ويشير صاحب قاموس الصناعات الشامية إلى "الثلاّج" بقوله: "اسم لمن يأتي بالثلج من محله المُدّخر فيه أيام الشتاء كالتل ومنين"، في تلك البلاد أيام الشتاء يأخذونه ويضعونه في محلات مخصوصة عندهم بعد كبسه "ومنه حرفة" الضرمة شكر" و"الضرضرمجي"، محمد سعيد القاسمي، قاموس الصناعات الشامية، ص٧٢-٧٣، ص ٢٨٢-٢٨٣.

زقاق الزطّيين تحت تربة السبكيين، ويشير الناشر إلى أن تربة السبكيين تقع في حارة المتاولة من جهة الشرق، وحيث أن المعنى الدقيق لـ "غربتان" غير واضح، وأن بعض المختصين رأوا أن المقصود بهم هم الزط، فلربما تجيء إشارة ابن طولون بهذا الخصوص موضحةً لهذا المصطلح[١١٩] . ويشير دفتر طابو (T. D. 474) إلى أن "الغربتان" كانوا يعيشون في محلة الخراب[١٢٠] .

٢٨ - عادت قود عرب أمير الشام [لا يذكر المبلغ المالي بالآقجة أو عدد الأمهار من الخيول والجمال التي يقدمها عادةً أمراء وشيوخ العشائر للحظائر السلطانية]

تشير دفاتر الطابو إلى العشائر العربية حيناً باسم (جماعت) وحيناً آخر باسم (طائفة)، ويلاحظ أن الدفاتر تحدد أماكن سُكنى هذه الجماعات والطوائف، وزيادةً على ذلك، تذكر أماكن مشاتيها ومصايفها . والملحوظ، بشكلٍ عام، قلة عدد أفراد الجماعات العربية البدوية في لواء الشام، ونشير هنا إلى بعض الأسر العربية التي برزت في الحياة المحلية كآل الحنش في البقاع وآل مساعد الغزاوي في لواء عجلون وآل طره باي الحارثيين في مرج ابن عامر وبني عطا وعطية في لواء غزة ومن حسن الحظ أن المصادر المحلية تشير إلى مثل هذه العشائر عندما كانت تأتي على ذكر قافلة الحج الشريف عند خروجها من دمشق إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة وفي طريق عودتها وتشير المصادر إلى درجة استعداد الدولة العثمانية لتوفير الأمن والحماية للقافلة، وتخصيص مبالغ مالية سنوية "الصُرّة" لشيوخ العشائر لكسب ولائهم .

---

١١٩ - شمس الدين محمد بن طولون الصالحي (ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م)، القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، ٢ قسمان، تحقيق محمد أحمد دهمان، مكتب الدراسات الإسلامية، دمشق، ١٩٤٨م، ١٩٥٦م، ق ١، ص ٢٥٣ . الأعلاق الخطيرة، تاريخ مدينة دمشق، ص ١٢٥ . والجدير بالذكر أن ابن شداد يشير إلى مسجد نطيف في حارة الغرباء، وأن المدرسة العذراوية كانت بتلك الحارة، وكذلك المدرسة الأصفهانية، الأعلاق الخطيرة - دمشق، ص ١٢٥ ، ٢١٣ ، ٢٤٢ . (T. D. 474, p. 84).

١٢٠ - Bakhit, *The Ottoman Province of Damascus*, p. 52.

وأشار الباحثون إلى وجود إمارة للعرب في بلاد الشام منذ مطلع العهد الأيوبي وأن الأمير كان يُقدم عدداً من الجمال غالباً ما تحوّل إلى قافلة الحاج وعدداً من الأمهار تُرسل إلى حظائر الخيول السلطانية، ويُشار لهذه التقدمة في قائمة المقاطعات هنا باسم "عادت قود عرب أمير شام"[١٢١].

٢٩ - محصول دكاكين سراج خانة يُعرف بالغزالي باب عدد (٢٢) في السنة (٢٢٠٠) آقجة

يُلاحظ أن هذا المبلغ كان شبه ثابت في خمسة دفاتر من دفاتر الطابو المتعلقة بمدينة دمشق[١٢٢]، والمعروف أن المساجد والجوامع والمدارس، كما هو حال المنازل، كانت تعتمد على "الشمعدانات" وعلى الشمع والزيت في الإضاءة، ونلاحظ أن الوثائق الوقفية تُعطي كثيراً من التفاصيل حول هذا الموضوع[١٢٣].

٣٠ - "جماعت" چر چيان ÇerÇiyan (حصيرجيان) ḩasirciyan في ولاية الشام في السنة (٢٠٠٠) آقجة

يُشير يوسف بن عبد الهادي في كتاب الحسبة إلى الجرزموشية وأن "الحسبة عليهم العمل في الإتقان وحُسن العمل"[١٢٤]. ويُشير في رسالته "نزهة الرفاق عن شرح حال الأسواق" إلى سوق السقطيّة، وأن لهم سوقين، أحدهما في النحاسين

---

١٢١ -لمزيد من التفاصيل، راجع:
M.A. Bakhit, *The Ottoman Province of Damascus*, p. 192, 226.

١٢٢ - Bakhit, *Ibid.*, p. 245.

١٢٣ -انظر كتاب وقف الوزير لالا (لاله) مصطفى باشا (ت ٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م)، ضبطه ونشره خليل مردم بيك، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٢٥م، ص ٢١٣، حيث يُشير النص: "وعُيِّن في كل سنة ستماية درهم لأجل ثمن قناديل الجامع والزيت"، كما يُشير إلى "الشّعّال"، ص ٢١٣. ويشير يوسف بن عبد الهادي إلى: "طائفة الشّمّاعين والحسبة عليهم في التقوى وعدم الغش"، ص ١٣٠.

١٢٤ --يوسف بن عبد الهادي، كتاب الحسبة، ص ١٣١.

تحت القلعة، والثاني في فضا القلعة[١٢٥] . وكانت هذه الجماعة تتعاطى بيع القطع الصغيرة "الخردة" ، أما فيما إذا قُرئت الكلمة على أساس "حسرجيان" حصيرجيان، فسيكون المقصود بها باعة الحُصُر التي كان عليها طلب كبير وبخاصة لفرش مداخل المساجد وساحاتها، وكان يوجد بدمشق، كما ذكر ابن عبد الهادي، "سوق للحصر" في راس سوق المدهون بدمشق[١٢٦] ، إلا أن المصادر المملوكية، وكذلك القانون نامة لا يحدد لنا القاعدة التي كان يتم بموجبها جبي "المحصول" من هذه الجماعة.

٣١ - محصول بستان السلطان في محلة القنوات[١٢٧] في السنة على وجه المقطوع في عهدة حسين زعيم الشام في السنة (١٢٠٠) آقجة

لا تتوافر لدينا معلومات عن هذا البستان ولكن الجدير بالإشارة أن ضمان هذا البستان كان في عهدة أحد كبار العسكريين التيماريين في دمشق حسين الملقب بـ "زعيم شام" . ويذكر بهاء الدين بن شداد (ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م) أن السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي (ت ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م) كان قد تمرّض ودُفن في داره بالبستان فأصبح البستان[١٢٨] يُعرف باسم "بستان السلطان" ، وربما كان هذا هو

---

١٢٥ - يوسف بن عبد الهادي، نزهة الرفاق عن شرح حال الأسواق، ص ١٢٧ . حول سوق السقطيين وسوق النحاس انظر: البدري، نزهة الأنام، ص ٦٣ . يذكر ابن شداد مسجداً مُعلقاً يعرف بمسجد السّقطيين، الأعلاق الخطيرة - دمشق، ص ٩٢ . ويشير عبد الكريم بن محمد السمعاني (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م) إلى "بيع السّقط" وهي الأشياء الخسيسة كالخرز والملاعق وخواتيم الحديد وغيرها، الأنساب، ط ٢ ، ٩ ج، صححه عبد الرحمن اليماني، حيدر أباد الدكن، ١٩٨١م، ج ٧، ص ١٥١ .

١٢٦ - يوسف بن عبد الهادي، المصدر السابق، ص ١٢٧ .

١٢٧ - حول محلة القنوات راجع: (T. D. 474)، ص ١٢٥ . كانت، حسب هذا الإحصاء، تحتوي على زقاق يحمل اسمها وتسكنه (١٥) خانة.

١٢٨ - انظر بهاء الدين بن شداد (ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٩م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق أحمد إيبش، دار الأوائل، دمشق، ٢٠٠٢م، ص ٤٢٣ .

المقصود بهذه الإشارة "بستان السلطان". ويشير البدري إلى غيضة السلطان وأشجاره "من الحور الكثيف المتشابك لانضمامه"[١٢٩].

٣٢ - محصول حدادين شمس في ولايه الشام يتنقلون من قرية لأخرى يؤخذ من كل متزوج منهم ستون آقجة ومن الأعزب منهم ثلاثون آقجة في السنة، الحاصل (٦٠٠٠) آقجة سنوياً

ويشير يوسف بن عبد الهادي إلى "الحدادين" وهم أصناف كثيرة و"الحسبة عليهم في التقوى والنصح"[١٣٠]. وربما يندمج المبيضون الذين كانوا يتعاطون "تبييض الأواني النحاسية معهم"[١٣١]. ويشير ابن عبد الهادي أن للحدادين سوقين، الأول بباب الجابية والثاني بالشاغور[١٣٢]. كما كان هناك سوق للسكاكين[١٣٣]. ولا تأتي قائمة المقاطعات على ذكر المسابك التي يشير إليها القلقشندي في أكثر من موقع وأنه كان هناك وظيفة "نظر المسابك" وصاحبها من أرباب السيوف مسؤول عن شد المسابك من الحديد والنحاس والزجاج[١٣٤].

---

١٢٩ -البدري، نزهة الأنام، ص ٢٥٤.

١٣٠ -جمال الدين يوسف بن عبد الهادي، كتاب الحسبة، ص ١٢٩.

١٣١ -جمال الدين بن يوسف عبد الهادي، كتاب الحسبة، ص ١٣٠، ١٣٢.

١٣٢ -ابن عبد الهادي، نزهة الرفاق عن شرح حال الأسواق، ص ١٢٦.

١٣٣ -البدري، نزهة الأنام، ص ٦٣.

١٣٤ -القلقشندي، صبح، ج ٤، ص ١٨٨، ١٩٢. يذكر ابن شداد ضمن تعداده لمساجد دمشق: مسجد الحدادين، وأن له وقف وإمام ومؤذن ومسجد آخر اسمه مسجد الحدادين بين السورين، الأعلاق -- دمشق، ص ١٠١، ١٢٩. ويذكر البدري دمشق بقوله: "وفيها تعمل صناعة النحاس من الضرب والتفصيل والنقوش التي تشرح صدر الناس"، نزهة الأنام، ص ٣٦٣. حول صناعة الحدادة في الشام، انظر: محمد سعيد القاسمي، "حداد"، قاموس الصناعات الشامية، ص ٩٣-٩٤.

٣٣ - محصول مقاطعة بساتين الخندق وأحكار البيوت في دائر قلعة دمشق الشام في السنة (٢٩٠٠) آقجة

يذكر ابن فضل الله العمري وعنه ينقل القلقشندي أن الأسوار كانت تحيط بمدينة دمشق وبقلعتها ويحيط بها جميعاً خندق "يطوف الماء منه بالقلعة وإذا دعت الحاجة إليه أطلق على جميع الخندق المحيط بالمدينة فيعمها"[١٣٥] . يُفهم من النص الوارد في الدفتر وجود بساتين عند خندق قلعة دمشق وأحكار للبيوت الموجودة في تلك المنطقة، وكانت تدور حول قلعة دمشق وأنها تخضع للري[١٣٦] . ويشير البدري إلى أن من محاسن دمشق الحواكير "وهي كالحدائق في سفح جبل قاسيون" .

٣٤ - محصول بساتين جامع بيت لحيه (لهيه / لهيا ؟) في نفس الشام في السنة (١٤٤٠) آقجة

تشير كتب الزيارات إلى أن حوّاء كانت في بيت لهيا، وهي قرية خارج مدينة دمشق، مكانها اليوم في القصّاع، وكان فيها بستان الناعمة للملك العزيز عثمان بن العادل الأيوبي[١٣٧] (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م) . ويذكر ابن طولون في رسالته "ضرب الحوطة على جميع الغوطة" بيت الآلهة - بيت لهيا : "هي حارة في دمشق شرقيها وبها جامع مبارك . . . وعليها بساتين وأراضي كثيرة"[١٣٨] .

---

١٣٥ -ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٣١٢ ؛ القلقشندي، صبح، ج ٤، ص ٩٣ .

١٣٦ -ابن طولون، القلائد الجوهرية، ق ١، ص ٤٦ ؛ البدري، نزهة الأنام، ص ١٠٢-١٠٣ .

١٣٧ -هو عثمان بن أبي بكر بن أيوب بن شاذي ابن الملك العادل وشقيق المعظم عيسى، كان عثمان صاحب بانياس وتبنين، وهو باني قلعة الصبيبة، توفي ودُفن في تربة المعظم، ابن طولون، القلائد الجوهرية، ق ١، ص ١٤٩ . انظر: أحمد بن إبراهيم الحنبلي (ت ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م)، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق ناظم رشيد، بغداد، ١٩٧٨م، ص ٣٢٠-٣٢١ . ويذكر عثمان قد دُفن في بستان بيت لهيا .

١٣٨ - شمس الدين محمد بن طولون الصالحي، "ضرب الحوطة على جميع الغوطة"، نشر حبيب الزيات، الخزانة الشرقية، ج ١ ، (١٩٣٦م)، طبعة جديدة، طرابلس، ١٩٩٩م، ص ٤٤ .

٣٥ - محصول نحيرة اليهود في نفس الشام في السنة (٨٠٠٠) آقجة

تشير كل من دفاتر طابو: "٤٠١" (حوالى ٩٥٠هـ/١٥٤٣م) ودفتر "٢٦٣" (٩٥٥هـ/١٥٤٨م) والدفتر الذي بين أيدينا (T. D. 474) ٩٧٧هـ/١٥٦٩م) إلى وجود ملحوظ لليهود في مدينة دمشق، وتراوحت أعدادهم ما بين (٥١٢) خانة إلى (٥٤٦) خانة، بالإضافة إلى مجموعة المجردين الذين تراوحت أعدادهم ما بين (١٢) و(٥٦) مجرداً[١٣٩]. ويُشير الدفتر الذي نحن بصدده إلى جماعة "جماعت" السمرا في محلة بيت اللحية وإلى يهود في محلة العنابة، وتأتي الإشارة كذلك إلى اليهود الإفرنج وهم في الغالب اليهود المهاجرون من إسبانيا والسواحل الأوروبية إلى بلاد الدولة العثمانية، وإلى "جماعت يهود"، دون تحديد للهوية، وكذلك تذكر اليهود القرائين واليهود في بستان القط من قرية جوبر واليهود الصقالبة (؟). وسمح العثمانيون لليهود بذبح ما يحتاجونه من الأنعام في مسلخ خاص بهم، وكان الأمناء يأخذون مقابل ذلك رسوماً معينة باسم "النحيرة - النهيرة" أو "الذبحية"[١٤٠]. أما فيما يتعلق بالمسلمين، فيُشير ابن طولون في أخبار سنة ٩١٢هـ/١٥٠٦م إلى المسلخ بدمشق[١٤١]، ويُضيف يوسف بن عبد الهادي إلى سوق اللحامين بباب الجابية "وثم

---

١٣٩ - انظر: M.A. BAKHIT, « The Christian Population of the Province of Damascus in the Sixteenth Century », in *Christians and Jews in the Ottoman Empire*, vol. II, Edited by B. BRAUDE & B. LEWIS, Holmes & Meier Publishers, N.Y., London, 1982, p. 25-29.

١٤٠ - قارن مع ما جاء لدى: B. LEWIS, « The Jews in Palestine in the 16th Century », in Notes & Documents, The Turkish Archives, in *Studies in Classical and Ottoman Islam*, London, 1976, Chapter XX, p.12.

١٤١ - يقول النص: "... حرّج على اللحم وجعل على كل راس يخرج من المسلخ لمن يختم عليه نحو الدرهمين فزاد وقوف حال الناس". محمد بن طولون الصالحي (ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م)، إعلام الورى لمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تحقيق محمد أحمد دهمان، دمشق، ١٩٦٤م، ص ١٨٧.

منهم متفرقون بكل سوق"[١٤٢]. ويُضيف إلى ذلك قوله في كتاب الحسبة "اللحامون والحسبة عليهم في النظافة وحُسن المعاملة"[١٤٣].

٣٦ - محصول دكان الطير في نفس الشام في السنة (٨٠٠٠) آقجة

يُشير يوسف بن عبد الهادي إلى سوق الدجّاجين عند باب الجابية وبالحدرة، ويُشير أيضاً إلى "دكان الطير بباب الصغير، تُباع فيها الصيد من الطيور"[١٤٤] في الاجام وقصبها. ويُشير في كتاب الحسبة إلى الصيادين "وهم أصناف كثيرة والحسبة عليهم في التقوى وتعاطي أسباب الحلال من الذبح ونحو ذلك"[١٤٥]. ويُشار إلى وجود سوق للطير منذ أيام ابن شداد (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٦م)[١٤٦]. ويذكر ابن فضل الله العمري من دواجن دمشق: "الأوز والدجاج والحمام وكثير من أنواع الطير ولا تكون الفراريج إلا بحضانة"[١٤٧].

وينص القانون نامة الشام على ما يلي: "ومن جنس الصيد فكل من يصطاد [طيراً] ينبغي جلبه إلى دكان الطير ويبيعه هناك ويمنع بيعه في الخارج" إلا أن

---

١٤٢ -يوسف بن عبد الهادي، نزهة الرفاق، ص ١٢٧.

١٤٣ -يوسف بن عبد الهادي، كتاب الحسبة، ص ١٣٠. حول أصحاب هذه الصنعة في دمشق مثل: جزّار، قصّاب واللحام، انظر: محمد سعيد القاسمي، قاموس الصناعات الشامية، ص ٨٠، ٣٥٥، ٤٠٠، ٤٠١.

١٤٤ -يوسف بن عبد الهادي، نزهة الرفاق، ص ١٢٦، ١٢٩. أما كلمة "دكان" فهي معربة عن الفارسية وتعني الحانوت. انظر: السيد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج ٣٥، (٢٠٠١م)، ص ٢٢.

١٤٥ -يوسف بن عبد الهادي، كتاب الحسبة، ص ١٣٢.

١٤٦ -ابن شداد، الأعلاق الخطيرة - دمشق، ص١٠١، ١١٥؛ انظر: محمد سعيد القاسمي، حول هذه الصنعة وتربية طائر الشحرور والحمام الأهلي، قاموس الصناعات الشامية، ص ٢٩٨-٢٩٩.

١٤٧ -ابن فضل الله العمري، مسالك، ج ٣، ص ٢٥٩. ينقل القلقشندي نفس النص، صبح، ج ٤، ص ٨٨.

القانون نامة لا يوضح لنا القاعدة المعتمدة في جمع المحصول والرسوم على كل طائر حسب صنفه.

٣٧ - محصول بساتين غراز [غراس] في الصالحية وفي قرية مِزّة ؟ (٢٥٠٠) آقجة سنوياً

يذكر محمد بن طولون في كتابه "القلائد الجوهرية"، عدداً من البساتين في الصالحية[١٤٨] ومن المفيد هنا الإشارة إلى ما جاء في القانون نامة من أن السكان "أقاموا بساتين وكروماً ووضع على كل منها مقدار من الخراج ولكن يبست فيما بعد أشجار البساتين والكروم فيها فقاموا بزراعة أماكنها فإذا أرادوا دفع الخراج الموضوع نفسه بحجة أن هذه الأماكن أصبحت ملكهم لا يقبل منهم بل أن عادتهم الجارية هي اعتبارها قسماً حسب قانونهم ووفق الشكل الذي تكون عليه أقسام القرى".

٣٨ - محصول احتساب نفس صالحية في السنة (١٦٠٠٠٠) آقجة

كما لاحظنا عند تناولها لمحصول مقاطعة احتساب نفس الشام، فإن القانون نامة يشير إلى اعتماد قانون السلطان المملوكي قايتباي، ومن هنا يجيء الافتراض بأن القانون المُشار إليه قد طُبِّق بالصالحية، ولعله من المفيد أن نشير هنا إلى أن ابن طولون أورد لنا أسماء بعض من ولي الحسبة بالصالحية وأن هذا المنصب قد ضمّ إلى محتسب مدينة دمشق، ثم عاد هناك محتسب للصالحية[١٤٩].

---

١٤٨ -محمد بن طولون، القلائد الجوهرية، انظر فهارس ق ٢، ص ٥٥٢؛ حول الصالحية، انظر أيضاً، ابن طولون، ضرب الحوطة، ص ٤٨؛ حول المِزّة، انظر: ابن طولون، ضرب الحوطة، ص ٥٠. حول بساتين الصالحية، انظر أيضاً: القلقشندي الذي يشير أيضاً إلى العمائر فيها والبرك وتجيء الإشارة إلى أشجار السرو والحور، هذا بجانب أشجار الفواكه والرياحين، صبح، ج ٤، ص ٩٥. النص من القانون نامة ليس خاصاً بأهالي الصالحية حصراً.

١٤٩ -شمس الدين محمد بن طولون، القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، ق ١، ص ٢٧١-٢٧٢.

٣٩ - الطواحين مائة حجر في (٦٠) (٦٠٠٠) آقجة

عندما جُمعت الأحجار وُجدت (١١٥ حجراً)

يُلاحظ هنا أن الدولة كانت تتقاضى من أصحاب الطواحين التي تُدار بالمياه مبلغ ستين آقجة سنوياً على الحجر الواحد . وتُقدّم لنا القائمة الواردة اسم وموقع اثنتين وثلاثين طاحوناً وعدد الأحجار في الطاحون الواحدة، أكبرها كان لديه أحد عشر حجراً يُعرف، بسبب ذلك، بطاحون الإحدى عشرية[١٥٠]، ومعظم الطواحين بمعدل ثلاثة أحجار، والريع المتأتي من هذا الباب كان يُعتبر من موارد الخاص السلطاني، ويقوم على خدمة المطاحن التراسون الذين يأتي القانون نامة على ذكرهم[١٥١] . ونشير هنا، استكمالاً لتفاصيل هذه الرسوم إلى ما كان يُجبى على أحجار معاصر الدبس، فلقد فرض القانون نامة أخذ رسم "ست بارات[١٥٢]" على كل معصرة . وتشير قائمة المقاطعات إلى محصول رسوم معاصر السيريج (السيرج) من السمسم، وكانت الدولة تجبي (٦٠) آقجة على الحجر، وحاصل ذلك كان (١٥٠٠) آقجة . ويذكر الدفتر (T. D. 474) أن رسماً إضافياً باسم "حماية معصرة

---

١٥٠ -انظر الهامش رقم ١، ق ١، ص ٢٥، من القلائد الجوهرية، وهي خارج باب الشرقي . حول طاحون الأشنان الوارد ذكرها قرب نهر ثورى [تورا]، انظر: القلائد الجوهرية، ق ١، ص ٤٠، ص ٤٢ . يشير السيد مرتضى الزبيدي إلى الطحانة وهي التي "تدور بالماء" ربما تمييزاً لها عن الرحى التي يمكن أن تُدار بالدواب، تاج، ج ٣٥، ص ٣٤٩ .

١٥١ -ينص القانون نامة على ما يلي: "ان حماية التراسين وحماية حمام الورد وحماية طاحون مرج الشيخ وحماية حجارة الطواحين وحماية معصرة ابن الكركي لم تكن موجودة في السابق قد تم رفعها لكونها وضعت من قبل زوجة سيباي نائب الشام" . حول رسم أسياب (رسم الطواحين) انظر: أحمد آق كوندوز، التشريع العثماني، ص ٨٥؛ حول وظيفة التراس بمجتمع دمشق، انظر: محمد سعيد القاسمي، قاموس الصناعات الشامية، ص ٦٩ .

١٥٢ -البارة: وحدة نقد عثمانية مضروبة من الفضة تساوي الواحدة منها آقجتين. انظر: J. ALLAN, « Para », *E.I.*², vol. VIII, p. 266-267.
مقالة الموسوعة هنا لا تعالج المرحلة المبكرة من تاريخ هذه العملة الفضية في تاريخ العملة العثمانية .

ابن الكركي" لم يكن موجوداً في السابق ولكنه وُضع على يد زوجة نائب الشام السابق سيباي.

٤٠ - الطواحين في أرض الصالحية تابع الشام ٣١ حجراً ريعها سنوياً (١٨٦٠) آقجة

وكانت الصالحية تشكل ضاحية كبيرة من ضواحي مدينة دمشق، جملها الدفتر (T. D. 474) مع إحصاءات دمشق، مُعدِّداً محلاّتها.

وكان ريع هذه الطواحين يُعتبر من الخواص السلطانية. يشير ابن طولون إلى طاحون مقرا وبجانبه حمام مقرا بالصالحية وقد خرب[١٥٣]. ويورد السجل لنا أسماء أحد عشر طاحوناً خراب في أرض الصالحية[١٥٤].

٤١ - أراضي في أطراف الشام أراضي وبساتين في حوالي نفس شام كلها وقف وملك عشرها للميري أي للخزينة السلطانية.

٤٢ - أراضي نيرب، وهي غربي الصالحية، يذكر ابن طولون أن بها بيوتاً وبساتين وهي كثيرة المياه[١٥٥]. ويشير إليها البدري على أنها "محلة ومن أعظم المحلات، حسنة الثمار وفيها حمام الزمرد وجامع بخطبة [أي تُقام فيه الخطبة يوم الجمعة] وكانت مسكن الرؤساء والأعيان"[١٥٦].

وهي في يد أهالي صالحية دمشق

حصل - قسْم من النصف كلياً [جميع الأرض] وقف وملك (٢٩٨) فدان مشجر

---

١٥٣ -ابن طولون، القلائد الجوهرية، ق ١، ص ٢٦٨.

١٥٤ -دفتر (T. D. 474)، ص ٢٠٤.

١٥٥ -ابن طولون، ضرب الحوطة، ص ٥١.

١٥٦ -يذكر البدري المتنزه المُسمى بالبهنسية: "وبها سويقة وحمام يُقال له حمام الزمرد وجامع بخطبة"، نزهة الأنام، ص ٨٠-٨١.

يؤخذ العشر من غير محصول وقف الحرمين الشريفين والجامع الأموي على وجه المقطوع في عهدة أهالي الأراضي المزبورة عن كل فدان[١٥٧] في (٣٥) آقجة في السنة (٩٠٠٠) آقجة . ولكن إذا ما ضُرب عدد الأفدنة بالرسم (298x35=10430) آقجة، ويبدو أن الرسم المجموع كان بمعدل (٣٠٫٢) آقجة عن كل فدان .

٤٣ - أراضي أرزة [١٥٨]- شربها من نهر ثورا [تورا]

أراضي أرزة مع رفوف (؟) الزعفران في الصالحية مع مزرعة محمد باب الفوقا والتحتا ومزرعة جمعان

حصل قسْم من النصف : جميع [كل] الأرض وقف وملك (٣٢٠) فدان مشجر

يؤخذ العشر باستثناء وقف الحرمين الشريفين والجامع الأموي على وجه المقطوع في عهدة أهالي الأراضي المزبورة عن كل فدان (٣٥) آقجة في السنة (٩٠٠٠) آقجة سنوياً . إلا أننا نلاحظ هنا أن المبلغ المجبى أقل مما يستوجب بمقدار (٢٢٠٠) آقجة .

---

١٥٧ -الفدان : "الثوران يقرن للحرث بينهما" ، ويُشار إلى أن الأصل في التسمية هي آلة الحرث التي يُحرث بها ثم استعير منه اسم الفدان، السيد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج ٣٧ ، (٢٠٠١م)، ص ٤٩٨-٤٩٩ . ويُعدد القانون نامة أنواع "الفدادين" في بلاد الشام : فدان روماني، وفدان الحراث، وفدان الأرض، ويطلقون "الفدان الروماني" على ما يحرثه زوج من الثيران في يوم وليلة، وما يحرثه في اليوم الكامل يُسمى "فدان إسلامي" أو "فدان عربي" وما يحرثه الزوج حتى وقت الظهر يسمونه "فدان الحراث" أو "فدان الأرض" . ومن الجدير بالذكر أن المؤرخ عز الدين بن شداد، عند استعراضه لارتفاع حرّان سنة ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م، يشير إلى أن ارتفاعها من المفادنة مئة ألف درهم، وارتفاع الرها ١٠٥ ألف درهم، الأعلاق الخطيرة، تحقيق يحيى عبارة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٨م، ج ٣، ق ١، ص ٦٦ ، ١٠٠ .

١٥٨ -يذكر ابن طولون أن "لأرزة حدود في ديوان الجيش" . كان لابن طولون فيها بيت بجنينة ولها جامع بمأذنة وحمامها قد خرب . ابن طولون، ضرب الحوطة، ص ٤٣ .

٤٤ - أراضي وبساتين تُعرف بالسهم الأعلى[١٥٩] في نفس الصالحية.

حصل قسْم من النصف (٢٠) فداناً

يؤخذ العشر باستثناء أراضي وقف الحرمين الشريفين والجامع الأموي على وجه المقطوع في عهدة أهالي الأراضي المزبورة، على كل فدان أربعون آقجة في السنة (٨٠٠) آقجة.

٤٥ - أراضي قصر لباد [اللباد][١٦٠] في يد أهالي نفس الشام مع مزرعة جورت (جورة) علي

حصل قسْم من النصف (١٢٠) فداناً

يؤخذ العشر باستثناء أوقاف الحرمين الشريفين والجامع الأموي على وجه المقطوع في عهدة أهالي الأراضي المزبورة عن كل فدان في السنة (٣٥) آقجة (٦٠٠٠) آقجة. لكن على ضوء ما يُدفع عن الفدان يكون المبلغ (٤٢٠٠) آقجة سنوياً وهو أقل من المبلغ المُدوَّن: (٦٠٠٠) آقجة.

٤٦ - أراضي وبساتين ميطور[١٦١] في يد أهالي نفس الشام[١٦٢]

حصل قسْم من النصف (١٠٨) أفدنة مشجرة

---

١٥٩ - يشير إليه ابن طولون في أكثر من موقع وكان فيه الزاوية الشهيدية، القلائد الجوهرية، ق ١، ص ٢٠٢ ، ٢٤٩ . ويذكره البدري أنه متصل بأرض الصالحية وأنه بين دور وقصور وفاكهة وزهور ومياه، نزهة الأنام، ص ٣١٧ .

١٦٠ - يشير إليه ابن طولون باسم قصر اللباد، ويذكر أنه بطريق الميطور، انظر: الشرح الذي ذكره المحقق محمد أحمد دهمان، القلائد الجوهرية، ق ١، ص ٢٠، ص ٤٠-٤١ . ويشير ابن شداد إلى مسجد عند قصر اللباد، ويقول: "وهو دير مسكون"، الأعلاق الخطيرة - دمشق، ص ١٤٣ .

١٦١ - يذكر ابن طولون أنها شرقي الصالحية، القلائد الجوهرية، ق ١، ص ٤٩ ، ١٤٢ .

١٦٢ - كان فيها المدرسة الميطورية بين الصالحية وقابون التي هدمت سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م وأقيم بدلها الميطورية الجديدة، وكان الميطور وقف هذه المدرسة التي تعطلت في أيام شمس الدين بن طولون. ابن طولون، القلائد الجوهرية١، ق ١، ص ١٤٢ . ويشير ابن شداد إلى مسجد الميطور ومسجد خراب عند الميطور. الأعلاق الخطيرة - دمشق، ص ١٤٣ .

يؤخذ العشر من غير أن يشمل أوقاف الحرمين الشريفين والجامع الأموي على وجه المقطوع في عهدة أهالي الأراضي المزبورة، عن كل فدان في السنة (٣٥) آقجة، (٣٣٠٠) آقجة سنوياً.

تبين أن المجموع، وعلى ضوء الأجرة، يجب أن يكون (٣٧٨٠) آقجة.

٤٧ - أراضي مسجد الزيتون[١٦٣] في يد أهالي نفس الشام

حصل قسْم من النصف (١٦٠) فداناً

يؤخذ العشر باستثناء أوقاف الحرمين الشريفين والجامع الأموي على وجه المقطوع عن كل فدان (٣٥) آقجة في السنة (٥٦٠٠) آقجة سنوياً.

٤٨ - أراضي وبساتين مقرى (مُقرا)[١٦٤] بقرب القلعة في يد أهالي نفس الشام

حصل من النصف (٢٢٠) فداناً مشجراً

يؤخذ العشر باستثناء أوقاف الحرمين الشريفين والجامع الأموي على وجه المقطوع في عهدة أهالي مزبورين عن كل فدان في السنة (٦٦٠٠).

---

١٦٣ -يشير ابن شداد إلى مسجد الزيتونة: "قديم تنسب إليه أراض حوله". الأعلاق الخطيرة - دمشق، ص ١٤٢.

١٦٤ -يعرفها ابن طولون على النحو التالي: "وهي كانت قرية فخربت شرقي الصالحية أدركت فيها السبع قاعات والآن باقي بها مسجد ومأذنة عند طاحونها على نهر ثورا"، ضرب الحوطة، ص ٥١. انظر أيضاً الإشارة إلى الطاحون وحمام مقرى الذي خرب، القلائد الجوهرية، ق ١، ص ٢٦٨. ذكرها عماد الدين الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م) في إحدى قصائده، قال:

"أهوى مقرّي بمقرى والرياض بها   للزهر ما بين تفويض وتزيين"

ابن شداد، الأعلاق الخطيرة - دمشق، ص ٣٤٦.

٤٩ - أراضي سطرا[١٦٥] بيد أهالي نفس الشام

حصل من النصف (٢٢٠) فداناً

يؤخذ العشر باستثناء أوقاف الحرمين الشريفين والجامع الأموي على وجه المقطوع في عهدة أهالي الأراضي المزبورة، عن كل فدان (٣٠) آقجة سنوياً في السنة (٦٦٠٠) آقجة.

٥٠ - أراضي سطرا بيد أهالي نفس الشام

حصل [أي حصة الخاص الشاهي السلطاني] قسْم من النصف (١٣٠) فداناً

يؤخذ العشر باستثناء أوقاف الحرمين الشريفين والجامع الأموي على وجه المقطوع في عهدة أهالي الأراضي المزبورة وعن كل فدان (٣٠) آقجة، في السنة (٤٠٠٠) آقجة. والملحوظ هنا أن الفرق ما بين رسم الفدان الواحد ومجموع المساحة هو مائة آقجة (130x30=3900).

٥١ - أراضي وبساتين بيت لهية[١٦٦] بيد أهالي قرية جوبر[١٦٧] وقابون[١٦٨]

حصل قسْم من النصف (٥٥٠) فداناً.

---

١٦٥ - سطرا: يذكر ابن شداد مسجداً لها وأنها: "قرية كانت عامرة فخربت بين البساتين بقرب بيت لهيا". الأعلاق الخطيرة - دمشق، ص ١٤٠. ذكرها أيضاً العماد الأصفهاني بقوله:

تتلو بسطرا أساطير الغرام على صوامع الدوح ورقٌ كالرهابين

ابن شداد، الأعلاق الخطيرة - دمشق، ص ٣٤٦.

١٦٦ - يذكرها ابن طولون وتذكر كتب الفضائل أنها كانت مقام السيدة "حواء"، القلائد، ق ١، ص ٤٦، ١١٣، ١٣٢، ومكانها اليوم في القصّاع. انظر أيضاً: ابن شداد، الأعلاق الخطيرة - دمشق، ص ١٨٢، حيث يشير إلى حمام فيها، ص ٣٠٢.

١٦٧ - قرية جوبر: قرية شرقي دمشق، معظم سكانها من اليهود وفيها سكان مسلمون وبها مسجد، انظر: ابن طولون، ضرب الحوطة على جميع الغوطة، ص ٤٥.

١٦٨ - يذكر ابن طولون القابون الفوقاني وهو قرية كبيرة تحت برزة وبها جامع وحمام وسوق قابون، ومعظم أهلها تركمان وشربها من نهر يزيد، والقابون التحتاني وهي بلدة كبيرة

يؤخذ العشر باستثناء أوقاف الحرمين الشريفين والجامع الأموي على وجه المقطوع في عهدة أهالي الأراضي المزبورة وعن كل فدان (٣٠) آقجة سنوياً في السنة (١٦٥٠٠) آقجة .

٥٢ - أراضي وبساتين باب الشرقي[١٦٩] بيد أهالي باب الشرقي (٢١٠) أفدنة مشجرة (١٣٠) سليخاً

يؤخذ العشر عن جملة المتحصل عن الغلال وعن الفصل (المفصول أي المقطوع) ومال الجامع وعن مال الوقف عن الصيفي والخراج باستثناء حصة الحرمين الشريفين والجامع الأموي عن كل فدان مشجر (٣٠) آقجة ولكل فدان سليخ[١٧٠] (١٥) آقجة على وجه المقطوع في عهدة أهالي الأراضي المزبورة في السنة (٨٢٠٠) آقجة (دُقِّق المجموع فجاء ٨٢٥٠ آقجة) .

وأهلها تركمان وحوارنة وشربها من نهر يزيد، الحوطة، ص ٤٩ . ويشير ابن شداد من قبل لهذا المسجد، الأعلاق الخطيرة - دمشق، ص ١٥٨ .

١٦٩ -من أبواب دمشق، ويُسمى الشرقي لوقوعه شرقي البلد، عبد الله بن محمد البدري (ت ٨٩٤هـ/١٤٨٨م)، نزهة الأنام في محاسن الشام، القاهرة، ١٣٤١هـ، ص ٢٤؛ عن محلة باب شرقي بدمشق، انظر الدفتر (T. D. 474)، ص٨٦-٨٧؛ صلاح الدين المنجد، مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالة المسلمين، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٤٧م؛ انظر: فهرس الأماكن، ص ٣٢٢ .

١٧٠ -فدان سليخ: أي الأرض الصالحة للزراعة بالحبوب والمحاصيل الصيفية إلا أنها غير مشجرة، وما زال التعبير مستخدماً بين الفلاحين إلى اليوم. يذكرها R. Dozy بمعنى أنها من النباتات الطبية. انظر: تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي، ج ٦ ، (١٩٨٢م)، ص ١١٦-١١٩ .
Supplément aux Dictionnaires arabes, vol. I, p. 672.

٥٣ - مزرعة غرداسية تابع باب الشاغور في الغوطة وقف على قراءة (قراءة القرآن العظيم) تماماً

حصل من النصف (١٢٠٠) آقجة

العشر عن الوقف (١٢٠)

٥٤ - أراضي وبساتين قينية[١٧١] والحمرية (والجمرية، الخمرية ؟)

بيد أهالي قرية كفرسوسية[١٧٢] وباب السريجة[١٧٣] في الشام

حصل الأراضي كلها وقف وملك

العشر عن جملة متحصل عن الغلال والفصول - من كلمة (Vassal) اللاتينية [أي المبالغ المقطوعة] ومال صيفي مع عشر عن مال الوقف مع الخراج باستثناء حصة الحرمين [الشريفين] وجامع بني أمية عن كل فدان مشجر (٣٠) آقجة. وعن كل فدان سليخ (١٥) آقجة على وجه المقطوع في عهدة أهالي الأراضي المزبورة وفي السنة (١٩٥٠٠) آقجة.

---

١٧١ -قينية: كان فيها مسجد معاوية وفيه بئر، ويشير ابن شداد إلى مسجد حمورية فلربما تكون الحمرية هي نفس الموقع المُشار إليه. الأعلاق الخطيرة - دمشق، ص ١٥٢، ١٦٤. بظاهر باب الجابية، ابن طولون، ضرب الحوطة، ص ٥١. حول محلة داخل باب الجابية، انظر: الدفتر (T. D. 474) ص ١٠٢-١٠٥. ويذكر محمد أحمد دهمان أن قينية قرية خارج دمشق في منتهى حي باب السريجة بعد جامع التابتية، هامش رقم (٣)، القلائد الجوهرية، ق ١، ص ٤٦.

١٧٢ -كفرسوسية: بلدة تحت المِزّة بها جامع وحمام وبها معصرة للزيت، انظر ابن طولون، ضرب الحوطة، ص ٤٩. ويذكر البدري في كفرسوسية أيضاً وجود معصرة زيت وأشجار زيتون مع الفواكه الكثيرة بطريق الانضمام، نزهة الأنام، ص ٢١٢. وكان بها جامع، ابن شداد، الأعلاق الخطيرة - دمشق، ص ١٣١.

١٧٣ -باب السريجة: يشير الدفتر (T. D. 474) إلى محلة باب السريج المؤلف من ثمانية أزقة، ص ١٠٥-١١٠.

٥٥ – مزرعة أراضي وبساتين شاغور بيد أهالي قرية يلداه[١٧٤] وأهالي محلة شاغور[١٧٥] وأهالي باب المصلى[١٧٦]

حصل قسْم من النصف وجميع قطع الأراضي وقف وملك

(٣٧٥) فدان مشجر

(٤٥٠) سليخ

العشر عن جملة المحصول عن الغلال والفصول (المقطوع) وعن مال الوقف مع خراج أشجار وكروم غير حصة الحرمين الشريفين والجامع الأموي على وجه المقطوع في عهدة أهالي الأراضي المزبورة في السنة (١٨٠٠٠) آقجة .

عن فدان . . . . [فراغ بالأصل]

عن فدان . . . . [فراغ بالأصل]

٥٦ – مزرعة فدّاية تابع م

حصل قسْم من النصف وجميع المزرعة وقف وملك

(٢٥٠) فداناً مشجراً

(٢٠٠) سليخ

العشر عن جملة متحصل عن الغلال وعن مال الوقف وعن الخراج باستثناء حصة الحرمين الشريفين والجامع الأموي على وجه المقطوع في عهدة أهالي الأراضي المزبورة عن كل فدان مشجر (٣٠) آقجة سنوياً وعن كل فدان سليخ (١٥) آقجة سنوياً في السنة (١٠٤٠٠) آقجة

---

١٧٤ -أوردها ابن طولون (يلدا)، وتذكرها بعض المصادر "يلدان" ، وهي قرية قبلي المدينة خرجت عدداً من المحدثين، ضرب الحوطة، ص ٥١ .

١٧٥ -انظر محلة شاغور جواني ضمن الدفتر، وشاغور براني، (T. D. 474)، ص ٨٧-٩٢، شاغور براني، (T. D. 474)، ص ٩٢-١١٠ .

١٧٦ -انظر محلة باب المصلى في الدفتر، (T. D. 474)، ص ١١٠-١١٩ . والجدير بالذكر أن الدفتر المذكور ينص على أن محلة سويقة المحروقة كانت تتبع باب المصلى، ص ٢١٠-٢٢٤ .

لكن مجموع العملية الحسابية حسب القاعدة المحددة لأجرة الفدان الواحد هنا يكون (١٠٥٠٠) آقجة سنوياً) . من هنا نلاحظ وجود نوعين من الأراضي : أراضي مشجرة، وتحسب رسومها على المساحة وليس على عدد الأشجار، وأراضي سليخ، أي غير مشجرة، والرسم هو نصف رسم الدونم المشجر، وزيادة على ذلك، نلحظ أن هناك فروقاً في مجمل أرقام الرسوم ما بين المبلغ المدون والمبلغ الحاصل نتيجة العملية الحسابية، ولكن الأهم والجدير بالتنبيه إليه هنا أننا نلاحظ البدايات الأولى لدخول الأهالي على التزام ما يتوجب للدولة من رسوم على الأراضي والأشجار.

خواص حضرة أمير أمراء [والي] ولاية الشام

يشير الدفتر (T. D. 474) (ص ٢) إلى أن محصول خواص مير الميران [أي أمير أمراء الشام وهو الوالي] كانت مليون آقجة سنوياً، نذكر منها ما كان من دمشق :

١ - محصول بادهوا وجرم وجناية [وجنايت] ورسم عروسانه نفس الشام في السنة (١٣٠٠٠٠) آقجة

كانت الدولة تجمع رسوماً تُعرف بالبادهوا سبق أن تناولناها أعلاه وهي أقرب ما تكون إلى "الطيارات" ، ورسوماً عند اقتراف الجرم والجناية شريطة أن لا تكون من مواضيع الحدود الكبرى وفي القضايا التي ينظر فيها حكام السياسة أو قضاة السياسة[١٧٧]، وكذلك رسوماً تتقاضاها المحكمة مقدارها (١٢٥) درهماً عند زواج

---

١٧٧ -من أجل بيان كيفية تعامل المسؤولين العثمانيين مع مواضيع الجرم والجناية والبادهوا، وما كانت تأخذه سلطات الدولة من رسوم مقابل ذلك على شكل "غرامات" بما لا يخالف الشرع وبخاصة في مواضيع: (القصاص)، (الزنا)، (الجرائم)، (السياسة)، (الجناية)، (التعزير)، انظر:

M.A. Bakhit, *The Ottoman Province of Damascus*, p. 125-126 ; Uriel Heyd, *Studies in Old Ottoman Criminal Law*, edited by V.L. Menage, Oxford University Press, 1973.

انظر أيضاً: أحمد آق كوندوز، التشريع الضريبي، ص ٧٦.

البكر و(٧٥) درهماً عند زواج الثيب، ويشار إلى هذا الرسم باسم "رسم عروسانه"[١٧٨].

٢ - محصول رسوم براءات (بروات) في السنة (١٥٠٠٠) آقجة

كنا قد أشرنا إلى أن أصحاب التيمارات من السباهية كانوا على نوعين، الأول، وعددهم (١٥٥) نفراً، يحصلون على تيماراتهم مقابل تذكرة أو براءة[١٧٩] يصدرها السلطان ويدفع المستفيد رسوماً مقابل ذلك، والقسم الثاني، وعددهم (٢١٦) نفراً، كانوا يحصلون على التذكرة من مير الميران أو أمير أمراء ولاية الشام مقابل رسم معين قُدِّر مجمل محصوله السنوي بخمسة عشر ألف آقجة.

٣ - محصول سرعسسية (رئيس الحرس الليلي) في نفس الشام والصالحية بموجب العادة القديمة في السنة (٢٠٠٠٠) آقجة

كان العثمانيون يجبون رسوماً من أصحاب الدكاكين وأهالي الحارات مقابل الحراسة الليلية ولم تُحدِّد المادة المتوافرة لدينا الأسس والقواعد التي كان المسؤولون يعتمدونها في جمع هذه الرسوم. ولكن، يُفهم من النص أن مثل هذه العادة كانت موجودة من أيام المماليك وأنها عادة قديمة في نفس الشام وفي الصالحية، وقد اعتُمدت هنا في مطلع عهد السلطان سليم الأول. والجدير بالذكر أن شمس الدين محمد بن طولون (ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م) يشير في أحداث عام ٩٣٢هـ/١٥٢٦م في الشكوى التي حملها الشيخ الصوفي محمد الصمادي (ت ٩٨٩هـ/ ١٥٨١م)

---

١٧٨ - B. Lewis, « Arus Resmi », *E.I.*², vol. I, p. 679.
والملحوظ أن مثل هذه "الحقوق السلطانية" كانت موجودة في حرّان والرها في منتصف القرن السابع الهجري تحت اسم "الجنايات"، "السجون"، "الأفراح". انظر: ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج ٣، ق ١، ص ٦٦ ، ٩٩ ، ١٠٠.

١٧٩ - حول استخدام هذا المصطلح في الإدارة العثمانية، انظر:
H. Inalcik, « Berat », *E.I.*², vol. I, p. 1170-1171.

إلى السلطان، وفيها: "الشكية على النائب والأمناء وغيرهم بسبب مظالم عددها كعسس باشي ومشد الزبالة ويسق [رسوم] المحتسب"[١٨٠].

٤ - محصول بادهوا نواحي الشام من دون خواص الهمايون السلطاني وخواص الزعماء وأصحاب التيمارات الحرة (سربت) ولا يشمل هذا الرسم أوقاف الحرمين الشريفين وخليل الرحمان عليه السلام وجامع بني أمية والقدس الشريف وأوقاف حضرة لالا مصطفى باشا مع (رسوم) الجرم والجناية والعروسانة لنواحي الشام في السنة (١٩٥٠٠٠) آقجة

يشمل هذا المحصول رسوم البادهوا (الطيارات) في نواحي بلاد الشام باستثناء البادهوا المجموع لحساب الخاص السلطاني والزعماء وأصحاب التيمارات الحرة ولا يشمل أيضاً أوقاف الحرمين الشريفين - مكة المكرمة والمدينة المنورة - وأوقاف خليل الرحمن عليه السلام. وكذلك فإن أوقاف مسجد بني أمية والقدس الشريف غير خاضعة لرسوم البادهوا كما حددها القانون نامة على النحو التالي: "تمّ تسجيل جميع أوقاف الحرمين الشريفين والقدس الشريف وحضرة خليل الرحمن عليه السلام

---

١٨٠ - انظر محمد بن طولون الصالحي، حوادث دمشق اليومية، تحقيق أحمد إيبش، دار الأوائل، دمشق، ٢٠٠٢م، ص ١٨٦. لقد أجاز العز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م)، "الإجازة على الحراسة في سبيل الله" قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ٢ ج، ط ٢، تحقيق طه عبد الرؤوف سعيد، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٠م، ج ١، ص ٢٣١. يشير محمد سعيد القاسمي إلى مهمة "الحارس" في حراسة الأسواق والدكاكين والخانات والأزقة، إلا أنهم كانوا من العاملين مع الحكومة أو البلديات، انظر: قاموس الصناعات الشامية، ص ٨٨-٨٩؛ وانظر دور "القواص"، ص ٣٦٨-٣٦٩. حيث يورد محمد بن عبد الرحيم بن الفرات (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٥٥م) نصاً أصدره نائب السلطنة الشريفة بمصر سنة ٦٧٩هـ/ ١٢٨١م ذكر فيها عدداً من المواضيع من بينها الحراسة في الليل، تاريخ ابن الفرات، حققه وضبط نصه قسطنطين زريق، المطبعة الأميركانية، بيروت، ١٩٤٢م، ج ٧، ص ١٩٦-٢٠٠.

معفاة من العوارض الديوانية والتكاليف العرفية ومن العُشر وذلك في الدفتر الجديد"[١٨١].

أما فيما يتعلق بأوقاف لالا مصطفى باشا (ت ٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م)، حاكم دمشق البوسنوي الأصل (٩٧١هـ/١٥٦٣م - ٩٧٥هـ/١٥٦٧م) وأستاذ السلطان سليم الثاني (٩٧٤هـ/١٥٦٦م - ٩٨٢هـ/١٥٧٤م)، فلقد أقام خاناً في الشام اشتمل على مائة وسبعين غرفة بالإضافة إلى مسجد وفرن ولكن معظم أوقافه كانت في القنيطرة[١٨٢] حيث أقام فيها عمارة عامرة فيها مسجد ومرافق لخدمة الصوفية وطلاب العلم والمسافرين وحبّس عليها في السنة (٩٨٣هـ/ ١٥٧٥-١٥٧٦م) وسنة (٩٨٤هـ/١٥٧٦م) كثيراً من الدكاكين والدور وحمامات وطواحين وقرى ومزارع وكروم وقطع الأراضي"[١٨٣]. ويتضمن دخل أمير أمراء الشام، بالإضافة إلى رسم البادهوا، رسوم الجرم والجناية والعرائس[١٨٤] في نواحي الشام كما سبق لنا وشرحنا أعلاه.

٥ - محصول باج الخمر الذي يجلبه الكفرة لأنفسهم شرط أن لا يبيعوه للمسلمين في السنة (٤٠٠٠٠) آقجة

نلاحظ، عند مراجعة دفاتر الطابو أرقام: (١٦٩ ، ٢٦٣ ، ٤٠١ ، ٤٢٣ ، ٤٧٤) أن قيمة الباج على الخمر كانت بدايةً مائة ألف آقجة سنوياً ثم ارتفعت إلى

---

١٨١ -حول ثلاث من الوقفيات بدمشق في القرن السادس عشر، راجع:
Jean-Paul Pascual, *Damas à la Fin du XVI siècle, D'après trois actes, de waqf ottomans*, Damascus, 1983.

١٨٢ -القنيطرة التي هي اليوم مركز ناحية بالجولان، فقد كان عدد سكانها [سنة ٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م] (٦٢) خانة و(٨) مجردين، (T. D. 474)، ص ٤٤٤-٤٤٥. وعنها اليوم انظر: المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، م ٤، ص ٦١٨.

١٨٣ -حول هذه الأوقاف انظر نص الوقفية التي نشرها خليل مردم بك باسم "كتاب وقف الوزير لالا مصطفى باشا، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٢٥م.

١٨٤ -حول موضوع الرسوم على العتق والنكاح والقسمة وتصديق الحجج ورسوم الخدمة ورسوم التذاكر والجرم والعروسانة، انظر: H. Inalcik, « Resm », *E.I.*^{2}, vol. VIII, p. 486-487.

(٣٦٠٠٠٠) آقجة ثم تدنت إلى أربعين ألفاً[١٨٥] . ويؤيد ذلك ما جاء في القانون نامة حيث ينص على ما يلي : "وتم تدوين مقاطعة الخمر في البداية في الدفتر الخاقاني بأكثر من ثلاثماية الف آقجة وتم رفعها بالأمر الشريف لكن ونظراً لكون الكفار يدفعون باجا للخمر الذي يجلبونه لأنفسهم عادة قديمة فقد تم تدوينه في الوقت الحالي في الدفتر الخاقاني بأربعين ألف آقجة واشترط عليهم عدم بيعه إلى المسلمين وإذا ما تجاوزوا ذلك يقوم أهل الحكم بمنعهم"[١٨٦] .

٦ – محصول باج سوق (بازار) وباج الدواب في منزل المزيريب تابع قضاء حوران[١٨٧]

من المعروف أن بلدة المزيريب[١٨٨] الواقعة ضمن قضاء حوران كانت تقوم فيها قلعة عثمانية مشهورة وكانت مياهها كثيرة وكانت قافلة الحاج الشامي تنزل بها وكما هو معروف فإن أسواقاً كانت تُقام في منازل الحج حيث يكثر الطلب على الدواب لتلبية حاجات الحجاج والتجار لنقل حوائجهم أو للركوب .

---

١٨٥ –انظر : M.A. Bakhit, *The Ottoman Province of Damascus*, p. 243 .

١٨٦ –حول عادة شرب الخمر وموقف الصوفية ضدها، راجع : Bakhit, *Ibid.*, p.141 .

١٨٧ –كان قضاء حوران في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، يشمل النواحي التالية : بني هلال، بني مالك، الصدير، بني مالك الأشراف، بني مقلد، بني عبد الله، بني عاتكة، بني عقبة، انظر : M.A. Bakhit, *The Ottoman Province*, p. 82-90 .

١٨٨ –حول بلدة المزيريب، انظر : "مزيريب" ، المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، دمشق، ١٩٩٣م، م ٥ ، ص ٢٣٤-٢٣٣ . تجيء الإشارات إلى أن الأسواق كانت تُقام في أكثر من بلدة، منها على سبيل السوق الذي كان يُقام بمدينة بُصرى بحوران المشهورة بسوقها التجاري . ويذكر زكريا بن محمد القزويني (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) أن سوق بُصرى يُقام في السابع من تموز كل عام، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ط ٤ ، تحقيق فاروق السعد ، دار الأمانة، بيروت، ١٩٨١م، ص ١١٩ .

العشائر[1] العربية في ولاية دمشق الشام
في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي
في ضوء دفاتر الطابو والمهمة العثمانية

وضّح الكاتب الموسوعي شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م) جملة من التعابير والمصطلحات المتعلقة بالعشائر، والتي ترد في كتب الأنساب، وجعلها في عشر طبقات هي[2]:

١ – الجذم: وهو الأصل إلى قحطان ومعد وعدنان "واقتصر على ما ذكر ما دونهما لاجتماعهم [أي النساب] على صحته".

٢ – الطبقة الثانية، الجماهير، وتفيد الاجتماع والكثرة.

٣ – الطبقة الثالثة، الشعوب، واحدها شِعْب وشَعْب ويُشبَّه بالرأس من الجسد.

٤ – الطبقة الرابعة، القبيلة، وهي دون الشعب وأن سُمِّيت قبيلة "لتقابل بعضها ببعض واستوائها في العدد وهي بمنزلة الصدر من الجسد".

---

١ – حول العشيرة انظر:
J. Lecerf, « 'Ashira », *E.I.*², vol. I, p. 700.

٢ – شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م) نهاية الأرب في فنون الأدب، السفر الثاني، مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، د. ت، ج ٢، ص ٢٧٦-٢٨٦.

٥ - والطبقة الخامسة، العمائر، وهي دون القبائل "وتجمع البطون وهي بمنزلة اليدين".

٦ - الطبقة السادسة، البطون، "وهي التي تجمع الأفخاذ".

٧ - والطبقة السابعة، الأفخاذ، "وهي أصغر من البطن والفخذ تجمع العشائر".

٨ - الطبقة الثامنة، العشائر، "وهم الذين يتعاقلون إلى أربعة آباء وسميت بذلك لمعاشرة الرجل إياهم"، "وهي بمنزلة الساقين من الجسد اللتين يعتمد عليهما دون الأفخاذ".

٩ - والطبقة، التاسعة الفصائل، "وهم أهل بيت الرجل وخاصته وهي بمنزلة القدم".

١٠ - الطبقة العاشرة، الرهط، "والرهط دون العشرة والأسرة أكثر من ذلك وهي بمنزلة أصابع القدم".

أما أحمد بن علي القلقشندي[٣] (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) فقد اعتمد منهج أهل اللغة وتقسيمات علي بن محمد حبيب الماوردي (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٩م)، وأشار إلى ست طبقات هي:

---

٣ - أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م، ص ١٤-١٥ . أما الماوردي، فيقول في تفسير الآية الكريمة ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ الحجرات١٣، وفيها ثلاث تأويلات: أحدها أن الشعوب النسب الأقرب والقبائل النسب الأبعد، قاله مجاهد، والثاني، أن الشعوب عرب قحطان والقبائل عرب عدنان، والثالث أن الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب، والرابع أن يجعل لكل طايفة شعاراً يتداعون به متميزين وبالاجتماع متظافرين"، انظر: علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٩م)، كتاب الأحكام السلطانية، صححه محمد بدر الدين النعساني الحلبي، عن ط١، القاهرة، ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م، وعنه ط ٢، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م، ص٣٦. مجاهد بن جبر المكي (ت. ح ١٠٤هـ/٧٢٢م)، تابعي من كبار المفسرين درس على عبد الله بن عباس وله تفسير مطبوع.

١ – الشعب، وهو النسب الأبعد.

٢ – القبيلة، وهو ما انقسم فيه الشعب وربما تسمى القبائل الجماجم.

٣ – العِمارة "وهي ما انقسم فيه أنساب القبيلة".

٤ – البطن، وهي ما انقسم فيه أقسام العمارة.

٥ – الفخذ، "وهي ما انقسم فيه أقسام البطن".

٦ – الفصيلة، "وهي ما انقسم فيه أقسام الفخذ".

ويُلاحظ أن هذين التقسيمين لا يلبيان كثيراً من المصطلحات التي ترد فيما بعد في دفاتر الدولة العثمانية وسجلاتها مثل "طائفت" و"جماعت" و"حي" و"ربع" و"رجال" و"فزعة" وما إلى ذلك، كما أن هذا التصنيف لا يشمل تعابير يتم تداولها في القرى مثل "حمولة"[٤] و"آل" و"بنو" و"ذوو"... الخ.

وقد انطلق "النسابة" إلى الاهتمام بهذا الفن من الآية القرآنية الكريمة: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[٥]، فهذا علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٤م) يقول انطلاقاً من هذه الآية الكريمة "فوجب بذلك أن علم النسب علم جليل رفيع إذ به يكون التعارف، يعرف الإنسان نسب الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن الخلافة لا تجوز إلا في ولد فِهر. ومعرفة النسب طريقة لمعرفة ما يحرم في النكاح ومعرفة كل من يوجب له ميراث أو تلزمه صلة أو نفقة أو معاقدة أو حكم ما"[٦]. ولقد أورد الإمام عبد الكريم بن محمد السمعاني (ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م)

٤ – حول استخدام مصطلح "حمولة"، انظر:
A. Cohen, « Ḥamula », *E.I.*², vol. III, p. 149-150.

٥ – سورة الحجرات، آية ١٣. انظر:
A. Rippin, « Mudjahid b. Djabr al-Makki », *E.I.*², vol. VII, p. 293.

٦ – علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٤م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م، ص ١-٢.

السبب الموجب لهذا العلم، وهو حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "تعلّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منسأة في الأثر"[٧].

وكما هو معلوم فإن عشرات المؤلفات، مثل: الجمهرات وغيرها، قد وضعت في تاريخ الأنساب، ولكن هذا الفن الذي استحوذ على اهتمام النسابة تعرّض للأفول مع نهاية العهد المملوكي، وعند تحوُّل عاصمة الدولة الإسلامية من القاهرة إلى استانبول بعد ما بسط العثمانيون سيطرتهم على غالبية البلاد العربية (سنة ٩٢٢-٩٢٣هـ/ ١٥١٦-١٥١٧م) إلى سنة ١٩١٨م تقريباً، وتركّزت عناية المؤرخين في الولايات العربية فيما بعد على كتب التراجم ووضع الحوليات المبسطة حيث جاءت الإشارات عن العشائر فيها لِماماً[٨].

---

٧ - عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م)، الأنساب، ج ٢، حققه عبد الرحمن بن يحيى العلمي اليماني، الناشر محمد أمين دمج، بيروت، ط ٢، ١٩٩٠م، ج ١، ص ٣٨ يورد السمعاني طرق روايات هذا الحديث، ص ٤٠ -٤٤.

٨ - يُشار إلى اهتمامات بعض العلماء بكتابة نسب بعض الأسر التي حكمت في التاريخ الإسلامي، انظر على سبيل المثال: السيد محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م):

١) ترويح القلوب في ذكر الملوك بني أيوب، تحقيق صلاح الدين المنجد، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦٩م.

٢) جذوة الاقتباس في نسب بني العباس، تحقيق يحيى محمود بن جنيد، الدار العربية للموسوعات، الحازمية، لبنان، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٣) رسالة السيد الزبيدي: "تحفة القماعيل في مدح شيخ العرب إسمعيل: أبو المحامد مجد الدين إسماعيل بن عبد الله بن همام الهواري الرعيني الحميري، كتبها ١١٨٤هـ/ ١٧٧١-١٧٧٠م، منها نسخة في دار الكتب ونسخة في المكتبة الخديوية، والقمعال هو سيد القوم، انظر: تاج العروس، ج٣، (الكويت ١٩٩٨م)، ص٢٨٥-٢٨٧.

انظر كذلك: محمد أمين بن علي السويدي (ت. ح ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م)، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، دار إحياء العلوم، بيروت، د. ت.

والملحوظة الجديرة بأن تؤخذ بالاعتبار هي أن الأنساب العربية قديماً وحديثاً أصبحت من بين ما تهتم به مدارس الاستشراق لغايات علمية أو إدارية أو استخباراتية، وبذلك حافظت هذه المدارس على إدامة الاهتمام بالموضوع[٩]. ويُلحظ في أيامنا هذه الإقبال الكبير على علم الأنساب، على المستوى المحلي أو القطري أو الإقليمي[١٠] فتحول هذا الاهتمام من مستوى الحفاظ على وحدة تاريخ الأمة إلى التناول القطري. وهناك الكثير من المؤلفات التي تمثل هذا النمط، إلا أن بعضها يشوبه عنصر التخمين أو الافتراض مما يوجب أخذ ما ورد فيها بمزيد من الحيطة والحذر.

ومن هنا تجيء أهمية دفاتر الطابو العثمانية ودفاتر المهمة وسجلات المحاكم الشرعية في تحديد مكان استقرار العشائر وأسماء طوائفها وجماعاتها مع ذكر أسماء الشيوخ في بعض الأحيان، وتوضح لنا هذه الدفاتر، كما سنرى لاحقاً، المهام الإدارية التي أوكلت لبعض العشائر مثل درك الطرق والممرات والمضائق، وتزودنا الدفاتر بأعداد الجمال والأمهار والخيول التي تقدمها طوائف العربان سواء لخدمة قافلة الحج الشريف أم دعم حملات الدولة العسكرية في الداخل والخارج أم أخذها إلى الحظائر السلطانية باستانبول، مع بيان عدد أفراد هذه الطوائف والجماعات، ومقدار ما تدفع من رسوم[١١] الحماية والبادهوا ورسم عروس و"جرم وجنايت"، وتفصل الدفاتر في ذكر "العادت"

---

٩ - انظر على سبيل المثال: ماكس فرايهر فون اوبنهايم (Max F. Von Oppenheim) واريش براونلش (Erich Braunlich) وفرنر كاسكل (Werner Caskel)، البدو، ٤ ج، ترجمه من الألمانية ميشيل كيلو ومحمود كبيبو، تحقيق وتقديم ماجد شبر، شركة دار الوراق للنشر المحدودة، لندن، ٢٠٠٤م؛ وكذلك انظر: فردريك ج. بيك باشا، تاريخ شرقي الأردن وقبائلها، تعريب بهاء الدين طوقان، الدار العربية للتوزيع والنشر، عمان، د. ت.

١٠ - انظر على سبيل المثال: أحمد وصفي زكريا، عشائر الشام، ط٢، جزءان في مجلد واحد، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٣م؛ وكذلك: إبراهيم أحمد المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ٢ج، دار الكلمة، صنعاء، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م. وكذلك عباس العزاوي، عشائر العراق، ٤ مجلدات، مطبعة بغداد، ١٩٣٧م، م ٢، العشائر الكردية، ١٩٤٧م، أهل الأرياف، م ٣ ، ١٩٥٥م، م ٤، يتناول عشائر المنتفق، ١٩٥٦م.

١١ - حول هذه الرسوم انظر أدناه، ص ١٨-٢٥ ، ٢٩-٣٩.

التي تدفعها العشائر عن الأغنام والماعز بالإضافة إلى رسم حق المرعى، مقابل استخدام المُغُر والكهوف زرائب في فصل الشتاء، ورسم "قشلاق" وما إلى ذلك.

وقد ضمّت ولاية دمشق الشام في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ألوية: دمشق الشام وصفد واللجون ونابلس والقدس وغزة ولواء عجلون الذي كان يشمل منطقتي الكرك والشوبك. وكان كل لواء يتألف من عدد من النواحي، وقد قُسم لواء دمشق الشام، نظراً لسعته، قد قُسِّم إلى عدد من الأقضية مثل قضائيْ حوران وبيروت، وكان من عادة الدولة العثمانية أن تقوم بعملية تحرير للألوية عند فتحها لأي بلد، وعند تولي سلطان جديد أو في عهد سلطان يطول عهده مثل السلطان سليمان القانوني الذي شهدت أراضي الولاية في عهده عدداً من المسوحات، وكانت نتائج المسوحات تُدوَّن في دفاتر تُعرف باسم دفاتر الطابو ترسل إلى استانبول، وفي الغالب كان يتصدّر هذه النتائج القانوننامة باسم السلطان الذي أجريت المسوحات في عهده كان الدفتر يورد عدداً من المصطلحات مثل "قيراط"[١٢] و"سهم"[١٣] و"فدّان"[١٤] و"عدّان"[١٥] و"عثمانية"[١٦] و"ديموس"[١٧]، وبيان مقدار الرسوم

---

١٢ – القيراط: يُعرِّف قانوننامة بلاد الشام القيراط: أن كل شيء يُقسَّم على أربعة وعشرين قيراطاً.

١٣ – السهم: حدّدت في الغالب حصص الأوقاف بالسهم... يقسم الشيء الواحد إلى أسهم.

١٤ – الفدان: هناك فدان روماني، وهي المساحة التي يحرثها زوج من الثيران في يوم وليلة، والفدان الإسلامي: وهو ما يحرثه زوج من الثيران في يوم بكامله، ومثل ذلك الفدان العربي، وما يحرثه زوج الثيران في نصف يوم حتى وقت الظهر، يُعرف بفدان الحراث.

١٥ – العدان: يُطلق مصطلح عدان في بعض الأماكن على مساحة الأرض التي يسقيها النهر الذي يتم سدّ مجراه ويُسمح له بالمسيل من فتحة في غضون يوم وليلة.

١٦ – العثمانية: هي الآقجة، وحدة النقد العثمانية المضروبة من الفضة الخالصة قبل أن يدخلها الزغل.

١٧ – الديموس: مصطلح يوناني الأصل، وهو المبلغ المقطوع، ويحسب بالآقجة أو عيناً بالغلاّت، وأحياناً يُسمّى فصل ومفصول. حول هذه المصطلحات، انظر: قانوننامة ولاية الشام من عهد السلطان سليمان القانوني، الذي نشره:

Ahmed Akgunduz, *Osmanli Kanunnameleri ve Hukuki Tahlilleri*, 9 vols, Istanbul, 1994, vol. VII, p. 22-23.

على الأشجار المثمرة وعلى المحاصيل الصيفية والشتوية، وكذلك الرسوم على المرافق مثل المعاصر وأحجار الطواحين، وشمل هذا المسح جميع أنواع المقاطعات في الأسواق[١٨]. والذي يهمنا هنا أن هذا التحرير كان يُحصي السكان على أساس الخانة[١٩] والمجرد[٢٠]، ويستخدم عند جمعها بالنسبة لأهل الذمة تعبير "نفر"، وشمل هذا الإحصاء العشائر العربية والتركمانية والكردية وغيرها مع بيان أماكن سكناها ومقدار ما تدفعه كل طايفة على شكل "عادت"[٢١] على مواشيها وخيولها وجِمالها وجواميسها، وكذلك ما تدفعه مقابل الحماية[٢٢] وحق المرعى[٢٣] ورسم المشاتي "رسم قشلاق"[٢٤].

---

١٨ - حول المقاطعات في دمشق الشام في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، انظر: محمد عدنان البخيت، العوائد المالية لمقاطعات دمشق الشام على ضوء دفتر طابو (T. D. 474)، ٩٧٧هـ/١٥٦٩م، المنشور ضمن هذا الكتاب.

١٩ - الخانة: هي الأسرة.

٢٠ - المجرد: غير المتزوج أو الغريب عن المكان.

٢١ - عادت (عادة): هي مجموعة الرسوم التي تدفعها العشيرة.

٢٢ - الحماية: مبلغ من المال كانت تدفعه العشائر وأهالي القرى منذ أيام المماليك. وجاء في قانوننامة الشام لعام ٩٥٥هـ/١٥٤٨-١٥٤٩م أنها مع عادة الدورة والمباشرية وفتوح البيدر ورسم الحصاد ورسم الرجادية تُعتبر من البدع السيئة وأمر السلطان برفعها وإلغائها. انظر: Ahmet Akgündüz, *Osmanli Kanunnameleri*, vol. 7, p. 32.

٢٣ - حق المرعى: لا يؤخذ أي مبلغ إذا دفع صاحب الأغنام الرسم المطلوب، وفي الأماكن المحمية للمراعي يدفع صاحب القطيع، أو يُقدِّم خروفاً عن قطيعه، انظر: أحمد آق كوندوز، التشريع الضريبي عند العثمانيين، ترجمة فاضل بيات، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ٧٩-٨١.

٢٤ - رسم قشلاق: يؤخذ خروف أو ما يعادل ثمنه بالآقجة على كل مائة رأس من الماعز أو الخراف القادمة من خارج السنجق عند استخدام أصحاب المواشي للمغائر كزرائب في موسم الشتاء لإيواء مواشيهم. ويؤخذ خروف عن كل قطيع يتألف من ٣٠٠ رأس أو يؤخذ ٢٥ آقجة عن كل رسم وخمس آقجات رسم حظيرة. آق كوندوز، التشريع الضريبي عند العثمانيين، ص ٧٨-٨٠.

وقد أقرّ السلطان سليم الأول (٩١٨هـ/١٥١٢م - ٩٢٦هـ/١٥٢٠م) عند فتحه بلاد الشام عدداً من زعماء الأسر والعشائر في ريف ولاية دمشق في المهام التي كانوا يتولونها في العهد المملوكي، منها أسرة آل الحنش[٢٥] في البقاع اللبناني، والأسرة الغزاوية[٢٦] في لواء عجلون، والأسرة الحارثية[٢٧] (طره باي) في منطقة مرج بني عامر. ويُبيِّن دفتر طابو (T. D. 131) ٩٣٢ هـ/١٥٢٥-١٥٢٦م - ٩٣٨هـ/١٥٣١-١٥٣٢م) أن عشائر بني عطا وبني سوالمة قد خصِّص لهما في مطلع العهد العثماني إقطاعات شملت عدداً من القرى والمزارع في لواء غزة كما سنبيِّن ذلك[٢٨].

وإذا ما نظرنا إلى مسميات النواحي في كل من شمالي لواء عجلون وصولاً إلى نهر اليرموك، وفي أسماء نواحي قضاء حوران، نجد أنها جميعاً تحمل أسماء عشائر مسبوقة بكلمة "بني"، وهذه النواحي هي: ناحية بني كنانة[٢٩]، ناحية بني

---

٢٥ - حول أسرة آل الحنش في البقاع، انظر: "دور أسرة آل الحنش والمهام التي أوكلت إليها في ريف دمشق الشام ٧٩٠هـ/١٣٨٨م-٩٧٦هـ/١٥٦٨م - دراسة وثائقية"، المنشور في هذا الكتاب.

٢٦ - حول الأسرة الغزاوية ودورها في تسيير قافلة الحج، انظر:
Muhammad Adnan Bakhit, *The Ottoman Province of Damascus in the Sixteenth Century*, Librairie du Liban, Beirut, 1982, p. 212-218.

٢٧ - حول الأسرة الحارثية في مرج بني عامر، انظر: محمد عدنان البخيت، "الأسرة الحارثية في مرج بني عامر ٨٨٥-١٠٨٨هـ/ ١٤٨٠-١٦٧٧م"، مجلة الأبحاث، الجامعة الأمريكية في بيروت، م ٢٨، (١٩٨٠م)، ص٥٥-٧٨. وراجع أيضاً هذه الدراسة المحدثة في محمد عدنان البخيت، دراسات في تاريخ بلاد الشام: فلسطين، عمان، ٢٠٠٧م، ص ٥١-٩٣.
Abdul-Rahim Abu Husayn, *Provincial Leadership in Syria, 1575-1620*, A.U.B., 1985, Norman Lewis, *Nomads and Settlers in Syria and Jordan 1800-1980*, Cambridge U.P. 1987.

وحول دور العشائر في السياسة المحلية في القرنين السادس عشر والسابع عشر انظر:
Moshe Sharon, « The Political Role of the Bedouins in Palestine in the Sixteenth and Seventeenth Centuries », in *Studies on Palestine During the Ottoman Period*, edited by Moshe Ma'oz, Jerusalem, 1975, p. 11-30.

٢٨ - انظر دفتر (T. D. 131)، استانبول، ص ٣١-٣٦.

٢٩ - حول ناحية بني كنانة، انظر: محمد عدنان البخيت، ناحية بني كنانة في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٩م.

جهمة[٣٠]، ناحية بني الأعسر[٣١]، ناحية بني عبد الله، ناحية بني مالك الصدير، ناحية بني مالك الأشراف، ناحية بني كلاب، ناحية بني هلال، ناحية بني عاتكة، ناحية بني مقلد وناحية بني عقبة[٣٢]. ويذكر دفتر (T. D. 427) نواحي بني حارث (حارس) وبني زيد وبني عمر (عميرة) في لواء القدس، وناحية بني صعب في لواء نابلس[٣٣]، ومثل ذلك إطلاق اسم بني عاملة بن سبأ من عرب اليمن على جبل عامل في جنوبي لبنان، وجبل عوف نسبةً لبني عوف من جرم قضاعة في منطقة عجلون[٣٤].

وعند التدقيق في الأسماء المدونة في الدفاتر نجد أن الغالبية العظمى من السكان كانوا قد استقروا في المدن والقرى وامتهنوا الزراعة، وبعضهم عمل في صيد الأسماك، كما يشير دفتر طابو (T. D. 474) تاريخ ٩٧٧هـ/١٥٦٩م إلى وجود صيادين عرب يمنيين عددهم ١١ خانة، يصيدون السمك وغيره في بحيرة الهيجانة بقرب أرض علون بناحية المرج، وينقلون الصيد إلى دكان الطير بدمشق لبيعه بمعدل ٣٠٠

٣٠ - انظر دفتر (T. D. 192) (٩٤٥هـ/١٥٣٨م)، ص ٤٧-٥٢. انظر أيضاً: محمد عدنان البخيت، ناحية بني جهمة في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، في دراسات في تاريخ بلاد الشام "الأردن"، منشورات أمانة عمّان الكبرى، عمّان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص ١٥٠.

٣١ - انظر: محمد عدنان البخيت، ناحية بني الأعسر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، في دراسات في تاريخ بلاد الشام "الأردن"، منشورات أمانة عمّان الكبرى، عمّان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص ٥٥-١٤٣.

٣٢ - حول هذه النواحي في قضاء حوران، انظر:
Muhammad Adnan BAKHIT, *The Ottoman Province of Damascus*, p. 82-90.
انظر أيضاً:
Wolf-Dieter HÜTTEROTH and Kamal ABDULFATTAH, *Historical Geography of Palestine, Transjordan and Southern Syria in the Late Sixteenth Century*, Erlangen, 1977, p. 199-220.

٣٣ - انظر (T. D. 427) تاريخ (٩٣٢هـ/١٥٢٥-١٥٢٦م - ٩٣٤هـ/١٥٢٧-١٥٢٨م)، من محفوظات رئاسة الوزراء باستانبول، ص١٧، ٢٦، ٢٧، ٢٨-٢٩، ٧٣، ٢٦٦، ٢٩٣... الخ.

٣٤ - انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٨٦.

سمكة يومياً، وكانوا يدفعون رسوماً للدولة تبلغ ألف آقجة سنوياً[٣٥]. ويشير الدفتر إلى أن هذا الترتيب كان معمولاً به منذ قديم الزمان. ونجد أيضاً في ناحية بني كنانة ذكراً لجماعت عربان بني سعيد وعددهم ٢٢٦ خانة[٣٦]، ونلحظ وجوداً لطايفة أعراب منظور عددهم (١٢٣) خانة، ومجموعة من طايفة عمور التابعة لأعراب منظور عددها (٢٢) خانة، وكلتاهما كانت في ناحية بني جهمة[٣٧]، ولا يوجد ذكر للعربان في ناحية بني الأعسر.

وحافظت الدولة العثمانية على نظام الدرك وأوكلته لبعض العشائر على كل من درب الحاج المصري[٣٨] ودرب الحاج الشامي للحماية من الاعتداءات على قوافل الحجاج والتجار. واستمر العثمانيون بالأخذ بنظام "الصرّة"[٣٩]، وهي مبالغ مالية تُدفع سنوياً للمجاورين في الحرمين الشريفين ولشيوخ العشائر اتّقاءً لشر هجمات عشائرهم على قوافل الحجاج. وبالرغم من محاولة استجلاب خواطر العشائر وجدت السلطنة العثمانية نفسها منذ أيامها الأولى مضطرة للعناية بالقلاع والأبراج والحصون وشحنها بالجنود من فئة المستحفظان [جنود القلاع] أو الإنكشارية، وبذل المسؤولون

---

٣٥ - انظر دفتر (T. D. 474) (٩٧٧ هـ/١٥٦٩م)، ص ٤٧.

٣٦ - (T. D. 275)، تاريخ ٩٥٨هـ/١٥٥١م، ص ٦٥-٦٧. يشير أحمد القلقشندي إلى بحيرة دمشق شرقي الغوطة "بميلة يسيرة إلى الشمال يصب إليها فضلة نهر بردى وغيره تتسع أيام الشتاء وتضيق في أيام الصيف وبها غابات قصب". وتذكرها بقية دفاتر الطابو باسم بحيرة الهيجانة، وهي سبخة في مرج غوطة دمشق، محافظة ريف دمشق، وتبعد عن مدينة دمشق بنحو ٤٠ كم، وكان النهر الأعوج يُشكّل عند نهايته شرق قرية الهيجانة بحيرة صغيرة تحولت اليوم إلى سبخة. انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٨٤؛ المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، م ٥، ص ٤٦٥.

٣٧ - محمد عدنان البخيت، دراسات في تاريخ بلاد الشام - الأردن، عمان، ٢٠٠٥م، ص ١٥٠.

٣٨ - حول قافلة الحج المصري، انظر: سميرة فهمي علي عمر، إمارة الحج في مصر العثمانية (٩٢٣-١٢١٣هـ/١٥١٧-١٧٩٨م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م.

٣٩ - حول من تدفع لهم "الصرة"، مثل شريف مكة والعلماء في مكة المكرمة والمدينة المنورة والقائمين على أمور مسجد الصخرة والمسجد الأقصى بالقدس وكذلك شيوخ العشائر، وكان يقوم عليها موظف باسم "أمين الصرة". انظر:
S. HEIDENMANN, « Surra », *E.I.*², vol. IX, p. 894.

عناية فائقة في تنظيف البرك وتعمير الآبار وحمايتها من محاولات رمي السموم فيها أو تلويثها بقصد توفير مياه الشرب للحجاج ولدوابهم.

ونلاحظ أن سلسلة من القلاع والأبراج كانت تقع على امتداد الساحل من قلعة طرابلس الشام مروراً ببيروت بأبراجها الخمسة، وقلعة صيدا، وبرج أرسوف، وحصن شقيف تيرون، وحصن شقيف أرنون، وبرج عكا، وبرج حيفا وغزة، وخان يونس والعريش، ومثل ذلك قلعة حلب، وقلعة حماة، وقلعة دمشق، وقلعة المزيريب، وقلعة الزرقاء وقلعة السلط، وقلعة الكرك، وقلعة القطرانة، وقلعة الشوبك، وقلعة معان، وقلعة المدورة، وذات حج وتبوك والأخيضر والمعظم والعلى. وكان هناك عدد من القلاع يقع على امتداد السلسلة الجبلية مثل: قلعة القنيطرة وقلعة عيون التجار وقلعة جنين وقلعة القدس وقلعة غزة وقلعة العقبة[٤٠].

وهو الأمر الذي يؤكد اهتمام الدولة العثمانية بإرساء قواعد الأمن والاستقرار، ومحاربة شقاوة العشائر من عربية وغيرها.

وكان ريف مدينة دمشق في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي محاطاً بثلاثة تجمعات من العشائر العربية، وأول هذه التجمعات كان في منطقة اللجاة[٤١]

---

٤٠ - انظر:

M.A. Bakhit, *The Ottoman Province of Damascus in the 16th Century*, 1982, p. 94-101.

انظر أيضاً: نوفان رجا الحمود، العسكر في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١م، ص٢٩-٨١. حول القلاع الواقعة في الأردن، انظر: سعد محمد المومني، القلاع الإسلامية في الأردن في الفترة الأيوبية والمملوكية، دار البشير، عمان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٤١ - منطقة اللجاة: منطقة وعرة صعبة المسالك، تقع في شمالي حوران، مساحتها نحو ١٤٠٠كم٢، وهي بحر ضخم من الحمم البركانية، فيها بعض رقاع صغيرة من التراب صالحة للزراعة، كان هناك عدد من القرى على لحف اللجاة وفيها رصيف روماني يمتد من دمشق إلى بُصرى، يكثر فيها شجر البطم، يعصره السكان ويستفيدون منه على شكل زيت، يلقّب السكان منطقة اللجاة، نظراً لحصانتها، باسم "قلعة الله". انظر: أحمد وصفي زكريا (ت ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، عشائر الشام، جزءان في مجلد واحد، ط ٢، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م، ص٤٢١-٤٢٤.

والجبل في جنوبي قضاء حوران وفي منطقة البقاع العزيزي والبلقاء، ونُقدِّم فيما يلي قائمةً بأسماء جماعاتهم وأعدادهم ومقدار "العادة" التي كانت تدفعها للدولة العثمانية، وهذه الجماعة كان يُشار إليها باسم (عربان جبل) و (فقراء عربان جبل)، ولم نستطع أن نتبيَّن تفسيراً لإيراد اسم فقرا اللهم إلا إذ قُصد بذلك أنهم كانوا في مرحلةٍ ما من تاريخهم قد تأثروا بالحركات الصوفية التي انتشرت في قضاء حوران.

	(T. D. 275) [٤٢] ٩٥٨هـ/١٥٥١م	(T. D. 275) [٤٣] ١٠٠٥هـ/١٥٩٦-١٥٩٧م	
	خانة	خانة	مجرد
١. جماعت آل دياب عن عربان فقرا ءِ جبل، ص٨٥–٨٧	١٣٤	٣٠	-
٢. جماعت عربان جبل تابع آل دياب	-	٤٥	-
٣. جماعت آل نعيم ص ٨٨–٨٩	٧٥	٥٦	-
٤ ـ جماعت آل طباب ص ٨٩–٩٠	٥٣	٤٠	١٣
٥. جماعت آل فريط [خريط]	٨٨	١٣٠	٢١
٦. جماعت آل سيف	٤٤	٣٣	١١
٧. جماعت آل السسه (؟)	٤٦	٢٧	١
٨. جماعت آل مولا [معلاً[٤٤]]	٥٠	١٥	١٥
٩. جماعت آل محرس [فحرش]	٤٧	٣٠	١٣
١٠. جماعت آل مسافر ـ مساعد نور (؟)	٣٤	٣٣	١
١١. جماعت آل رافع	٧٥	٥٤	١٧
١٢. جماعت آل الحامد	٤٠	٢٥	١٤
١٣. جماعت آل الفتح [الصبح]	٤٠	٣٦	٣

---

٤٢ – انظر دفتر مفصل خاص أمير لواء الشام (T. D. 275) سنة ٩٥٨هـ/١٥٥١م، دراسة وترجمة وتحقيق محمد عدنان البخيت، عمان، ١٩٨٩م، ص٩٢–١٠٢، ١٠٤، ١١٢.

٤٣ – انظر دفتر طابو (T. D. 99) سنة ١٠٠٥هـ/١٥٩٦–١٥٩٧م، مديرية الأراضي بأنقرة، المجلد الثالث، ص ٢١٠–٢١٩.

٤٤ – في دفتر (T. D. 99)، وردت معّلا.

١٤ . جماعت آل العمور	٥٩	٣٨	٥
١٥ . جماعت آل الفضيل [العبيد ؟]	٧٠	٤٧	٢٠
١٦ . جماعت محمّد	٤٩	٤١	١
١٧ . جماعت آل الغماصي [الغماجين ؟]	٥١	٣٦	١٤
١٨ . جماعت حامد	١٠	١٠	-
١٩ . جماعت آل البياض	٢٥	٢٠	-
٢٠ . جماعت آل بطون [البطون]	٣٦	٣٥	-
٢١ . جماعت آل مسامر [مسافر]	٣٦	٣٥	-
٢٢ . جماعت آل الطاهر	٦٠	٤٠	٢٠
المجموع	**١١٢٢**	**٨٥٦**	**١٦٩**
	يكون "عادت عربان مزبورة مع عروسيه"[٤٥] وجرايم[٤٦] في سنة ٧٠٠٠٠ آقجة"	"عادت جماعت مزبورة" ٤٥٠٠٠آقجة "رسم عروس وبادهوا"[٤٧] ٥٠٠٠٠ آقجة [٥٠٠٠] آقجة "يكون مع رسوم" ٥٠٠٠٠ آقجة	

٤٥ - رسم عروسيه أو عروس أو عروسانه هو مبلغ من المال يُدفع في المحكمة عند عقد القران، وهو يختلف من ولاية لأخرى وأيضاً ما بين البكر والثيِّب، وقد قوبل في بلاد الشام في بداية العهد العثماني بعدم الرضى. وأما مجموع العائدات من هذا الرسم، فكان قسم منها يُدفع للقضاة والبعض للسباهية أو لأمير اللواء. انظر:

B. Lewis, « Arus Resmi », *E.I.*², vol. I, p. 679.

٤٦ - جرايم وجنايت: هي غرامة، حيث تتقاضى الدولة العثمانية رسوماً مقابل استبدال بعض الأحكام الشرعية المتعلقة بالقضايا غير الغليظة بغرامات مالية بدل الجَلْد، مثل التلاعب بالأوزان والأسعار، وبعد إصدار القاضي للحكم الشرعي، كان أهل العرف ينفذونه. لمزيد من التفاصيل، انظر: U. Heyd, « Djurm », *E.I.*², vol. II, p. 604 .

٤٧ - البادهوا: مصطلح مالي ضرائبي مؤلف من كلمتين: "باد"، وهي فارسية، و"هواء" العربية وتعني ريح الهواء، وهي تشابه رسوم الطيارات في العهد العباسي، وهي تجمع بأمر من السلطان أو من يمثله، ويدخل ضمنها رسم العروس ورسم الجرم والجنايت ورسم الطابو... الخ.، أحمد آق كوندوز، التشريع الضريبي عند العثمانيين، ترجمة فاضل بيات، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، عمان، ٢٠٠٤م، ص٧٥-٧٧؛ انظر أيضاً: B. Lewis, « Bād-i Hawa », *E.I.*², vol. I, p. 850 .

أما المجموعة الثانية فعاشت قرب الصفاة[٤٨] وهي حرّة قرب قرية ضمير من قرى ناحية المرج بلواء دمشق الشام، ولا تُحدِّد الدفاتر أسماء الطوائف والجماعات التي كانت تسكن الصفاة، والذي يبدو أن حركة العشائر من الجبل كانت تصل إلى الصفاة طلباً للكلأ والمرعى.

أما المجموعة الثالثة، فكانت في منطقة البقاع العزيزي والبعلبكي، وكان آل الحنش أبرز قادة هذا التجمع، ونورد أسماء جماعاته على النحو التالي:

	(T. D. 275)[٤٩] خانة	(T. D. 99)[٥٠] خانة (يذكرها الدفتر باسم طايفة)	(T. D. 99) مجرد
جماعت أعراب بقاع مع هتيم مرج عن خاصها ءِ مير ميران شام			
١ . جماعت بني داؤد عن أعراب بقاع	٤١	٤١	
٢ . جماعت زيد	٣٩	٣٨	
٣ . الحلاص (ابن لاس)	٣٠	٢٤	
٤ . جماعت بني عقيل	١٤	١١	
٥ . جماعت الجبور	٢١	١٩	
٦ . جماعت هرير [فرير]	٩	٨	
٧ . جماعت بني كليب	٣٢	٣١	
٨ . جماعت بني سعيد	٣٨	٣٠	
٩ . جماعت المسارقة [المشارفة]	٤	٤	
١٠ . جماعت القهار [القهاره]	٩	٩	

٤٨ - الصفا: حرة من قضاء ووديان محافظة دمشق وهي هضبة بركانية فيها أعداد كبيرة من الآكام قليلة الارتفاع، مساحتها ١٢٢٥ كم٢، حجارتها سوداء وهي قسمان: شمالي يدعى الضرى وجنوبي يدعى الصفا، فيها عين أم النيران يرده الأعراب، أقام الرومان بجانبها حصوناً، لمزيد من المعلومات، انظر، أحمد وصفي زكريا، عشائر الشام، ٢ ج في مجلد واحد، ط ٢، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٤٢٥-٤٣٠.

٤٩ - (T. D. 275)، ص ١١٢-١٢٥.

٥٠ - (T. D. 99)، ص ٢١٩-٢٢٤.

١١ . جماعت بن سيباي [ستيّان / شتيّان]	٦٣	٦٠
١٢ . جماعت حاجي مفضيل [معيقل]	٤٢	٣٩
١٣ . حاجي هلال بن سيباي [شعبان]	٣٣	٢٩
١٤ . جماعت بني عسر [مسر]	٣٦	٣١
١٥ . جماعت بني عسفر تابع بقاع	٥٧	٤٩
١٦ . جماعت سرمق بني عسفر [باسيل؟]	٢٤	٢١
١٧ . جماعت حاجي محمد من بني عسفر	٢٨	٢٤
١٨ . جماعت عجلان من بني عسفر	٢٢	٢١
١٩ . جماعت برش تابع بني عسفر	٢٠	١٨
٢٠ . جماعت بني نغيم [شقيم؟]	٦٤	٥٧
٢١ . جماعت كليب در نزد (بالقرب) حواسه (؟)	١٩	١٧
٢٢ . جماعت بني كعب تابع حواسه	٢٢	١٩
٢٣ . جماعت بني نعيم القباله	١٢	-
٢٤ . جماعت آل علي	٩	-
٢٥ . جماعت آل فضل	١٢	-
المجموع	**٧٠٠**	**٦٠٠**
يكون "عادت" عربان بقاع[٥١] وعربان مزبورة كه در جانب صفات متمكناشد ٤٠٠٠٠ آقجة	عادت عربان مزبورين مع هتيم مرج ٢٠٠٠٠ آقجة بادهوا ورسم عروس ٣٠٠٠ آقجة يكون مع بادهوا ٢٣٠٠٠ آقجة	
تكون "عادت" عربان البقاع والعربان المزبورين الساكنين والمتمكنين بجوار الصفاة[٥٢] [حرة قرب قرية الضمير] ٤٠٠٠٠ آقجة	جمعا "عادت" عربان جبل وفقراء وعربان هتيم مرج في سنة ٨٣٥٠٠ آقجة	

٥١ - كان البقاع البعلبكي مع البقاع العزيزي في العهد المملوكي يُشكّلان ولايتين تابعتين لنائب بعلبك، انظر: أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٠١. حول منطقة البقاع ومواردها المائية، انظر:

J. Sourdel-Thoumine, « Al-Bikāʿ », *E.I.*^{2}, vol. I, p. 1214.

وحول العشائر في البقاع ودور أسرة آل الحنش في العهدين المملوكي والعثماني فيه، انظر: محمد عدنان البخيت، "دور أسرة آل الحنش والمهام التي أوكلت إليها في ريف

نلاحظ أن عدد سكان عربان الجبل وفقرا الجبل وكذلك أعداد عربان البقاع قد تدنّى مع مطلع القرن الحادي عشر الهجري/نهاية القرن السادس عشر الميلادي. ولقد لاحظ الدارسون لتاريخ السكان في بلاد الشام خلال هذه الحقبة مثل هذه الظاهرة ولم يجدوا لها تفسيراً واضحاً[٥٣].

العربان في ناحية مرج بني عامر (T. D. 192 سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م):

يتضمّن هذا الدفتر المُفصّل والمُبكّر زمناً بياناً بأسماء القرى والعشائر التي كانت في عهدة الأمير البدوي طرباي في مرج بني عامر، مُضافاً إليها أيضاً ثلاث نواحٍ شرقي نهر الشريعة (الأردن)، ويزودنا هذا الدفتر بأسماء الطوايف التي كانت شبه مستقرة وتعمل بالزراعة وبتربية المواشي والجواميس والجمال، وهي: بنو أسلم وبنو نعيم وبنو العاملي وبنو غليظ وبنو قطارنة وبنو نعجة.

ويُشار إلى وجود عربان بني زير وبني صخر (صخور الغور) وكريم ومنطور (منظور) وبني مهدي وبني زغيب وربيعة التي كانت تتخذ من وادي مسعود[٥٤] موطناً لها. والجدير بالذكر أن طايفة أعراب منطور كانت تتألف من ٢٧ تجمعاً ومجموع خاناتها ١٢٣ خانة. وكانت الدولة تجبي "عادت عربان" بمعدل ٢٣ آقجة

دمشق الشام ٧٩٠هـ/١٣٨٨م-٩٧٦هـ/١٥٦٨م - دراسة وثائقية"، التي تنشر في هذا الكتاب.

٥٢ - حرة في ناحية الضمير من ريف دمشق، تتجمع المياه في البطاح المنخفضة منها ويردها البدو وبخاصة سيل أم الضرس (٨١٦م)، المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، م ٤، ص ١٢٩.

٥٣ - انظر: M.A. BAKHIT, *The Ottoman Province of Damascus*, p. 35-90.

٥٤ - وادي مسعود: بالقرب من قرية فيق وكفر حارب ودبوسة، تنزله الآن عشيرة الكلابات أو بنو كلاب. انظر: أحمد وصفي زكريا، عشائر الشام، ص ٤١٠.

عثمانية عن كل خانة (دفعت هذه الطايفة ٢٧٢٩ آقجة) سنوياً وكانت تدفع رسم "البادهوا" بما يساوي ٢٠٠٠ آقجة[٥٥]. ويُشار إلى حضور لعرب الصخور التي كانت جزءاً من عرب منطور في ثلاثة تجمعات مجموعها ٢٣ خانة "عادتها" السنوية ٥٠٦ آقجة مضافاً إليها ٦٠٠ آقجة رسم بادهوا.

وإضافة إلى كل ما سبق كانت الجماعات التالية تسكن في مرج بني عامر. وهي: بنو زيد، بنو زير، العمور، الظهور، العمرات، الصليبة؟، بنو سالم، الدعاكنة، بنو سيري، ديونة، فضيل وبرامكي، وقد بلغت خاناتها ١٠٤ خانات (مائة وأربع خانات) ومجمل "عادتها" ثلاثون ألف آقجة سنوياً. ويظهر من نص الدفتر أن مثل هذا المبلغ كان يُدفع في زمن المماليك حيث يرد نصُّ الدفتر على النحو التالي: "عن قديم الزمان"[٥٦]، فنجد جماعة ولد زين الشرف "ومنذ قديم الزمان" تقدم للسلطان شُتر (جملاً) أو ما يوازي قيمته وهي ٨٠٠ آقجة سنوياً، أما عرب ربيعة فكانت تدفع ٦٢٠ آقجة[٥٧] سنوياً. ويزودنا هذا الدفتر بإحصاءات خانات الطوائف والجماعات على النحو التالي[٥٨]:

جماعت عرب ربيعة	٣١ خانة، تدفع "عادت" ٦٢٠ آقجة سنوياً
طايفة عرب منطور (منظور)	١٢٣ خانة، تدفع ٢٣ آقجة عن كل خانة، ٢٨٢٩ آقجة سنوياً

---

٥٥ - انظر: دفتر مفصل ناحية مرج بني عامر وتوابعها ولواحقها التي كانت في تصرف الأمير طره باي ٩٤٥هـ/١٥٣٨م، دراسة وترجمة وتحقيق محمد عدنان البخيت ونوفان رجا الحمود، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٩م، ص٥-٦ من مقدمة الدراسة. وحول الأسرة الحارثية ودورها في السياسة المحلية، انظر: محمد عدنان البخيت، "الأسرة الحارثية في مرج بني عامر ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م-١٠٨٨هـ/١٦٧٧-١٦٧٨م"، المنشورة في هذا الكتاب.

٥٦ - (T. D. 192)، ص ٦ من المقدمة.

٥٧ - (T. D. 192)، ص ٦ من المقدمة.

٥٨ - (T. D. 192)، ص ٦ من المقدمة.

طايفة عرب عمور	٢٣ خانة، ٥٠٦[٥٩] آقجة + ٦٠٠ بادهوا سنوياً، تساوي ١١٠٦ آقجة سنوياً
طوايف أعراب مرج بني عامر	
(١٢) جماعة	١٠٤ خانة، تدفع "عادت" ٣٠٠٠٠ آقجة سنوياً

وفيما يلي قائمة بأسماء مجموع الجماعات والطوايف والأعراب التي ترد في هذا الدفتر:

أسرة طره باي	طايفة ديونة
أعراب طعاكنة	طايفة الصليبة
أعراب منطور	طايفة الظهور
جماعت عرب ربيعة	طايفة عرب بني غليظ وقطارنة
جماعت حجير شرف	طايفة عرب عمور
جماعت منجد	طايفة العمرات
جماعت منجد ولد زين شرف	طايفة العمور
طايفة أعراب منصور	طايفة فضيل
طايفة برامكي	عرب بني زعيب
طايفة بني أسلم	عرب بني صخر
طايفة بني زيد	عرب بني مهدي
طايفة بني زبر	عرب بني نعجة
طايفة بني سالم	عرب بني نعيم والعاملي
طايفة بني سيري	عرب كريم
طايفة دعاكنة	عرب منطور (منظور)[٦٠]

---

٥٩ – من المفروض أن المبلغ (٥٢٩) آقجة وليس كما جاء أعلاه (٥٠٦ آقجة).

٦٠ – انظر دفتر (T. D. 192)، ص٥-٦ ، ١٥ ، ١١٤ .

عربان لواء اللجون[٦١] بموجب طابو دفتري (١٨١)، سنة ١٠٠٥هـ/ ١٥٩٦-١٥٩٧م:

كان مرج بني عامر في مطلع القرن الحادي عشر الهجري جزءاً من لواء اللجون، وينصُّ قانون نامة لواء اللجون على أن تأخذ الدولة آقجة عثمانية واحدة عن كل رأس من الغنم أو الماعز، ونصف آقجة عن الخروف أو الجدي الصغير عندما يلحق بالقطيع. وإضافةً إلى ذلك، كانت الدولة العثمانية تجبي رسماً باسم "رسم المشاتي" حيث يؤخذ رأس عن كل مائة رأس من الغنم / الماعز أو ثمنه، كما كان يؤخذ رسم مقداره ست آقجات عن كل رأس جاموس حلوب[٦٢]. وكان مجتمع لواء اللجون في غالبيته العظمى من سكان القرى المستقرين، إلا أنه عرف عناصر من الجماعات والطوائف والأعراب، مضافاً إلى ذلك جماعة من التركمان الوافدة على المنطقة، ونُقدّم فيما يلي كشفاً بأسماء هذه الطوايف والجماعات العربية وتعدادها على أساس الخانة:

	خانة
طوايف عربان مرج بني عامر / زعامت محمود ومحمد وسليمان بن أحمد	٤٠٠
جماعت بني عامر	٥٠
جماعت بني نعيم	٥٠
جماعت بني زمر	٥٠
جماعت قويسم ابن غنام / طايفة بني زبدة	١٥
جماعت أحمد بن خلف / طايفة اسلم	٥٥
جماعت حمود بن يوسف / طايفة دعاكفة	١٥
جماعت طاهر بن خليفة / طايفة حمود	١٧

٦١ - حول اللجون انظر: M.A. Bakhit, « Ladjdjūn », *E.I.*[2], vol. v, p. 593-594. والمصادر المذكورة هناك. وكذلك دراسة دفتر مفصل لواء اللجون كما يجيء في الهامش التالي.

٦٢ - دفتر مفصل لواء اللجون، طابو دفتري ١٨١ (T. D. 181)، سنة ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م، دراسة وتحقيق وترجمة محمد عدنان البخيت ونوفان رجا الحمود، منشورات الجامعة الأردنية، عمّان، ١٩٨٩م، ص ٢٩.

جماعت سلامة بن حماد / طايفة زياد	١٠
جماعت غنيم ابن ماضي / طايفة طهور	٢٥
جماعت فواز بن معالي / طايفة براملة	٥
جماعت حسين بن حسن / طايفة كليمار	٦
جماعت سالم بن حسين / طايفة دو يران	٧
جماعت معيقيل ابن ابو شمرا / طايفة بن سعار	١٠
جماعت ابو شمار / طايفة برز	٣٠
جماعت عبد الله ابو مرزوق / طايفة معيقلة	٧
جماعت معير / طايفة معاوية	٥
جماعت ابن علوان / طايفة دبور	١٥
جماعت أبو حمرا / طايفة قومي	٧
جماعت نفاع ابن برغشه	٧
جماعت يردانيه / بني حارثة	١٣
جماعت عليان بن عمر / بني حارثة	٥
جماعت خليفة ابو حسن / طايفة حارثية	١٥
جماعت درسم / طايفة بني نعجه	٨
جماعت إبراهيم بن عواد / طايفة غراب	٧
جماعت دوبان ابن رشيد / طايفة بني مريق	١٥
جماعت رزق ابن حسن / طايفة معصرة	٥
جماعت فريعه ابن خاطر / طايفة سيليون	٥
المجموع	٤٥٩

عربان صفد

أشار القاضي صدر الدين محمد بن عبد الرحمن العثماني الدمشقي قاضي صفد (ت ٧٨٠هـ/١٣٧٨م)، إلى أن اللجون هو قاعدة مرج بني عامر، وهو من عشير اليمن وكذلك جميع مرج بني عامر[٦٣].

٦٣ – انظر: Bernard Lewis (editor), « An Arabic Account of the Province of Safad », *BSOAS*, vol. XV, (1953), part 3, p. 477-488.

ويشير دفتر طابو (T. D. 72) لعام ١٠٠٥هـ/١٥٩٦-١٥٩٧م العائد للواء صفد إلى الأعراب في ناحية الجيرة التالية أسماؤها، وتدفع المبالغ المدونة أدناه سنوياً للخاص السلطاني[٦٤].

أ. أعراب حارثة	٣٣ خانة	تدفع سنوياً ثلاثاً وعشرين ألف آقجة بما في ذلك عشرون ألف آقجة رسم مشاتي (قشلاق).
ب. عرب حكبير	٣٥ خانة	يدفعون ٢٣٥٩ آقجة سنوياً.
ج. سليمان (أعراب حارثة)		يدفعون ١٣٥٥ آقجة سنوياً.

ناحية عكا ويدفع العربان المذكورون أدناه "عادتهم" إلى أمير اللواء[٦٥]، حيث يجيء ذكر

لطايفة أعراب كليب	٢٦ خانة	تدفع سنوياً ٢٠٧٩ آقجة.
أعراب شرف	١٢ خانة	تدفع ٩٤٠ آقجة.

عربان لواء عجلون - كرك - شوبك:

يذكر أبو العباس أحمد بن القلقشندي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) أسماء العشائر البدوية التي كانت تسكن في نيابة الكرك في زمانه، وهي منحدرة من جذام من القحطانية، وهي: بنو صخر وبنو عطية. وكان بنو صخر ينقسمون إلى عدد من البطون منها:

١ – الدعجيون، ومنازلهم حول الكرك، وجاء عند القلقشندي أن هذه القبيلة من عشائر الشوبك.

٢ – بنو شجاع، ومساكنهم في بلاد الكرك.

٣ – الضبيون، منازلهم في بلاد الكرك.

٤ – العطويون، منازلهم في بلاد الكرك، وهم من قبائل الشوبك.

٥ – بنو وهران، ومساكنهم في جبل عوف[٦٦].

٦ – بنو هوبر، ومساكنهم في بلاد الكرك.

---

٦٤ – انظر: HÜTTEROTH, *Historical Geography*, p. 177.

٦٥ – انظر: HÜTTEROTH, *Ibid.*, p. 192.

٦٦ – جبل عوف نسبةً إلى قوم بني عوف من جرم قضاعة فعُرف بهم. انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٨٦.

أما القبيلة الثانية فهي بنو عطية، وهي أيضاً من جذام القحطانية، وكانت منازلها من الكرك إلى الأزلم[٦٧]، وكانت أسماء شيوخها تدخل لدى مقر السلطنة في رسم المكاتبات، وكانت الأسرة آنذاك في عهدة خاطر بن شطي بن عبية، ورسم المكاتبة إليه الاسم "السامي".

١ – بنو ربيعة، من القبائل القحطانية الجنوبية، وكانت كثيرة الفساد.

٢ – بنو نمير، من الأعراب المفسدين حول الكرك. ويُذكر أنهم كانوا يصطدمون مع بني ربيعة.

٣ – بنو عائذ، غالبيتها في غزة، وقسم في الكرك.

٤ – بنو لام[٦٨]، من القبائل في الكرك، هاجمت الحجاج سنة ٩٠٠هـ/١٤٩٤م.

٥ – بنو زهير، من عشائر الشوبك.

---

٦٧ – قلعة الأزلم: تقع إلى الجنوب من مدينة ضباء على بُعد ٤٥كم وهي من المحطات على طريق الحاج المصري وشُيِّدت في عصر السلطان محمد بن قلاوون ثم أعيد بناؤها في عهد السلطان قانصوه الغوري. انظر: آثار منطقة تبوك، منشورات وكالة الآثار والمتاحف، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ص ١٧٨، انظر صورة القلعة ص١٧٩. الأزلم: أحد منازل الحج المصري، شرع والي مصر العثماني سليمان باشا (٩٤٣هـ/١٥٣٦م – ٩٤٥هـ/١٥٣٨م) في بناء قلعة فيها أكملها فيما بعد الوالي على مصر داؤد باشا، وكانت مربعة الشكل مبنية من الحجر وكان الحجاج يحفظون في خانها مؤناً وأمتعة يتزودون بها في طريق عودتهم إلى مصر، ومنذ سنة ٩٢٤هـ/١٥١٨–١٥١٩م قرر الأمير خير بك الجركسي (ت: ٩٢٨هـ/١٥٢١–١٥٢٢م) والي مصر العثماني إرسال قوة عسكرية تُعرف بالأزلمية لملاقاة الحجاج. انظر: أحمد شلبي عبد الغني الحنفي المصري (ت ١١٥٠هـ/١٧٣٧م)، أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات المُلقب بالتاريخ العيني، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ١٠١؛ الجزيري، الدرر الفرائد، ج ١، ص ٣٧٣–٣٧٤؛ ج ٢، ص ٨٠٨؛ سميرة فهمي علي عمر، إمارة الحج في مصر العثمانية، ص ٢٩٥.

٦٨ – يشير عبد القادر بن محمد الجزيري إلى أن شيخ عرب بني لام المفارجة سلامة بن فواز المعروف بجغيمان قد تعرض سنة ٩٢٤هـ/١٥١٧–١٥١٨م و٩٢٦هـ/١٥١٩–١٥٢٠م و٩٣٠هـ/١٥٢٣–١٥٢٤م لقوافل الحاج المصري ورتبت له الدولة العثمانية من خلال مصر مخصصات من الذهب الجديد من الخزانة السلطانية رواتب له ولأولاده من بعده

٦ - الصونيون (الصوبتيون ؟)، من عشائر الشوبك أيضاً، وجاء في أخبار سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٨م رسم لهم أن يكونوا مع السلطان الناصر محمد (٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م -٧٤١هـ/ ١٣٤٠م) في خدمة الصيد[٦٩].

ليكف عن الركب وضمن ذلك صهره الشيخ عمرو بن عامر بن داؤد أمير بني عطية، وكانت محارسهم حول حِسْما وقرب عينونة، إلا أن هذه القبيلة كانت تعاود الهجوم على الحجاج حتى أن حسن بن أبي نمي بن بركات أمير مكة غزاهم سنة ٩٦٢هـ/ ١٥٥٤-١٥٥٥م و٩٧٠هـ/١٥٦٢-١٥٦٣م وقطع أعناق ١٥٠ شخصاً منهم. وحول دور الشريف حسن بن أبي نمي في قمع حركات شغب العشائر البدوية، انظر: المحبي، خلاصة الأثر، م ٢، ص ٢-١٤. وكانت عربان بني لام المفارجة تتألف من طوائف عديدة وخيولهم كثيرة، منهم: آل سليم، وهو آل بيت يعمر وآل محمود وآل سالم وآل قني، ومنهم: آل فواز شيخهم جغيمان، وآل حسن وآل عياض القاطنون بحِسْما وآل صقر منهم آل دغمان وآل شيهان وآل طليحة آل فيين، منهم آل سهيل، آل زيان، آل حماد، آل مسعود، آل واصل، وآل واجد. لمزيد من التفصيل عن بني لام المفارجة على طريق الحج المصري والشامي، انظر: عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن إبراهيم الأنصاري الجزيري من أهالي القرن العاشر، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، ٣ ج، حققه الشيخ حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٩٨٣م، ج ١، ص ٢٥٤ ، ٣١١-٣١٢ ، ٣٧٣ ، ٧٦٢ ، ٨٠٨ ، ٨١١-٨١٢ ، ٨٦٧ ، ٨٧٣-٨٧٤ ، ١١٢٤ ، ١٣٧٥-١٣٧٦ . حول الشريف حسن بن أبي نمي الذي شارك والده في ولاية مكة سنة ٩٧٤هـ/١٥٦٦م إلى أن توفي في ١٠١٠هـ/ ١٦٠١م، انظر: أحمد زيني دحلان، (١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م)، أمراء البلد الحرام، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٨١م، ص٧٩-٨٧. كانت هناك عشيرة بني لام العربية على الحدود العراقية الإيرانية، ومن غير المعروف ما إذا كانت هناك علاقة نسب بين بني لام العراق ولام الكرك، انظر عن بني لام العراق:
V. MINORSKY [R.M. Burrell], « Banū Lām », *E.I.*², vol. V, p. 645-646.

٦٩ - انظر: أحمد بن علي القلقشندي (٨٢١هـ/١٤١٨م)، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٥٩م، ص ١٣٢ ، ١٤١ ، ١٤٧ ، ٢١٠ ، ٢٥٩ ، ٣٦٤ ، ٤٤٢ ، ٤٤٧؛ ويورد القلقشندي في "نهاية الأرب" بالتفصيل أسماء العشائر العربية المتحدرة من جذام. انظر أيضاً: القلقشندي، صبح الأعشى، م ٤، ص ٢٤٣، م ٧، ص ١٨٨. انظر أيضاً: محمد عدنان البخيت، مملكة الكرك في العهد المملوكي، عمان، ١٩٧٦م، ص٢٣-٢٥، والمصادر المذكورة هناك.
حول جذام، انظر: C.E. BOSWORTH, « Djudhām », *E.I.*², vol. II, p. 573.

وعند العودة إلى دفتر طابو رقم (T. D. 970) من دفاتر محفوظات رئاسة الوزراء باستانبول [دون تاريخ]، ودفتر طابو (T. D. 185) تاريخ (١٠٠٥هـ/ ١٥٩٦-١٥٩٧م)، من محفوظات مديرية الأراضي بأنقرة، نجد مادة تفصيلية عن هذه العشائر وعن توزيعاتها وبيان أعدادها ومقدار "العادت" التي تدفعها بالآقجة. ونورد الآن قائمة بأسماء جماعات طايفة بني صخر[٧٠] في لواء عجلون :

	خانة	مجرد
١ . "جماعت" شيخ أحمد بن شيخ علي من بني محمد	٢٢	٣
٢ . جماعت شيخ سالم بن مغامس من بني محمد	٧٥	٨
٣ . جماعت موسى بن رويك	٦٨	٧
٤ . جماعة شيخ جفال بن فضل	٢٢	–
٥ . جماعت شيخ باكس بن حسن والأحاجرة	٧٥	٥
٦ . جماعت شيخ خليفة بن فاضل والكفاية	٩٧	١٣
٧ . جماعت لوابصية (من بني صخر)	٥١	١
٨ . جماعت صمادا (حمادا)	٤٨	–
٩ . جماعت بني شويك	٢٣	–
١٠ . جماعت حريبة	٢٦	–
١١ . جماعت ردح وشبيب	٥١	–
١٢ . جماعت كريم	٨٥	–
طايفة حميدان [صميدات] – في لواء عجلون		
١ . جماعت المعاينة	٦٠	–
٢ . جماعت الهلوانية والحاصرة	٤٤	–
٣ . جماعت العلمان	٣٣	–

٧٠ – حول عشائر بني صخر انظر:
M.A. Bakhit, « Banū Ṣakhr », *E.I.*[2], vol., viii, p. 882-883.
انظر أيضاً: فردريك ج. بيك باشا، تاريخ شرقي الأردن وقبائلها، تعريب بهاء الدين طوقان، ط ٢، الدار العربية، عمان، د. ت. ص ٢٣٤-٢٣٩، ص ٣٠٠-٣٠٩. وكذلك انظر: مفلح نمر الفايز، عشائر بني صخر تاريخ ومواقف حتى سنة ١٩٥٠م، ط ١، عمان، ١٩٩٥م. كذلك انظر: ماكس اوبنهايم، البدو، ٤ ج، لندن، ٢٠٠٤م، ج ٢، ص ٣٣٦-٣٦٠.

طايفة هتيم في لواء عجلون		
١ . جماعت مشير بك من هتيم	١٣١	–
٢ . جماعت شقيرات / شعيرات	١١١	–
٣ . جماعت الحداجات	١٨	–
٤ . جماعت الريضة / الويضة	٢٠	–
٥ . جماعت عفات	٣٠٧	–
طايفة بني مهدي في لواء عجلون		
١ . جماعت عياد	٤٤	–
٢ . جماعت سماعية (سماعنة) وصوالح والماضية	٤٥	–
٣ . جماعت محايرة وبراجة وعرمة	٤٩	–
المجموع	١٥٠٥	٣٧

وكان يوجد "طوائف عربان" في منطقة علان[٧١] شمالي السلط[٧٢] لا يذكر لنا الدفتر عدد خاناتها ومجرديها بل يذكر أن "عادتها" السنوية عشرون ألف آقجة (٢٠٠٠٠) مما يدل على كثرة عددها.

ونجد في ناحية الشوبك[٧٣] أسماء الطوائف التالية، مع ذكر الجماعات المتفرعة عن كل طايفة، وكانت عادتها من خاص مير [أمير] لواء عجلون في تلك الناحية[٧٤]:

٧١ – حول علاّن التابعة لمحافظة البلقاء في الأردن (دقيقة ٥٤، درجة ٣٥) و(٠٧ ٣٢) والتي كانت في القرن السادس عشر الميلادي مركز ناحية تتألف من عدد من المحلات، انظر: دفتر مفصل لواء عجلون (T. D. 970)، استانبول، دراسة وتحقيق وترجمة محمد عدنان البخيت ونوفان رجا الحمود، عمان، ١٩٨٩م، ص١٦٥–١٦٧؛ وكذلك انظر: دفتر مفصل لواء عجلون (T. D. 185)، (أنقرة)، سنة ١٠٠٥هـ/١٥٩٦–١٥٩٧م، دراسة وتحقيق وترجمة محمد عدنان البخيت ونوفان رجا الحمود، عمان، ١٩٩١م، ص ٢٥٨–٢٥٩، ٢٨٣–٢٨٨.

٧٢ – حول تاريخ السلط وجوارها، انظر:
M.A. Bakhit, « Al-Salt », *E.I.*², vol. VIII, p. 999-1000.

٧٣ – حول تاريخ الشوبك وجوارها انظر:
M.A. Bakhit, « Al-Shawbak », *E.I.*², vol. IX, p. 373-374.

٧٤ – من أجل الاطلاع على أسماء الطوائف والجماعات انظر: (T. D. 970)، دفتر مفصل لواء عجلون، ص١٥، ٣٠، ٤٤؛ كذلك انظر: (T. D. 185)، دراسة وتحقيق محمد عدنان البخيت ونوفان رجا الحمود، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩١م، ص ٢٥٧–٢٨٣.

ت	الجماعة	خانة	آقجة
أ:	طايفة حريبة		
١ .	جماعت آل موسى	٧٢	عادت عربان آل موسى مع بادهوا في سنة ٥٢٠٠
٢ .	جماعت آل حسنة والحمارجة	٤٥	
٣ .	جماعت زبيدات (زبيرات)	٥٠	
٤ .	جماعت جوينات من حسنة	٤٤	
٥ .	جماعت أبي طاب من حسنة	٢٤	
٦ .	جماعت الحطابات من حسنة	٦١	عادت عربان الحسنة مع بادهوا ٥٣٠٠
٧ .	جماعت آل يزيد [بريسة] والمحمدية من جماعت ساحردينة وعمراني بك تبع علوان	٣٤	عادت عربان المحمدية مع بادهوا في سنة ٥٢٠٠
٨ .	جماعت أعراب كلابية (كلايفة)	٤٠	عادت عربان كلابية مع بادهوا في سنة ٥٣٠٠
٩ .	جماعت عربان مساعيد	٣٨	عادت عربان مساعيد مع بادهوا في سنة ٥٢٠٠
ب :	جماعت أعراب طايفة المواهرة	١٤	عادت مع بادهوا في سنة ٢٠٠٠
ج:	جماعت سيفان (سعيفان، شقيات) وطايفة حراحشة	٢٧	عادت مع بادهوا ٥٥٠٠
المجموع		٤٤٩	٣٣٧٠٠

طوائف عربان لواء عجلون:

ت	الطايفة	خانة	مجرد	أعمى	ملاحظات
١.	طايفة بني مهدي:				تقدم الطايفة ٥٣٠٠ آقجة سنوياً
	- جماعت شيخ علي ولد سبع	٣٢	٢	١	
	- جماعت طريف ولد حسن	٥٦	٢		
	- جماعت طوغان ولد عامر	١٣	٢		
٢.	طايفة أعراب هُتيم[75]:				تقدم الطايفة ٢٠٠ رأس من الماعز أو ثمنها
	- جماعت شيخ غانم ولد معن				
	- جماعت شيخ سالم ولد خميس				
	- جماعت شيخ شاهان ولد دنا				
	- جماعت شيخ عايد ولد سليمان				
٣.	طايفة أعراب دميداد:				تقدم الطايفة ٥٠٠ رأس من الماعز أو ثمنها
	- جماعت شيخ مسلم ولد خصبي				
	- جماعت شيخ بركي ولد بزار				
	- جماعت شيخ سبع ولد حمزة				
٤.	طايفة أعراب محمدي:				تقدم الطايفة ٨٠ رأس من الماعز أو ثمنها
	- جماعت شيخ مشلب ولد بركة				
٥.	طايفة أعراب بني صخر:				تقدم طايفة أعراب بني صخر وطايفة أعراب كريم ٤٠٠٠٠ آقجة سنوياً
	- جماعت شيخ عامر ولد مغامس				
	- جماعت شيخ علي ولد غشيم				
	- جماعت شيخ عنقا ولد خاطر				
٦.	طايفة أعراب كريم:				انظر (٥) أعلاه
	- جماعت شيخ فواض ولد عامر				
٧.	طوائف عربان ناحية كرك:				
	- طايفة عربان كلابنا				
	- طايفة عربان مساعيد				
	- طايفة عربان حراشة				
	- طايفة عربان حسن				
	- طايفة عربان مداهي				
	- طايفة عربان أبي يزيد وأحمدية				
	- طايفة أبي موسى				
	المجموع العام	١٦٩٠	٤١	١	٤٥٣٠٠ آقجة + ٧٨٠ راس من الغنم

٧٥ – حول أعراب هُتيم، انظر: G. Rentz, « Hutaym », *E.I.*[2], vol. III, p. 641-642.

وقد بيَّن مُحرر الدفتر أن بعضاً من طوائف العربان قد تمرّدت ولم تُخضع نفسها أو مواشيها للتسجيل، منها: طايفة بني مهدي التي لم يُسجل منها في الدفتر الجديد إلا (١٠١) خانة من أصل ١٥٠٠ خانة، وطايفة أعراب محمدي التي عصت بزعامة شيخها محمد بك، ولم يُسجل منها إلا جماعة الشيخ مشلب ولد بركة. ويشير الدفتر إلى أن طائفتيْ أعراب كريم وبني صخر، علاوة على دفعهما الرسوم المقررة على مواشيهما، تقومان أحياناً بفلاحة الأراضي مع التزامهما بأداء القَسْم إلى صاحب الأرض أي صاحب التيمار. ويجب الإشارة هنا إلى أن طوائف عربان الكرك لم يرد ذكر لتعدادها إلا أننا نستطيع أن نستنتج من مقدار الرسوم التي كانت تدفعها للدولة أنها كانت ذات أعداد كبيرة.

وكانت كل طايفة تتكون من عدد من الجماعات، على النحو التالي:

أ) طايفة بني صخر، وتتكون من الجماعات التالية:

١ . جماعة شيخ أحمد بن شيخ علي.
٢ . جماعة شيخ سالم بن مغامس.
٣ . جماعة موسى رويك.
٤ . جماعة شيخ جفال بن فضل
٥ . جماعة شيخ باكيس بن حسن
٦ . جماعة شيخ خليفة بن فاضل
٧ . جماعة لوابصية؟
٨ . جماعة صمادا.
٩ . جماعة بني شويك.
١٠ . جماعة حريبة.
١١ . جماعة روح وشبيب.

ب) طايفة صميدات (حميدات؟)، وتتكون من الجماعات التالية :

١ . جماعة المعاينة .

٢ . جماعة الهلوانية .

٣ . جماعة العلمات .

ج) طايفة هُتيم، وتتكون من الجماعات التالية :

١ . جماعة متيريك .

٢ . جماعة شقيرات .

٣ . جماعة الحداجات (الحداجان؟) .

٤ . جماعة الويضية؟

٥ . جماعة عنان .

د) طايفة بني مهدي، وتتكون من الجماعات التالية :

١ . جماعة قباد (مياد) .

٢ . جماعة سماعنة وصوالحة والماطية .

٣ . جماعة محايدة (محايرة؟) .

والملاحظ أن ناحية كرك قد طرأ عليها تعديل واسع تضمّن إلغاء ناحيتين هما : ناحية غور وناحية وادي موسى، واستبدلت ناحية جبل حميدة بناحية جبال كرك . وأُعيد النظر في توزيع قرى هذه النواحي في ضوء التعديل الإداري. وكان يقطن في هذه الناحية عدد من طوائف العربان، وهي :

أ) طايفة حريبة، ولم يذكر الدفتر من جماعاتها سوى: جماعة آل موسى .

ب) طايفة آل حسنة، وتتكون من الجماعات التالية :

١ . جماعة زبيرات .

٢ . جماعة جوينات .

٣ . جماعة أبي طالب .

٤ . جماعة الحطابات .

ج) طايفة المحمدية، ومنها جماعة آل يزيد والمحمدية.
د) أعراب كلابية (كلايفة) .
هـ) عربان مساعيد .
و) طايفة المواهرة (الجواهرة) .
ز) طايفة سعيفات وطايفة حراشة .

وكان البدو يشكلون ما نسبته ٣١,٩٪ من تعداد سكان اللواء، ففي ناحية الصلت بلغ تعداد طوائف العربان ١٥٧٨ خانة و٣٧ مجرداً موزعين على النحو التالي :

١ . طايفة بني صخر:	٦١٦ خانة و٣٧ مجرداً
٢ . طايفة حميدات (صميدات) :	١٣٧ خانة
٣ . طايفة هتيم:	٦٨٧ خانة
٤ . طايفة بني مهدي:	١٣٨ خانة

أما طوائف عربان ناحية الكرك، فقد بلغ تعدادها ٤٣٩ خانة، موزعة على النحو التالي :

١ . طايفة حريبة	٧٢ خانة
٢ . طايفة آل حسنة والحمارجة	٢٢٤ خانة
٣ . آل يزيد ومحمدية	٣٤ خانة
٤ . أعراب كلابية (كلايفة)	٤٠ خانة
٥ . أعراب مساعيد	٣٨ خانة
٦ . أعراب مواهرة	١٤ خانة
٧ . أعراب سعيفات وحراشة	٢٧ خانة

رسوم "عادت" العربان:

ت		آقجة سنوياً
١ .	عادت عربان بني صخر وكريم – خاص مير لواء عجلون	٣٨٠٠٠
٢ .	عادت عربان هتيم – خاص مير لواء عجلون	١٧٠٠٠
٣ .	عادت عربان صميداد (حميداد) – خاص مير لواء عجلون	١٣٠٠٠
٤ .	عادت عربان بني مهدي – خاص مير لواء عجلون	٤٠٠٠
٥ .	عادت عربان محمدي – خاص مير لواء عجلون	٢٥٠٠
٦ .	عادت عربان علان	٢٠٠٠٠
٧ .	عادت عربان آل موسى	٥٢٠٠
٨ .	عادت عربان الحسنة	٥٣٠٠
٩ .	عادت عربان آل محمدية	٥٢٠٠
١٠ .	عادت عربان كلابية (كلايفة)	٥٣٠٠
١١ .	عادت أعراب مساعيد	٥٢٠٠
١٢ .	عادت عربان المواهرة (المواجدة)	٢٠٠٠
١٣ .	عادت عربان حراشة	٥٥٠٠
المجموع		١٢٨٢٠٠

ويزودنا دفتر مفصل لواء عجلون رقم[٧٦] (T. D. 970) بنص في غاية الأهمية عن عدد الأغنام لدى كل من هذه العشائر ومقدار ما تجبيه الدولة من رسوم بالآقجة عن كل رأس من الأغنام مُقدَّراً بالآقجة سنوياً:

---

٧٦ – انظر: (T. D. 970)، دفتر مفصل لواء عجلون، ص١٥٣-١٥٤ .

ت	اسم الطائفة	عدد رؤوس الأغنام	الخيل	الجمال الصغيرة	المبلغ السنوي/أقجة
١.	طايفة عربان كلابنا تابع كرك في سنة	أغنام ١٥٠٠ راس عن كل راس ٣٠ "قيمت" ٤٥٠٠٠	- -	- -	٤٥٠٠٠
٢.	طايفة عربان مساعيد طايفة عربان مساعيد في سنة	أغنام ١٢٠٠ راس في ٣٠ "قيمت" ٣٦٠٠٠			٣٦٠٠٠
٣.	طايفة عربان حراشة تابع كرك في سنة	أغنام ١٢٠٠ راس في ٣٠ "قيمت" ٣٦٠٠٠			٣٦٠٠٠
٤.	طايفة عربان الحسن (الحسنه) تابع م في سنة	أغنام ٨٠٠ راس في ٣٠ "قيمت" ٢٤٠٠٠			٢٤٠٠٠
٥.	طايفة عربان المداهي تابع مزبور في سنة	أغنام ٥٠٠ راس في ٣٠ "قيمت" ١٥٠٠٠	اسب (خيل) راس ١ "قيمت" ١٠٠٠	شتر مهار (جمال صغيرة) ٢ "قيمت" ٨٠٠	١٦٨٠٠
٦.	طايفة أبي يزيد والمحمدية عن جماعت شيخ ناصر جربند وعمر المسيك وشيخ علوان في سنة	أغنام ٥٠٠ راس في ٣٠ "قيمت" ١٥٠٠٠			١٥٠٠٠
٧.	طايفة أبي موسى من الجربند في سنة	أغنام ٥٠٠ راس في ٣٠ "قيمت" ١٥٠٠٠			١٥٠٠٠
	المجموع				١٨٧٨٠٠

عربان لواء غزّة (بنو عطية)

دفتر (T. D. 1015) ص ١٩ (٩٤٥هـ/١٥٣٨-١٥٣٩م)	(T. D. 304) ص ١١٢ (٩٦٤هـ/١٥٥٦-١٥٥٧م)	(T. D. 546) ص ٤٩ (١٠٠٥هـ/١٥٩٦-١٥٩٧م)
عادت عرب بني عطيا (عطية) وطوايفه خاص شاهي (يلاحظ هنا أنها من خاص السلطان)	عادت عربانيه ءِ طوايف بني عطيه ءِ درست مير لوا ءِ غزة (عادة عربان بني عطية في عهدة أمير لواء غزة	عادت عربانيه ءِ طوايف بني عطيه عن خاصها ءِ مير لوا ء غزة "عادت عربان طوائف بني عطية من خاص أمير لواء غزة
١. طايفة سوارك	١. طايفة سوارك	١. طايفة سوارك
٢. طايفة رشيدات	٢. طايفة رشيدات	٢. طايفة رشيدات
٣. طايفة وهيدات	٣. طايفة وهيدان (وهيدات)	٣. طايفة وهدان
٤. طايفة رشيمان	٤. طايفة رشيمان	٤. طايفة رشمان
٥. طايفة الروية (الدوية)	٥. طايفة الدوية (الروية)	٥. طايفة الدوية
٦. طايفة الماعيه (الماعيد)	٦. طايفة الماعية (الماعيد)	٦. طايفة الماعية
٧. طايفة السرايني	٧. طايفة السراينى	٧. طايفة السراينى
٨. طايفة الرباتين (الرباتون)	٨. طايفة الدباتون (الرباتين)	٨. طايفة الدبانون
٩. طايفة العمرين	٩. طايفة العمرين	٩. طايفة العمرين
١٠. طايفة الحويطاب (الحويلان)	١٠. طايفة الحويلان (الحويطاب)	١٠. طايفة الحويلان
١١. طايفة المعارة (المطات)	١١. طايفة المطات	١١. طايفة المطات
١٢. طايفة الطاينة (اللمطانية؟)	١٢. طايفة للمطانية	١٢. طايفة للطاسية
١٣. طايفة السوانيه (السوافية)	١٣. طايفة السوافيه (السوانيه)	١٣. طايفة اسورية
١٤. طايفة العكريه	١٤. طايفة العكريه	١٤. طايفة العكرية
يكون طوايف ١٤ في سنة ١٥٠٠٠ آقجة		

بني عطا

(T. D. 1015) ص ٢٠ (٩٤٥هـ/١٥٣٨-١٥٣٩م) عادت عربان بني عطا وطوايفه خاص مير لواء	(T. D. 304) ص ١١٢ (٩٦٤هـ/١٥٥٦-١٥٥٧م) عادت عربانيه ءِ بني عطا در درست مير لوا ءِ غزة (تحت تصرف أمير لواء غزة)	(T. D. 546) ص ٤٩ (١٠٠٥هـ/١٥٩٦-١٥٩٧م) عادت عربانيه ءِ طوايف بني عطا عن خاصها ءِ مشار إليه (أمير لوا ء غزة)
١ . طايفة ءِ عاييدة (عايدة)	١ . طايفة ءِ عاييدة (عايدة)	١ . طايفة ءِ عاييدة (عايدة)
٢ . طايفة ءِ عرب ميوامية	٢ . طايفة ءِ ميوالمية	٢ . طايفة ءِ ميوالمية
٣ . طايفة ءِ بر منطار	٣ . طايفة ءِ بر منطار (؟)	٣ . طايفة ءِ بر منطار (؟)
٤ . طايفة ءِ العيصرة	٤ . طايفة ءِ العيصرة	٤ . طايفة ءِ العيصرة
٥ . طايفة ءِ عبيدة (عبيد الله)	٥ . طايفة ءِ عبيد الله	٥ . طايفة ءِ عبيد الله
٦ . طايفة ءِ آل رامية الرامية	٦ . طايفة ءِ راميه (آل رامية)	٦ . طايفة ءِ راميه (آل رامية)
٧ . طايفة ءِ سعليك	٧ . طايفة ءِ سعليك	٧ . طايفة ءِ سعليك
٨ . طايفة ءِ حرامية	٨ . طايفة ءِ برامية	٨ . طايفة ءِ برامية
٩ . طايفة ءِ تيعلية في سنة ١٢٥٠٠ آقجة	٩ . طايفة ءِ ثعلية	٩ . طائعليه ءِ
	يكون ٩ طوايف في سنة ١٥٠٠٠	

عادت عربان بني هتيم ملالحة تابع غزة عن خاصها ءِ مير لواء غزة
عادت عربان بني هتيم ملالحة وهي تابع غزة من خاص أمير لواء غزة
في سنة ٦٠٠٠

تيمار عرب بني عطا

دفتر (T. D. 131) ٩٣٢هـ/١٥٢٦م - ٩٣٨هـ/١٥٣٢-١٥٣١م - اسطنبول: ص ٣٦

تيمار عرب بني عطا عن قرية
ءِ نحايب تابع غزة
حصة ٦ط
٩٣٠

عن قرية زاوية تابع غزة
حصة ٢ط
١١٠

عن قرية خريبا (خرسا) تابع غزة
حصة ١ط
١٧٠

عن مزرعة ءِ الحمدية تابع غزة
حصة ١ط
٤٨

ء قرية هوج تابع غزة
حصة ٣,٥ ط
٣٧٨

عن قرية صبحان تابع غزة
العشر ١٢ط
٣٢٠

عـ قرية بلال حسن تابع م
حصة ١ط
٢٧٠

ء قرية حمصا تابع م
حصة ٢ط وربع
٧٨

ء قرية جلمة تابع م
حصة ٢ط
٦٢

ء قرية كفر النمل تابع م
ء العشر ٢ط
٨٣

ء قرية قيلون (فيلون) تابع م
حصة ٥ط
٥٢٠

ء قرية العارة [العادة] تابع م
حصة ١ط
٣٥مقطوع

ء مزرعة عود تابع غزة
حصة ١ط
٣٧,٥

ء قرية معوس تابع غزة
حصة ثلثين ط
٣٨

ء قرية حلس تابع غزة
حصة ثلث ط
٧٥

ء قرية بسا تابع غزة
حصة ٨ط
٩٣٥

ء قرية قنيدحية تابع م
حصة ٢ط وثلثين
١٦٧

مزرعة عمبس خان تابع م
حصة ١ط
١٠

ء قرية تيك دراس
تابع م الكبرى
حصة ٢ط
٢١٦

عن قرية بيت طعمة
تابع غزة
حصة ٨ط
١٢٥٠

عن مزرعة برارية
حصة ٢ط
٢٠بر وجه مقطوع

عن قرية بيت سمعان تابع م
حصة ٤ط
١٧٢

عن قرية خليفان تابع غزة
حصة ثلث ط
٥٢

عن قرية بيت لمعا (عفا) تابع غزة
حصة ٢٫٥ ط
٧٦٣

تيمار عرب بني عطا
عن قرية منية السخلين؟
تابع م
حصة وربع ٤٫٥
١٧٤٢

ء قرية جبر تابع غزة
حصة
١ط وثلث
١٠٧بر وجه مقطوع

عن قرية ولمية تابع غزة
حصة ٥ط
٦٢٥

عن قرية مليسة تابع غزة
حصة ٢ط
٦٢

عن مزرعة فيعية تابع غزة
حصة ٨ط
٢٤١

عن مزرعة المعار (المغار؟) تابع غزة
حصة ١٢ ط
١٠٠

عن قرية فطرا تابع غزة
حصة ١٦ط من ط
١٦

ء قرية العابونة (القابونة) تابع م
حصة ٢ط
٢٤

عن مزرعة صفرا تابع غزة
حصة ١ط وثلث ط
٩

عن مزرعة قابورة تابع غزة
حصة ٢٫٥ ط
١٣٧مقطوع

عن مزرعة حرسان تابع م
حصة ٦ط
٤٢

عن مزرعة قريعا تابع غزة
حصة ١١ط
٥٥٠

يكون ١٠٦١١

عربان بني سوالمه (شوايمة)

دفتر (T. D. 1015) (٩٤٥هـ/١٥٣٨–١٥٣٩م) ص ٢٠ عادت عرب بني سوالمة وطوايفه خاص مير لواء	(T. D. 304) (٩٦٤هـ/١٥٥٦–١٥٥٧م) ص ١١٣ عادت عربانيه ءِ بني سوالمة وطوايفه. در ست مير لواء غزة (تحت تصرف أمير لواء غزة)	(T. D. 546) (١٠٠٥هـ/١٥٩٦–١٥٩٧م) ص ٤٩ عادت عربانيه ءِ طوايف بني سوالمة وطوايفه عن خاصها ءِ مشار اليه
١. طايفة سوالمة	١. طايفة سوالمة	١. طايفة سوالمة
٢. طايفة ثعالبة	٢. طايفة باسية (باشية)	٢. طايفة باسية (باشية)
٣. طايفة بني أيوب	٣. طايفة بني ايوب	٣. طايفة بني ايوب
٤. طايفة بني عامر	٤. طايفة بني عامر	٤. طايفة بني عامر
٥. طايفة بني واصل	٥. طايفة بني واصل	٥. طايفة بني واصل
٦. طايفة تعلبية (تغلبية) ميحار	٦. طايفة ثعلبية (تغلبية) ميحار	٦. طايفة ثعلبية (تغلبية) ميحار
٧. طايفة رابعية	٧. طايفة رابغة	٧. طايفة رابغة
٨. طايفة الديرة	٨. طايفة الديرة	٨. طايفة الديرة
٩. طايفة بني صالح في سنة ١٢٥٠٠ آقجة (ورد في الدفتر T. D. 546 أن عادتها في السنة ١٥٠٠٠ آقجة)	٩. طايفة بني صالح	٩. طايفة بني صالح
يكون ٩ طوايف في سنة ١٥٠٠٠ آقجة		

تيمار عرب شوايمة (سوالمة)[٧٧]

عن قرية ء حرسا (خريبا) تابع غزة حصة ١ط ١٧٠	عن مزرعة فرين تابع غزة حصة ١٨ ط ١١١	ء مزرعة عود تابع غزة حصة ٤ط من ط ٦
عن قرية ء لحاية (لجابية) تابع غزة حصة ١ط وثلث ٢٠٨	عن مزرعة الحديدة تابع م حصة ١٢ط ٩٠٠	ء مزرعة رعوانية تابع م حصة ٢ط ٥٦
عن قرية نعليا تابع م حصة ٥ر٨ ط ٢٩٢٢	عن قرية حلوب (باره) تابع م حصة ٨ط وثلث ٨٦٦	عن قرية ء زاوية حصة ٢ط ١١٠
عن قرية تل حمد تابع غزة حصة ٢ط ٨٨	عن قرية ملايس (ملاميس) تابع غزة حصة ٥ر١ ط ٤٠٥	عن قرية البيرة تابع غزة حصة ٨ط ٢٨٠ بر وجه مقطوع [على وجه المقطوع]
عن قرية معوس تابع م حصة ٢ ط وثلثين ٣١٥	عن قرية مليس تابع غزة حصة ٢ط وثلث ٨٨٢	
عن قرية نشا (بسا) تابع غزة حصة ٨ط ٩٣٥	عن قرية قندحية تابع م حصة ٢ط ١٤٣	عن مزرعة عمس حالا تابع غزة حصة ثلث ط ٣

٧٧ - حول موجز لتاريخ هذه العشيرة التي كانت تسكن ما بين الشرقية وحول العريش، انظر: ماكس فون اوبنهايم، البدو، ج ٢، ص ٩٤-٩٥. حول التيمار، انظر: دفتر (T. D. 131)، (٩٣٢هـ/١٥٢٦م - ٩٣٨هـ/ ١٥٣١-١٥٣٢م) اسطنبول، ص ٣٧.

عن قرية فراينة (قراينة) تابع م	عن قرية برتة تابع غزة
حصة ٢ط	٢ط
٨٨	١٦٥

عن قرية مردعة تابع غزة	عن قرية يابلة تابع غزة	عن قرية بيت عفا تابع غزة
حصة ٣ط	حصة ٦ط	حصة ٣٫٥ ط
١٥٩	٤٢٥	٩٢٢

عن قرية فالوجة تابع غزة	عن قرية قطرا تابع غزة	عن قرية فالورة تابع م
٣ط وثلثين	حصة ٨ط من ط	حصة ٦ط
٤٠١	٨	٣٢٠ مقطوع

عن قرية ء جسير تابع غزة	عن قرية ديلية تابع غزة
حصة ٢ط	حصة ١٢ط
١٦٠	٢٣٧٥

بر وجه مقطوع [على وجه المقطوع]

عن قرية صميل (صنجيل)	عن قرية قطرا تابع غزة	عن قرية قابورة تابع م
المغار	حصة ٨ط من ط	حصة ٦ط
حصة ٣ط وثلثين	٨	٣٢٠
٤٠١		مقطوع

عن مزرعة ام قبل (خيل)	عن مزرعة رميل تابع غزة	عن قرية ء مطاب الشرقي
تابع غزة	حصة ٢ط	تابع م
حصة ٤٫٥ ط	٤٠	حصة ٦ط
٣٦		٣١٨

عن قرية مطاب الغربي	عن قرية بيت لحمة تابع غزة
تابع م	حصة ١٫٥ط
٢ط	٢٤٦
٢٩	

يكون ١٤٣٦٩ آقجة

عربان جَرْم[٧٨]

دفتر (T. D. 1015)، ص ١٩ (٩٤٥هـ/١٥٣٨-١٥٣٩م) جماعت عربان جرم وطوايفه خاص شاهي	(T. D. 304)، ص١١٣ (٩٦٤هـ/١٥٥٦-١٥٥٧م) (عادت عربان جرم وطوايفه در دست مير لواء غزة) عادة عربان جرم وطوائفها في عهدة أمير لواء غزة	(T. D. 546)، ص٤٩ (١٠٠٥هـ/١٥٩٦-١٥٩٧م) عادت عربان جرم وطوايفه عن خاصها مشار اليه
١ . طايفة حلمان	١ . طايفة حلمان	١ . طايفة حلمان
٢ . طايفة مغيثان	٢ . طايفة مغيثان (معينان)	٢ . طايفة مغيثان (معينان)
٣ . طايفة مرعاوية	٣ . طايفة مرعاوية	٣ . طايفة مرعاوية
٤ . طايفة المحاورية	٤ . طايفة لمحاورية (المحاورية)	٤ . طايفة لمحاورية (المحاورية)
٥ . طايفة عاليك	٥ . طايفة عاليك	٥ . طايفة عاليك
٦ . طايفة حميدة	٦ . طايفة حميدة	٦ . طايفة حميدة
٧ . طايفة رايدة (زايدة)	٧ . طايفة بني جميل	٧ . طايفة بني جميل
٨ . طايفة بني عطية	٨ . طايفة معايلة	٨ . طايفة معايلة
٩ . طايفة معاملة (معايلة) في سنة ١٥٠٠٠ آقجة		
يكون ٨ طوايف في سنة ٥٠٠٠ آقجة		

٧٨ - ينقل أحمد القلقشندي عن أحمد بن فضل الله العمري (ت ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م) : "وهم ببلاد غزة والداروم مما يلي الساحل إلى الجبل وبلد الخليل عليه السلام" ، ويورد تفاصيل تفرعاتهم نقلاً عن الحمداني، وكانت الإمرة في زمن ابن فضل الله العمري على عرب غزة لفضل بن حجي وكان مقدمهم علي بن فضل، انظر: صبح الأعشى، ج ٤ ، ص ٢١١-٢١٢ . انظر أيضاً : شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، دراسة وتحقيق سمير الدروبي، جامعة مؤتة، ١٩٩٢م، ص ١٠٥ . حول الجرامنة اليوم انظر: ماكس فون اوبنهايم، البدو، ج ٢، ص ٩٦-٩٨ .

١ . طايفة دغيم

٢ . طايفة برازين

٣ . طايفة ءِ بني جميل

في سنة ١٠٠٠٠ آقجة

ترد هذه الطوائف الثلاث في دفتر (T. D. 1015) بعد "جماعت" عربان جرم مع بيان عادتها لكن ليس من الواضح إن كانت من طوائف عرب جرم[٧٩] .

عادت عربان هُتيم[٨٠] تابع غزة خاص شاهى

١ . طايفة سلميا

٢ . طايفة الصامد

٣ . طايفة. . . . . . (فراغ)

في ٨٠٠٠ آقجة

وجاء في دفتر طابو (T. D. 427) أنه في حالة عدم مجيء عربان بني عطا وبني عطية للرعي فإن عربان السوالمة يدفعون حق المرعى [فيما إذا استفادوا من المراعي][٨١] .

---

٧٩ - انظر دفتر (T. D. 1015)، ص ١٩ .

٨٠ - دفتر طابو (T. D. 1015)، ص ١٩ . كانت عربان هُتيم من حملة الدشيشة المُرسلة من مصر إلى المجاورين في الحرمين الشريفين، انظر: الجزيري، الدرر الفرائد المنظمة، ج ١، ص٣٣٧-٣٣٨ . يذكر الشيخ عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م) أنه تبادل مع رجلين من عرب هُتيم مهرته الصغيرة بناقة للركوب، وأنه وأصحابه نزلوا بالقرب من عرب هُتيم فأحسنوا استقبال الشيخ وصحبه وذبحوا لهم ذبيحة وقدموها لهم، انظر: الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم وإعداد أحمد عبد المجيد هريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٣١٤ .

٨١ - انظر: (T. D. 427) تاريخ (٩٣٢هـ/ ١٥٢٥-١٥٢٦م - ٩٣٤هـ/١٥٢٧-١٥٢٨م)، ص ١٧٠ .

نلاحظ مما مرّ أن العثمانيين أبقوا على بعض الممارسات المملوكية بإيكال بعض المهام الإدارية وجمع الضرائب إلى عدد من الأسر والعشائر، مثل: أسرة الحنش في البقاع والأسرة الغزاوية في لواء عجلون والأسرة الحارثية بمرج بني عامر في شمال فلسطين. كما أدخل العثمانيون في مطلع عهدهم ببلاد الشام عشائر لواء غزة: بني عطا وبني عطية والسوالمة في نظام التيمار أو الإقطاع مُضافاً إلى ذلك، واعتمدوا نظام الدرك في إيكال مهمة حفظ سلامة المرور على طرق الحج إلى عدد من العشائر مقابل الإعفاء من العوارض الديوانية والتكاليف العرفية، هذا بجانب قيام الدولة بدفع مخصصات سنوية لشيوخ العشائر تُعرف باسم "الصرة"، ويُشار هنا إلى أن الدولة أدخلت عدداً من بقايا المماليك ضمن نظام التيمار العثماني ضمن نظام الحلقة.

عربان لواء نابلس:

كانت الغالبية الكبرى من سكان لواء نابلس يسكنون إما في مدينة نابلس أو في قرى اللواء، ويذكر دفتر (T. D. 100) العائد لسنة ١٠٠٥هـ/١٥٩٦-١٥٩٧م أسماء الطوايف العربية التالية في لواء نابلس، والتي كانت عوائدها من ضمن الخاص السلطاني[٨٢]:

ت	الطايفة	خانه	مجرد	ملاحظات
١.	طايفه حميد في سيران	٢٧	٢	تدفع ألف آقجة سنوياً
٢.	طايفه بني حميد	١٧	-	تدفع ٥٠٠ آقجة سنوياً
٣.	مهنا (طايفه، بني فهد)	١٠	-	تدفع ٥٠٠ آقجة سنوياً
٤.	بني جليبس (طايفه بني فهد)	٢١	-	تدفع ١٥٠٠ آقجة سنوياً
٥.	زنانيرة (طايفه بني مهنا)	٩	-	تدفع ٥٠٠ آقجة سنوياً
٦.	هلال (طايفه بني حميد)	١٠	-	تدفع ٥٠٠ آقجة سنوياً
٧.	احمد باز (طايفه بني فهد)	٨٧	-	تدفع ٢٥٠٠ آقجة سنوياً
٨.	عربان يتيم (عوازمة)	-	-	يدفعون ٥٠٠٠ آقجة سنوياً
	المجموع	**١٨١**	**٢**	**١٢٠٠٠ آقجة**

---

٨٢ - انظر: Hütteroth, *Historical Geography*, p. 137-138

سياسة الدولة العثمانية تجاه العشائر :

كان الحجاج القادمون من بلاد الأناضول والروملي وبُخارى وسمرقند، وبطبيعة الحال من بلاد الشام، وفي بعض الحالات من العراق، كانوا في حي الميدان جنوبي مدينة دمشق، ومن دمشق كانت تخرج قافلة الحج الشامي بقيادة أمير الحج مع الحرس اللازم والمؤونة ومياه الشرب محمولة في قِرَب على الجمال، وكُنّا قد أشرنا إلى عناية السلاطين، وبخاصة السلطان سليمان القانوني بتعمير البرك والقلاع وترميم الحصون والأبراج وشحنها بالجنود لمراقبة حركات العشائر البدوية ودفع غائلتها، ولكن في سنوات انشغال الدولة بالحروب أو تعرضها لضائقة اقتصادية، كانت العشائر تغتنم تلك المناسبة وتنقضّ على قافلة الحج. لذا نرى السلطان يأمر سنة ٩٦٦هـ/ ١٥٥٩م بزيادة عدد السباهية المرافقين للقافلة بخمسين سباهياً، وذلك عندما جاءه الخبر بأن بعض العشائر من ذوي الأفعال الشنيعة قد انتشرت على امتداد طريق الحج[٨٣]. ونجد في العام التالي أن السلطان، بموجب حكم صادر منه في ٢ ربيع الأول ٩٦٧هـ/ ٢ كانون الأول ١٥٥٩م، يأمر والي مصر ببناء قلعة في العريش[٨٤] وبدون إسراف، لأنها أصبحت نقطة لتجمُّع أهل الفساد من البدو لكون المكان مقفراً، وأن هؤلاء البدو لم يكونوا يترددون في مهاجمة الحجاج والإغارة على القوافل. وبسبب الجفاف والقحط الذي دام عدة سنوات في منطقة غزة، مُضافاً إلى ذلك الجراد والآفات الزراعية التي غزت المنطقة، فقد اغتنمت القبائل هذه الظروف الصعبة للناس وأغارت على البلاد ونهبتها، وزيادة على ذلك، قتلت عدداً من جنود السباهية وقطعت طريق مصر وشارفت البلاد على الهلاك بشكل كلّي، لذا نرى السلطان في

---

٨٣ - حكم ٤٣ع، ٢ ذي القعدة ٩٦٦هـ/ ٦ آب ١٥٥٩م، بلاد الشام في الأحكام السلطانية، (٩٥١هـ/ ١٥٤٤م - ٩٧٣هـ/ ١٥٦٦م)، إعداد وترجمة فاضل بيات، ج ١، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص ١٥٢-١٥٣.

٨٤ - تقع في واحة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ما بين الحدود المصرية والفلسطينية، كان أهلها من جذام واشتهرت بكونها سوقاً للمناطق المحيطة بها، وعُرفت البلدة بكثرة فواكهها وخاناتها. انظر: [F. Buhl], « Al-'Arīsh », *E.I.*², vol. I, p. 630

سنة ٩٦٧هـ/ ١٥٦٠م يأمر والي الشام بحفظ هذه الأرجاء وحراستها حتى ولو اقتضى الأمر إبعاد أمير سنجق غزة عن سنجقه[٨٥]. ويبدو أن السلطان خشي من انتشار الفوضى لتصل إلى القدس، لذا أمر أمير السنجق أن يلازم مع السباهية سنجقه وأن يلتحق بالوالي إذا ما طلب منه ذلك، وأن يحول دون تعرُّض الرعايا لأي ضرر من عُصاة العربان ومن سائر أهل الفساد[٨٦].

وعانت منطقة عجلون من غزوات البدو على القرى والمزارع ونهبها، ففي رسالة من أهالي عجلون إلى السلطان في ٥ شوال ٩٦٧هـ/ ٢٩ حزيران ١٥٦٠م، أفادوا أن نحو خمسة آلاف من البدو هاجموا الكروم والمزارع ونهبوا المواشي وسلبوا الأرزاق ولم يكن بمقدور أهالي عجلون التصدي لهم وردّهم، ويطلبون بناء القلعة بعجلون، فيطلب السلطان من الوالي بدمشق بيان الكُلف، ومن أي جهة سيتم تأمين الجنود للمرابطة فيها، ويستفسر السلطان فيما إذا كان بالإمكان تأمين هؤلاء الجنود من القلاع الواقعة في الجوار[٨٧]. وتفيد رسالة موجّهة من قاضي الكرك إلى السلطان، أن مجموعة من الأفراد: محمد وأحمد بن بشارات، وقره يوسف، وجانبردي، ادعوا بهتاناً على أمير الكرك سعيد بأنه قتل آباءهم وداهم البيوت وسلب الأموال، ولكن عندما تحقق القاضي من ذلك، وجد العكس، حيث كان هؤلاء يتعاونون مع البدو العُصاة وهم لا يطيعون الشريعة لذا أمر السلطان بإلقاء القبض عليهم وحبسهم وعرض الأمر على السلطان[٨٨]. ويبدو أن حالة الشغب كانت تسود في لواء الكرك

---

٨٥ - انظر: حكم رقم ٦٤ع، ٢ ربيع الأول ٩٦٧هـ/ ٢ كانون الأول ١٥٥٩م، بلاد الشام في الأحكام السلطانية، ص١٧٤-١٧٥، وحكم رقم ٨٨ع، ١٢ رجب ٩٦٧هـ/ ٨ نيسان ١٥٦٠م، ص ١٩٦-١٩٧.

٨٦ - حكم رقم ٨٩ع، ٢٧ رجب ٩٦٧هـ/ ٢٣ نيسان ١٥٦٠م، بلاد الشام في الأحكام السلطانية، ص ١٩٧.

٨٧ - حكم رقم ١٠٠ع، ٥ شوال ٩٦٧هـ/ ٢٩ حزيران ١٥٦٠م، بلاد الشام في الأحكام السلطانية، ص ٢٠٦-٢٠٧.

٨٨ - حكم رقم ١٠٨، تاريخ ١٨ ذي القعدة، ٩٦٧هـ/ ١٥٦٠م، بلاد الشام في الأحكام السلطانية، ص ٢١٤-٢١٥.

- الشوبك فجاء في حكم سلطاني تاريخه ١٧ ذي الحجة ٩٧٢هـ/ ١٥ تموز ١٥٦٥م، أن عرب الحطامات من طايفة العمرو قد أغارت بقيادة ذو [ذي] الفقار على أمير سنجق الكرك حسن بك في منزل اللجون[٨٩] شرقي الكرك وقتلوه ونهبوا أمتعته وخيوله وجماله وبغاله، وبناءً على استرحام ورثة القتيل كلّف السلطان والي دمشق وقاضيها بأن يقوما بالقبض على المتسببين واسترداد أموال القتيل وحيواناته وإنزال العقوبة بالجُناة بموجب الشرع الشريف والقانون المنيف[٩٠].

وتسبّب الصراع القيسي-اليمني (أصحاب الراية الحمراء وأصحاب الراية البيضاء) بين القوى المحلية في إلحاق الأذى والخراب بالقرى والمزارع، حتى أن أبناء الأسرة الواحدة كانوا يتوزعون بين صراع هذين الجناحين، فنجد أن الصراع بين الزعيم الدرزي قايتباي، الذي سكن بيروت، وابن أخيه منصور أمين (أمير) جبل كسروان (الراية البيضاء والراية الحمراء) حيث كان يتبع كل واحد منهما ما بين ٣٠٠-٤٠٠ فارس كان يستعر بين العم وابن أخيه، وأن قايتباي الذي أصبح أيضاً ناظراً على بيروت قتل أكثر من مائة شخص، كما ترتبت عليه أموال للميري واختفى عن الأنظار[٩١]. واندلع مثل هذا الصراع القيسي - اليمني في مدينة الخليل بين أشرار الجناحين فجرح عدد منهم وقتل شخص واحد في أحد الاشتباكات، ولكن المهم

---

٨٩ - اللجون: منطقة فيها ينابيع، سكنها التركمان فترة في مطلع القرن العشرين، وهي تابعة لمحافظة الكرك في الأردن، تقع على خط طول (٣٦ ٣٥ درجة) ودائرة عرض (٤٢ ٣٠). انظر: يوسف عبيد، دليل مواقع المدن والقرى في الأردن، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، ٢٠٠٥م، ص ٥٩. وانظر أيضاً:
M.A. Bakhit, « Lādjdjūn », *E.I.*[2], vol. V, p. 593-594.
انظر أيضاً:
Eugene L. Rogan, *Frontiers of the State in the Late Ottoman Empire*, Cambridge University Press, 1999, p. 120.

٩٠ - حكم رقم ١٧٤ع، ١٧ ذي الحجة ٩٧٢هـ/ ١٥ تموز ١٥٦٥م، ص٢٨٣-٢٨٤؛ وانظر أيضاً حكم ١٧٧ع، ١٨ محرم الحرام ٩٧٣هـ/ ١٥ آب ١٥٦٥م، ص ٢٨٨-٢٨٩.

٩١ - حكم رقم ١٧٠ع موجّه إلى والي دمشق بتاريخ ٢٧ شوال ٩٧٢هـ/ ٢٨ أيار ١٥٦٥م، بلاد الشام في الأحكام السلطانية، ص ٢٧٨-٢٨٠.

ما جاء في ثنايا الحكم من القول : "وغدا المسلمون لا يُصلّون الجمعة خوفاً منهم" ، لذا أمر السلطان والي دمشق بالقبض على مسببي الفتن وتأديبهم وأن يكتب له بذلك[٩٢] .

واعتمد البدو أسلوب الغارة واختطاف الناس، فهذه السيدة فاطمة تراجع الديوان الهمايوني وتُقدّم عريضة تذكر فيها أنها سنة ٩٧٥هـ/١٥٦٧-١٥٦٨م أثناء زيارتها للقدس أغار البدو على جماعتها وسلبوا ممتلكاتها وأخذوا ابنها أسيراً مقابل الفدية، فيؤنّب السلطان أمير سنجق القدس، حيث لم يقع مثل هذا من قبل، وأن هذا الأمر وقع في عهدك وعليك فكاك أسر ابن المذكورة" ، وأمره السلطان ألا يتأخر وأن يُخلِّص الأسير، وإذا ما تكررت الشكوى مرة أخرى فإن اللوم يُلقى على عاتق أمير السنجق[٩٣] . ويبدو أن العشائر في محيط القدس كما جاء في حكم سلطاني (٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م) اعتادوا على مهاجمة الحجاج في طريقهم لزيارة القدس والخليل، وعمدت الدولة إلى أخذ أبناء الرؤساء والقدمين المشاغبين على شكل رهائن، ونتيجةً لذلك، ساد الأمن على الطرق وجُمعت الرسوم، وأيّد السلطان مثل هذا الإجراء[٩٤] .

وأمر السلطان في ٩٥٩هـ/ ١٥٥٢م والي دمشق الشام بأن يمنع الأهالي من بيع السهام والأقواس وحذو الخيل والمسامير والمؤن والأقمشة لعشائر بني طرباي [الحارثية] وبني ثوبة القوادرية وبني حسن وبقية العشائر العاصية بالصحراء، وأن أهالي القرى يتّجرون مع هؤلاء العصاة، ويطلب من الوالي تحذير أهالي القرى من مثل هذا

---

٩٢ - حكم رقم ١٩٢ع، تاريخ ٢٧ ربيع الأول ٩٧٣هـ/ ٢٢ تشرين الأول ١٥٦٥م، بلاد الشام في الأحكام السلطانية، ص ٣٠٥ .

٩٣ - حكم من مهمة دفتري (M. D. 7)، حكم ٣٤، تاريخ: غرة صفر ٩٧٥هـ/ ٧ آب ١٥٦٧م، ص ٧، محفوظات (BOA). أشكر الزميل فاضل بيات الذي زوّدني بهذا الحكم. انظر أيضاً:
Uriel HEYD, *Ottoman Documents on Palestine 1552-1615*, Oxford University Press, 1960, p. 87-88.

٩٤ - انظر: Uriel HEYD, *Ibid.*, p. 97

الاتِّجار[٩٥]. ويُشار إلى اتِّجار فردين من اليهود عام ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠-١٥٧١م مع عشائر بني عطية وأن أحدهما اشترى من بني عطية بنادق والآخر كان قد اشترى ملح البارود[٩٦]. ونظراً لإمعان القوادرية في حالة العصيان فلقد تمّ إخراجهم سنة ٩٨٧هـ/ ١٥٧٩م من ناحية بني صعب ولكن بني عطا وأتباعهم في غزة أعادوا القوادرية إلى أراضيهم في ناحية بني صعب[٩٧].

ويشير حكم صادر عن السلطان بتاريخ ٥ ذي القعدة ٩٨٩هـ/ ١/١٢/١٥٨١م موجّه إلى أمير أمراء دمشق الشام وإلى قُضاة دمشق ونابلس وكفركنا أنه بسبب تغيب جميع السناجق [أمراء العسكر] والجنود عن تيماراتهم بسبب مشاركتهم في الحرب التي تقودها الدولة، اغتنم الدروز والبدو حالة الفراغ هذه وأعلنوا حركة عصيان بحيث لم يعد بالإمكان جمع مستحقات أصحاب التيمار، وزيادة على ذلك، فإن السلاح الذي بأيدي الفلاحين في لواء صفد بلغ سبعة آلاف بندقية وأخذوا بمهاجمة المسافرين ونهب القرى وقتل الناس[٩٨]. وتشير بعض الأوامر السلطانية الموجّهة إلى والي دمشق الشام وإلى القضاة إلى انتشار الأسلحة التقليدية من الخناجر والسيوف والرماح والأسلحة النارية بين الفلاحين والبدو لم يعد بإمكان الدولة - في بعض الحالات - تحصيل الرسوم من الرعية التي كانت في حالة عصيان[٩٩]. وبعد ذلك بعامين شكا أعيان نابلس وعلماؤها إلى والده سلطان القرم محمد

---

٩٥ - انظر: Uriel HEYD, *Ibid.*, p. 95-96.

٩٦ - انظر:

Amnon COHEN, *A World Within: Jewish Life as Reflected in Muslim Court Documents from the Sijjil of Jerusalem*, Center for Judaic Studies, University of Pennsylvania, 2 parts, 1994, part one, p. 122.

٩٧ - انظر: Uriel HEYD, *Ibid.*, p. 97.

٩٨ - انظر: Uriel HEYD, *Ibid.*, p. 88, p. 92, p. 94-95.

٩٩ - انظر: U. HEYD, *Ibid.*, p. 89, p. 94-95.

Giray [١٠٠] خان بأن البدو كانوا في حالة عصيان وأنهم حرقوا أربعة عشر رجلاً وقتلوا مائة وحالوا دون السماح للخطباء في أكثر من عشرين مسجداً من إلقاء خطبة الجمعة، وكانوا يأخذون الباج من الحجاج ومن المسافرين إلى القدس والخليل، وأصبحت البلاد نتيجةً لذلك في حالة من الدمار. ويشير أحد الأوامر السلطانية (رمضان ٩٩٩هـ/ حزيران - تموز ١٥٩١م) إلى الفساد الذي ألحقته عشائر بني جيوس في ناحية بني صعب من لواء نابلس بالمسافرين في أحراش قاقون، وأنهم توسعوا في أعمال النهب والسلب وبعدما كانوا قد طُردوا من ديارهم قد عادوا ليعيثوا في البلاد فساداً لذلك يطلب السلطان عدم السماح لهم بالعودة إلى بلادهم[١٠١].

وعندما تقدّمت العشيرتان العربيتان آل نعيم وآل عربان [عريان؟] بعريضة إلى السلطان تذكران فيها أنهما تسكنان بالقرب من دمشق، وتشير العريضة إلى أن عربان الجبل كانوا في حالة عصيان، وعند عودة العسكر من محاربة عرب الجبل قام قواس الولاية وآغا الإنكشارية بالشام وصوباشي الصالحية بمداهمة عربان آل نعيم وآل عربان، وقطعوا رؤوس ٧٥ نفراً من سادة هاتين العشيرتين ونُهبت أرزاقهم ودوابهم وقطعانهم، وعندما طالب عدد من أبناء العشيرتين بأموالهم وأرزاقهم المنهوبة، أُلقي بهم في السجن. وكانت حجة الكتخدا أن عربان بني نعيم وآل عربان، بالرغم من تظاهرهم بالطاعة، كانوا يشترون السلاح والذخائر من دمشق ويزودون بها عرب الجبل، كما أنهم كانوا يعملون عيوناً لعرب الجبل فيبلّغون هؤلاء بحركات العسكر فتتوارى العُصاة

---

١٠٠ - حول خانات القرم وعلاقتهم الخاصة مع سلاطين بني عثمان، انظر:
Halil Inalcik, « Giray », *E.I.*^{2}, vol. II, p. 1112-1114.
تذكر سلاسل خانات القرم أن محمد كراي الثاني ابن دولت حكم من ٩٨٥هـ/ ١٥٧٨م - ٩٩٢هـ/ ١٥٨٤م حيث قتله ألب كرأي. انظر: شمس الدين سامي (ت....هـ/ ....م)، قاموس الأعلام، ٦ ج، استانبول، ١٣٠٦-١٣١٦، ج ٦، ص ٤٢١٨-٤٢١٩. انظر أيضاً: ادوار فون زامباور (ت ١٩٤٩م)، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه زكي محمد حسن بك وحسن أحمد محمود، مطبعة فؤاد الأول، ١٩٥١م، ص ٣٦٧.

١٠١ - انظر: U. Heyd, *Ibid.*, p. 96-97

من عرب الجبل عن الأنظار، فأمر السلطان قضاة الشام وطرابلس وحماه بالتحقيق في تفاصيل الموضوع، وإذا كان عربان آل نعيم وآل عربان غير مذنبين تُعاد لهم أموالهم وحيواناتهم مع التأكيد على عدم الانحياز لأي طرف[١٠٢].

ويُطنب قاضي قافلة الحج المصري عبد القادر بن محمد الأنصاري الجزيري الحنبلي (من أهالي القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي) في ذكر اعتداءات بني عطا وبني عطية على قافلة الحج المصري في أواخر العهد المملوكي وما شهده بنفسه عندما كان قاضياً للقافلة لعدد طويل من السنوات نظراً لوقوع مضارب هاتين العشيرتين على امتداد طريق الحج المصري. حتى أن الجزيري يصف بني عطية بقوله: "وغالبهم أهل الفساد وبعضهم أكثر فساداً من بعض كالحويطات والرتيمات والسواركة والترابين والعمارين وغيرهم"[١٠٣] ويضيف إلى ذلك: "ومن لفيف بني عطية طايفة تدعى السلالمة أكثر فسادها بالمغارة وعيون القصب والمويلح وتتبع الركب إلى محل أمكانها"[١٠٤]، ومما زاد في الطين بلّة التنازع بين عربان العائد وبني عطية على الدرك من منزلة نخل إلى سطح عقبة أيلة ومنه إلى جانب البحر محل زينة أمير الحاج [كذا] فإنه في خفارة بني عطية"[١٠٥].

وكان من عادة أهل الفساد من بني عطية أن يلتئموا مع أكابر الربايع مثل السعادنة المشهورين بالفساد والأذى، وكانت الدولة توكل لهم حفظ الحجاج والتجار في دركهم، وعند عودة الحجاج، وفي منزلة الأزلم، يشاركون في نهب الحجاج أو ما قد يضيع منهم[١٠٦]. فيذكر مثلاً أنه في سنة ٨٧٥هـ/ ١٤٦٩-١٤٧٠م انقطع أناس بعقبة أيلة وقطع عليهم بنو عطية الطريق بنخل[١٠٧]. أما في

١٠٢ - حكم رقم ١٥٧ع، ٢٨ رجب ٩٧٢هـ/ ١ آذار ١٥٦٥م، بلاد الشام في الأحكام السلطانية، ص ٢٦٤-٢٦٦.

١٠٣ - الجزيري، الدرر الفرائد المنظمة، ج ١، ص ٢٣٠.

١٠٤ - الجزيري، المصدر ذاته، ج ١، ص ٢٣١.

١٠٥ - الجزيري، المصدر ذاته، ج ١، ص ٢٣١.

١٠٦ - الجزيري، المصدر ذاته، ج ١، ص ٢٤٥.

١٠٧ - الجزيري، المصدر ذاته، ج ١، ص ٧٥١.

عام ٩٠٧هـ/ ١٥٠٠-١٥٠١م، فلقد خرجت عربان بني لام وبني عقبة وبني عطية وجماعات لا تحصى، وقيل إنه كان معهم أربعة آلاف قوس "خلاف الخيالة والرواحل المردفة والمشاة" على الحجاج في المويلحة[١٠٨] طلباً للغنيمة، ولم ينج الحجاج إلا بوساطة تاجر كان مع القافلة اسمه ابن شويته كانت له معاملة مع العربان، فوقع الصلح أن يدفع الحجاج عن كل جمل دينار مما تسبب بالأذى لغير المقتدرين من الحجاج[١٠٩]، وبعد ذلك بأربع عشرة سنة (في ٩٢٤هـ/١٥١٨-١٥١٩م) نهبوا من الحجاج قبل وصولهم إلى العقبة مائة جمل[١١٠]، وإزاء هذه الاعتداءات كان أمير الحج في بعض الأحيان يستدرج أعيان هؤلاء العربان فيلقي عليهم القبض ولا يطلقهم إلا بعد أن يصعد الحجاج إلى منطقة السطح[١١١]. ولكن جميع الإجراءات لم تنجح في كبح جماح بني عطية حتى إنهم في سنة ٩٣٧هـ/ ١٥٣٠-١٥٣١م نهبوا جمال السّقّائين[١١٢]، وزيادة في الأذى، كان عدد من رجال بني عطية يتزيّون بعمائم العلماء والثياب البيض من باب الإيهام بأنهم أهل صلاح ومن ثم ينهبون الجمال ليلاً. وزاد الأمور سوءاً الخلاف الذي نشب بينهم وبين عرب العايد بعد أن استولى بنو عطية على دركهم من أول صحراء القاهرة وخان داؤود باشا[١١٣] إلى الحمام[١١٤]. لذا لم يكن مستغرباً أن يقوم أمير الحاج المصري مصطفى بن عبد الله

---

١٠٨ - المويلحة [المويلح]: تقع جنوبي العقبة، كان بها قلعة ماؤها مالح وبأرضها نخيل وبساتين، وتُقام فيها سوق للأطعمة والملابس. انظر: آثار منطقة تبوك، وكالة الآثار والمتاحف، الرياض، ٢٠٠٣م، ص ١٨٤-١٨٥، وانظر صورة القلعة هناك. انظر أيضاً: سميرة فهمي علي عمر، إمارة الحج في مصر العثمانية، ص ٢٥٤.

١٠٩ - الجزيري، المصدر ذاته، ج ٢، ص ٧٨٤.

١١٠ - الجزيري، المصدر ذاته، ج ٢، ص ٨٠٦.

١١١ - الجزيري، المصدر ذاته، ج ٢، ص ٨٢٤-٨٢٥.

١١٢ - الجزيري، المصدر ذاته، ج ٢، ص ١١٩٧، ص ١٣٢٥.

١١٣ - خان أنشأه داؤد باشا (٩٤٥هـ/١٥٣٨م - ٩٥٤هـ/١٥٤٩م)، عند بركة الحاج ثم أضاف إليه في سنة ٩٥٠هـ/١٥٤٣م حوضاً كبيراً اشتمل على محراب للصلاة وإيوانين للجلوس واستراحة للمسافرين، انظر: سميرة فهمي علي عمر، إمارة الحج في مصر العثمانية، ص ٢٤٧-٢٤٨.

١١٤ - الجزيري، المصدر ذاته، ج ٢، ص ١٣١٣-١٣١٤.

الرومي سنة ٩٣٨هـ/١٥٣٢-١٥٣١م بإلقاء القبض على عدد من عربان بني عطية، وكان ينشر السارق منهم من رأسه إلى دبره، ويربط الواحد منهم بين نخلتين فيموت، وكان بعضهم يهرب منه ويُلقي بنفسه في البحر[١١٥]. وبالرغم من كل ذلك استمروا في التعدي على الحجاج فسرقوا جمالاً لهم سنة ٩٤١هـ/-١٥٣٤ ١٥٣٥م وقتل منهم ١٩ شخصاً[١١٦]. وبلغ السيل الزُبى في سنة ٩٦٠هـ/-١٥٥٢ ١٥٥٣م عندما نهبوا كسوة الكعبة الشريفة التي استعيدت منهم فيما بعد[١١٧]. واستطاعت عربان بني عطية في العام نفسه قتل بهرام بك أمير اللواء وناظر أموال اليمن وكان معه على ما قيل ثلاثون ألف ذهب[١١٨]. وكما هو معلوم كانت العربان تتقاسم الدرك وتدفع لها الدولة مبالغ من المال مقابل ذلك تعرف باسم الصرة، فعندما قطع أمير الحاج عثمان بن ازدمر[١١٩] باشا سنة ٩٦٨هـ/ ١٥٦١-١٥٦٠م هذه العادة، أعلنت حالة العصيان بين عربان بني عطية والأحامدة والعزايزة[١٢٠]، واتسعت حالة العصيان بحيث إنه في ٩٧٠هـ/١٥٦٣-١٥٦٢م، نهبت عربان بني عطية جمال السلطنة[١٢١]، لذا نجد أن الدولة في سنة ٩٨٥-٩٨٦هـ/١٥٧٧م ترسل من مصر ما بين ٣٠٠-٤٠٠ جندي لإخضاع بني عطا[١٢٢]، وعززت هذه العشائر علاقاتها سنة ١٠٠١هـ/ ١٥٩٣م مع بعض سكان الخليل فكانت تبيع على هؤلاء السكان البضائع التي تنهبها من قافلة الحاج بأسعار رخيصة، وفي

---

١١٥ - الجزيري، المصدر ذاته، ج ٢، ص ٨٣٠-٨٣١.
١١٦ - الجزيري، المصدر ذاته، ج ٢، ص ٨٤١-٨٤٢.
١١٧ - الجزيري، المصدر ذاته، ج ٢، ص ٩١٩، ص ١٥٢٥.
١١٨ - الجزيري، المصدر ذاته، ج ٢، ص ٩٢٦، ص ٩٢٧ قتلوه فيما بين القصير وقنا ومن هنا فعلى الأغلب أن فرع بني عطية هناك قد قام بهذا العمل.
١١٩ - كان شركسي الأصل، وعندما عُيِّن والياً على اليمن استعاد صنعاء من الإمام الزيدي. لمزيد من المعلومات عنه، انظر: الجزيري، المصدر ذاته، ج ٢، ص ٩٨٢-٩٨٨.
١٢٠ - الجزيري، المصدر ذاته، ج ٢، ص ١٠٠٣-١٠٠٤.
١٢١ - الجزيري، المصدر ذاته، ج ٢، ص ١١٠٩-١١١١، وكان ذلك بالقرب من السويس.
١٢٢ - انظر: Uriel HEYD, *Ottoman Documents*, p. 78, footnote 2

بعض الأحيان تحتفظ بهذه البضائع لبدو بني عطا وبني عطية الذين كانوا في حالة عصيان دائم، بل وعمل بعض السكان أدلاّء لهذه العشائر في جبال الخليل مما ترتب عليه تدمير ما بين أربع إلى خمس قرى، فأمر السلطان بإلقاء القبض على الجُناة وتأديبهم[١٢٣]. كما يجيء الذكر سنة ١٠٢٢هـ/ ١٦١٣م أن عرب الوحيدات من بني عطية وبالتعاون مع الأمير حمدان الغزاوي أمير سنجق عجلون قد اشتبكت مع صوباشي فروخ بك بن عبد الله (ت ١٠٣٠هـ/ ١٦٢٠م) أمير الحاج الشامي[١٢٤]، ويذكر أن نحواً من ثمانين شخصاً من عرب الوحيدات وعرب حمدان قد جرحوا في هذا الاشتباك[١٢٥]، ولكنهم لم يهزموا، بل فتكوا بصوباشي الكرك ومن معه "وصوّبوا منه خيلاً ورجالاً"، ومنها توجهوا إلى غزة ونزلوا على عرب العايد[١٢٦].

وتحفل دفاتر المهمة بما حوته من الأحكام السلطانية التي كان يرسلها السلطان من استانبول إلى أمراء الولايات وقضاتها بمزيد من الأخبار عن تحركات العشائر وتعرضها لقافلة الحج الشامي الشريف، وكذلك لقافلة الحج المصري. ولكن أبرز حدث وقع في عهد السلطان سليمان القانوني (٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م - ٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م) هروب ابنه الشاه زاده با يزيد الذي هرب بعد معركة قونية إلى بلاد

---

١٢٣ - انظر: U. Heyd, *Ibid.*, p. 85 حكم رقم (٣٨).

١٢٤ - فروخ بك [باشا] ابن عبد الله (ت ١٠٣٠هـ/ ١٦٢٠م)، من أصل شركسي، كان مملوكاً لبهرام باشا بن مصطفى باشا أخي الأمير رضوان حاكم غزة، وكان أمير لواء نابلس، وكُلِّف أيضاً بإمارة الحج الشامي، حول حياته ودوره في الصراعات المحلية، انظر: محمد بن أمين المحبي (ت ١١١١هـ/ ١٦٩٩م)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٤م، بيروت، ١٩٧٠م، م ٣، ص ٢٧١. انظر كذلك:
Abdul-Rahim Abu Husayn, *Provincial Leadership in Syria 1575-1620*, p. 171, 175-179.

١٢٥ - انظر أحمد بن محمد الخالدي الصفدي، (ت ١٠٣٤هـ/ ١٦٢٤م) لبنان في عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني، وهو كتاب تاريخ الأمير فخر الدين المعني، حققه أسد رستم وفؤاد أفرام البستاني، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٩م، ص ٢٧.

١٢٦ - المصدر والمكان ذاتهما.

فارس فأرسل السلطان رسالة إلى شيوخ العشائر العربية سنة ٩٦٦هـ/ ١٥٥٩م، لبذل كل الجهود الممكنة من أجل القبض على الشاه زاده با يزيد الذي اصطدم مع أخيه سليم الثاني وهُزم في معركة بالقرب من قونية في ٢٢ شعبان ٩٦٦هـ/ ٣٠ أيار ١٥٥٩م، وهرب إلى بلاد الصفويين وأُشيع أنه سيهرب إلى بلاد العرب فتمّت الكتابة إلى والي دمشق ووالي حلب وإلى أمراء السناجق التابعين لكل منهما، ومثل ذلك إلى شيوخ القبائل في ولاية الشام، ولكل من يتصرّف بتيمار من أجل مواجهة با يزيد الهارب وقطع الطريق عليه، وكل من ينجح في هذه المهمة سيُعطى مكافأة، فإن كان أمير سنجق سيُعطى رُتبة أمير أمراء، وإن كان من فئة زعيم يُعطى سنجقاً وإن كان من الرعايا والقبائل، فإما أن يُعطى إقطاعاً، ومن لا يرغب بالإقطاع يُعفى من العوارض الديوانية والتكاليف العرفية نسلاً بعد نسل.

وطلب السلطان من الجميع التصدي له والقبض عليه وقتل أتباعه وأعوانه ومصادرة ما معهم من أموال وحيوانات[١٢٧]. ومن المفيد لمعرفة أسماء الشيوخ ورؤساء القبائل وأماكن استقرارهم ونفوذهم أن نورد هذه الوثيقة المهمة والفريدة:

---

١٢٧ - انظر: فاضل بيات، بلاد الشام في الأحكام السلطانية، حكم رقم ٢٥ع تاريخ: رمضان ٩٦٦هـ/ حزيران ١٥٥٩م، ص ١٢٧، وحكم رقم ٢٩ع، ص ١٣١-١٣٢، وحكم رقم ٣٠ع، الموجّه إلى والي حلب بتاريخ ٢٠ رمضان ٩٦٦هـ/ ٢٢ حزيران ١٥٥٩م، ص ١٣٣-١٣٨. انظر أيضاً النص المُترجم الوارد لدى:
Uriel Heyd, *Ottoman Documents*, p. 65-67.
وجّه السلطان سليمان القانوني أيضاً أوامره السلطانية إلى عدد من أمراء الولايات مثل ديار بكر وطربزون وكوتاهية وسيحون وأماسية وبروسة ووان وجورم وازنيق وارض روم، وكذلك إلى عدد من المسؤولين مثل عرب دفتردار... لمزيد من التفاصيل، انظر: أحمد رفيق، "قونية محاربة سندن سوكرا شهزاده سلطان با يزيد ايرانه فراري - ديوان همايون غير مطبوع وثائقنه نظرا"، تاريخ عثماني أنجمني مجموعسي، السنة الخامسة، عدد ٣٦، شباط ١٣٣١، ص ٧٠٥-٧٢٧، أشكر الزميل محمد التميمي من إرسيكا باستانبول الذي تفضّل مشكوراً بتزويدي بنص هذه الدراسة.

صورة منه إلى :

- أمراء السناجق التابعين إلى بكلر بكية (إيالة) الشام .
- أمير سنجق [عشيرة] أبو ريش محمد بن مدلج .
- الأمير قنصو الذي يتصرف بزعامت في ناحية جبل ابن ساعد .
- نعيم السندي الذي يتصرف بزعامت في الناحية المذكورة .
- نصر الله الذي يتصرف بزعامت في الناحية المذكورة .
- غزلان الذي يتصرف بزعامت في الناحية المذكورة .
- ابن بكتمور الذي يتصرف بزعامت في ناحية بعلبك .
- الأمير موسى الذي يتصرف بزعامت في الناحية المذكورة .
- الأمير فايز بك الذي يتصرف بزعامت في جبل كسروان .
- الأمير محمد بك الذي يتصرف بزعامت في ناحية شوف ابن معن .
- سعد بن سعيد (شيخي) في ناحية بني كنعان (كنان _ كنانه؟) لا إقطاع له .
- الشيخ أحمد ومحمد ، شيخي ناحية بني جوهر ، لا إقطاع لهما .
- غزالي وأخيه خير بك شيخ ناحية حوران ، لا إقطاع لهما .
- أحمد بن زياد ، شيخ في ناحية أزرع ، لا إقطاع له .
- محمد وأحمد ، من شيوخ ناحية سليم ، لا إقطاع لهما .
- محمد الآخر ، شيخ عربان الجبل ، لا إقطاع له .
- حابي بك الحاري ، شيخ في ناحية جيدور ، لا إقطاع له .
- ابن موسى ، شيخ في ناحية جولان .
- حرب بن بشاح شيخ في ناحية تارة الفوقا ، لا إقطاع له .
- شرف الدين وعلي شيخي ناحية مرجان الفوقا ، لا إقطاع لهما .
- ابن طرين ، شيخ ناحية قره لار ، من أرباب التيمار .
- محمد بن سعد وعمر بن يالكو ، من شيوخ ناحية الزبداني ، لا إقطاع لهما .
- علي بن ابدان وسالم بن محمد من شيوخ ناحية زبن - كسروان لا إقطاع لهما .
- الشيخ منصور بن شرف الدين ، شيخ ناحية كرك نوح ، لا إقطاع له .

- الامير منصور والأمير حسين شيخي ناحية قبل البعض، لا إقطاع لهما.
- زين الدين ومحمد، شيخي ناحية شوف البياض، لا إقطاع لهما.
- ناصر الدين شيخ ناحية حمارة.
- علاء الدين بن عابر نشه (؟) شيخ ناحية وادي التيم، لا إقطاع له.
- قاتن بن صواني، شيخ ناحية مؤتة، لا إقطاع له.
- الأمير قورقماز، شيخ ناحية ابن معن، لا إقطاع له.
- عز الدين بن علاق، شيخ ناحية شوف ابن علاق.
- شرف الدين والشيخ بدر الدين من شيوخ ناحية برج مبرود، والأمير شرف الدين المذكور زعيم (من الزعماء)، أما بدر الدين فلا إقطاع له.
- علي وأحمد من شيوخ ناحية حبير، لا إقطاع لهما.
- شهاب الدين شيخ إقليم الزبن، لا إقطاع له.
- المقدم محمد والمقدم علاء الدين شيخي ناحية زبين، لا إقطاع لهما.
- غزالي، شيخ عشيرة المساعد (المساعيد) تابع للواء الكرك، لا إقطاع له.
- يونس ويوسف بن عسكر، شيخي عشيرة حسنه، تابع للواء المذكور، لا إقطاع لهما.
- أبناء مغامس شيوخ عشيرة كلابنه، تابع للواء المذكور، لا إقطاع لهم.
- أبناء الشيخ يركين شيوخ عشيرة دميداد، تابع للواء عجلون، لا إقطاع لهم.
- الشيخ أحمد بن الشيخ علي شيخ عشيرة بني سنحى، تابع للواء المذكور. لا إقطاع له.
- الشيخ بدر شيخ عشيرة بني مهدية، لا إقطاع له.
- عشيرة بني سعيد، لا إقطاع لهم أيضاً.
- الشيخ قادر بن ألوان.
- الشيخ منصور بن دردوك شيخ عشيرة كورة الفوقا، لا إقطاع له.
- الشيخ أجود بن نصار شيخ كورة التحتا، لا إقطاع له.
- الشيخ علي، شيخ بن عقبه، لا إقطاع له.

- الشيخ جعبري، شيخ ناحية خليل الرحمن، صاحب تيمار في لواء القدس الشريف.
- الشيخ أحمد بن شفا شيخ ناحية بني زيد في اللواء المذكور، لا إقطاع له.
- الشيخ محمد الحلبس شيخ ناحية بني مازيد (مزيد ؟) تابع للواء المذكور، لا إقطاع له.
- الشيخ محمد بن توبه شيخ عشيرة قوادره تابع للواء نابلس.
- الشيخ يوسف والشيخ إبراهيم باللواء المذكور.
- أولاد حسن، يتبعون اللواء المذكور.
- أبناء كاشف، يتبعون لواء غزة.
- الشيخ يوسف والشيخ عجمي، أرباب تيمار.
- عشيرة بني عطية وبني عطا تابعة إلى اللواء المذكور.
- الأمير علي بن طوره بك، تابع للواء اللجون.
- أمراء أفخاذ التركمان الرحل: عيسى وموسى وتروك وعرب أوغلي.
- أمراء السناجق التابعين إلى بكلر بكية حلب أيضاً.

ورد على نص الحكم ما يلي:

إن مسودة هذا الحكم وصلت من الشهزاده السلطان سليم وأدخلت إلى الداخل (الديوان). وقد ورد خط شريف على المسودة يقضي بكتابة حكم شريف بهذه المسودة نفسها، فكتب [الحكم الشريف] وسلم إلى الجاووش بازند والجاووش مصطفى. في ٢١ رمضان سنة ٩٦٦هـ/٢٣ حزيران ١٥٥٩م.

الأمير حسين بن فخر الدين المعني

- حياتـه وآثـاره -

يلاحظ الدارس لتاريخ بلاد الشام في مطلع القرن السابع عشر الميلادي ظاهرتين متمازجتين. الأولى تتمثل بظهور القوى المحلية والموزعة في الأرياف والبادية ما بين جناحين متخاصمين: الجناح القيسي الذي كان بدؤه بزعامة الأسرة الغزاوية في لواء عجلون ثم تحولت هذه الزعامة إلى الأسرة المعنية الدرزية في الشوف، والجناح الثاني الذي يعرف باليمنية بزعامة آل سيفا في منطقة عكار وطرابلس الشام، تلك الأسرة التركمانية الأصل السنية المذهب، التي عرفت بولائها المستمر للدولة العثمانية.

أما الظاهرة الثانية التي تستلفت نظر الدارس فتمثلت بتفسخ القوة العسكرية النظامية العثمانية، الموزعة في مختلف القلاع والأبراج والحصون في بلاد الشام. ونتيجة لانعدام الضبط والربط، وللظروف الاقتصادية المتردية التي تركت آثارها على أفراد تلك القوة، فإن بعض عناصرها بدأ بالهروب من الخدمة النظامية والالتحاق بقوى الحركة الجلالية الخارجة على الدولة العثمانية في بلاد الأناضول، أو الانضمام إلى زعامات الأسر المحلية لتخدم لديها بصفة مرتزقة. زيادة على ذلك، فإن الغالبية العظمى من العناصر التي لم تهرب، انقسمت على نفسها إلى فئات متناحرة، رأى قسم منها أن يناصر الجناح اليمني، وآثرت الفئات الأخرى أن تأخذ على عاتقها الالتزام بالجناح القيسي.

وبالرغم من تلك الظروف السيئة المليئة بالتفسخ والعداء بين جميع القوى، سواء العسكرية أو المحلية، كما ذكرنا آنفا، فإنّ عدداً من المصاهرات قد تمت بين الأسرتين المتنازعتين: الأسرة المعنية والأسرة السيفية، وذلك في مطلع القرن السابع عشر الميلادي. ومع أن الهدف من وراء تلك المصاهرات كان سياسياً، فإنها على ما يظهر لم تنجح في تحقيق الغاية من ورائها وهي تحسين العلاقات بينهما. فهذا زعيم الأسرة المعنية وكبيرها – الأمير فخر الدين – يعقد قرانه على ابنة الأمير علي بن سيفا شقيق يوسف باشا سيفا. ويثمر هذا الزواج ولدين: الأول: الأمير حسين الذي ولد كما يذكر المؤرخ أحمد بن محمد الصفدي (ت ١٠٣٤هـ/١٦٢٤م) في الرابع عشر من شهر ذي الحجة ختام سنة ١٠٣٠هـ/٢٩ تشرين الاول ١٦٢٠م، والثاني شقيقه حسن الذي كان ميلاده في ليلة السادس من شهر ربيع الثاني سنة ١٠٣٣هـ/٢٦ كانون الثاني ١٦٢٤م[١].

كان الأمير فخر الدين يحاول الحصول على مناصب رفيعة لابنه الأمير حسين وهو مازال طفلاً في المهد. فلم يترك فرصة لتقديمه إلى المسؤولين العثمانيين إلا

---

١ - يذكر الخالدي الصفدي: أن الأمير علي بن فخر الدين كان قد تزوج في سنة ١٠٢٩هـ/١٦١٩م شقيقة الأمير حسن بن سيفا، كما وأن الأمير بلك (بلخ) ابن الأمير يوسف باشا سيفا كان قد تزوج في نفس العام من كريمة فخر الدين المعني. ويذكر عيسى اسكندر المعلوف: بأن الأمير فخر الدين كان قد تزوج مرتين من آل سيفا وأن يوسف باشا تزوج ابنة فخر الدين نفسه، حول هذه المصاهرات راجع أحمد بن محمد الخالدي الصفدي، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، نشره أسد رستم وفؤاد أفرام البستاني، تحت عنوان: لبنان في عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني، الطبعة الثانية، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٩م، ص ١٠٥، ١٦٦؛ أسطفان الدويهي (ت ١٧٠٤م)، تاريخ الأزمنة، نشره الأب فردينان توتل اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥١م، ص ٣١٢؛ طنوس الشدياق (ت ١٨٥٩م)، كتاب أخبار الأعيان في جبل لبنان، ٢ م، حققه فؤاد أفرام البستاني، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٧٠م، م ١، ص ٢٧٩، عيسى اسكندر المعلوف، تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٦م، ص ١٦٩–١٧٠، ص ١٧٩. حول فخر الدين انظر:

Kamal Salibi, « Fakhr al-Din al-Ma'ni », *E.I.*[2], vol. I, p. 749-751.

واغتنمها[٢]. وقد أثمرت هذه الجهود وعادت على الأمير حسين بالنفع الذي كان يرجوه له أبوه، ففي سنة ١٠٣١هـ/١٦٢٢م مر ببيروت خليل باشا[٣] (ت ١٠٣٩–١٠٤٠هـ/١٦٢٩–١٦٣٠م) قائد الأسطول العثماني آنذاك "فأرسل إليه فخر الدين ولده الأمير حسين وكان عمره آنذاك أقل من سنة... وخلع عليه الوزير خليل باشا وأعطاه عرضاً بسنجقية عجلون وقدم إليه خدمة العرض ألف غرش"[٤]. إن فخر الدين، بلا شك، كان يسعى في الحصول على هذا اللواء لابنه الطفل، لتصفية الأسرة الغزاوية زعيمة الجناح القيسي لتؤول هذه الزعامة إليه.

في هذه الأثناء ورد أمر إلى والي الشام بإناطة سنجق عجلون بالأمير أحمد بن حمدان الغزاوي. ولكن الوالي الذي كان، على الأرجح، متواطئاً مع فخر الدين

---

٢ – في صفر سنة ١٠٣٣هـ/١٦٢٣م، مر ببيروت عائداً من الإسكندرية علي باشا الجتشجي آغا الينكجرية سابقاً، وكان قد عين والياً على مصر واعترضت العسكر في مصر على تعيينه فعاد إلى القسطنطينية عن طريق بيروت فاستقبله فيها كل من الأمير حسين وحاكم بيروت الأمير منذر "وأنزلاه هو وعياله وثقله في مكان وأكرماه، فأعطى للأمير حسين خنجراً مرصعاً"؛ الخالدي الصفدي، المصدر ذاته، ص ١٦٠، الشدياق، المرجع ذاته م١، ص ٢٧٨، يذكر المؤرخ المصري أحمد شلبي بن عبد الغني الحنفي المصري، (ت ١١٥٠هـ/١٧٣٥م) عن تولية علي باشا الجتشجي على مصر ما يلي: "فلما بلغ أهل مصر تكدر عيشهم واجتمعوا مع بعضهم البعض في أمر ذلك الوزير وقالوا: كل سبعين يوماً باشا، فهذا مضر بالعسكر والرعية والتقادم، وهذا لا نقدر عليه" وكتبوا بذلك إلى السلطان يطلبون إبقاء الوالي مصطفى باشا فوافق السلطان بعد تدخل شيخ الإسلام، ولقد أخطر الوالي علي باشا باعتراض العسكر على تعيينه، فعاد إلى القسطنطينية، وفي طريق عودته مر ببيروت، انظر: أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات الملقب بالتاريخ العيني، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ١٤٠، والملاحظ أن المحقق قرأ اسمه كما يلي علي باشا النشنشجي.

٣ – حول حياة خليل باشا والمناصب التي تولاها كالصدارة العظمى وإمارة الأسطول، راجع محمد ثريا، سجل عثماني ياخوذ تذكره مشاهير عثمانية، نسخة مصورة عن طبعة اسطنبول، ١٣١١هـ، أعيد تصويرها في مؤسسة:

Gregg International Publishers Limited, Hants, 1971, vol. II, p. 286.

ويصفه الخالدي الصفدي بقوله: "قبودان الأغربة السلطانية"، المصدر ذاته، ص ١١٠.

٤ – الخالدي الصفدي، المصدر ذاته، ص ١١٠؛ الشدياق، المرجع ذاته، م ١، ص ٢٦٦.

ماطل بتنفيذ هذا الأمر، بحجة قرب خروج قافلة الحج الشريف إلى مكة المكرمة، وأن الأمير أحمد لن يتمكن من توفير الحماية الكافية لها ضد أية محاولة محتملة لهجوم القبائل البدوية عليها وهي في طريقها إلى مكة المكرمة.

لقد استطاع الوالي بمماطلته تلك أن يكسب عنصر الزمن للأمير فخر الدين، ففي أثناء ذلك أرسل فخر الدين أحد مماليكه، المعروف باسم محمد آغا أبو شاهين، إلى الحاج درويش وكيل فخر الدين "الذي أوقفه في الباب العالي لقضاء مصالحه يستعجله في الحصول على هذا الحكم، وذلك بتقرير السنجق إلى الأمير حسين[٥].

وتكللت جهود الحاج درويش بالنجاح. ففي شهر ذي الحجة ١٠٣١هـ/ تشرين أول ١٦٢٢م، وصل محمد آغا أبو شاهين من الباب العالي يحمل معه حكماً شريفاً وخلعاً سنية بسنجقية عجلون للأمير حسين. ومن الطريف بالذكر أن الأمير أحمد الغزاوي قصد عون الأمير فخر الدين ليسانده لدى العثمانيين من أجل الحصول على سنجق عجلون، فإذا بالأمير فخر الدين يفاجئه بأمر إناطة هذا السنجق بابنه الطفل حسين. "وكان جواب الأمير أحمد السمع والطاعة لله ولرسوله ولولي الأمر... وقال: أنا أولاً وأخراً منك وإليك وبسنجق وبغير سنجق محسوب عليك"[٦].

لقد تكلف الأمير فخر الدين في الحصول على حكم السنجق للأمير حسين مبلغ عشرة آلاف قرش إضافة إلى الفائدة المرتبة عليها وقدرها خمسة آلاف قرش[٧]. كما وأنه كان من الطبيعي عند وصول هذا الحكم أن يخبر فخر الدين والي الشام بذلك. وهذا الأمر اقتضى منه أن يدفع أيضاً مبالغ إضافية، منها ثلاثة آلاف قرش للوالي نفسه وخمسمائة أخرى لمساعدة (كتخدا الوالي). وزيادة على ذلك دفع مبلغ ألف قرش للدفتردار والكتبة في دمشق. ولم يكن هذا الأمر ليمر دون أن يدفع مبلغ ثلاثة آلاف قرش أخرى لزعماء الإنكشارية في دمشق من أمثال: الحاج كيوان

---

٥ - الخالدي الصفدي، المصدر ذاته، ص ١١٢.

٦ - الخالدي الصفدي، المصدر ذاته، ص ١١٩.

٧ - الخالدي الصفدي، المصدر ذاته، ص ١١٧؛ الشدياق، المرجع ذاته، م ١، ص ٢٦٨.

وطريفي بلوكباش وغيرهم[٨]. ولم تذهب هذه المبالغ سدى، فحال تسلم جميع هؤلاء الزعماء للمبالغ المدفوعة إليهم خرجوا لمقابلة قافلة الحاج الشريف على شكل ما يسمى "بالجردة". وأرسلوا في طلب الأمير فخر الدين ليلحق بهم. فما كان منه إلا أن لبى دعوتهم، واجتمعوا مع أمير قافلة الحاج الشامي في ذاك العام عثمان بك وبأعيان الحجاج في محطة القطرانة. ومن الجدير بالذكر أن عدداً من زعماء العشائر والقوى المحلية في بلاد الشام، ومن بينهم الأمير أحمد بن حمدان الغزاوي نفسه، خرجوا برفقة فخر الدين لملاقاة الحجاج[٩].

طلب الأمير فخر الدين المعني من الأمير أحمد الغزاوي القيام بضبط السنجق له نيابة عن الأمير حسين، وذلك بمقابل أن يتكفل له بدفع كافة المبالغ التي أنفقها في الحصول على السنجق، مضافاً إليها كلفة الجردة التي كانت تربو على ثلاثين ألف قرش في ذلك العام. ولكن الأمير أحمد اعتذر عن ذلك العرض. عندئذ كلف الأمير فخر الدين مملوكه محمد آغا أبو شاهين، المشار إليه سابقاً، أن يكون نائباً عن الأمير حسين. "ووصاه على مراعاة أهالي البلاد ومداراتهم لأنهم خارجون من تحت ظلم وغلاء ولكنهم لم يعرفوا حق مراعاتهم"[١٠].

---

٨ - الخالدي الصفدي، المصدر ذاته، ص ١١٧-١١٨، حول حياة ودور الحاج كيوان بن عبد الله "أحد كبراء أجناد الشام" الذي طعنه الأمير فخر الدين سنة ١٠٣٣هـ/١٦٢٣م ثم أجهز عليه رجال فخر الدين، راجع محمد أمين بن فضل الله المحبي (ت ١١١١هـ/١٦٩٩م)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٤م، تصوير دار صادر، بيروت، ١٩٧٠، م ٣، ص ٢٩٩-٣٠٣، كذلك انظر دراسة نوفان رجا الحمود، العسكر في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين. دار الآفاق، بيروت، ١٩٨١م، ص ١٣٤-١٣٧.

٩ - الخالدي الصفدي، المصدر ذاته، ص ١١٨-١١٩، أما القطرانة فهي محطة على الطريق السلطاني وكانت إحدى منازل الحاج، تقع شرقي الكرك. أمر السلطان القانوني سنة ٩٦٧هـ/١٥٥٩م ببناء قلعة فيها، وشحنها بالمؤن، ويورد لنا إبراهيم بن عبد الرحمن الخياري المدني (ت ١٠٨٣هـ/١٦٧٢م) عند مروره بها سنة ١٠٨٠هـ/١٦٦٩م، وصفاً مفصلاً لبركتها، انظر تحفة الأدباء وسلوة الغرباء، م ١، تحقيق رجاء محمود السامرائي، بغداد، ١٩٦٩م، ص ٨٥، انظر كذلك الغزي، المصدر ذاته، م ٣، ص ١٥٦-١٥٧.

١٠ - الخالدي، الصفدي، المصدر ذاته، ص ١٢٠؛ الدويهي، المصدر ذاته، ص ٣١٤؛ الشدياق، المرجع ذاته، م ١، ص ١٧٠، المعلوف، المرجع ذاته، ص ١٨٢.

في أعقاب انتصار الأمير فخر الدين في معركة عنجر سنة ١٠٣٣هـ/١٦٢٣م على أعدائه من الجناح اليمني، ومن يساندهم من إنكشارية دمشق الشام، قام والي دمشق الشام، رغم مشاركته في هذه المعركة ضد الأمير فخر الدين، بإعادة تقرير السنجق على الأمير حسين[11] . وهذا التصرف جاء على الأغلب، نتيجة لما لقيه الوالي من الاحترام والإكرام على يد الأمير فخر الدين خاصة وأبناء البيت المعني عامة[12] .

بالرغم من جهود الأمير فخر الدين الحثيثة لإضعاف الأسرة الغزاوية، وإبعادها عن ساحة السياسة المحلية في بلاد الشام، إلا أن النجاح لم يكن دائماً حليفه. فالأسرة الغزاوية لم تكف عن المطالبة والسعي للحصول على سنجقية لواء عجلون، وذلك على الرغم من قبول الأمير أحمد بالأمر الواقع. ففي سنة ١٠٣٣هـ/١٦٢٣م قام الأمير بشير عم الأمير أحمد بالهجوم على قلعة عجلون واحتلها وطرد منها حاميتها من جنود الأمير فخر الدين. وبذلك استعاد سنجق عجلون للأسرة الغزاوية.

كان لهذا العمل أثره الكبير في نفس الأمير فخر الدين. فأعد قوة قوامها سبعة آلاف فرد لاستعادة عجلون. وفي الوقت ذاته كان الأمير بشير قد لجأ إلى تكليف الوسطاء للتدخل بينه وبين فخر الدين من أجل تخفيف غضب الأمير وتحويله عن مهاجمة عجلون. فأوفد عدداً من مشايخ جبل عجلون إلى الأميرَ فخر الدين لرأب هذا الصدع. فاشترط الأمير من أجل المصالحة قدوم الأمير بشير عليه، فإن فعل يعينه قائمقام لولده حسين، وإن لم يفعل، فإنه عازم على السير إليه. إلا أن الأمير بشير اعتذر عن الذهاب إلى فخر الدين، وأرسل الوسطاء مرة ثانية محملين بالهدايا إلى الأمير فخر الدين، فقبل الأخير وساطتهم وعين بشيراً قائممقام للأمير حسين. ومن الأرجح أن الأمير فخر الدين كان قد قبل بهذا الحل تحاشياً للاصطدام مرة ثانية مع والي الشام مصطفى باشا، وبعد اصطدامه معه سابقاً في معركة عنجر. لا سيما وأن الوالي كان في ذلك الوقت قد خرج من دمشق إلى البجة في جنوبي حوران

---

١١ - تاريخ التقرير ١٠ رجب ١٠٣٢هـ/ ١٠ أيار ١٦٢٣م، الخالدي الصفدي، المصدر ذاته، ص ١٢٣ ، ١٢٥-١٢٦ ، ١٣٧؛ الشدياق، المرجع ذاته، م ١، ص ٢٦٩ ، ٢٧٧ .

١٢ - الخالدي الصفدي، المصدر ذاته، ص ١٥٥ .

لنصرة الأمير بشير تأهباً للمشاركة في صد أي عمل عسكري سيقوم به الأمير فخر الدين المعني ضد الأسرة الغزاوية بزعامة الأمير بشير[١٣].

إن الأخبار المتوافرة لدينا عن الأمير حسين في مرحلة صباه تكاد تكون معدومة، نظراً لصمت المصادر التاريخية عنه خلال تلك المرحلة من عمره. وجل ما نعرفه عنه أنه عندما شرع والي الشام كجك أحمد باشا[١٤]، تنفيذاً لأوامر السلطان مراد الرابع في سنة ١٠٤٣هـ/١٦٣٣م، بتصفية فخر الدين المعني، ووضع حد لوجوده كقوة محلية متنفذة، أمر فخر الدين ولده حسين وكاخيته (وكيله) أبا نوفل نادر الخازن مع ثلاثة آلاف من المقاتلين بالاعتصام في قلعة المرقب بالقرب من اللاذقية[١٥]. وقد

---

١٣ - الخالدي الصفدي، المصدر ذاته، ص ٢٠٣، الشدياق، المرجع ذاته، م ١، ص ٢٨٧، أما البجة فيعرفها شهاب الدين ياقوت الحموي على أنها "قرية كانت على باب دمشق، معجم البلدان، م ٦، تحقيق فردناند ليبرج، ١٨٧٠، أعيد تصويره بطهران سنة ١٩٦٥م، م ١، ٤٩٦. يذكر السيد محمد عارف بن السيد أحمد المنير الحسني (ت ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م) أن النهر الذي يخرج من المزيريب اسمه البجتة (على الأغلب أن الاسم هو البجة لأن المحقق ذكر أنه غير متأكد من قراءة الاسم)، "ماؤه رديء وفيه سمك كثير من يأكل منه يصب بالحمى"، السعادة الأبدية في السكة الحجازية الحديدية، حقق النص العربي وترجمه إلى اللغة الإنجليزية M. Jacob Landau ونشره تحت عنوان:
The Hejaz Railway and Muslims Pilgrimage: A Case of Ottoman Political Propaganda, Wayne State University Press, Detroit, 1971, p. 275.

١٤ - حول حياة الوالي كوجك أحمد باشا (ت ١٠٤٦هـ/١٦٣٦م)، الأرنودي الأصل، وحول المناصب التي تولاها راجع المحبي، المصدر ذاته، م١، ص ٣٨٥-٣٨٨.

١٥ - الدويهي، المصدر ذاته، ص ٣٢٧، الشدياق، المرجع ذاته، م ١، ص ٧٠، والملاحظ أن آل سيفا كانوا قد تخلوا عن قلعة المرقب، سنة ١٠٣٥هـ/١٦٢٤م لفخر الدين المعني، استرضاء له من جهة ومن أجل أن يمنع عنهم والي طرابلس الشام آنذاك من جهة ثانية، الدويهي، المصدر ذاته، ص ٣٢١، المعلوف، المرجع ذاته، ص ١٨٨، والمرقب قلعة حصينة بالقرب من البحر الأبيض المتوسط (بحر الروم) كانت في العهد المملوكي تشكل عملاً من نيابة طرابلس الشام، ولّى عليها الأمير فخر الدين الشيخ أبا نادر الخازن وذلك سنة ١٦١٧م، انظر أحمد بن علي القلقشندي، (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)؛ صبح الأعشى في صناعة الانشا، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، م ٤، ص ١٤٥-١٤٦، م ٧، ص ١٧٦؛ الشدياق، المرجع ذاته، م ١، ص ٩٦.

تمكن قبطان البحر العثماني المعروف باسم جعفر باشا[١٦] (ت ١٠٤٥هـ/١٦٣٥م) من إلقاء القبض على الأمير حسين مع كاخيته وأرسلهما إلى الوزير العثماني المقيم آنذاك في حلب، ولقد استبقى الوزير العثماني الأمير حسين على قيد الحياة وأرسله إلى القسطنطينية، وكان عمره حينذاك ثلاثة عشر عاماً[١٧]، بينما تمكن أبو نوفل من الهرب من حلب والعودة من جديد إلى بلاد كسروان.

وكان من المتوقع أن يصفح السلطان مراد الرابع عن الأمير فخر الدين وعن أولاده وأفراد أسرته الذين رافقوه في الأسر إلى القسطنطينية. إلا أن فرار الأمير ملحم ابن الأمير يونس المعني، ابن أخ الأمير فخر الدين، وشنه الغارات على منافسي البيت المعني من اليمانية من جهة، وعلى العساكر العثمانية في ولاية الشام من جهة ثانية، أثارت حفيظة السلطان وأوغرت صدره. فأمر السلطان في ٤ شوال سنة ١٠٤٥هـ/١٣ نيسان ١٦٣٥م[١٨] بقتل فخر الدين وأولاده وأفراد أسرته. إلا أن الأمير حسين كان قد نجا من ذلك الحكم[١٩]. ويفسر ذلك بما يلي:

"وأما المترجم (حسين) فلكونه صغيراً رشيداً فالحاً أبقوه في سراي القلعة كعاداتهم وعدل عن مذهب أسلافه وتبع منهج الإسلام"[٢٠].

---

١٦ - حول جعفر باشا، راجع محمد ثريا، المرجع ذاته، م ٢، ص ٧٣.

١٧ - الدويهي، المصدر ذاته، ص ٣٢٧؛ المعلوف، المرجع ذاته، ص ٢٠٥، ص ٢١٠.

١٨ - راجع المحبي، المصدر ذاته، م٣، ص ٢٦٦؛ نعيمه، المصدر ذاته. انظر أيضاً الترجمة الإنجليزية لبعض أقسام تاريخ نعيمة المنشورة باسم:
Annals of the Turkish Empire from 1591-1629 by Naima, translated by Charles Fraser, London, 1832, Reprint Arno press, N.Y. 1973, 422-425.
كذلك راجع الدويهي، المصدر ذاته، ص ٣٢٩، كان ولده علي قد قتل في الاصطدام مع الوالي عثمان كجك باشا سنة ١٠٤٣هـ/١٦٣٣م، أما ولده حسن فقد خنق مع نساء فخر الدين في دمشق أما أولاده منصور وحسن وبلك فقد رافقوه إلى اسطنبول. الدويهي، المصدر ذاته، ص ٣٢٧؛ عيسى اسكندر المعلوف، المرجع ذاته، ص ٤١-٤٢، ٢٤٤-٢٤٦.

١٩ - انظر تاريخ نعيمة: روضة الحسين في خلافة أخبار الخافقين، ٦ م، نشره بالحرف التركي الجديد، زهوري دانشمان، اسطنبول، ١٩٦٧-١٩٦٩م، م ٣، ص ١٢٢٩-١٢٣٠.

٢٠ - المرادي، المصدر ذاته، م ٢، ص ٥٩-٦٠.

إن تلك الضربة التي نزلت بالأسرة المعنية تركت أثراً حزيناً في نفس الأمير حسين، كما وأنها تمثل نقطة تحول في حياته كما سنرى فيما بعد. وربما كان في الشعار الذي نقشه على خاتمه ما يفسر لنا بعضاً من جوانب حياته النفسية وانعكاس ذلك على مسلكه الإداري، إذ كان ينص على أن: "أغنى الغنى في ترك المنى"[٢١]. وإلى مثل هذا الزهد والتواضع أشار صديقه وتلميذه مؤرخ البلاط العثماني مصطفى نعيمة بن محمد آغا بن كوجك آغا (١٦٦٥–١٧١٦م) في كتابه المعروف باسم "روضة الحسين في خلاصة أخبار الخافقين".

مما لا شك فيه أن الأمير حسين قد أثبت كفاءة نادرة أتاحت له التقدم في مراتب الإدارة العثمانية. ففي مطلع حياته عمل في ما كان يعرف بـ(خاصة أوده سي) في القصر السلطاني. وترقى بعد ذلك في المناصب فعمل أمين سر (سر كاتب) للسلطان محمد الرابع (١٠٥٨هـ/١٦٤٩م–١٠٩٩هـ/١٦٨٧م). ثم تولى فيما بعد وظيفة كتخدا الخزينة السلطانية (نائب رئيس المالية السلطانية) وكانت هذه الوظيفة من المناصب الرفيعة في القصر السلطاني. إن تولي الأمير حسين تلك الرتب الرفيعة جلب له الشهرة ولفت إليه الأنظار. ففي ٦ رجب ١٠٦١هـ/ ٣٠ نيسان ١٦٥٦م، أصبح رئيس الحرس السلطاني[٢٢] قابجى باشا Kapicibashi. ويذكر المرادي أن الوزارة كانت قد عرضت عليه واعتذر عنها[٢٣].

---

٢١ – راجع مخطوط التمييز نسخة أسعد أفندي، رقم ٢٥٥١، هامش ورقة حيث نجد عليها صورة لخاتم حسين بن فخر الدين. انظر صورة الختم على كتاب التمييز الذي نشره محمد عدنان البخيت ونوفان رجا الحمود، دار الشروق، عمان.

٢٢ – نعيمة، المصدر ذاته، م ٣، ص ١٢٢٩–١٢٣٠؛ المرادي، المصدر والمكان ذاتهما.

٢٣ – المرادي، المصدر ذاته، م ٢، ص ٦٠، يذكر المرادي أنه عند ترك حسين للوظيفة أنه خرج برتبة الخواجكانية على القواعد العثمانية وتولى عدة مناصب بمقتضى الرتبة المذكورة. أما "خواجكان" فإنه مصطلح من أصل فارسي كان يستخدم لوصف عمل كبار الموظفين العاملين في إدارة الخزينة السلطانية بعد أن يكونوا قد عملوا في الديوان السلطاني. وكانوا يعينون من قبل الوزير. راجع:
Lewis THOMAS, *A study of Naima*, Edited by Norman Itzkowitz, N.Y.U. Press, 1972, p. 22-24.

ولقد بلغ الأمير حسين منزلة خاصة في نفس السلطان محمد الرابع. ففي سنة ١٠٦٦هـ/١٦٥٦م أوفده السلطان سفيراً (إلجي) عنه إلى دلهي موفداً إلى سلطان المغول شاه جهان (١٠٣٧هـ/١٦٢٨م-١٠٦٨هـ/١٦٥٧م). والجدير بالذكر أن تلك السفارة كانت رداً على سفارة أرسلها السلطان شاه جهان إلى السلطان محمد الرابع. ولقد أشارت المصادر المتوفرة لدينا عن هذه السفارة[٢٤] كما وأشار إليها أيضاً الأمير حسين نفسه في كتابه التمييز. حيث يذكر ذلك بشكل مقتضب، وعلى النحو التالي: "... وكفى بالمرء حرصاً على الدنيا ركوبه البحر لأجل تجارة. قيل لي ما رأيت من عجائب بحر الهند وكنت توجهت مأموراً برسالة الملك فقلت خلاصي منه"[٢٥]. إلا أن المصادر المتوفرة لدينا لم تزودنا بالغاية من رواء تلك السفارة ولا عن النتائج التي تمخضت عنها. ولكن على ما يبدو أنها لم تكلل بالنجاح. ومما تجدر الإشارة إليه أن الأمير حسين بن فخر الدين كان قد رافق السفير الهندي في طرق عودته إلى بلاده، فوصلا البصرة، ومن هناك سافرا بحراً إلى الهند. وكان وصولهما إليها بعيد وفاة السلطان شاه جهان، ليجدا أن الصراع قد تفجر بين ابنائه كل يحاول الفوز بالحكم لنفسه. فما كان من الأمير حسين إلا الإسراع في العودة إلى القسطنطينية، حاملاً معه رسالة شكر ومجاملة من الأمير مراد بخش ابن السلطان شاه جهان إلى السلطان العثماني[٢٦]. والأرجح أنه في طريق عودته كان قد مر ببلاد

---

٢٤ - نعيمة، المصدر ذاته، م ٥، ص ٢٣٧٣-٢٣٧٥، ٢٤٧١، م ٦، ص ٢٦٩٨؛ المرادي، المصدر ذاته، م ٢، ص ٥٩-٦٠؛ المعلوف، المرجع ذاته، ص ٢٤٩.

٢٥ - مخطوط التمييز، نسخة داماد إبراهيم، رقم ٩٤٥، ورقة ١٩٨ب-١٩٩أ. وكان داماد إبراهيم وزيراً للسلطان أحمد، وعلى هامش هذه النسخة ختم الوزير المذكور.

٢٦ - انظر Lewis Thomas المرجع ذاته، ١٤١، ١٤٧، حول شهاب الدين شاه جهان (١٠٣٧هـ/ ١٦٢٨م - ١٠٦٨هـ/ ١٦٥٧م)، راجع فصل المغول في كتاب:
Stanley Lane-Poole, *The Muhammadan Dynasties*, Reprint Khayats, Beirut, 1966, p. 322-329.

وكذلك راجع:
C. E. Bosworth, *Islamic Surveys: The Islamic Dynasties Edinburgh*, U. P, 1967, p. 210-213.

الشام، وليس كما يذكر المرادي أنه كان قد غادر إلى الهند من صيدا. وبهذا الخصوص يقول المرادي ما يلي: "فلما سمع بوصوله قريبه الأمير أحمد بن معن حاكم بلادهم إذ ذاك وأقاربه بني شهاب أمراء وادي التيم... ذهبوا لاستقباله واجتمعوا به في حاصبيا ثم عرضوا عليه حكومة بلادهم وكلفوه أن يصير حاكماً عليهم فقال لهم كيف بعد خدمة الدولة والسلطان والرتب السامية السلطانية أصير حاكماً على بلاد الدروز بعد أن استظليت بظل الدولة وارتضعت أفاويق نعمتها وشملتني ببرها وهبتها، فهذا أمر محال[٢٧].

وكما أشرنا سابقاً أن سفره كان أولاً إلى الهند عن طريق البصرة وذلك سنة ١٠٦٦هـ/١٦٥٦م. وكانت وفاة ابن عمه الأمير ملحم بن يونس بن معن في سنة ١٠٦٩هـ/١٦ أيلول ١٦٥٨م، حيث ترك من بعده ولدين: قرقماش الذي قتل سنة ١٠٧٣هـ/١٦٦٢م، وأحمد الذي يذكره المحبي[٢٨] بقوله: "وأما أحمد فإنه الآن باق وهو أمير بلادهم"، مما يرجح القول بأن لقاء الأمير حسين مع الأمير أحمد كان في طريق عودة الأول من بلاد الهند، أو في إحدى رحلات الأمير حسين إلى خارج القسطنطينية إن كان قد رحل. كما وأنه لا يعقل أن يكون جواب الأمير حسين بالصيغة التي أوردها لنا المرادي الذي لم يذكر لنا مصدر روايته ولا سندها وخاصة عندما يقول: "... أصير حاكماً على بلاد الدروز".

والجدير بالذكر أن السلطان العثماني سليمان الثاني (١٠٩٩هـ/١٦٨٧م - ١١٠٢هـ/١٦٩١م) كان قد بعث في سنة (١٠٦٨هـ/١٥٨٦ - ١١١٨هـ/١٧٠٧م) نشر نص هذه الرسالة H. Bayur تحت عنوان:

« Osmanli Padishahi II, Suleymanin Gurkanli Padishah 1. Alemgir (Evren-Gzib) e mektubu » Belleten, 14, 1950, p. 269-287.

انظر أيضاً الإشارة إليها في كتاب:

Jan Reychman and Ananiasz Zajaczkowski, *Handbook of Ottoman - Turkish Diplomatics*, Translated by A.S. Ehrenkreutz, Mouton, 1968, the Hague, Paris, p. 92.

٢٧ - المرادي، المصدر والمكان ذاتهما.

٢٨ - المحبي، المصدر ذاته، ص ٤٠٨-٤٠٩، المصدر ذاته، ص ٣٥٥، ٣٦٠.

من الواضح لنا أن علاقة الأمير محمد حسين، بعد عودته من سفره ذاك، لم تكن ودية مع الصدر الأعظم الجديد محمد كوبريلي[٢٩] (١٦٥٦-١٦٦١م)، إذ أنه لم يسند إليه أي منصب، مما حدا بالأمير حسين إلى الانصراف إلى حياة المطالعة والتأليف، وساعده على ذلك وجود مكتبة غنية لديه احتوت على نوادر المؤلفات، أشار لبعضها المؤرخ نعيمة نفسه الذي كان قد اتصل آنذاك بحسين وأخذ عنه[٣٠].

ومن حسن حظ الأمير حسين أن الصدر الأعظم لم يتعرض لأملاكه ولم يصادر موجوداته، فكانت توفر له دخلاً ضمن له الانصراف للبحث والتأليف إلى حين وفاته. لقد انتقلت تركته هذه فيما بعد إلى زوجته التي اقترنت بأحد رجال الاسباهية، الذي كان يعرف باسم صالح، ولكن بعد زواجه من أرملة حسين، أصبح يعرف باسم معن أوغلو[٣١].

ويذكر المؤرخ نعيمة الذي كان وثيق الصلة بالأمير حسين خلال أواخر سني عمره، كانت وفاة الأمير حسين سنة ١١٠٢هـ/ ١٦٩٠م[٣٢]. ومثل هذا التاريخ يورده أيضاً محمد ثريا[٣٣]. أما المرادي فيذكر أن وفاته كانت سنة ١١٠٩هـ/ ١٦٩٧م، حيث يقول "ولم يزل في قسطنطينية له الشهرة بين رؤسائها حتى انتقل إلى رحمة مولاه وكانت وفاته بها سنة تسع ومائة وألف عن نيف وسبعين"[٣٤]. والتحقق من تاريخ الوفاة مهم جداً ذلك للتأكد من صحة الرواية التي أوردها البطريرك اسطفان

---

٢٩ - حول نشأته وتكوينه الإداري والمناصب التي تولاها قبل أن تسند إليه الصدارة العظمى، انظر:
Edward Creasy, *History of the Ottoman Turks*, Reprint, Khayats, Beirut, 1961, p. 273-277.

انظر أيضاً ترجمته في المحبي، المصدر ذاته، م ٤، ص ٣٠٩-٣١١.

٣٠ - من هذه الكتب النادرة نسخة من كل من الشاهنامة الفردوسي، وكنه الأخبار لعالي وتاريخ واصف Lewis Thomas, *Ibid.*, p. 144.

٣١ - لويس توماس، المرجع ذاته، ص ١٤٢.

٣٢ - نعيمة، المصدر ذاته، م ٣، ص ١٢٣٠.

٣٣ - محمد ثريا، المرجع ذاته، م ٢، ص ١١٩.

٣٤ - المرادي، المصدر ذاته، م ٢، ص ٦٠.

الدويهي والتي نقلها عنه من بعده بعض المؤرخين اللبنانيين. وأهمية هذه الرواية تدور حول الدور الذي قام به الأمير حسين في تقرير شخص الحاكم على الشوف من البيت الشهابي، بعد انقراض البيت المعني في الشوف وانتقال الحكم إلى أصهارهم من الأسرة الشهابية. فمن المعروف أن الأمير أحمد، آخر حاكم من البيت المعني، كان قد توفي في ١٥ أيلول سنة ١٦٩٧، وبعد ذلك يقول الدويهي – وهو معاصر لهذا الحدث (ت سنة ١٧٠٤م) – ما يلي: "واجتمعوا أعيان بلاد الشوف من أمراء ومقدمين ومشايخ فاختاروا الأمير بشير بن الشهاب يتأمر على الجميع"[٣٥]. وأرسل الوالي بذلك إلى القسطنطينية، فجاء الجواب في أواخر السنة المذكورة على غير ما قرر "الأعيان" حيث يذكر الدويهي مرة أخرى ما يلي: "ورد الأمر من الباب الأعلى بأن الأمير حيدر بن موسى الشهابي يكون محافظ المقاطعات التي كانت بيد الأمير أحمد بن معن لكونه ابن بنته، وكان ذلك على يد الأمير حسين بن فخر الدين أمير الشوف وأن الأمير بشير يكون وكيله في الحكم لكونه قاصراً ابن اثنتي عشر سنة"[٣٦].

فإذا كان الأمير حسين قد توفي سنة ١١٠٢هـ/١٦٩٠م فمعنى ذلك أنه لم يكن له دور يذكر في أمر تقرير اختيار الشخص الشهابي لوراثة الحكم. أما إذا كان قد توفي سنة ١١٠٩هـ/١٦٩٧م وهي سنة وفاة الأمير أحمد، فهذا يعني أنه كان قد استشير في هذا الأمر وهو على فراش الموت، كل هذا يدعو لإعادة النظر في رواية نعيمة ومن أخذ عنه من المؤرخين فيما بعد.

إن أهمية الأمير حسين بن فخر الدين، في رأينا، لم تكن فقط في المناصب التي أسندت إليه، بل أيضاً في المعلومات التاريخية التي أخذها ورواها عنه مشافهة المؤرخ نعيمة ومما يزيد في أهميته الأثر القيم الذي خلفه لنا من بعده ألا وهو كتاب التمييز.

---

٣٥ – الدويهي، المصدر ذاته، ص ٣٨٢–٣٨٣.

٣٦ – المصدر والمكان ذاتهما، راجع أيضاً حيدر أحمد الشهابي، الغرر الحسان في أخبار أبناء الزمان، القسم الأول، تحقيق أسد رستم وفؤاد افرام البستاني، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، سنة ١٩٦٩م، ص ٣–٥، طنوس الشدياق، أخبار الأعيان، م ٢، ص ٣١١، كمال الصليبي، تاريخ لبنان الحديث، دار النهار للنشر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٢م، ص ٣١–٣٢.

يذكر نعيمة في تاريخه أنه أخذ شفاها عن الأمير حسين معظم أخباره عن عهدي السلطانين إبراهيم وولده السلطان محمد الرابع[٣٧] . إلا أن المؤرخ الأمريكي Lewis V. Thomas الذي درس نعيمة دراسة وافية لا يرى أن اعتماد نعيمة على الأمير حسين كان على الصورة التي ذكرها نعيمة نفسه، بل يعتقد أن اعتماده على الأمير حسين كان محدوداً إلى درجة بعيدة[٣٨] . والجدير بالذكر أن نعيمة عندما ذكر في أخبار الأمير فخر الدين فإنه أوردها بما يتفق مع وجهة النظر العثمانية الرسمية في اعتبار فخر الدين عاصياً وخارجاً على السلطة الشرعية، وأنه نال عقابه الذي يستحقه من الموت[٣٩] .

كان عيسى اسكندر المعلوف من أوائل الذين أشاروا لكتاب التمييز الذي ألفه الأمير حسين بن فخر الدين المعني، ولكن لم يقدر له الإطلاع على نسخ الكتاب بل كان جل ما رآه مختصراً له باسم (منتخبات من كتاب التمييز) محفوظة في الخزانة الملكية بالقاهرة وتقع في ثمان وعشرين صفحة بقطع الثمن. ومن الإشارات التي يوردها الأستاذ المعلوف يتضح لنا أنه لم يطلع على نص كامل لهذا العمل[٤٠] .

---

٣٧ - نعيمة، المصدر ذاته، م ٣، ص ١٢٢٩ .

٣٨ - راجع: Lewis Thomas, *A study of Naima*, p. 142-145 .

٣٩ - راجع نعيمة: *Annals of the Turkish Empirc*, p. 422-425 .

٤٠ - راجع عيسى اسكندر المعلوف، "كتاب التعبير في المحاضرات: مخطوط للأمير حسين ابن فخر الدين المعني، المشرق، م ٢٧ ، ١٩٢٩م، ص ٨١١-٨١٥، وانظر أيضاً تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني، ص ٢٥٠-٢٥١، راجع أيضاً إشارة محمد ثريا، سجل عثماني، م ٢، ص ١١٩ ، وكذلك انظر إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، م ٢، نسخة مصورة عن طبعة اسطنبول، ١٩٥١م، تصوير مكتبة المثنى، بغداد، م ١، ص ٣٢٤، كما أن بروكلمان أشار للمختصر في المكتبة الملكية بالقاهرة وكذلك أشار إلى نسختين في مكتبة داماد إبراهيم تحملان الرقمين ٩٤٥ ، ٩٤٦ . Brockelmann, Karl, G. I., p. 466

إلا أنه لحسن الحظ تيسر لي أن أجمع صوراً شمسية لعدد من نسخ هذا الكتاب[٤١] الذي ألفه الأمير حسين معن زاده. ولقد أشار نعيمة إلى هذا المؤلف وأطنب في

٤١ – لدينا صورة شمسية للنسخ التالية من كتاب التمييز:

١) مخطوط جامعة Yale مجموعة لاندربيرج ٨٤، عدد الأوراق ٢٢٦، وجاء في ختامها ما يلي: وقد وقع الفراغ من جمعه وتحريره ووضعه وتسطيره في أواسط شهري ذي الحجة لسنة سبع وتسعين وألف والحمد لله رب العالمين. حول الوصف المختصر لهذا المخطوط الذي ذكره ليون نموي Leon Nemoy راجع فهرسه:

Arabic Manuscripts in the Yale University Library, Yale University Press, 1956, No 446 (L-84), p. 59.

٢) نسخة نور عثمانية رقم ٣٧٥٥ عدد أوراقها مائة وسبعون ورقة، في كل صفحة ١٩ سطراً، وجاء في نهايتها ما يلي: "وقع الفراغ من تحرير هذا الكتاب من نسخة بخط مؤلفه في أوائل شهر ربيع الأخر ١١٠٠ سنة مائة وألف هجرية".

٣) مخطوط الأحمدية رقم ٦٩٠ عدد أوراقها ١٩٤، وعدد الصفحات ٣٨٩ صفحة، في كل صفحة ١٩ سطراً مع شروحات قليلة جداً على الهوامش، وجاء في نهايته "وقد وقع الفراغ من تحرير هذا الكتاب من نسخة بخط مؤلفه في أواخر شهور شعبان لسنة أحدى وماية وألف هجرية والحمد لله.

٤) مخطوط مكتبة داماد إبراهيم رقم ٩٤٥ عدد أوراقها ٢٧٨ وفي كل صفحة بها ١٩ سطراً وجاء في ختامها: "وقد وقع الفراغ من تحرير هذا الكتاب من نسخة بخط مؤلفه على يد سليمان بن محمد في أوائل شهر محرم سنة اثنين ومائة وألف" وعلى أخر صفحة جاء ما يلي: "نظر فيه مؤلفه عفي عنه".

٥) مخطوط مكتبة أسعد أفندي رقم ٢٥٥١ عدد أوراقها ٣١٩ وعدد الصفحات ٦٣٩، في كل صفحة ١٧ سطراً وتاريخ نسخها سنة ١١٠٢هـ.

٦) مخطوط عاطف أفندي رقم ٢٢٣٣، عدد أوراقها ٢٠٦ في كل صفحة ١٩ سطراً، جاء في نهاية المخطوط ما يلي: "وقد وقع الفراغ من تحرير هذا الكتاب من نسخة بخط مؤلفه في نصف شهر شعبان لسنة مائة وسبع وألف والحمد لله.

٧) مخطوط نور عثمانية رقم ٣٧٥٦ عدد أوراقها ٣٥٨، تاريخ نسخها سنة ١١٠٨هـ، وجاء في أعلى أول صفحة "وقف للسلطان عثمان بن مصطفى" ويلي ذلك: "وهو الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله" ويلي ذلك طفرة السلطان.

٨) نسخة داماد إبراهيم رقم ٩٤٦ "نسخة ثانية غير التي تحمل رقم ٩٤٥"، عدد أوراقها ٢٩٢، في كل صفحة ١٩ سطراً، خطها يشبه خط النسخة رقم ٩٤٥، إلا أن تاريخ نسخ هذه النسخة هو سنة ١١٠٩هـ.

الثناء عليه بل زيادة على ذلك يذكر أنه بناء على تكليف من حسين نفسه قام نعيمة نفسه باستنساخ لهذا الكتاب، نسخة منها قدمت للوزير الأعظم حسين كوبريلي[٤٢] . ومما يلفت النظر أن جميع النسخ المتوافرة لدينا مكتوبة بخط في غاية الجمال والأناقة والوضوح . ومن أقدم النسخ الموجودة لدينا صورة عن نسخة محفوظة في مكتبة جامعة (ييل) بالولايات المتحدة الأمريكية، وهي من ضمن مجموعة (لاندبرغ)[٤٣]، عدد أوراقها مائتان وست وعشرون ورقة، وعلى الأرجح أنها نسخة المؤلف، حيث جاء في نهايتها : "وقد وقع الفراغ من جمعه وتحريره وتسطيره في أواسط شهر ذي الحجة لسنة سبع وتسعين وألف، والحمد لله رب العالمين" . فإذا كان هذا تاريخ الفراغ من تأليف الكتاب فيعني ذلك أنه فرغ منه في مطلع تشرين الثاني لعام ١٦٨٦م، وهذا يشير بوضوح إلى أنه كان قد انجز هذا العمل بعد عودته من سفارته حيث وجد لديه الوقت الكافي للتفرغ لهذا العمل، لا سيما أنه لم يسند إليه عمل رسمي في عهد أسرة كوبريلي كما أشرنا .

ونجد أن المؤلف قسم كتابه هذا إلى ستة وعشرين باباً، ألحق بكل باب منها فصلاً . ويستهل كل باب بعنوان "باب في مدح كذا" ثم يتبع ذلك بفصل يذكر فيه "ومما قيل فيه" ولقد جاءت أبوابه وفصوله على النحو التالي :

---

٩) نسخة بشير بوبو رقم ٣٧٥٣ عدد أوراقها ٢٠٢، في كل صفحة ١٩ سطراً، تاريخ الوقف حوالي ١١٣٠هـ.

١٠) نسخة نور عثمانية رقم ٣٧٥٣ عدد الأوراق ٢٠٢ في كل صفحة ١٩ سطراً، بلا تاريخ.

١١) قطعة من كتاب التمييز – مكتبة عاطف أفندي رقم ٢٢٣٣ .

١٢) قطعة من كتاب التمييز – من مكتبة نور عثمانية ورقة ١٦٠–١٦٣ .

٤٢ - نعيمة، المصدر ذاته، م ٣، ص ١٢٢٩–١٢٣٠، حول عمجا زاده حسين باشا كوبريلي (ت ١١١٤هـ/١٧٠٢م)، انظر:

Orhan F. Koprulu, « Amdja - Zade Husayn Pash », *E.I.*[2], vol. III, p. 626-627.

٤٣ – انظر الهامش رقم (٤١) ١ .

١- باب في مدح العقل	فصل ومما قيل في العقل
٢- باب في مدح العلم	فصل ومما قيل فيه
٣- باب في مدح الحلم	فصل ومما قيل في الحلم
٤- باب في مدح الحياء	فصل ومما قيل في الحياء
٥- باب في مدح الصبر	فصل ومما قيل في الصبر
٦- باب في مدح المشورة	فصل ومما قيل في المشورة
٧- باب في مدح الشجاعة	فصل ومما قيل في الشجاعة
٨- باب في مدح الأدب	فصل ومما قيل في الأدب
٩- باب في مدح الصمت	فصل ومما قيل في الصمت
١٠- باب في مدح الفقر	فصل ومما قيل في الفقر
١١- باب في مدح الغنى	فصل ومما قيل في الغنى
١٢- باب في مدح القناعة	فصل ومما قيل في القناعة
١٣- باب في مدح الأصدقاء	فصل ومما قيل في ذلك
١٤- باب في مدح العزلة والوحدة	فصل ومما قيل في حق الغزلة والوحدة
١٥- باب في مدح العتاب	فصل ومما قيل في حق العتاب
١٦- باب في مدح الزيارة	
١٧- باب في مدح الهدية	فصل ومما قيل في حق الهدية
١٨- باب في مدح الجود والسخاء	فصل ومما قيل في ذلك
١٩- باب في مدح صيانة المال	فصل ومما قيل في البخل
٢٠- باب في مدح التجارة	فصل ومما قيل في حق التجارة
٢١- باب في مدح النساء والعيال	فصل ومما قيل في التزويج
٢٢- باب في مدح السفر والغربة	فصل ومما قيل في حق السفر والغربة
٢٣- باب في مدح الشباب	فصل ومما قيل في حق الشباب
٢٤- باب في مدح الشيب	فصل ومما قيل في حق الشيب
٢٥- باب في مدح المرض والأسقام	
٢٦- باب في مدح الموت	فصل ومما قيل في حق الموت

وعند تقصي أسماء المصادر التي رجع إليها، نجد أنه اعتمد كثيراً في اقتباساته على القرآن الكريم وكتب التفسير، هذا بجانب إفادته من صحاح وأسانيد الحديث النبوي الشريف. وبهذا الصدد تجب الإشارة للمكانة الكبيرة التي أفردها في كتابه للأقوال المنسوبة للامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما جاءت في كتاب نهج البلاغة. ولا شك أن كتاب التمييز يدل على أن صاحبه كان ذا اطلاع واسع على دواوين الشعر العربي والفارسي، كما يظهر من كثرة استشهاداته الشعرية. وأن كثرة الشواهد الشعرية التي ترجع في نسبها، لشعراء العربية من المتقدمين والمتأخرين تعزز هذا الرأي، وشملت مصادره أيضاً كتب الأنساب وطبقات الرجال والمجاميع الأدبية والمعاجم اللغوية، وكتب الطب. ومما يستلفت النظر أن صاحب التمييز قد استفاد كثيراً من كتاب (إحياء علوم الدين).

والجدير بالذكر أن نعيمة يشير إلى كتاب أخر من تأليف حسين بن فخر الدين يتناول الترجمة لعلماء عصره[٤٤]. لكن الفهارس المتوافرة لدينا لا تشير لمثل هذا الكتاب، الذي إن وجد، أو إذا تيسر لأحد الباحثين استكشافه من إحدى خزائن المخطوطات المغمورة أو المشهورة، فإنه سيكون من المصادر المهمة التي تزودنا بتراجم لأعيان القرن السابع عشر الميلادي.

---

٤٤ – نعيمة، المصدر ذاته. لقد قمت مع زميلي نوفان الحمود السوارية بتحقيق كتاب التمييز لحسين بن فخر الدين بن قرقماس المعني وقدمنا للتحقيق بدراسة وافية مستقاة من ضمن النص ونشرته دار الشروق بعمان عام ٢٠٠١م .

مسيرة دمشق الشام وسيرة يوسف بن حسين الإيبش
(١٩٢٥-٢٠٠٣م)

اتّسمت مدينة دمشق الشام - شأنها في ذلك شأن بقية الحواضر العربية الإسلامية الكبرى - بظاهرة التعدّد السكاني والتنوّع الثقافي، إذ وفد إليها أناس من مختلف أنحاء العالم الإسلامي فاستطاعت أن تتحوّل بالجميع إلى اللسان العربي وإلى الانتماء إلى الإسلام، ولكنها لم تحاول أن تُجبر فئة أو أكثر على التخلّي عن لسانها وعاداتها مادامت منسجمة مع العرف العام السائد، وتسامحت دمشق مع بقية الجماعات من المسيحيين على مختلف كنائسهم ومثل ذلك مع اليهود، واستقبلت باستمرار المهاجرين واللاجئين وآوتهم جميعاً وأصبحوا من خلص أبنائها. ومن هنا عرفت دمشق الشام إحدى جنّات الدنيا الأربع وما يُحيط بها من قرى في الغوطة والمرج تشكيلاً سكانياً متنوعاً أيضاً وتآلف الجميع بالانتماء إلى الثقافة العربية الإسلامية، وأصبحت دمشق الواحة المحروسة شمالاً بجبل قاسيون الذي يحميها من غضب الطبيعة ومن غوائل الزمن ومن على قمته يشرف الإنسان منها على دنيا الشام فيرى الماء ينساب في أنهارها، والتي بفضلها أصبحت دمشق الشام وجوارها "دار قرار ومعين" وقد عمرتها المساجد والمدارس والتكايا والبيمارستانات والكنائس والكنس وجرت إليها جميعاً المياه. ومن هذا التقليد التاريخي المتراكم اعتادت مدينة دمشق احتضان السكان الجدد فيما بعد من العرب والأتراك والتركمان والأكراد والشراكسة والششن والبشناق والأرناؤوط والطاغستان والفرس والمصريين والجزائريين والمغاربة

والأفغان والهنود والأرمن والروم بالإضافة إلى استمرار تدفق العرب عليها وعلى محيطها من الجزيرة العربية ومن البادية الشامية منذ أن تديرها معاوية بن أبي سفيان (تولى ربيع الأول ٤١هـ/ تموز /آب ٦٦١م، توفي ٦٠هـ/نيسان/أيار ٦٨٠م) واختارها لتكون عاصمة لدار الإسلام. ولحظ المؤرخون والرحالة هذه الظاهرة، مثل الرحالة العثماني كاتب أوليا جلبي (ت ١٠٩٥هـ/١٦٨٣م) الذي زار دمشق وترك لنا وصفاً ماتعاً عنها. وبالرغم من أن شمس عزّ الشرق قد بدأت بالغروب عنها بعد نقل مركز الخلافة منها إلى بغداد إلا أن أنوارها عادت وأشرقت من جديد بعدما اتخذها تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان (٤٧١-٤٨٨هـ/١٠٧٨-١٠٩٥م) عاصمة لفرع الأسرة السلجوقية في بلاد الشام ونقش حضوره فيها بتشييد مسجد فيها يحمل اسمه مرسياً بذلك تقليداً استمر لعدة قرون لمن جاء من بعده من الحكام في دمشق في بناء العمائر الخيرية فيها. واتجهت إليها أنظار العشائر التركمانية والتركية من الغُزّ وغيرهم في أعقاب الانتصار الحاسم الذي أحرزه السلطان السلجوقي ألب أرسلان على الإمبراطور البيزنطي (Romanus Diogenes) في معركة ملازكرد في سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م. وخاصة بعد أن أجهز سليمان بن قتلمش السلجوقي صاحب الروم يوم الجمعة ١٥ صفر ٤٧٨هـ/ ١٢ حزيران ١٠٨٥م على أقوى وجه عربي حاكم من إمارة العقيليين أبي المكارم شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي أمير حلب والموصل وديار ربيعة وبلاد ري الفرات وسليل الإمارة العربية في شمالي بلاد الشام والعراق، وعلى أثر ذلك انحسر النفوذ العربي مفضياً بالبلاد للأتراك حيث تدفقت عشائر الترك والغُزّ وغيرهما على بلاد الأناضول وبعضها إلى بلاد الشام. ولاحظ المؤرخون الذين سجّلوا لنا أسماء سلاطين دمشق وأمراءها منذ تلك المرحلة أن غالبيتهم العظمى كانت من الأتراك والأكراد مما فسح المجال واسعاً لمثل هذا النزوح إلى دمشق في عهد الأسرة البورية (٤٩٧هـ/ ١١٠٤م - ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م)، والأسرة النورية الزنكية تركية الأصل ومن ثم في عهد الأسرة الأيوبية الكردية التي نهضت بمشروع الجهاد الذي بدأه الزنكيّون ضد الفرنجة الذين هددوا دمشق أكثر من مرة فجاء الحشد والتجمع والمرابطة في دمشق الشام وبلادها للدفاع عنها وعن بقية بلاد

الشام. وكان من نتاج ذلك أن عناصر جديدة من المحتشدين أخذت تستقر في دمشق الشام التي قصدها أيضاً المهاجرون من نابلس وما جاورها من القرى الذين أووا إلى إحدى ضواحي مدينة دمشق التي عُرفت فيما بعد باسم الصالحية، بقعة الصالحين التي أفرد لها فيما بعد مؤرخ دمشق شمس الدين محمد بن طولون (ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م) كتاباً سمّاه "القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية"، وإضافة إلى هؤلاء المهاجرين أمَّها العلماء والأدباء وكُتّاب الإنشاء والدواوين للعمل في معيّة سلاطينها الأيوبيين ومن تلاهم من نواب السلطنة المملوكية الذين قرنوا مع الجهاد ضد الفرنجة وضد المغول المبادرة بإقامة العمائر الكبرى من مساجد ومدارس وتكايا ومستشفيات مما استدعى استقطاب أعداد كبيرة من المهندسين والصُنّاع والبنّائين وأهل صنعة العمار فاستقر بعضهم في المدينة، مضيفين بذلك إلى سكانها عناصر إضافية من أصحاب الحرف والمهن.

وعرفت بلاد الشام درجة متقدمة من نظام الوقف الإسلامي الواسع فكانت المؤسسات الخيرية من مساجد ومدارس وبيمارستانات وخوانق التي قام على خدمتها عدد كبير من الفقهاء وأهل التفسير وحفّاظ الحديث وأقطاب الطرق الصوفية يؤازرهم جهاز إداري وخدمتي لكل مؤسسة كما توضح لنا ذلك سجلات الدولة العثمانية، وامتدت الخدمات لتشمل بشكل خاص قافلة الحج الشامي الشريف مع ما يقتضي ذلك من تعمير المنازل والبرك والقلاع وشحنها بالجنود وحماية القافلة في الذهاب والإياب خوفاً من اعتداءات البدو بالدرجة الأولى عن طريق القوة العسكرية التي كانت ترافق القافلة في الذهاب أو تستقبلها عند الإياب، بالإضافة إلى "الصرة" المالية السنوية التي تدفعها الدولة لشيوخ العشائر لكسب ولائهم ولتأمين سلامة القافلة. وكان موسم قافلة الحج الشريف مناسبة دينية واجتماعية وتجارية لمدينة دمشق التي كانت محطة تجمع للحجاج المسلمين من بلاد الشام وبلاد الأناضول وفيما بعد من بلاد الروملي وبلاد العراق وفارس عندما كانت تحول قافلة العراق إلى الشام لأسباب أمنية، مما أدى إلى اتساع المدينة وظهور أحياء جديدة مع مطلع القرن الثامن عشر كحي الميدان في جنوبي مدينة دمشق الذي سكن فيه التركمان والحلبيون

والحوارنة والتيامنة والحماصنة من الوافدين على دمشق. وكان في حي الميدان الأكراد أيضاً ولهم مسجدهم، بالإضافة إلى زقاق للمسيحيين وزقاق للنَوَر والزط. ونلاحظ من خلال كتب التراجم التي تناولت علماء المدينة وتاريخها مثل ما خطّه لنا حمزة بن راشد التميمي المشهور بابن القلانسي (ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)، وما جاء في الموسوعة الكبرى لتاريخ دمشق الشام لعلي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الشافعي (ت: ٥٧١هـ/ ١١٧٦م)، وما تلا ذلك من سلاسل كتب التراجم التي استمرت إلى يومنا هذا، أن أدبيات مدرسة التراجم هذه تناولت أخبار مدينة دمشق وأخبار من حلّ بها أو وردها من العلماء والطلاب والرحالة الذين وفدوا إليها واستقروا فيها، ومن علَّم وتعلَّم فيها تحت قبة النسر بجامع بني أمية، أو توزعوا في مساجدها التي عدّدها لنا المؤرخ الدمشقي يوسف بن عبد الهادي (ت: ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م) فزادت على ثمانمائة غالبها عامر تطلّ عليها جميعاً قبة النسر من أعالي جامع بني أمية، وتحرسها من الشرق قلعة المدينة بطارمتها الرابضة فوقها كالأسد. ومن أجل تصوّرٍ أكمل لهذا المشهد الحضاري الكبير علينا استذكار عدد مدارس القرآن الكريم ودور الحديث النبوي الشريف والفقه على المذاهب الأربعة كما فصّلها لنا عبد القادر بن محمد النعيمي (ت ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م) مؤرخ دمشق ومحدّثها في كتابه الذي وصلنا مختصراً تحت عنوان "الدارس في تاريخ المدارس"، ولا شك في أن عدد المدارس والمساجد والتكايا قد ارتفع في العهد العثماني الذي امتد نحو أربعة قرون، وخصصت الدولة العثمانية التي أدخلت نظام التيمار العسكري إلى بلاد الشام في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي قرى ومزارع وبساتين وقطع أراضٍ ومسقفات وعقارات ومرافق خدمات عامة كالمعاصر والحمامات وغيرها من بلاد الشام لأفراد القوة العسكرية العثمانية من الأتراك والتركمان والإنكشارية. وفي بعض الأحيان لبعض شيوخ العشائر العربية والكردية وبقايا أجناد الحلقة المملوكية الذين أدرجوا ضمن نظام "التيمارات"، وكان قسم من هذه القوات العثمانية قد رابط في القلاع الموزعة في بلاد الشام على امتداد الساحل وعلى أعالي الجبال وعلى محاذاة البادية وبخاصة على امتداد طريق الحج الشريف بدءاً من قلعة

حلب شمالاً مروراً بقلعة دمشق التي كانت تأوي سنة ٩٣٣هـ/١٥٢٧م (٦١٢) نفراً من الإنكشارية، وانتهاءً بقلعة أجياد بمكة المكرمة جنوباً، ورافق ذلك نقل قسم من العشائر التركية مثل الدوكرية (Döğer) والتركمان للسكن في المناطق الموازية لطريق قافلة الحج أو في مناطق بحاجة لأيدٍ عاملة زراعية مثل مرج بني عامر. وتشير دفاتر الطابو عند استعراضها لمقاطعات ولاية الشام ما بين سنة ٩٦٩هـ/١٥٦٢م - ٩٧٤هـ/١٥٦٧م، إلى عوائد أغنام التركمان والأكراد في ولاية الشام فجاءت بمقدار (٣٩٨٤٨٦) آقجة سنوياً، مما يدل على دورهم في تربية الأغنام. والملحوظ أن دفتر طابو (٤٧٦) قد جاء على محصول، أي دخل، السباهية التركمان وعددهم (٣٣) نفراً بمقدار (١١٧٠٠٠) آقجة سنوياً.

وتزودنا سجلات الدولة العثمانية المعروفة بـ "الطابو"، ودفاتر المهمة والمالية المدورة، ومثل ذلك سجلات المحاكم بدمشق الشام، بأسماء الأفراد الذين أُوكلت لهم مهام عسكرية أو أمنية أو إدارية من عساكر الدولة في بلاد الشام، وتزيد سجلات المحاكم الشرعية على ذلك فتذكر لنا أسماء الجنود الذين استقروا في بلاد الشام وتعاطوا مختلف المهن وشكّلوا، فيما بعد، جماعات ضغط خاصة بهم أصبحت تزاحم في دمشق القيادات التقليدية من الأعيان والعلماء وشيوخ العشائر وكبار التجار والمُلاّك، حتى أصبح هؤلاء - في مراحل معينة - مصدر تحدٍّ لسلطة الدولة العثمانية أو من يمثّلها، وعُرف هؤلاء أحياناً باسم "اليرلية" - أي العناصر العسكرية المستوطنة مثل عائلة المهايني بحي الميدان في القرن الثامن عشر إلى أن حلّ محلها في زعامة حي الميدان في مطلع القرن التاسع عشر محمد آغا عقيل وولده طالب (ت ١٨١٦م)، أو "القابي قول" - أي عبيد الأعتاب السلطانية، وكثيراً ما كانت تقع المناوشات ما بين تلك الفئات والجماعات.

وعندما تراخى جهاز الإدارة العثمانية المترهل في الحواضر، ومنها دمشق، لاحظ الباحثون ظهور بعض القوى المحلية التي ملأت الفراغ، واستقطبت هذه القوى العناصر العسكرية المتقاعدة أو الهاربة من الخدمة لتبني من خلالها قوّاتها الخاصة بها. ونلاحظ هنا دخول عناصر من البوسنة والهرسك وألبانيا وبلاد الأرناؤوط إلى المشهد الشامي، بالإضافة إلى المغاربة، أما العبيد الأفارقة فكانوا في الغالب يخدمون في البيوت.

واحتفت بلاد الشام بكاملها عام ١٢٧١هـ/ ١٨٥٥م بالأمير الكبير السيد عبد القادر بن محيي الدين الجزائري (ت ١٩ رجب ١٣٠٠هـ / ٢٦ / ٥ / ١٨٨٣م) عندما اختار دمشق الشام للإقامة فيها مفضلاً إياها على بورسة، بعد أن أفرج عنه الملك نابليون الثالث (١٨٥٢-١٨٧٠م) وأطلق سراحه من معتقله في مدينة امبواز (Amboise) بمنطقة وادي اللوار (Loire) بوسط فرنسا. والذي يعنينا هنا أن عدداً كبيراً من المهاجرين الجزائريين، بعد تعثّر حركة الجهاد ضد الفرنسيين، سبقوه أو لحقوا به للهجرة إلى بلاد الشام وأصبح لهم، ومن تبعهم فيما بعد، دورٌ كبيرٌ في التاريخ الاجتماعي والسياسي لبلاد الشام، حتى إن أحد أحفاده الأمير سعيد الجزائري كان أول من رأس وزارة في تاريخ سورية الحديثة في ٢٧ / ٩ / ١٩١٨م عمّرت لبضعة أيام. وإلى هذه الأسرة العريقة أصهر يوسف إيبش فيما بعد. وانتشر المهاجرون الجزائريون في حواضر بلاد الشام من حلب وحماة وحمص ودمشق وعكا وغيرها وأصبحوا يُشكلون حضوراً بشرياً متجدداً فأصبح لهم أحياؤهم الخاصة بهم وأصبحت هذه العناصر مطلوبة لمزاياها العسكرية وخصائصها في تحمُّل المشاق لتوكل إليها المهام الإدارية والعسكرية.

وعرفت دمشق خلال هذه المسيرة من تاريخها الطويل العديد من الأسر الكردية التي تحمل اسم (الأيوبي) وأسرة آل بوظو وأسرة (كرد علي) التي هاجرت إليها من السليمانية وأسرة بدرخان، وإذا ما نظرنا في مجموع التراجم التي يوردها الشيخ عبد الرزاق البيطار (ت ١٣٣٥هـ/١٩١٦م)، "حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر"، نجد العديد من أسماء الشخصيات العلمية الكردية التي كانت قد برزت في مدارس دمشق ومساجدها وانتسبت إلى الطريقة النقشبندية التي انتشرت ما بين الأكراد خاصة بعد ما انتقل إلى دمشق من السليمانية واستقر بها سنة ١٢٣٦هـ/ ١٨٢١م مُجدِّد القرن الثالث عشر ضياء الدين خالد (بن أحمد) النقشبندي دفين مقبرة الأكراد بدمشق (ت ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦-١٨٢٧م) وله مسجد يحمل اسمه فأصبحت دمشق بفضله من أهم مراكز الطريقة النقشبندية، وكان تلاميذه يحملون لقب "النقشبندي الخالدي". ولكن الذي يهمنا هنا أسراً ثلاث، هي : أسرة آل

شمدن [تُذكر أحياناً "شمس الدين"] والأسرة اليوسفية وأسرة آل الإيبِش، وارتبطت هذه الأسر الثلاث بالمصاهرة مع بعضها البعض وتكاملت في أداء المسؤوليات الإدارية التي أُنيطت بها على مستوى ولاية سورية، وبخاصة وظيفة محافظة دمشق الشام وتولي إمارة الحج الشريف مرافقةً لها واستقبالاً. واستمدّت هذه الأسر الثلاثة قوّتها أيضاً من علاقتها الطيبة مع مسؤولي السلطنة العثمانية ورجالها وكذلك تواصلها الودي مع الزعامات المحلية في ريف دمشق ومع الأسرة الشهابية في جبل لبنان بحيث اشترت أسرة آل اليوسف أرضاً لها في بلدة عنجر بالبقاع، كما أنها تعاطت التجارة وسعت إلى تملُّك العقارات والقرى والأراضي وابتنت القصور الكبيرة في دمشق فشغلت منزلة متميزة في مجتمع المدينة، بل ربما في كل بلاد الشام، بعد أن أغدقت الدولة العثمانية الألقاب والرتب على زعماء هذه الأسر. وعندما انهارت الدولة العثمانية ودخلت جيوش الحلفاء من الإنجليز والفرنسيين وجيش الأمير فيصل ابن الحسين إلى بلاد سورية لم تتضعضع منزلة هذه الأسر، إذ استطاعت الاحتفاظ بموقعها الاجتماعي والمالي وفي زمن هذا التحول الكبير أخذت مبكرةً بأسباب الحياة المدنية الحديثة وتحولاتها فأرسلت أبناءها إلى المدارس الرسمية والأجنبية ومن ثم إلى الجامعات، وتواءمت مع مرحلة الانتداب الفرنسي في سورية ولبنان.

كنا قد أشرنا أعلاه إلى أسرة بني شمدين، من سكان حي الأكراد بدمشق، والتي تشير المصادر المتوافرة لدينا إلى أن كبيرها كان قد توفي خلال حوادث الستين بدمشق، وأن أحد أبنائه الستة، محمد سعيد باشا شمدين، كان قد تولى إمارة الحج الشريف وشغل منزلة رفيعة في مجتمع دمشق الشام، وكان قبل وفاته سنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م، قد أنشأ مسجداً بحي الأكراد في ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١-١٨٩٢م. ومن المفيد هنا أن نذكر أن محمد سعيد باشا هذا قد توفي دون ولدٍ ذكر يخلفه، وأن ابنته كانت قد تزوّجت من محمد بن أحمد اليوسف، من العائلة الكردية الرئيسة الثانية بدمشق والتي تنحدر أساساً من عشائر الزرقليّة الكردية المشهورة في بلاد ديار بكر، وكان محمد هذا قد تولّى عدداً من المناصب الإدارية في مناطق: البلقاء وحوران وطرابلس الشام وحماة، وتولى - كوالده الذي كان يحمل لقب مير

ميران - مأمورية جردة الحج الشامي، وتنقل في مختلف المواقع الإدارية إلى أن توفي سنة ١٣١٤هـ/١٨٩٦-١٨٩٧م ليخلفه في هذا الموقع من المسؤولية ابنه عبد الرحمن باشا اليوسف سبط محمد سعيد باشا شمدين، فآلت إليه ثروة جدّه هذا من جهة والدته، وأقبلت عليه الدنيا وتولى إمارة الحج ومحافظة مدينة دمشق. وفي مطلع عهد الانتداب شغل رئاسة مجلس الشورى في حكومة علاء الدين الدروبي التي شكلها في ٢٥/٧/١٩٢٠م، إلا أنهما لقيا معاً حتفيهما على يد الثوّار في خربة الغزالة، وما يجاورها من القرى في هضبة حوران التابعة لدرعا في ٥ ذي الحجة ١٣٣٨هـ / ٢٠/٨/١٩٢٠م عندما هاجم الثوار القطار الذي كان يقلّهما مع عطا بك الأيوبي الذي شكّل الحكومة مرتين فيما بعد في دمشق عاميْ ١٩٣٦م و١٩٤٣م والذي نجا من الموت، وبطشوا بهما وبعدد من الركاب، وبذلك فشلت مهمّتهما في التوافق والتوفيق مع الثوار من بقايا الموالين للحكم العربي الفيصلي في بلاد الشام.

ونلاحظ من خلال قراءة البيانات العسكرية الاستخباراتية التي كان يصدرها الفرنسيون برئاسة المندوب السامي الفرنسي الجنرال (Goybet) والتي أوردتها جريدة العاصمة السورية، أن الحركة كانت منتشرة في حوران، وأن أفرادها كانوا مسلحين بالرشاشات والمدافع، واضطرّت الدولة الفرنسية إلى تحريك سريّة عسكرية إلى حوران وأن تستخدم أيضاً الطائرات في قصف القرى ومطاردة تجمعات البدو، واستمرت المناوشات بين الطرفين إلى أن شكّلت الحكومة بدمشق، بتوجيه من المندوب السامي الفرنسي، لجنتين لمعالجة موضوع المنهوبات وبيان الديّات لأسر الضحايا ودفعها لهم، ولتحديد الأضرار التي لحقت بسكة الحديد بعد نزع قضبانها كل ذلك بقصد إغلاق الملف خاصةً بعد أن بدأ الزعماء المحليون في قرى حوران بالاستسلام.

ولقد بلغت هذه الأسرة شأواً بعيداً في تاريخ دمشق، فإن قُدِّر لأسرة آل العظم في القرن الثامن عشر أن يدوِّن أخبارها أحمد البديري الحلاق (ت حوالى ١١٧٥هـ/ ١٧٦١م) تحت عنوان "حوادث دمشق اليومية (١١٥٤-١١٧٥هـ/ ١٧٤١-١٧٦١م)" فإن آل اليوسف قد حُظوا بالشيخ الفقيه عبد القادر بن أحمد بدران (ت ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م)، مدرس أبنائهم وأنجالهم، حيث أرّخ لهم مُعرِّفاً بأصولهم

ومواقعهم التي شغلوها، سمّاه "الكواكب الدُريّة" وصف فيه تراجم مشاهير رجال الأسرة.

والمعروف لدينا أن حسين إيبِش، وهو وجيه الأسرة الكردية الثالثة ببلاد الشام، كان قد تزوّج من السيدة وجيهة [وجيها] هانم بنت عبد الرحمن باشا اليوسف، وكانت والدتها من عائلة العظم الحموية - الدمشقية المشهورة. والجدير بالذكر أن ابنها يوسف أهدى لذكراها عام ٢٠٠٠م كتاب "رحلات الإمام محمد رشيد رضا" عندما جمعه وحقّقه. فمن هي أسرة الإيبِش، التي كان أبناؤها يُعدون من "أغوات" الأكراد بدمشق، والتي تمتّ أيضاً إلى أسرة بدرخان بصلة المصاهرة والقربى، التي أنجبت لنا أستاذنا المرحوم يوسف حسين إيبِش؟

تنتمي هذه الأسرة الكردية أساساً إلى بلدة ماردين الواقعة اليوم ضمن حدود الجمهورية التركية وبالقرب من الحدود السورية على مقربة من جبل ماردين الذي اشتهر "بجواهر الزجاج". وكان عدد أهاليها ثلاثة آلاف بيت عندما زارها عام ١٧٦٦م الرحالة الدانماركي كارستِن نيبور (Carsten Niebuhr) (ت ١٨١٥م)، وكانوا خليطاً من مختلف الأعراق، ولاحظ عدد آخر من الرحالة الذين زاروا البلدة فيما بعد أن سكانها كانوا خليطاً من العرب والأكراد والأرمن والمسيحيين اليعاقبة والشمسية - إحدى الأقليات قديمة المعتقد والتي اعتنقت المسيحية. ويذكر الرحالة أن السيادة اللغوية كانت للعربية والكردية والأرمنية. ومن مثل هذا المحيط متعدد التشكيل هاجر فرع من الأسرة إلى دمشق الشام برئاسة حسين الإيبِش الذي توفي أثناء أدائه فريضة الحج أيام كان محمد سعيد باشا شمدين أميراً للحج الشامي، وكان برفقة حسين في مكة المكرمة ولداه بلال وأحمد، فعاد ابنه بلال إلى ماردين حيث لا يزال يوجد هناك فرع من الأسرة. أما ولده الأكبر أحمد فاستقرّ في دمشق وتعاطى تجارة الخيول التي كان يشتريها من ماردين وجوارها من مناطق الجزيرة ويجلبها إلى دمشق الشام ثم ينقلها إلى مصر حيث كان المسؤولون فيها من أسرة محمد علي يرغبون في إنشاء سلاح للفرسان على غرار سلاح الفرسان الفرنسي. وتُبيِّن الوثائق البريطانية أن الإنجليز بمصر كانوا يشترون منه أيضاً. ولقد خلفه ولداه

في زعامة الأسرة، نوري بك الذي درس الزراعة في إنجلترا، ورأس الغرفة الزراعية بدمشق (١٩٣٠-١٩٥١م) وشارك في وزارة حسني بك البرازي سنة ١٩٤٢م وفي وزارة محمد جميل بك الألشي سنة ١٩٤٣م، وكان مع شقيقه حسين أول من أدخل لعبة كرة القدم إلى دمشق الشام حيث كانا يلعبانها في مرجة الحشيش. أما شقيقه حسين الذي وُلد في عام ١٨٨٨م بدمشق والتحق بالمدارس الرشدية الحكومية فيها حيث تعلّم العربية والتركية والفرنسية ثم انتقل منها إلى مدارس الآباء اللعازريين ومن ثم التحق بالكلية السورية البروتستانتية (الجامعة الأمريكية ببيروت، تأسست سنة ١٨٦٦م) التي تخرج فيها بدرجة البكالوريوس بتخصص التجارة عام ١٩٠٨م. وبعد تخرجه تولى أعمال العائلة في تجارة الخيول مع مصر مما أتاح له الفرصة لإقامة صلات مع أرفع الأسر بمصر وبخاصة مع الأمير يوسف كمال باشا ابن أحمد كمال رفعت بن إبراهيم باشا الذي اشتهر بحبه للرحلات وللصيد، فرافقه حسين إيبِش في عدد من رحلاته خارج مصر إلى إفريقية وبلاد الهند والتبت وكشمير، وبذلك أقام علاقات واسعة مع زعماء القبائل في جنوبي الصحراء الكبرى واتسعت اتصالاته لتصل إلى جنوبي إفريقية، وكانت تصله الهدايا، ومن بينها الأنعام فأقام لها حديقة في جوار بيت الأسرة الكبير الواقع على مساحة ستة آلاف متر مربع في حارة عبيد بشارع ساروجة. وكان أهالي دمشق يشيرون إلى هذه الضاحية المزدهرة باسم "اسطنبول الصغرى". ومن حُسن الحظ، فلقد تم مؤخراً في أبو ظبي نشر الجزء الأول من أخبار هذه الرحلات ومنها الرحلة المعنونة باسم "سياحتي في بلاد الهند الإنجليزية وكشمير (١٩١٣-١٩١٤م)"، ويشير الأمير يوسف كمال في العديد من المواقع إلى حسين أفندي إيبِش. وليس هناك ما يدل، على ضوء ما جاء في نصوص رحلة الأمير يوسف سنة ١٩١٥م إلى بلاد التيبت الغربية وكشمير أن حسين إيبش قد شارك في الرحلة الثانية.

واستكمالاً لسيرته، فلقد التحق بإحدى المدارس العسكرية بألمانيا وعاد ليخدم في سلاح الإشارة بالجيش العثماني، وقُدِّر له أن يُشارك في معركة غاليبولي (Gallipoli) سنة ١٩١٥م، ثم نُقل إلى الجيش الرابع بقيادة جمال باشا الكبير (قُتل

على يد الأرمن في تبليس في ٢١ /٧ /١٩٢٢م) ليخدم في منطقة السويس حيث جُرح في إحدى المعارك، ووقع أسير حرب بأيدي القوات البريطانية التي نقلته إلى الداخل في مصر حيث عولج وأُتيح له أن يُجدِّد اتصالاته بأصدقائه بمصر. وعندما انتهت الحرب أُطلق سراحه فسافر إلى اسطنبول، ومن هناك عاد إلى دمشق عبر حلب ورياق ليبدأ حياته الدمشقية الشامية من جديد فتزوج من السيدة بهيجة هانم ابنة عبد الرحمن باشا اليوسف وحفيدة آل العظم من ناحية الأم. ولعله من المفيد هنا أن نشير إلى دور السيدة بهيجة في إدخال لمسات نوعية على حياة الأسرة الإيبشية بعد أن استقرت في بيت العائلة الكبير الذي أشرنا إليه أعلاه، فلقد كانت على إلمام بعدد من اللغات منها العربية والكردية والتركية والفرنسية، وحتى اليونانية التي تعلّمتها من مربيتها اليونانية صوفيا كيكا، وكانت معروفة بتذوّقها للموسيقى وبخاصة العزف على البيانو. أما مطبخ العائلة الإيبشية الجديد فكان يقف على خدمته الطباخ "نظيف أفندي" من المطبخ السلطاني باسطنبول يساعده في خدمة الضيوف ميخائيل المعلوف من زحلة، أما سائق السيارة فكان أرمنياً.

من كل هذا نلحظ التنوع في البيئة المحيطة مباشرة التي نشأ فيها المرحوم يوسف إيبِش وشقيقه التوأم زياد. فلقد وُلد يوسف في سوق الغرب بلبنان عام ١٩٢٥م، ولكن تسجيله تأخر إلى حين عودة العائلة من هناك إلى دمشق بسبب ظروف الثورة السورية، إلى ٢٩ /٣ /١٩٢٦م حيث قُيِّدت حالة الولادة في "النفوس خانة" بدمشق التي تلقّى فيها تعليمه الابتدائي، ومن هناك نقله الأب حسين سنة ١٩٣٩/١٩٣٨م إلى المدرسة الابتدائية ببيروت حيث التقى بصديقه، وزميله فيما بعد، كمال الصليبي الذي يُشير إلى تجربة اللقاء الأول بينهما مؤكداً على دماثة يوسف بقوله: "وهو الذي جعلني أشعر ... أن في الشخص ما هو أهم من المظهر"، وتابع يوسف دراسته في مدرسة برمانا، والتقى من جديد مع كمال عند التحاقهما بالقسم الاستعدادي التابع للجامعة الأمريكية ببيروت عام ١٩٤٣م، وبعد تخرج يوسف من ذلك القسم، التحق بدائرة العلوم السياسية بكلية الآداب والعلوم بالجامعة الأمريكية ليتخرج منه بدرجة البكالوريوس عام ١٩٥٠م. وتابع دراسته لدرجة

الماجستير في العلوم السياسية فبحث في موضوع "الأقليات في سورية" مقتفياً آثار ألبرت حوراني (ت ١٩٩٣م) الذي أصدر عام ١٩٤٧م دراسته بالإنجليزية عن الأقليات في العالم العربي فاتحين بذلك الباب على مصراعيه لمزيد من الدراسات التي تطالعنا اليوم عن المجموعات العرقية والدينية والاجتماعية في البلاد العربية، وأشرف على رسالته المُربي المقدسي المعروف أحمد سامح الخالدي (ت ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م)، والد وليد صديقه وزميله في العمل في المستقبل حيث أصدرا معاً الوقائع العربية والوثائق العربية عن الجامعة الأمريكية ببيروت. وبعد أن عمل لعدد من السنوات (١٩٥٣-١٩٥٦م) معيداً بالجامعة الأمريكية، سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية والتحق بقسم دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفارد وكتب رسالته للدكتوراه في الفكر الإمامي عند القاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني المالكي (ت: ٤٠٣هـ/١٠١٣م) تحت إشراف المستشرق الإنجليزي المشهور السير هاملتون جب (Sir Hamilton Gibb) (ت: ١٩٧١م)، وهناك في منطقة كيمبردج أسّس جمعية هارفارد الإسلامية للتعريف بالإسلام عقيدةً ورسالةً وتاريخاً وفناً وإنجازاً. وكان يوسف قد حمل هذا الطموح وأعطاه من فكره وماله كل ما يستطيع بنيّة تقديم الإسلام إلى الناس، كل الناس، والأخذ بأيديهم للاطلاع على إنجازات الحضارة الإسلامية، ودعوة هؤلاء لتذوق الفنون الإسلامية من موسيقى وخط وزخرفة وتجليد وعمارة ونميات وسكة وتنظيمات اجتماعية على مستوى الحرف والأصناف والطرق الصوفية، وأصبح بذلك لا غرابة المرجع فيها بل "مسند" الشام الكبير نظراً لعلمه الموسوعي، ولإحاطته بعادات وتقاليد المجتمع الشامي بما في ذلك تنظيمات الحرف والأصناف التي أولاها عنايته وكتب حولها وحاضر في موضوعها مستكملاً بذلك جهود إلياس بن عبده القدسي (ت ١٩٢٦م) صاحب "نبذة تاريخية في الحرف الدمشقية" التي قدمها لمؤتمر الاستشراق بمدينة ليدن، ١٨٨٣، ونشرت سنة ١٨٨٥م، ومتتبعاً أيضاً للعمل الموسوعي الكبير الذي نهض به كل من محمد سعيد القاسمي (ت ١٣١٧هـ/ ١٩٠٠م) وجمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م) وخليل بن مصطفى بن محمد حافظ بن عبد الله باشا العظم (ت ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م)

أصحاب قاموس الصناعات الشامية الذي حقّقه ونشره الأستاذ المحامي ظافر القاسمي بدمشق سنة ١٩٨٨م بتشجيع من المستشرق الفرنسي المشهور لويس ماسنيون (ت ١٩٦١م) والأستاذ جاك بيرك (Jacques Berque).

لقد عرف الناس يوسف بشمائله ودماثته وخصائله السخية بالعطاء، يُزين كل ذلك عفّة ورفعة فيسعى القارئ إليه وكذلك السامع لتذوق مداعباته اللمّاحة ومفاكهاته المرحة وطريقة التعبير عنها التي تُذكِّرنا بطريقة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ/٨٦٩م) فيما كتب وألّف من قبل.

وكان المرحوم متنوع الاهتمام، واسع الاطلاع بجانب إنتاجه العلمي، فهذا الاهتمام يفسر لنا تلك المجموعات الثرية التي تركها لنا المرحوم يوسف من قطع العملة، ومجموعة الصور والرسومات لأحياء دمشق وحاراتها ومحلاتها، وكذلك المجموعة المتميزة من الاسطوانات والتسجيلات لعمالقة الموسيقى وأساطين الغناء بدءاً من سيد درويش (ت ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م) وانتهاءً بكبار الفنانين الذين طاولوا الأهرام بقاماتهم، ولامست أيديهم دُرا قاسيون، والذين غنّوا تحت ظلال الأرز فرحلوا بنا إلى جوزاء الفن والذوق. ولقد وظّف هذه الميزة من الاطلاع والثقافة عندما شارك في الإعداد سنة ١٩٧٦م لمشروع مهرجان العالم الإسلامي بلندن (The World of Islam Festival) الذي كان ربما أكبر نشاطٍ حضاري إسلامي في الغرب في القرن العشرين، فتم إنتاج ستة أفلام عن حضارة الإسلام والمسلمين، كذلك ساهم في اختيار عدد من الحواضر الإسلامية كصنعاء وفاس وقبة الصخرة الشريفة والمسجد الأقصى بالقدس وغيرها، لتصدر أمانة المهرجان عن كل واحدة منها مطبوعات علمية من مستوى رفيع خاصة بها. واتسعت دائرة اهتماماته فكان يقضي جزءاً من وقته بالإبحار في أعالي مدارات الحرف العربي لعلمه أن الفن الإسلامي ما هو إلا هبة الخط العربي وما تفرّع عنه من الخط الفارسي والتركي والأوردي، فجاءت مجموعته نادرة في مضمونها وتعدد اهتماماتها، والأمل أن تجد هذه المدونة من ينشرها ويعرّف بها في مجموع خاص بها.

وبعد عودته مباشرة من هارفارد عام ١٩٦٠م، التحق بدائرة العلوم السياسية بكلية الآداب والعلوم بالجامعة الأمريكية ببيروت، مُفضلاً العمل الجامعي على الانخراط في العمل السياسي في بلده سورية التي أصبحت تشكل الإقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة التي لم تعمّر الوحدة بين الإقليمين طويلاً . وفي رحاب الجامعة، عرف الطلاب عطاءه ونجابته وعرفته الهيئات العلمية في بيروت على تعدد مذاهبها السياسية والفكرية، فأسس فيها المركز الثقافي الإسلامي ورأس مجلس أمنائه، وشارك في تأسيس عدد من المجامع والجامعات في البلاد العربية والإسلامية، كما أعطى من جهده الوقت الكافي لمسح المخطوطات اليمنية في العالم وذلك عندما رأس لجنة من اليونسكو - لهذا الخصوص - وامتد مثل هذا السخاء من خلال مشاركته في أعمال مركز دراسات الحج بالمملكة العربية السعودية. وبعد اندلاع الحرب الأهلية بلبنان، وما تبع ذلك من اجتياح همجي لجيش الدولة العبرية لبيروت، سافر إلى الولايات المتحدة حيث عمل في العديد من جامعاتها مثل الجامعة الأمريكية بواشنطن وجامعة (Wisconsin) وجامعة أمهرست (Amherst) وجامعة كيمبرج بالمملكة المتحدة. وخلال هذه المسيرة العلمية الزاخرة والثرية، نشر نحو (٢٤) كتاباً وما لا يقل عن (٧٥) دراسة أكاديمية منشورة في مجلات علمية مفهرسة ومتخصصة. وعندما شرع الشيخ أحمد زكي يماني، صديق المرحوم، بتأسيس مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن سنة ١٩٩١م، كان من أعضاء اللجنة التأسيسية ومن ثم في مجلس خبرائها، إلى أن تم اختياره مديراً عاماً لها في ١ / ١٠ /١٩٩٨م فقادها بكفاية واقتدار، ونشّط النشر فيها، وأدار عدداً واسعاً من الندوات العلمية فيها، بالإضافة إلى حلقات بحثية حول تحقيق المخطوطات وقواعد نشرها حرص على نشر نتائجها بأسلوب علمي معهود في تقاليده الأكاديمية الدقيقة المعروفة عنه، وعُني بجريدة "المنار" وبمؤسسها الشيخ محمد رشيد رضا (ت ١٩٣٥م). مشفوعاً بذلك المحاضرات العامة التي نظمها لجمهور المعنيين بالعالم العربي والإسلامي في مقر المؤسسة. ولم ينس مدينته الأم دمشق وحكوماتها منذ سقوط الدولة العثمانية بدءاً من الوزارة الأولى التي شكلها الأمير سعيد الجزائري

بتاريخ ٢٧ / ٩ / ١٩١٨م وانتهاءً بالوزارة الخامسة والستين التي شكلها صبري العسلي بتاريخ ٣١ / ١٢ / ١٩٥٦م واستمرت في الحكم حتى قيام الوحدة ما بين سورية ومصر بتاريخ ٢١ / ٢ / ١٩٥٨م. وأضاف لهذا العمل ثلاثة ملاحق شملت الدساتير والخطب والبيانات والأحداث والمراسيم والقرارات.

إن اهتماماته بصقل الذوق والعروج في مدارس العرفان دفع به إلى العناية بشيوخ الصوفية وأقطابها فاهتم بشهاب الدين يحيى بن حبش بن أميرك الشافعي المعروف بالسهروردي المقتول (٥٨٧هـ/ ١١٩١م) واعتنى بآثار الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي (ت ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م) دفين دمشق الشام. ولأنه حمل الإسلام في وجدانه وجوانحه، بذل جهداً كبيراً لبعث الاهتمام بجهود المصلح الكبير شكيب ابن حمود أرسلان (ت ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م) فنشر سيرته، كما نشر مذكرات شقيقه الأمير عادل أرسلان (ت ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م). وبالرغم من هذه الجهود الكبيرة التي بذلها، فلقد أولى تفاسير آيات القرآن الكريم كل اهتمام، فوضع لها كشّافاً صدر في ٨١٤ صفحة ببيروت عام ١٩٩٧م فكان خير معين للباحثين والدارسين. وتوّج عطاءه عام ١٩٩٨م بأن أهدى مكتبته بمختلف اللغات (١٩٢٥ عنواناً) إلى مكتبة مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول.

لم يتوقف المرحوم يوسف عن العطاء وعن المثابرة في تتبع كل جديد في عالم الإسلام والمسلمين أو في العالم ككل، ساعده في ذلك إتقانه لعدد من اللغات إلى أن التحق بالرفيق الأعلى بالمستشفى بلندن يوم الأحد ١٩ / ١ / ٢٠٠٣م ليُوارى جثمانه الطاهر الثرى بمقبرة (Putney Vale) جنوبي مدينة لندن يوم الجمعة بعد أن صلّى عليه زملاؤه وتلاميذه وأصدقاؤه ومحبوه الكثر من عامة الناس وودعوه الوداع الأخير، تاركاً وراءه الذكرى الطيبة التي سيحملها عنه ابنته سونا ووالدتها رمزية الجزائري (ت ١٩٩٧م)، وابناه حسين الذي يدافع اليوم عن المسلمين وعن المضطهدين بأمريكا، وابنه الثاني كريم وحفيده باسل. وبعد كل هذه الرحلة الطويلة للمرحوم يوسف من دمشق إلى أصقاع الدنيا، وبغضّ النظر عن مكان الولادة ومسقط

الرأس في لبنان، تبقى الحضارة العربية الإسلامية بموروثها الحضاري في بلادنا، بعد سقوط دولة الأمة والخلافة، هي الوطن، وبلاد الله الواسعة هي عنوان الإقامة.

يذكر صديقه كمال الصليبي أنه في سنة ١٩٦٦-١٩٦٧م كان يوسف أستاذاً زائراً بكلية دارتموث (Dartmouth College التي أسست سنة ١٧٦٩م بالولايات المتحدة الأمريكية) وفي أعقاب هزيمة حزيران قررا العودة معاً مروراً بأوروبا فزارا قصر الحمراء وجنة العريف وجناح الأسود في غرناطة وكانا يتذاكران في أحوال الأمة العربية وتقلّب الزمان عليها، شغلهما حديث الهموم هذا عن شعر لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٥م) ومحمد بن يوسف بن زمرك الصريحي (ت ح ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م)، ورئيس الكتاب أستاذ لسان الدين الخطيب، علي بن محمد ابن الجياب (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) الذين وشموا جدران القصر وملحقاته بشعرهم فلم يستوقفهما شعر الصنعة "وزخرف القول" عند هؤلاء الشعراء وغيرهم في مدح السلطان في زمن الاحتضار السياسي للوجود العربي الإسلامي في غرناطة، بل استقر بصرهما على الحكمة الخالدة من علامة أمير المسلمين، الغالب بالله محمد ابن يوسف الأحمر (٦٢٩-٦٧١هـ/ ١٢٣٢-١٢٧٣م) الذي نقش علامته على طوبة في جدار القصر استقرت من بعده في مكانها، ونصّت على ما يلي: "ولا غالب إلا الله"، فقال يوسف: "تأمل عظمة الإسلام تغلب المسلمون في زمانهم على العالم فلم يتغطرسوا كما يتغطرس الذين يتحكمون بمقادير العالم اليوم ولم يقولوا غلبنا بل قالوا "ولا غالب إلا الله".

رحمك الله أيها الأستاذ المُعلِّم يوم وُلدت ويوم مُتَّ ويوم تُبعثُ حيّاً، فلقد كنتَ، بعلمكَ وعملكَ، الأمين الواعي اليقظ الساهر على وجدان الأمة الإسلامية وعقيدتها ضد كل غلو أو قنوط أو جحود، ورحمك الله كلما قرأ قارئ في مُنزل تحكيمه - إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون - (آل عمران) صدق الله العظيم.

ربّنا اغفر لنا خطايانا ولا تخذلنا فوق ما نحن فيه، فلا ناصر لنا سواك، وإننا عليك من المتوكلين.

مصادر ومراجع مختارة

١ - أبو الوليد إسماعيل بن محمد ابن الأحمر (ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م)، كتاب مُسْتَوْدِع العَلامة ومُستبدِع العَلاَّمة، حققه محمد التركي التونسي ومحمد بن تاويت التطواني، منشورات كلية الآداب والعلوم السياسية، جامعة محمد الخامس، المطبعة المهدية، تطوان (المغرب)، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

٢ - أحمد الإيبِش وقتيبة الشهابي، معالم دمشق التاريخية، دراسة تاريخية ولغوية عن أحيائها ومواقعها القديمة، تراثها وأصولها واشتقاق أسمائها، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٦م.

٣ - الأمير يوسف كمال:

- سياحتي في بلاد الهند الإنجليزية وكشمير ١٩١٣-١٩١٤م، حررها وقدم لها جمال ملحم، دار السويدي للتوزيع، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
- سياحتي في بلاد التيبت الغربية وكشمير (١٩١٥م)، حررها وقدّم لها جمال ملحم، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، ٢٠٠٤م.

٤ - بريجيت مارينو، حي الميدان في العصر العثماني، ترجمة ماهر الشريف، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ٢٠٠٠م.

٥ - حبيب الزيات (ت ١٩٥٤م)، الخزانة الشرقية، مجلة أدبية تاريخية متخصصة بالمشرقيات، ٤م، فيها مجموعة متميزة من التحقيقات والدراسات عن مدينة دمشق وأحيائها وحاراتها وخاناتها وحمّاماتها وأسواقها ط ٢، مكتبة السائح، طرابلس، لبنان، ١٩٩٩م.

٦ - خليل ساحلي أوغلي، من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني ـ بحوث ووثائق وقوانين، منظمة المؤتمر الإسلامي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسيكا)، استانبول، ٢٠٠٠م.

٧ - خير الدين الزركلي (ت ١٩٧٦م)، الأعلام، قاموس تراجم، ٨ ج، ط ٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م.
٨ - شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٨ ج، تحقيق، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨-١٩٧٢م.
٩ - شمس الدين محمد بن علي بن طولون الصالحي (ت ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م):
- إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، حققه محمد أحمد دهمان، دمشق، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.
- حوادث دمشق اليومية ٩٢٦-٩٥١هـ من كتاب مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق أحمد إيبش، دار الأوائل، دمشق، ٢٠٠٢م.
- القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، تحقيق محمد أحمد دهان، دمشق، ١٩٤٩-١٩٥٦م.
١٠ - صلاح جرار، ديوان الحمراء - الأشعار العربية المنقوشة في مباني قصر الحمراء وجنَّة العريف بغرناطة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٩٩م.
١١ - صلاح الدين خليل بن أيبك، الصفدي (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) أمراء دمشق في الإسلام، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٩٥٥م.
١٢ - صلاح الدين المنجد، معجم المؤرخين الدمشقيين وآثارهم المخطوطة والمطبوعة، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٨م.
١٣ - عبد الرزاق البيطار (ت ١٣٣٥هـ/١٩١٧م) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ٣ ج، حققه محمد بهجت البيطار، مطبوعات المجمع العلمي بدمشق، ١٩٦٣م.
١٤ - عبد القادر بن محمد النعيمي (ت ٩٢٧هـ/١٥٢٧م) الدارس في تاريخ المدارس، ٢ ج، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٩٤٨-١٩٥١م.

١٥ - كمال الصليبي، طائر على سنديانة - مذكرات، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٢م.

١٦ - مجلة العاصمة، جريدة الحكومة الرسمية ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م إشراف محمد عدنان البخيت، جمع وإعداد هند أبو الشعر، محمد الأرناؤوط وسلطي الشخاترة، جامعة آل البيت، ١٩٩٨م، الأعداد: ١٥٠-١٦٢ .

١٧ - محمد أديب آل تقي الدين الحصني (١٢٩٢هـ/ ١٨٧٤م -١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠م)، كتاب منتخبات التواريخ لدمشق، ٣ ج، قدم له كمال سليمان الصليبي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩م.

١٨ - محمد بن جمعة المقار الحنفي (ت. ح ١١٥٦هـ/١٧٤٣م) ومعه كتاب الباشات ولقضاة، نشرهما صلاح الدين المنجد، دمشق، ١٩٤٩م.

١٩ - محمد كرد علي (ت ١٩٥٣م)، خطط الشام، ٦ ج، ط ٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧١م.

٢٠ - مقالات كل من دمشق، ديار بكر وماردين في الموسوعة الإسلامية، الطبعة الثانية باللغة الإنجليزية.

٢١ - ياقوت الحموي، شهاب الدين بن عبد الله الرومي، (٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، ٥ ج، دار إحياء التراث العربي بالاعتماد على ما حققه فردناند وستنفلد ليزج (١٨٦٦-١٨٧٠م)، بيروت، ١٩٧٩م.

٢٢ - يوسف بن عبد الهادي (ت ٩٠٩هـ/١٥٠٣م) ثمار المقاصد في ذكر المساجد، تحقيق أسعد طلس، ط ٢، المعهد الفرنسي بدمشق، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٥م.

23. Linda Schatkowski Schilcher, Families in Politics, Damascene Factions and Estates of the 18th Centuries, Franz Steiner Verlag Wiesbaden Gmbh Stuttgart, 1985.

24. Philip S. Khoury, Urban Notables and Arab Nationalism - The Politics of Damascus 1860-1920, Cambridge University Press, Cambridge, 1983.

25. Stephan B.L., *Penrose Jr. That they May Have Life: the story of the American University of Beirut 1866-1941*, Beirut, 1970.

المصادر والمراجع

المصادر العربية

١ – القران الكريم، سورة التوبة آية رقم (١٢٠).

٢ – القرآن الكريم، سورة هود، آية رقم (١١)، (١١٥)، سورة آل عمران آية رقم (٣٠)، (١٧٣) / سورة يوسف آية رقم (٩٠)، سورة الأحزاب آية رقم (٣٣)، سورة الأنبياء آية رقم (٩٤)، سورة الصف آية رقم (٦١)، سورة النساء آية رقم (٤)، سورة يونس آية رقم (١٠)، سورة البقرة آية رقم (١٥٦)، (١٨١)، (٢٦١)، سورة الحجرات، آية رقم (١٣)، سورة المجادلة، آية رقم (٥٨)، سورة المائدة، آية رقم (٥٦).

٣ – الأب .أ .س . مرمرجي الدومنيكي : بلدانية فلسطين العربية (مطبعة جان دارك، بيروت، ١٩٤٨م).

٤ – أحمد بن إبراهيم الحنبلي (ت ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م)، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق ناظم رشيد، بغداد، ١٩٧٨م.

٥ – أحمد تقي الدين بن تيمية (ت ٧٢٨هـ/١٣٢٨م)، فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ٣٠ ج، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد النجدي، مطابع الرياض، ١٨٦١ –١٩٦٣م.

٦ – أحمد تقي الدين بن علي المقريزي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، الجزء الثالث، القسم الثاني، حققه سعيد عاشور، القاهرة، ١٩٧٠م، أخبار ٧٨٩هـ/١٣٨٧م وما بعد.

– السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة،١٩٣٤م.

٧ – أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، – لسان الميزان، ٣م، حيدر أباد الدكن، سنة ١٣٣٠هـ.

– الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٥م، تحقيق محمد سيد جاد الحق، مطبعة المدني، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٦م.

٨ – أحمد أبو العباس بن حسين بن علي بن خطيب بن قنفذ القسنطيني (ت ٨١٠هـ/ ١٤٠٧م)، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي.

– شرف الطالب في أسنى المطالب، ضمن كتاب ألف سنة من الوفيات، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ١٩٧٦م.

٩ – أحمد رفيق: "قونية محاربة سندن سوكرا شهزاده سلطان بايزيد ايرانه فراري– ديوان همايون غير مطبوع وثائقية نظرا، تاريخ عثماني أنجمني مجموعي، السنة الخامسة، عدد ٣٦، شباط ١٣٣١، محمد التميمي، ارسيكا، استانبول.

١٠ – أحمد زيني دحلان (ت ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م)، أمراء البلد الحرام، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٨١م.

١١ – الإمام أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ/ ٩١٦م)، السنين، ٨ج، ط١، تحقيق حسن محمد المسعودي، المطبعة المصرية بالأزهر، ١٩٣٠م.

١٢ – أحمد شلبي عبد الغني الحنفي المصري (ت ١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م)، أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات الملقب بالتاريخ العيني، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٦م.

١٣ – أحمد شمس الدين بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٨ج، تحقيق، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨– ١٩٧٢م.

١٤ – أحمد شهاب الدين بن محمد بن عمر الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨م)، ريحانة الالبا وزهرة الدنيا، ٢م، تحقيق محمد الحلو، القاهرة سنة ١٩٦٧م.

١٥ – أحمد شهاب الدين بن عبد الوهاب النويري (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، السفر الثاني، مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، د.ت، ٢ج.

١٦ – أحمد شهاب الدين بن ماجد (المتوفى سنة ٩٠٦؟/ ١٥٠٠؟)، الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، تحقيق إبراهيم خوري وعزة حسن، دمشق، ١٩٧١م.

١٧ – أحمد بن أبي الضياف (ت ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م)، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، نشر كتابه الدولة للشؤون الثقافية والإخبار، تونس ١٩٦٣م.

١٨ - أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الانشا ١٤م، نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦٣م.
١٩ - نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الابياري، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٥٩م.
٢٠ - قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الابياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م.
٢١ - أحمد بن علي بن قيس بن وحشية (ت ٢٩١هـ/١٢٦٥م)، الفلاحة النبطية، ٣ج، تحقيق توفيق فهد، المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، دمشق ١٩٩٣-١٩٩٨م.
٢٢ - احمد بن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م)، مسالك الإبصار في ممالك الأمصار، ٣ج، تحقيق محمد خريسات وزميليه، مركز زايد للتراث، العين، دولة الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠١م.
- التعريف بالمصطلح الشريف، دراسة وتحقيق سمير الدروبي، جامعة مؤتة، ١٩٩٢م.
٢٣ - أحمد بن محمد الخالدي الصفدي (ت ١٠٣٤هـ/١٦٢٤م)، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، نشره الدكتور أسد رستم والدكتور فؤاد أفرام البستاني تحت عنوان: لبنان في عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني، الطبعة الثانية، منشورات الجامعة اللبنانية بيروت، ١٩٦٩.
٢٤ - أحمد بن محمد المقري (ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٨م، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، سنة ١٩٦٨م.
٢٥ - أحمد بن مصطفى عصام الدين أبو الخير طاشكبرى زاده (ت ٩٠١/٩٦٩هـ)، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٥م.
٢٦ - اسطفان الدويهي (ت ١٧٠٤م)، تاريخ الأزمنة، نشره الأب فردناند توتل اليسوعي، بيروت، ١٩٥١م.
٢٧ - أسعد بن مماتي (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، كتاب قوانين الدواوين، جمعه وحققه عزيز سوريال عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١م.
٢٨ - إسماعيل عماد الدين بن علي أبو الفداء (ت سنة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م)، تقويم البلدان للملك المؤيد، تحقيق. م. رينود م. ديسلان، باريس، ١٨٥٤م.
- أخبار البشر، دار المعرفة بيروت.

٨ – أحمد أبو العباس بن حسين بن علي بن خطيب بن قنفذ القسنطيني (ت ٨١٠هـ/ ١٤٠٧م)، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي.

– شرف الطالب في أسنى المطالب، ضمن كتاب ألف سنة من الوفيات، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ١٩٧٦م.

٩ – أحمد رفيق: "قونية محاربة سندن سوكرا شهزاده سلطان بايزيد ايرانه فراري– ديوان همايون غير مطبوع وثائقية نظرا، تاريخ عثماني أنجمني مجموعي، السنة الخامسة، عدد ٣٦، شباط ١٣٣١، محمد التميمي، ارسيكا، استانبول.

١٠ – أحمد زيني دحلان (ت ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م)، أمراء البلد الحرام، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٨١م.

١١ – الإمام أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ/٩١٦م)، السنين، ٨ج، ط١، تحقيق حسن محمد المسعودي، المطبعة المصرية بالأزهر، ١٩٣٠م.

١٢ – أحمد شلبي عبد الغني الحنفي المصري (ت ١١٥٠هـ/١٧٣٧م)، أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات الملقب بالتاريخ العيني، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٦م.

١٣ – أحمد شمس الدين بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٨ج، تحقيق، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨– ١٩٧٢م.

١٤ – أحمد شهاب الدين بن محمد بن عمر الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ/١٦٥٨م)، ريحانة الالبا وزهرة الدنيا، ٢م، تحقيق محمد الحلو، القاهرة سنة ١٩٦٧م.

١٥ – أحمد شهاب الدين بن عبد الوهاب النويري (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، السفر الثاني، مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، د.ت، ٢ج.

١٦ – أحمد شهاب الدين بن ماجد (المتوفى سنة ٩٠٦؟/ ١٥٠٠؟)، الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، تحقيق إبراهيم خوري وعزة حسن، دمشق، ١٩٧١م.

١٧ – أحمد بن أبي الضياف (ت ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م)، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، نشر كتابه الدولة للشؤون الثقافية والإخبار، تونس ١٩٦٣م.

١٨ – أحمد بن علي القلقشندى (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الانشا ١٤م، نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦٣م.

١٩ – نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الابياري، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٥٩م.

٢٠ – قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الابياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م.

٢١ – أحمد بن علي بن قيس بن وحشية (ت ٢٩١هـ/١٢٦٥م)، الفلاحة النبطية، ٣ج، تحقيق توفيق فهد، المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، دمشق ١٩٩٣–١٩٩٨م.

٢٢ – احمد بن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م)، مسالك الإبصار في ممالك الأمصار، ٣ج، تحقيق محمد خريسات وزميليه، مركز زايد للتراث، العين، دولة الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠١م.

– التعريف بالمصطلح الشريف، دراسة وتحقيق سمير الدروبي، جامعة مؤتة، ١٩٩٢م.

٢٣ – أحمد بن محمد الخالدي الصفدي (ت ١٠٣٤هـ/١٦٢٤م)، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، نشره الدكتور أسد رستم والدكتور فؤاد أفرام البستاني تحت عنوان : لبنان في عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني، الطبعة الثانية، منشورات الجامعة اللبنانية بيروت، ١٩٦٩.

٢٤ – أحمد بن محمد المقري (ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٨م، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، سنة ١٩٦٨م.

٢٥ – أحمد بن مصطفى عصام الدين أبو الخير طاشكبرى زاده (ت ٩٠١/٩٦٩هـ)، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٥م.

٢٦ – اسطفان الدويهي (ت ١٧٠٤م)، تاريخ الأزمنة، نشره الأب فردناند توتل اليسوعي، بيروت، ١٩٥١م.

٢٧ – أسعد بن مماتي (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، كتاب قوانين الدواوين، جمعه وحققه عزيز سوريال عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١م.

٢٨ – إسماعيل عماد الدين بن علي أبو الفداء (ت سنة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م)، تقويم البلدان للملك المؤيد، تحقيق. م. رينود م. ديسلان، باريس، ١٨٥٤م.

– أخبار البشر، دار المعرفة بيروت.

– تقويم البلدان، حققه م، رينود، والبارون ماك كوكيم دي سلان، المطبعة الملكية، باريس، ١٨٤٠م.
٢٩ – إسماعيل بن عمر عماد الدين الحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)،البداية والنهاية، ١٣م، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٦٦م.
٣٠ – إسماعيل بن محمد أمين البابانى البغدادي (ت ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م)، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ٢م، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٥٥م.
٣١ – إسماعيل بن محمد أبو الوليد بن الأحمر (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م)، كتاب مستودع العلامة ومستبدع العلاقة، حققه محمد التركي التونسي ومحمد بن تاوين التطواني، منشورات كلية الآداب والعلوم السياسية، جامعة محمد الخامس، المطبعة المهدية، تطوان(المغرب)، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
٣٢ – إسماعيل أبو نصر بن حماد الجوهري....٣٩٣ هـ/١٠٠٣م، الصحاح، ٦ج، تحقيق أحمد العطار، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.
٣٣ – الأمير يوسف كمال: سياحتي في بلاد الهند الانجليزية وكشمير ١٩١٣–١٩١٤م، حررها وقدم لها جمال ملحم، دار السويدي للتوزيع أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
– سياحتي في بلاد التيبت الغربية وكشمير(١٩٥م)، حررها وقدم لها جمال ملحم، دار السويدي للتوزيع أبو ظبي، ٢٠٠٤ م.
٣٤ – أوقاف وأملاك المسلمين فيَ فلسطين في ألوية غزة، القدس الشريف، صفد، نابلس، عجلون، حسب الدفتر(٥٢٢)، من دفاتر التحرير العثمانية المدونة في القرن العاشر الهجري، تحقيق محمد ايشرلي ومحمد داود التميمي، استانبول، ١٩٨٢م.
٣٥ – بهاء الدين بن شداد (ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٩م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق أحمد إيبش، دار الأوائل، دمشق ٢٠٠٢م.
٣٦ – بيري محيي الدين ريس (المتوفى حوالي سنة ٩٦٢هـ/ ١٥٥٤–١٥٥٥م)، في مؤلفه" كتاب بحرية" الذي قدمه إلي السلطان سليمان القانوني سنة ٩٤٢هـ/١٥٢٥–١٥٢٦م.
٣٧ – حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ٣ج، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٦م.
٣٨ – الحسن بن زفر الاربلي (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م)، مدارس دمشق وحماماتها، تحقيق محمد أحمد دهمان، مجلة المجمع العلمي العربي، ٢٢م، ج١ – ج٢، دمشق، ١٩٤٧م.

٣٩ – حسن بن محمد البوريني (ت ١٠٢٤هـ/١٦١٥م)، تراجم الأعيان من أبناء الزمان، ٢م، تحقيق صلاح الدين المنجد مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٥٩، ١٩٦٣م.

– نص البوريني الموجود في مكتبة ليدن باسم: كراستان فقلتا من خط الشيخ حسن البوريني Cod,Or. 1515 ورقة ٤م.

٤٠ – حسين بن فخر الدين بن قرقماس بن معن المعني (ت ١٠٣٦–١١٠٩هـ).

– التمييز: نسخة بشير بوبو رقم (٣٧٥٣)، عدد أوراقها ٢٠٢.

– التمييز: نسخة داماد إبراهيم، رقم (٩٤٥) ورقة: ١٩٨ب–١٩٩أ.

– التمييز: نسخة داماد إبراهيم رقم (٩٤٦)، عدد أوراقها ١٩٤.

– التمييز: نسخة نور عثمانية (٣٧٥٥)، عدد أوراقها مائة وسبعون ورقة.

– التمييز : نسخة نور عثمانية (٣٧٥٦)، عدد أوراقها (٣٥٨).

– التمييز: نسخة أسعد أفندي رقم (٢٥٥١).

– التمييز: نسخة الاحمدية رقم (٦٩٠)، عدد أوراقها ١٩٤.

– التمييز: نسخة جامعة Yale مجموعة لاندبيرج (٨٤)، عدد الأوراق ٢٢٦.

– التمييز: نسخة عاطف أفندي رقم (٢٢٣٣)، عدد أوراقها ٢٠٦.

٤١ – حيدر أحمد الشهابي، الغرر الحسان في أخبار أبناء الزمان، القسم الأول، تحقيق أسد رستم وفؤاد أفرام البستاني، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، سنة ١٩٦٩م.

٤٢ – خليل بن أيبك صلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، أمراء دمشق في الإسلام، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٩٥٥م.

– الوافي بالوفيات، ١٥م، (تحقيق Brend Radtke)، فيسبادن ١٩٧٩م، رمضـان عبد التواب.

٤٣ – خليل ساحلي أوغلو: قانون نامة السلطان سليمان القانوني، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية.

– قانون نامة آل عثمان (السلطان محمد الفاتح)، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية.

– من تاريخ الاقطار العربية في العهد العثماني – بحوث ووثائق وقوانين، منظمة المؤتمر الإسلامي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (ارسيكا)، استانبول، ٢٠٠م.

– قوانين الاعتماد لعلي جاويش الصوفيوي، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية.

– رسالة عين علي أفندي في التجار "والمأجورون"، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية.

٤٤ – خليل غرس الدين بن شاهين الظاهري (ت ٨٧٣هـ/١٤٦٨)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، نشره لولس راويس، باريس، ١٨٩٤م.
٤٥ – رجاء محمود السامرائي، محقق رحلة إبراهيم الخياري تحفة الأدباء وسلوة الغرباء، بغداد ١٩٦٩م.
٤٦ – زكريا بن محمد القزويني (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م)، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ط ٤، تحقيق فاروق السعد، دار الأمانة بيروت، ١٩٨١م.
٤٧ – شافع بن علي عباس (المتوفى سنة ٧٣٠هـ/١٣٣٠م)، كتاب حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض، ١٩٧٦م.
٤٨ – صالح بن يحيى (ت ٨٤٠هـ/١٤٣٩م)، تاريخ بيروت، : أخبار بيروت / أخبار السلف من ذرية بحتر بن علي أمير الغرب بيروت، حققه فرنسيس هورس اليسوعي وكمال سليمان الصليبي، دار المشرق، بيروت، ١٩٦٩م.
٤٩ – ضياء الدين عبدا لله بن أحمد المالقي بن البيطار (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ٤م تصوير مكتبة المثني بغداد، د.ت.
٥٠ – طنوس الشدياق (ت ١٨٥٩م)، كتاب أخبار الأعيان في جبل لبنان، ٢م، حققه فؤاد أفرام البستاني، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٧٠م.
٥١ – عبد الله بن محمد البدري (ت ٨٩٤هـ/١٤٨٩م)، نزهة الأنام في محاسن الشام، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤١هـ.
٥٢ – عبد الله موفق الدين بن قدامة (٦٢٠هـ/١٢٢٣م)، المغني في شرح الخرقي، ١٢ج، مطبعة المنار، القاهرة، ١٩٢٢م.
٥٣ – عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٨ج، دار الأفاق الجديدة، بيروت، د.ت.
٥٤ – عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، العبر وديوان المتبدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ٧م، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٥٦م، ١٩٥٩م.
٥٥ – عبد الرحمن مجير الدين بن محمد أبو اليمن العليمي (ت ٩٢٧هـ/١٥٢٠م)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ٢ج، مكتبة المحتسب عمان، ١٩٧٣م.
٥٦ – عبد الرزاق البيطار (ت ١٣٣٥هـ/١٩١٧م)، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ٣ج، حققه بهجت البيطار، مطبوعات المجمع العلمي بدمشق، ١٩٦٣م.
٥٧ – عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣هـ/١٧٣٠م)، حلة الذهب الإبريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز، تحقيق صلاح الدين المنجد، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، ١٩٧٩م.

- الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز تقديم وإعداد أحمد عبد المجيد هريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م.
- التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية، حققها وقدم لها هيربرت بوسه، بيروت، ١٩٧٠م.

٥٨ - عبد القادر بدران (ت ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م)، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، منشورات المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م.

٥٩ - عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن إبراهيم الأنصاري الجزيري (من أهالي القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي)، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، ٣ج، حققه الشيخ حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٩٨٣م.

٦٠ - عبد القادر بن محمد النعيمي (ت ٩٢٧هـ/١٥٢٧م)، الدارس في تاريخ المدارس، ٢ج، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٩٤٨-١٩٥١م.

٦١ - عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م)،
- الأنساب، ٢ج، حققه عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، الناشر محمد أمين دمج، بيروت، ط ٢، ١٩٩٠م.
- الأنساب، ط٢، ٩ج، صححه عبد الرحمن اليماني، حيدر أباد الدكن، ١٩٨١م.

٦٢ - العز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م)، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ٢ج،ط ٢، القاهرة، بيروت، دار الجيل، ١٩٦٨م،١٩٨٠م.

٦٣ - علاء الدين بن خطيب الناصرية الحلبي (٨٤٢هـ/١٤٣٨م)، الدر المنتخب في تاريخ حلب، مخطوط، مكتبة دار الأوقاف الإسلامية بحلب رقم ١٢١٢، ٢م.

٦٤ - علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٤م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م.

٦٥ - علي بن إسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م)، المخصص ١٧ج، تحقيق جماعة من علماء الأزهر، ١٣٢١هـ، إعادة تصوير دار الفكر القاهرة، ١٢ج.

٦٦ - علي بن أبي بكر الهروي (ت ٦١١هـ/١٢١٤م)، كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات، نشرته جانين سورديل-طومين، دمشق، ١٩٥٣م.

٦٧ - علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٩م)، كتاب الأحكام السلطانية، صححه محمد بدر الدين النعساني الحلبي، عن ط١، القاهرة، ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م. وعنه ط٢، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

٦٨ - محمد محمد أمين، فهرست وثائق القاهرة حتى نهاية عصر سلاطين المماليك ٢٣٩-٩٢٢هـ/٨٥٣-١٥١٦م، منشورات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨١م.
٦٩ - قانون نامة ولاية الشام من عهد السلطان سليمان القانوني، الذي نشره :
٧٠ - Ahmed Akgunduz, Osmanli Kanunnameleri Ve Hukuki Tahlilleri , 9 vols, Istanbul , 1994, vol. Vii
٧١ - محمد بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني (ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ٤م، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ١٩٧٠م.
٧٢ - محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري (١٩٤-٢٥٦هـ/ ٨٧٠م)، صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب نصر المظلوم، حديث رقم (١٩)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٣ م.
- كتاب التاريخ الكبير، ٤ ج، في ثمانية مجلدات، حيدر أباد الدكن، ١٩٤١-١٩٣٤م.
٧٣ - محمد أمين بن علي السويدي (ت ح ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م)، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، دار إحياء العلوم، بيروت، د.ت.
٧٤ - محمد أمين بن فضل الله بن محل الله المحبي (ت ١١١١هـ/١٦٩٩م)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٤ م، تصوير دار صادر بيروت، لا.ت.
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٤ م، بيروت، ١٩٧٠م.
٧٥ - محمد بن أبي القاسم أبو عبد الله ابن أبي دينار الرعيني القيرواني (ت ١٠٩٢هـ/ ١٦٨١م)، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، تحقيق وتعليق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
٧٦ - محمد ثريا، سجل عثماني ياخوذ تذكرة مشاهير عثمانية، نسخة مصورة عن طبعة اسطنبول، ١٣١١هـ.
٧٧ - محمد ثريا، سجل عثماني، ٢ م، ص ١١٩.
٧٨ - محمد جمال الدين بن المكرم بن منظور(ت ٧١١ هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب، ١٥ ج، دار صادر، بيروت، ١٩٥٦-١٩٥٥م.
٧٩ - محمد بن جمعة المقار الحنفي (ت ١١٥٦هـ/١٧٤٣م)، الباشات والقضاة، نشره صلاح الدين المنجد مع نصين آخرين باسم" ولاة دمشق في العهد العثماني" . دمشق، ١٩٤٩م.

٨٠ – محمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت ٤٦٠هـ/١٠٦٧م)، التبيان في تفسير القرآن، ٩ ج، صححه ورتبه أحمد شوقي وأحمد حبيب، النجف، ١٩٥٧– ١٩٦٣.
٨١ – محمد خليل بن علي أبو الفضل المرادي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ٤ ج، بولاق، القاهرة، ١٣٠١هـ.
٨٢ – مجاهد بن جبر المكي (ت ج ١٠٤هـ/٧٢٢م)، تابعي من كبار المفسرين درس على عبد الله بن عباس وله تفسير مطبوع.
٨٣ – محفوظات طوب قبو، تحت رقم ١٠٧٤٣، استانبول.
٨٤ – محمد بن إبراهيم الزركشي اللؤلؤي (ت ٨٨٢هـ/١٤٧٧م)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، مطبعة الدولة التونسية ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م.
٨٥ – محمد بن إياس بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، المجلد الثالث، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، ١٩٦٣م.
٨٦ – محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي (ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م)، مفاتيح العلوم، تحقيق إبراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٩.
٨٧ – محمد رضي الدين بن إبراهيم الحلبي (ت ٩٧٠هـ/١٥٦٣–١٥٦٤م)، در الحبب في تاريخ أعيان حلب، تحقيق محمود الفاخوري، ويحيى عبادة، ٣ ج، دمشق، ١٩٧٣م.
٨٨ – محمد سعيد القاسمي (ت ١٣١٧هـ/١٩٠٠م) وجمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢هـ/١٩١٤م)، وخليل بن مصطفى بن حافظ باشا العظم (ت ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م) – قاموس الصناعات الشامية، حققه وقدم له ظافر القاسمي دمشق، ١٩٨٨م.
٨٩ – محمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، فوات الوفيات والذيل عليها، ٢م، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣م، ١٩٧٤م.
٩٠ – محمد شمس الدين شيخ الربوة بن أبي طالب الأنصاري (ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م)، بغداد، ١٩٢٨م.
٩١ – محمد شمس الدين بن أحمد البشاري المقدسي (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق M.J.De Goeje، بريل ليدن، ١٩٠٦م، ١٩٠٩م، أعيد تصويره في بيروت د.ت.
٩٢ – محمد شمس الدين بن طولون الصالحي (ت٩٥٣ هـ/١٥٤٦م).
– مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ٢ ق، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، ١٩٦٤م.
– القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، ٢ ق، تحقيق محمد أحمد دهمان، مكتب الدراسات الإسلامية، دمشق، ١٩٤٩م، ١٩٥٦م.

– إعلام الورى بمن ولي نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، حققه محمد أحمد دهمان، دمشق، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.
– حارات دمشق القديمة، تحقيق حبيب الزيات، الخزانة الشرقية.
– «ضرب الحوطة على جميع الغوطة»، نشر حبيب الزيات، الخزانة الشرقية، ١ ج (١٩٣٦)، طبعة جديدة، طرابلس، ١٩٩٩م.
– حوادث دمشق اليومية ٩٢٦–٩٥١هـ، من كتاب مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق أحمد إيبش، دار الأوائل، دمشق، ٢٠٠٢م.
– حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين الذي نشر محمد أحمد دهمان جزء منه ملحقا للكتاب ابن طولون أعلام الورى.
٩٣ – محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م)، الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٦٢م.
٩٤ – محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م)، تاريخ لبنان وفلسطين والأردن، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، دمشق، ١٩٦٢م.
٩٥ – محمد بن صصرى (ت أواخر القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي؟)، الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، نشره مع ترجمة انكليزية له Brinner William M، ٢ م، جامعة كاليفورنيا، ١٩٦٣م.
٩٦ – محمد بن عبد الرحمن شمس الدين السخاوي (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٧م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ١٢م، نسخة مصورة منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لا. ت.
٩٧ – محمد بن عبد الرحيم بن الفرات (ت ٨٠٧هـ/١٤٥٥م)، تاريخ ابن الفرات، حققه وضبط نصه قسطنطين زريق، المطبعة الأمير كاتبه بيروت، ١٩٤٢م، ٧٠ ج.
٩٨ – محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، كتاب المغازي، ٣ ج، تحقيق مارسدن جونز، مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٦٦م.
٩٩ – محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩هـ/٩٨٢م)، الجامع الصحيح، ٥ ج، ط٢، تحقيق أحمد بن محمد شاكر، القاهرة ١٩٧٨م.
١٠٠ – محمد بن عيسى بن محمود بن كنان الدمشقي الصالحي (ت ١١٥٣هـ/١٧٤٠م)، حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين الذي نشره محمد أحمد دهان جزءا منه ملحقا لكتاب ابن طولون إعلام الورى.
١٠١ – محمد بن قاسم النويري الاسكندري، الإلمام بالأعلام في ما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية، تحقيق عزيز سوريال عطية، حيدر أباد الدكن، ١٩٦٨م.

١٠٢ – محمد بن محمد الادريسي، (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٠م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، روما، ١٩٧٤م.

١٠٣ – محمد بن محمد أبو المكارم نجم الدين الغزي (ت ١٠٦١هـ/ ١٦٥١-١٦٥٠م)، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، ٣ ج، تحقيق جبرائيل جبور، ط٢، دار الآفاق، بيروت، ١٩٧٩م.

– لطف السمر وقطف الثمر، ورقة ٤٤ب–٤٥أ.

– الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، ٣ م، تحقيق جبرائيل جبور، المطبعة الأمريكية، بيروت ١٩٥٤–١٩٥٩م.

١٠٤ – محمود بن محمد الوزير السراج الزبيدي الأندلسي (ت ١١٤٩هـ/١٧٣٦م)، الحلل السندسية في الإخبار التونسية، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٠م، المجلد الأول في أربعة أجزاء.

١٠٥ – محمد مرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م)، جذوة الاقتباس في نسب بني العباس، تحقيق يحيى محمود بن جنيد، الدار العربية للموسوعات، الحازمية، لبنان، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

– رسالة السيد الزبيدي: تحفة القماعيل في مدح شيخ العرب اسمعيل أبو المحامد مجد الدين إسماعيل بن عبد الله بن همام الهواري الرعيني الحميري، كتبها ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠–١٧٧١م)، منها نسخة في دار الكتب المصرية ونسخة في الخديوية.

– ترويح القلوب في ذكر بني أيوب، تحقيق صلاح الدين المنجد، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦٩م.

– تاج العرس من جواهر القاموس، (٤٠ ج)، الكويت، ١٩٦٥–٢٠٠٠م.

١٠٦ – محمد مكي بن السيد: مذكرات أحد أبناء حمص ١١٠٠–١١٣٥هـ/١٦٦٨–١٧٢٢م، الجامعة الأمريكية بيروت، المحفوظة تحت رقم T 181/95609، تحقيق عمر العمر، جامعة دمشق، ١٩٧٩م.

١٠٧ –محيي الدين بن عبد الظاهر (ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م)، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض، ١٩٧٦م.

١٠٨ –مرضي بن علي بن مرضي الطرسوسي (ت ٥٨٩هـ)، تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الاسواء ونشر إعلام الأعلام في العدد والآلات المعنية على لقاء الأعداد" تحقيق كلود كاهين في : BEO, 12 (1942-8) 6, 106-12, sp. 112 .

١٠٩ – مكتبة طوب قبو، وثيقة رقم ٦٣٤١، اسطنبول.

١١٠ – المكتبة الوطنية، فيينا، مخطوط البوريني Cod Arab, 1190 Mixt 346 .
١١١ – مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي، الجامع لنصوص الاقتصاد الإسلامي، ٣ ج، إشراف عبد العزيز الدوري، عمان، ٢٠٠٢–٢٠٠٣م.
١١٢ – موسى بن محمد اليونيني (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٦م)، ذيل مرآة الزمان، ٤ ج، ط ١، حيدر أباد الدكن، ١٩٥٤م.
١١٣ – الناصر محمد بن قلاوون (٧٠٩هـ/١٣٠٩م–٧٤١هـ/١٣٤١م)، اللمعات البرقية في النكت التاريخية، تحقيق محمد خير رمضان يوسف دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٤م.
١١٤ – نعيمة، تاريخ نعيمه: روضة الحسين في خلافة أخبار الخافقين، ٦ م، نشره بالحرف التركي الجديد، زهوري دانشمان، اسطنبول، ١٩٦٧–١٩٦٩م.
١١٥ – وقف سنان باشا (ت ١٠٠٤هـ/١٥٩٥م)، دمشق، لا.ت.
١١٦ – وقف فاطمة خاتون بنت محمد بك ابن السلطان الملك الاشرف قانصوة الغوري، حققه خليل مردم بك، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٢٥م.
١١٧ – وقف الوزير لالا مصطفى باشا (ت ٩٨٨هـ/١٥٨٠م)، ضبطه ونشره خليل مردم بيك، مطبعة الترتقي، دمشق،١٩٢٥م.
١١٨ – ياقوت شهاب الدين بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، ٦م، تحقيق فردناند وستنفلد، ليبزج، ١٨٦٨، تقويم البلدان.
– معجم البلدان،تحقيق فردناند وستنفلد، طبعه مصورة طهران ١٩٦٥م.
– معجم البلدان، ٥ ج، دار إحياء التراث العربي بالاعتماد على ما حققه فردناند وستنفلد ليبزج (١٨٦٦–١٨٧٠م)، بيروت، ١٩٧٩م.
١١٩ – يحيى بن أبي الصفا بن أحمد بن محاسن (ت ١٠٥٣هـ/١٦٤٤م)، المنازل المحاسنية في الرحلة الطرابلسية، تحقيق محمد عدنان البخيت، دار الآفاق، بيروت، ١٩٨١م.
١٢٠ – يوسف جمال الدين بن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٢م، طبعه مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، (١٩٢٩–١٩٥٦م).
١٢١ – يوسف جمال الدين بن عبد الهادي (ت ٩٠٩هـ/١٥٠٣م)، ثمار المقاصد في ذكر المساجد، تحقيق أسعد طلس، ط ٢، المعهد الفرنسي بدمشق، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٥م.

- نزهة الرفاق عن شرح حال الأسواق، تحقيق حبيب الزيات، الخزانة الشرقية، ٣ ج، ط ٢، طرابلس، ١٩٩٩م.
- نزهة الرفاق عن شرح أحوال الأسواق (بدمشق)، نشره حبيب الزيات، الخزانة الشرقية، عن مجلة المشرق، ٣ ج المطبعة الكاثوليكية، ١٩٤٤م.
- غدق الأفكار في ذكر الأنهار، تحقيق صلاح الخيمي:
Bulletin d'Etudes Orientales, Damascus, vol. xxxiv., (1982)
- كتاب الحسبة، نشره حبيب نقولا الزيات (ت ١٩٥٤م)، الخزانة الشرقية، ٢ ج، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٣٧م.
- الاعانات على معرفة الخانات، حققه حبيب الزيات، المشرق، ٣٦م، (١٩٣٨م)، الخزانة الشرقية، طرابلس، ط ٢، ١٩٩٩م.

١٢٢ – المطران يوسف الدبس (ت ١٩٠٧م)، تاريخ سورية، المطبعة العمومية، بيروت، ١٩٠٣م.

أ- دفاتر الطابو المنشورة

١ – دفتر مفصل ناحية مرج بني عامر وتوابعها ولواحقها التي كانت في تصرف الأمير طره باي ٩٤٥هـ/١٥٣٦م، دراسة وترجمة وتحقيق محمد عدنان البخيت ونوفان رجا الحمود، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٩م.
٢ – دفتر مفصل لواء عجلون (T.D. 970) استانبول، دراسة وتحقيق وترجمة محمد عدنان البخيت ونوفان رجا الحمود، عمان، ١٩٨٩م.
٣ – دفتر مفصل لواء اللجون / طابو دفتري (T.D. 181)، سنة ١٠٠٥هـ/١٥٩٦–١٥٩٧م، دراسة وتحقيق وترجمة محمد عدنان البخيت ونوفان رجا الحمود، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٩م.
٤ – دفتر مفصل لواء عجلون (T.D. 185) أنقره، سنة ١٠٠٥هـ/١٥٩٦–١٥٩٧م، دراسة وتحقيق وترجمة محمد عدنان البخيت ونوفان رجا الحمود، عمان، ١٩٩١.
٥ – دفتر طابو (T.D. 427) تاريخ ٩٣٢هـ/١٥٢٥–١٥٢٦–٩٣٤هـ/١٥٢٧–١٥٢٨م، من مخطوطات رئاسة الوزراء باستانبول نشره محمد عدنان البخيت و نوفان رجا السوارية، مؤسسة الفرقان، لندن، ٢٠٠٦م.
٦ – دفتر مفصل خاص أمير لواء الشام (T.D. 275) سنة ٩٥٨هـ/١٥٥م، دراسة وتحقيق وترجمة محمد عدنان البخيت، عمان، ١٩٨٩م.

ب- دفاتر الطابو غير المنشورة

١ – دفتر طابو (T.D. 99)، سنة ١٠٠٥هـ/١٥٩٦-١٥٩٧م، مديرية الأراضي بأنقرة، المجلد الثالث.
٢ – دفتر (T.D. 131)، ٩٣٢-٩٣٨هـ/١٥٢٦م-١٥٣١-١٥٣٢م، اسطنبول، مؤسسة الفرقان، لندن، ٢٠٠٧م.
٣ – دفتر طابو (T.D. 177)، تاريخ ١٠٠٥هـ/١٥٩٦-١٥٩٧م.
٤ – دفتر (T.D. 192)، ٩٤٥هـ/١٥٣٨م، اسطنبول.
٥ – دفتر طابو : (T.D. 383) (حوالي ٩٣٧هـ/ ١٥٣٠م)، أرشيف رئاسة الوزراء، اسطنبول.
٦ – دفتر طابو (T.D. 401) (حوالي سنة ٩٥٠هـ/١٥٤٣م)، أرشيف رئاسة الوزراء، اسطنبول.
٧ – دفتر طابو (T.D. 430) (حوالي سنة ٩٣٠هـ/١٥٢٣م)، أرشيف رئاسة الوزراء، اسطنبول.
٨ – دفتر طابو (T.D. 474) (٩٧٧ هـ/١٥٦٩م)، اسطنبول.
٩ – دفتر طابو رقم (T.D . 602) اسطنبول.
١٠ – دفتر طابو (T.D. 1015) اسطنبول.
١١ – دفتر مالية د ن مدور رقم ٢٧٢٣ (اسطنبول ٩٦١-٩٧٤هـ/١٥٥٣-١٥٥٦م).
١٢ – مالية دن مدور، رقم ٣٧٢٣ : ٧٣.
١٣ – طابو دفتر رقم (T.D. 181)، أنقرة.
١٤ – طابو دفتري رقم (T.D. 192) اسطنبول.
١٥ – طابو دفتري رقم (T.D. 263) اسطنبول.
١٦ – طابو دفتري (T.D. 383) اسطنبول.
١٧ – طابو دفتري، (T.D. 401) (حوالي سنة ٩٥٠هـ/١٥٤٣م)، اسطنبول.
١٨ – طابو دفتر (T.D. 401) اسطنبول.
١٩ – طابو دفتري (T.D. 430) اسطنبول.
٢٠ – طابو دفتري، (T.D. 543)، أنقرة.
٢١ – مديرية أوقاف دمشق، المجلد الثاني، مديرية أوقاف دمشق.
٢٢ – مهمة دفتري، مجلد (٧) رقم الحكم ٦١٦، ١٦ محرم سنة ٩٧٦هـ/ ١١/٧/١٥٦٨م.
٢٣ – مهمة دفتري، مجلد (١٢)، رقم الحكم ربيع الثاني سنة ٩٧٩هـ/آب ١٥٧١م.
٢٤ – مهمة دفتري (M.D. 7)، حكم ٣٤، تاريخ : غرة صفر ٩٧٥هـ/٧ آب ١٥٦٧م.

المصادر الأجنبية

1. ABU HUSAYN, Abdul-Rahim, *Provincial Leadership in Syria 1575-1650*, A.U.B., 1985.
2. AKDAG (d. 1972), Mustafa, *Turk Halkinin Dirlik v^e Duzenlik Kavgasi*, Bilgi Yayinlari, Ankara, 1975.
3. AKGUNDUZ, Ahmed, *Osmanli Kanunnameleri v^e Hukuk Tahlilleri*, 9 vol., Istanbul, 1990-1996.
4. ALLAN, J., « Para », *E.I.*², vol. VIII, p. 266-267.
5. ARNOLD (Sir), Thomas W., *The Caliphate, Routledge and Regan Paul*, London, Reprint, 1967.
6. ATASSI, Sarab and PASCUAL, J.-P., « Sūḳ Damascus Under The Ottomans », *E.I.*², vol. IX, p. 792-795.
7. ATTIYA, Aziz S., *Crusade, Commerce, and Culture* (CUP 1967).
8. AYALON, D., « Halḳa », *E.I.*², III, p. 99.
9. BAKHIT, M.A., *The Ottoman Province of Damascus in the 16th Century*, Librairie du Liban, Beirut, 1982.
   - « Al-Salt », *E.I.*², vol. VIII, p. 999-1000.
   - « Al-Shawbak », *E.I.*², vol. IX, p. 373-374.
   - « The Christian Population in the Province of Damascus in the Sixteenth Century », in *Christian and Jews in the Ottoman Empire*, vol. II, edited by B. BRAUDE & B. LEWIS, Holmes & Meier Publishers, N.Y., London, 1982.
   - « Ladjdjun », *E.I.*², vol. V, p. 593-594.
   - « Sidon in Mamluk and Early Ottoman Times », *al-Abhath*, A.U.B., Beirut, 1981, p. 51-64.
10. BARKAN, O.L., « Daftar-i khakani », *E.I.*², II, p. 81-82.
    - (ed), XV re XVI inci asirlarda *Osmanli Imparator Lugunda Zirai ekonominin hukuki ve mali esaslari*, vol. I, Published under the title of Kanunlar, Istanbul, 1943.

11. BAYUR, H., « Osmanli Padishahi II, Suleymanin Gurkanli Padishah I. Alemgir (Evren-Gzib), e Mektubu », Belleten, 14, 1950, p. 269-287.
12. BOSWORTH, C.E., « Djudham », *E.I.*[2], vol. II, p. 573.
- *Islamic Surveys : The Islamic Dynasties*, Edinburgh, U. P., 1967.
13. BOWEN, H., « Aķçe », *E.I.*[2], vol. I, p. 314-318.
14. BUHL, FR., « Ṭarābulus », *E.I.*[2], vol. IV, p. 660.
- « Al-Arish », *E.I.*[2], vol. I, p. 630.
- « Akka », *E.I.*[2], vol. I, p. 34.
15. COHEN, Amnon & LEWIS, Bernard, *Population and Revenue in the Towns of Palestine in the Sixteenth Century*, Princeton University Press, 1978.
16. COHEN, Amnon, *A World Within : Jewish Life as Reflected in Muslim Court Documents From the Sijjil of Jerusalem*, Center For Judaic Studies, University of Pennsylvania, 2 Parts, 1994.
- « Ḥamūla », *E.I.*[2], vol. III, p. 149-150.
17. CREASY, Edward S., *History of the Ottoman Turks*, Reprint, Khayats, Beirut, 1961.
18. DOZY, R., *Supplément aux Dictionnaires Arabes*, 2 vols, Librairie du Liban, Beyrouth, 1968.
19. DREWES, G.W.J., « The Legatum Warneriamum of Lieden University Library », in *Levinus Warner and His Legacy*, E.J. Brill, Leiden, 1970, p. 1-31.
20. EDBURY, P.W., « The Crusading Policy of King Peter I of Cyprus 1359-1369 », in *Eastern Mediterranean Lands in the Period of the Crusades*, ed P. M. Holt London 1977, p. 90-105.
21. ELISSÉEFF, N., « Bayrūt », *E.I.*[2], vol. I, p. 1137-1138.
- « Hiṣn Al-Akrād », *E.I.*[2], vol. III, p. 503-506.
22. FRESCOBALDI, Guccial Sigol, *Visit To the Holy Places of Egypt, Sinai, Palestine and Syria in 1384*, translated from the Italian by Fr. Theophilus BELLORINI and Fr. Eugene HOADE, Jerusalem 1948.
23. GERBER, H., « Muķāṭa'a in the Ottoman Empire », *E.I.*[2], vol. VII, p. 508.
24. GHARAIBEH, A.K., « Ḥarīr - The Arab Lands in the Post-Mongol Period », *E.I.*[2], vol. III, p. 218.
25. GIBB, Hamilton (Sir) and BOWEN, Harold, *Islamic Society and the West*, Oxford University Press, Reprint, 1963, vol. I, part 1.
26. *Gregg International Publishers Limited*, Hants, 1971, vol. II.
27. GRISWOLD, W.J., *Political Unrest and Rebellion in Antolia 1606-1609*, Ph.D. Thesis, University of Calfornia, Los Angeles, 1966.

28. GUILMARTIN (JR.), John Francis, *Gunpowder and Galleys, Changing Technology and Mediterrannean Warfare at Sea in the Sixteenth Century*, Cambridge University Press, 1974.

29. HEIDENMANN, S., « Sūra », *E.I.*², vol. IX, p. 894.

30. HEYD, U., « A Turkish Description of the Coast of Palestine in the Early 16th Century », *Israel Exploration Journal*, vol. VI, 1956, p. 210-211.

- *Studies in Old Ottoman Criminal Law*, edited by V.L. MENAGE, Oxford University Press, 1973.
- *Ottoman Documents on Palestine 1552-1615*, Oxford University Press, 1960.
- « Djurm », *E.I.*², vol. II, p. 604.
- « Ḥayfa », *E.I.*², vol. III, p. 324-326.

31. HILL, George (Sir), *A History of Cyprus*, vol. IV, Cambridge University Press, 1952.

32. HOADE, Eugene, *Jerusalem 1945, 82, Crossroads of Cultures*, ed. Anne ZAHLAN, Beirut, 1970.

33. HOURANI, A., « Historians of Lebanon », in *Historians of the Middle East*, edited by B. Lewis and P.M. Holt, OUP, 1962, p. 226-245.

34. HOURS, Francis S.J. and SALIBI, Kamal, « Muhammed Ib Al-Hanash Muqaddam de la Biqa, "1499-1518" », *Mélanges de l'Université Saint-Joseph*, Face. 1, tome XIII (1968).

35. HUART, CL, « Segban », *E.I.*², vol. IV, p. 203-204.

36. HÜTTEROTH, Wolf-Dieter and ABDULFATTAH, Kamal, *Historical Geography of Palestine, Transjordan and Southern Syria in the Late 16th Century*, Erlangen, 1977.

37. INALCIK, H., « Resm », *E.I.*², vol. VIII, p. 486-487.

- « Kanunname », *E.I.*², vol. IV, p. 562-566.
- « Dar al-Darb - The Ottoman Period », *E.I.*², vol. II, p. 118-119.
- « Giray », *E.I.*², vol. II, p. 1112-1114.
- « Imtiyazat », *E.I.*², vol. III, p. 1179-1189.
- « Ottoman Methods of Conquest », *Studia Islamica*, vol. II, (1954), p.102-129.
- *The Ottoman Empire: The Classical Age 1300-1600*, Weiden feld and Nicolson, London, 1973.
- « Djem », in *E.I.*², vol. II, p. 542-544.

38. KHOURY, Philip, *Urban Notables and Arab Natioalism - The Politics of Damascus 1860-1920*, Cambridge University Press, Cambridge, 1983.

39. Köprülü, Orhan F., « Amdja-Zade Husayn Pash », *E.I.*², vol. III, p. 626-627.
40. Landau, Jacob (M.), *The Hejaz Railway and Muslim Pilgrimage: ACase of Ottoman Political Propaganda*, Wayne State University Press, 1971.
41. Lane-Poole, Stanley, *The Muhammadan Dynasties*, Reprint Khayats, Beirut, 1966.
42. Lecerf, J., « 'Ashīra », *E.I.*², vol. I, p. 700.
43. Lewis, B., « Amīn », *E.I.*², vol. II, p. 695-696.
 - « Nazarreth in the 16th Century, According to the Ottoman Tapu Rejisters ».
 - Jaffa in the 16th century, According to the Ottoman Tahrir Rejesters », in *Studies in Classical and Ottoman Islam,* Variorum, Reprint, London, 1977, p. 416-446
 - « An Arabic Account of the Province of Safad », *BSOAS*, vol. XV, (1953), p. 477-88.
 - « Arus Resmi », *E.I.*², vol. I, p. 679.
 - « Bād-i Hawa », *E.I.*², vol. I, p. 850.
 - « Bayt al-Māl - The Ottoman Times », *E.I.*², vol. I, p. 1147-1148.
 - « Daftar », *E.I.*², vol. II, p. 72-81.
 - « Studies in the Ottoman Archives ».
 - « The Jews in Palestine in the 16th Century », *Notes and Documents from the Turkish Archives, in Studies in Classical and Ottoman Islam*, Variorum, London, 1976, section XX.
 - « Başvekalet Arşivi », *E.I.*², vol. I, p. 1089-1091.
 - « Beratli » *E.I.*², vol. I, p. 1171.
 - *The Emergence of Modern Turkey*, 2nd edition, Oxford University Press, 1968.
44. Lewis, Thomans, *A Study of Naima*, Edited by Norman Itzkowitz, N.Y., Press,1972, p. 22-24.
45. Luke, Harry, « The Kingdom of Cyprus 1291-1369 » and « The Kingdom of Cyprus 1369-1489 », in *A History of the Crusades*, III, p. 340-395.
46. Mantran, R. and Sauvaget, J., *Règlements Fiscaux Ottomans, Les Provinces Syriennes*, Institut français de Damas, Beyrouth, 1951.
47. Marvin Lapidus, Ira, *Muslim Cities in the Latter Middle Ages*, Cambridge, Massachusetts, 1967.
48. Maundrell, Henry, *A Journey From Aleppo to Jerusalem in 1697*, Reprint, Khayats, Beirut, 1963.
49. Minorsky, V. {R.M Burrell}, « Banu Lam », *E.I.*², vol. V, p. 645-646.
50. Mordtmann, J.H., (V.L. Menage), « Feridun Beg », *E.I.*², vol. II, p. 881-2.

51. NAIMA, Mustafa (d. 1128/1716) *Annals of the Turkish Empire From 1591-1629*, translated by Charles FRASER, London, 1832, Reprint Arno Press, N.Y., 1973.

52. NEMOY, Leon, *Arabic Manuscripts in the Yale University Library*, Yale University Press, 1956, No 446 (L-84), p. 59.

53. PARRY, V. J., « Bayazid II », in *E.I.*[2], vol. I, p. 1153-1155.

54. PASCUAL, Jean-Paul, *Damas à la fin du XVI*[e] *siècle, d'après trois actes, de waqf Ottomans*, Damascus, 1983.

55. POGGIBONSI (OF), Fra Niccola, *A Voyage Beynod the Seas, 1346-1350*, translated by Fr. T. Bellorini and others, Jerusalem 1945.

56. RENTZ, G., « Hutaym », *E.I.*[2], vol. III, p. 641-642.

57. REYCHMAN, Jan and ZAJACZKOWSKI, Ananiasz, *Handbook of Ottoman - Turkish Diplomatics*, Trans. by A.S. Ehrenkreutz, Mouton, the Hague, Paris, 1968.

58. RHODE, Harold, *The Administration and Population of the Sancak of Safad in the 16*[th] *Century*, Ph.D. Thesis, Columbia University, 1979.

59. RIPPIN, A., « Mudjahid b. Djabr al-Makki », *E.I.*[2], vol. VII, p. 293.

60. ROGAN, Eugene L., *Frontiers of the State in the Late Ottoman Empire*, Cambridge University Press, 1999.

61. SALIBI, Kamal S. , « Northern Lebanon Under the Dominance of Gazir (1517-1591) », *Arabica*, 14 (1967), p.144-166.
  - « Fakhr Al-Din Al-Ma'ni », *E.I.*[2], vol. I, p. 749-751
  - « The Buhturids of the Gharb », *Arabica*, 8 (1961), p.74-97.
  - *Maronite Historians of Medieval Lebanon*, Beirut, 1959.
  - « The Traditional Historiography of the Maronites », in *Historians of the Middle East*, edited by Bernard LEWIS and P.M. HOLT, Oxford University Press, 1967.
  - « The Sayfas and the Eyalet of Tripoli 1579-1640 », *Arabica*, vol. XX, (1973), p. 25-52.

62. SAUVAGET, J., « Décrets Mamelouks de Syrie », *Bulletin d'Etudes Orientales*, 12, (1947-1948), p. 32-35.

63. SCHACHT, J., « Al-Awzai », *E.I.*[2], vol. I, p. 772-773.

64. SCHATKOWSKI SCHILCHER, Linda, *Families in Politics, Damascene Factions and Estates of the 18*[th] *Centuries*, Franz Steiner Verlag Wiesbaden Gmbh Stuttgart, 1985.

65. SERTOGLU, Midhat, *Muhteva Bakemindan Başvekalet Arşivi*, Ankara 1955.

66. SETTON, Denneth M. « The Catalans in Greece, 1311-1380 », in *A History of the Crusades*, ed. Harry W. HAZAED (University of Wisconsin Press 1975), III, p. 167-224.

67. SHARON, Moshe, « The Political Role of the Bedouins in Palestine in the 16th and 17th Centuries », in *Studies on Palestine During the Ottoman Period*, edited by Moshe Ma'oz, Jerusalem, 1975, p. 11-30.
68. SMITH, George Adam, *The Historical Geography of the Holyland*, New-York, 1907.
69. SOURDEL-THOMINE, J., « Al-Biḳā' », *E.I.*², vol. I, p. 1214.
70. VOORHEOVE, P., « Handlist of Arabic Manuscripts in the library of the University of Leiden and other collections in the Netherlands », in *Bibliotheca Universitatis*, Lugduni Batavorum, Leiden, 1957.
71. WIET, G., « Barḳūḳ », *E.I.*², vol. I, p. 1050-1051.
72. WILD, Stefan, « Al-Utaifi's Journey to Lebanon in 1043/ 1634 », Beirut, 1973.
- (ed.), *Rihlah min Dimashq al-Sham ila Tarablus al-Sham*, Beirut, 1979.
73. YEIVIN, Sh., *The Israelite Conquest of Canaan*, Nederlands Historishch Archaelogisch Insitute, Istanbul, 1971.

المراجع

١ - الأب لويس شيخو (ت ١٩٢٧م) : «بيروت: تاريخها وآثارها»؛ مجلة المشرق، ٢٣ (١٩٢٥م): ٥٤ -٥٩ و١٢٥-١٣١ و١٩٤- ٢٠٠ و٢٩٢-٢٩٨ و٣٧٢-٣٧٧ و٤٥٨-٤٦٣ و ٥١٧-٥٢٣ و٦١٨-٦٢٥ و ٦٦٨-٦٧٢ و٧٧٤-٧٧٧ و٨٦٤- ٨٦٨ و٩٤٤-٩٤٨، والمجلة نفسها (١٩٢٦م): ٧٥٧-٧٦٢.

٢ - إبراهيم أحمد المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ٢ ج، دار الكلمة، صنعاء ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٣ - آثار منطقة تبوك، منشورات وكالة الآثار والمتاحف، الرياض ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م ، أنظر صورة القلعة.

٤ - أحمد ايبش وقتيبة الشهابي، معالم دمشق التاريخية دراسة تاريخية ولغوية عن أحيائها ومواقعها القديمة، تراثها وأصولها واشتقاق أسمائها، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٦م.

٥ - أحمد آق كوندوز، التشريع الضريبي عند العثمانيين، ترجمة فاضل بيات، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية عمان، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م .

٦ - أحمد السيد الصاوي، نقود مصر العثمانية، مركز الحضارة العربية الإسكندرية ، ٢٠٠١م.

٧ - أحمد وصفي زكريا (ت ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، عشائر الشام، جزءان في مجلد واحد، ط ٢، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م.

٨ - ادوار فون زامباور (ت ١٩٤٩م)، معجم الأنساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه زكي محمد حسن بك وحسن أحمد محمود، جامعة فؤاد الأول (القاهرة)، ١٩٥١م.

٩ - أدي شير، معجم الألفاظ الفارسية المعربة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٠٨م.

١٠ - أنيس فريحه، أسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها، جونيه، ١٩٥٦م.

- معجم الالفاظ العامية في اللهجة اللبنانية، بيروت، ١٩٤٧م.

١١ – بريجيت مارينو، حي الميدان في العصر العثماني، ترجمة ماهر الشريف، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ٢٠٠٠م.
١٢ – الآب بولس قرألي (ت ١٩٥٢م) ، فخر الدين المعني أمير لبنان وفردناند الثاني أمير تسكانيا ١٦٢١–١٦٣٥م، حريصا ١٩٣٨م.
١٣ – حبيب الزيات (ت ١٩٥٤ م) ، « معجم المراكب والسفن في الإسلام »، المشرق، مجلد ٤٣ ، ١٩٤٩م.
– « دراقن الشام »، الخزانة الشرقية، ٣ ج، ط ٢ ، ١٩٩٩م.
– الخزانة الشرقية، مجلة أدبية تاريخية متخصصة بالمشرقيات، ٤ م، فيها مجموعة متميزة من التحقيقات والدراسات عن مدينة دمشق وأحيائها وحاراتها وخاناتها وحماماتها وأسواقها، ط ٢ ، مكتبة السائح، طرابلس، لبنان، ١٩٩٩م.
١٤ – حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ٣ ج، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٦م.
١٥ – حمود بن محمد النجيدي، النظام النقدي المملوكي ٦٤٨–٩٢٢هـ/ ١٢٥٠–١٥١٧م، دراسة تاريخية حضارية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٣م.
١٦ – حياة ناصر الحجي، « الأمير تنكز الحسامي نائب الشام »، من منشورات حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، ١٩٨٢م.
١٧ – خير الدين الزركلي (ت ١٩٧٦م)، الأعلام، قاموس تراجم ، ٨ ج، ط ٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م.
١٨ – رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي، ١ ج، بغداد ، ١٩٧٨م.
١٩ – شمس الدين سامي (ت ١٩٠٤م) ، قاموس الأعلام ، ٦ ج، استانبول، مطبعة مهران، ١٨٨٨م.
٢٠ – سركيس يوسف اليان (ت ١٩٣٢م)، معجم المطبوعات العربية، والمعربة في مجلدين، القاهرة، ١٩٢٩م.
٢١ – سعد محمد المومني، القلاع الإسلامية في الأردن في الفترة الأيوبية والمملوكية، دار البشير، عمان ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٢٢ – سمير الدروبي، « حركة الترجمة والتعريب في ديوان الإنشاء المملوكي– البواعث واللغات والمترجمات »، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، عدد (٦٢)، ٢٠٠٢م، ص ١١–٥٧.

– مقدمة في دراسة الترجمة والتراجمة في ديوان الإنشاء المملوكي، عمان، ٢٠٠٧ / ٢٠٠٨م.

– «أصناف التراجمة في ديوان الإنشاء المملوكي»، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عدد (٦٥)، ص ١١–٣٦.

٢٣ – سميرة فهمي علي عمر، إمارة الحج في مصر العثمانية (٩٢٣–١٢١٣هـ/١٥١٧–١٧٩٨م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م.

٢٤ – شجرات النسب ، ملحق رقم (٣) في كتاب :
Steven Runciman, *History of the Crrusades* (CUP 1966)

٢٥ – شوكت باموك، التاريخ المالي للدولة العثمانية، تعريب عبد اللطيف الحارس، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠م.

٢٦ – صفوح خير، غوطة دمشق، دمشق، ١٩٦٦م.

٢٧ – صلاح جرار، ديوان الحمراء– الأشعار العربية المنقوشة في مباني قصر الحمراء وجنة العريف بغرناطة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١ ، ١٩٩٩م.

٢٨ – صلاح الدين المنجد، مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالة المسلمين، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٦٧م.

– معجم المؤرخين الدمشقيين وآثارهم المخطوطة والمطبوعة، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٨م.

– «دور الطعم بدمشق– خطط دمشق»، مجلة المشرق، مجلد ٤٢ ، ١٩٤٨م، ص ٣٦٢–٣٦٤.

٢٩ – طه الطراونة ، مملكة صفد في عهد المماليك، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٢م.

٣٠ – عباس العزاوي، عشائر العراق، ٤ مجلدات، مطبعة بغداد، ١٩٣٧م، العشائر الكردية ١٩٤٧م، أهل الأرياف، ١٩٥٥م، يتناول عشائر المنتفق، ١٩٥٦م.

٣١ – عبد الله حبيب نوفل، تراجم علماء طرابلس وأدبائها، مطبعة الحضارة طرابلس، ١٩٢٩م.

٣٢ – الشيخ عبد الله البستاني (ت ١٩٣٠م)، البستان: معجم لغوي، ٢ ج، المطبعة الأمريكانية، بيروت، ١٩٣٠م.

٣٣ – عبد الرحيم أبو حسين ، لبنان والامارة الدرزية في العهد العثماني، وثائق دفتر المهمة ١٥٤٦–١٧١١م، دار النهار، بيروت، ٢٠٠٥م .

٣٤ – عفيف بطرس مرهج، أعرف لبنان، موسوعة المدن والقرى اللبنانية، بيروت، ١٩٧١–١٩٧٢م.

٣٥ - عمر عبد السلام تدمري، الحياة الثقافية في طرابلس الشام خلال العصور الوسطى، بيروت، ١٩٧٢م.
٣٦ - عيسى اسكندر المعلوف (ت ١٩٥٦م)، "كتاب التمييز في المحاضرات : مخطوط للأمير حسين بن فخر الدين المعني الثاني، الشرق، م ٢٧، ١٩٢٩م، ص ٨١١-٨١٥.
٣٧ - عيسى اسكندر المعلوف، تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٦م.
٣٨ - عيسى أبو سليم، الأصناف والطوائف الحرفية في مدينة دمشق خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، عام ٢٠٠٠م.
٣٩ - فاضل بيات، مترجم، بلاد الشام في الأحكام السلطانية (٩٥١هـ/١٥٤٤م - ٩٧٣هـ/١٥٦٦م)، إعداد وترجمة فاضل بيات، ١ ج، منشورات لجنة تاريخ الشام، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
٤٠ - فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ط ٢، ترجمه عن الألمانية كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٨٢م.
٤١ - فردريك .ج .بيك باشا، تاريخ شرقي الأردن وقبائلها، تعريب بهاء الدين طوقان، ط ٢، الدار العربية، عمان، د.ت.
٤٢ - قاموس المنجد في اللغة المعاصرة، المنجد، دار الشروق، بيروت، ٢٠٠٠م.
٤٣ - كمال سليمان الصليبي، "فخر الدين المعني الثاني والفكرة اللبنانية" أبعاد القومية اللبنانية، منشورات جامعة الكسليك، بيروت، ١٩٧١م.
٤٤ - كمال سليمان الصليبي، طائر على سنديانة- مذكرات، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٢م.
٤٥ - كمال سليمان الصليبي، منطلق تاريخ لبنان، بيروت، ١٩٧٩م.
٤٦ - كمال سليمان الصليبي، تاريخ لبنان الحديث، دار النهار للنشر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٢م.
٤٧ - الكونت دو منيل دوبويسون، «استحكامات بيروت وتحصيناتها القديمة»، مجلة المشرق م ٢٠، ١٩٢٢م.
٤٨ - نجم الدين محمد الغزي (ت ١٠٦١هـ/١٦٥١م) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، ٣ ج، تحقيق جبرائيل جبور، بيروت، ١٩٤٥-١٩٥٩م. لطف السحر وقطف الثمر من تراجم الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر، مخطوط المكتبة الظاهرية رقم (٤١)، الأوراق ١٦٨-٢١٧.

٤٩ – ليلى الصباغ، الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين السادس عشر والسابع عشر (العاشر والحادي عشر الهجريين)، ٢ ج، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٨٩م.

٥٠ – ماكس فرايهر فون اوبنيهايم، (Max F. Von Oppenheim) و أريش برونيلش (Erich Braunlich) وفرنر كاسكل (Werner Caskel)، البدو، ٤ ج، ترجمه من الألمانية ميشيل كيلو ومحمود كبيبو، تحقيق وتقديم ماجد شبر، شركة دار الوراق للنشر المحدودة، لندن، ٢٠٠٤م.

٥١ – محمد أديب آل تقي الدين الحصني (١٢٩٢هـ/ ١٨٧٤م– ١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠م)، كتاب منتخبات التواريخ لدمشق، ٣ ج، قدم له كمال سليمان الصليبي، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩م.

٥٢ – محمد طه الولي: تاريخ المساجد والجوامع الشريفة في بيروت، بيروت، ١٩٧٣م.

٥٣ – محمد بن عبد المنعم الحميري (ت ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م)، الروض المعطار في خبر الأقطار. تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٧٥م.

٥٤ – محمد عدنان البخيت، « جوانب من تاريخ بيروت في العهدين المملوكي والعثماني » في كتاب دراسات عربية مهداة إلى إحسان عباس، تحرير وداد القاضي، الجامعة الأمريكية بيروت، ١٩٨١م، منشورة في هذا الكتاب.

– مجلة العاصمة، جريدة الحكومة الرسمية ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م، اشراف محمد عدنان البخيت، جمع وإعداد هند أبو الشعر، محمد الارناؤوط وسلطي شخاترة، جامعة آل البيت، ١٩٩٨م، الأعداد: ١٥٠–١٦٢.

– «الأسرة الحارثية في مرج بني عامر ٨٨٥–١٠٨٨هـ/ ١٤٨٠-١٦٧٧م»، مجلة الأبحاث، الجامعة الأمريكية في بيروت، ٢٨ م، (١٩٨٠م)، ص ٥٥–٧٨.

– مملكة الكرك في العهد المملوكي، عمان، ١٩٧٦م.

– ناحية بني الأعسر في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، في دراسات في تاريخ بلاد الشام "الأردن"، منشورات أمانة عمان الكبرى، عمان، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

– حيفا العثمانية، دراسات في تاريخ بلاد الشام: فلسطين، منشورات أمانة عمان الكبرى، ٢٠٠٧م.

– تاريخ حيفا العثمانية، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني / ٢ ، ١٩٧٨م، الحاشية رقم (٣١).

- ناحية بني جهمة في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، دراسات في تاريخ بلاد الشام "الأردن"، منشورات أمانة عمان الكبرى، عمان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- العوائد المالية لمقاطعات دمشق الشام على ضوء دفتر طابو (T.D. 474)، ٩٧٧هـ/١٥٦٩م مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن، في كتاب تكريمي للمرحوم الأستاذ الدكتور يوسف إيبش، لندن، ٢٠٠٦م، منشورة في هذه الدراسة.
- دور أسرة آل الحنش والمهام التي أوكلت إليها في ريف دمشق الشام، ٧٩٠هـ/١٣٨٨م-٩٧٦هـ/١٥٦٨م - دراسة وثائقية، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، العددان، ١٣ ، ١٤، محرم ١٤٠٤هـ/تشرين أول (أكتوبر) ١٩٨٣م، ص ٨٨-١٣٧، منشورة في هذه الدراسة.
- ناحية بني كنانة في القرن العاشر الهجري/السادس عشر لميلادي منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٩م.

٥٥ - محمد كرد علي (ت ١٩٥٣م)، غوطة دمشق، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ط ٢ ، ١٩٥٢م.
- خطط الشام، ٦ ج، ط ٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧١م.

٥٦ - محمد محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨هـ- ٩٢٣هـ/١٢٥٠م-١٥١٧م، دراسة تاريخية وثائقية، القاهرة، ١٩٨٠م.
- «الشاهد العدل في الشرع الإسلامي : دراسة تاريخية مع نشر وتحقيق اسجال عدالة من عصر سلاطين المماليك»، الدارة، عدد ٢ ، ٨ م، (١٤٠٣هـ/١٩٨٢م)، ص ١٢٦-١٥٧.

٥٧ - محمد ناصر الألباني، الأحاديث الضعيفة والموضوعة، المكتب، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

٥٨ - مصطفى الحياري، الإمارة الطائية في بلاد الشام، عمان، ١٩٧٧م.

٥٩ - مفلح نمر الفايز، عشائر بني صخر تاريخ ومواقف حتى سنة ١٩٥٠م، ط ١، عمان ١٩٩٥م.

٦٠ - الجامع لنصوص الاقتصاد الإسلامي، ٣ ج، إشراف عبد العزيز الدوري، منشورات مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي، عمان، ٢٠٠٢-٢٠٠٣م.

٦١ - الموسوعة الفلسطينية، ٤ م، دمشق، ١٩٨٤م.

٦٢ - نوفان رجا الحمود، العسكر في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١م.

الفهارس

الأعلام

– أ –

- ب -

- ت -

- ج -

- ح -

- خ -

- د -

- ذ -

- ر -

- ز -

- س -

- ز -

- س -

- غ -

- ف -

– S –

– V –

– W –

– Y –

– Z –

الجماعات والطوائف

– ب –

- غ -

الأماكن

– ب –

- ت -

- ج -

- ح -

- خ -

- ر -

- ز -

- س -

- ش -

- م -

- L -

- N -

- O -

- P -

- S -

- T -

- U -

- W -

- Y -

المصطلحات

أبدال - وحدات تتناوب الحراسة والخفر: ص ١٣١ .

أسكلة - ميناء : هامش ٤٨، ص ١٠٩ .

الأشرفيات - النقود الذهبية التي كانت على طرازين وقام بضربها السلطان الأشرف سيف الدين برسباي : هامش ٦٩، ص ١٨٤ .

الأقجة - هي وحدة النقد العثماني المسكوكة من الفضة : هامش ٥٠، ص ١٣٦ .

الأقسماوية - شراب من المثلجات الممزوجة بالزبيب المدقوق : ص ٢٠٣ .

أولاق - مرسال : ص ٥١ .

البادهوا - مصطلح مالي ضرائبي مؤلف من كلمتين " باد" وهي فارسية و" هواء" العربية وتعني ريح الهواء وهي تشبه رسوم الطيارات في العهد العباسي : هامش ٤٧، ص ٢٣٩ .

البارة - وحدة نقد عثمانية مضروبة من الفضة تساوي الواحدة منها آقجتين : هامش ١٥٢، ص ٢١٢ .

البدرة - هي جلد السخلة اذا فطم ويقال ثلاث بدرات واستخدم بمعنى كيس فيه ألف أو عشرة الآف : هامش ٣٥، ص ١٠٣ .

البطس - مفردها بطسه وهو نوع من السفن : هامش ٧، ص ١٢٣ .

التجاريد - صدام مسلح على شكل حملات عسكرية : هامش ١٤، ص ٢٨ .

جامكية - مصطلح فارسي مركب من " جامة " أي قيمة ، وكي وهي أداة النسبة وتعني الراتب والجراية : هامش ١٠٢، ص ١٥٠ .

جرايم أوجنايت - هي غرامة حيث تتقاضى الدولة العثمانية رسوما مقابل استبدال بعض الاحكام الشرعية المتعلقة بالقضايا غير الغليظة بغرامات مالية بدل حكم الشريعة : هامش ٤٦، ص ٢٣٩ .

الجروخ - مفردها جرخ ، فارسية الاصل من أدوات الحروب على شكل قوس ترمي عنها السهام والحجارة : هامش ١٧، ص ١٢٧ .

الجون - يفيد معنى الزاوية ويذكر عادة مضافا الى عكار جون عكار : هامش ٣٠، ص ١٠٠ .

الحزن – ما غلظ من الارض في ارتفاع : هامش ٢٨، ص ، ٩٨ .

حق المرعى – لا يؤخذ أي مبلغ اذا دفع صاحب الاغنام الرسم المطلوب وفي الاماكن المحمية للمراعي يدفع صاحب القطيع ، أو يقدم خروفا عن قطيعه : هامش ٢٣، ص ٢٣٣ .

الحماية – مبلغ من المال كانت تدفعه العشائر والقرى منذ أيام المماليك : هامش ٢٢، ص ٢٣٣ .

الخانة – يقصد بها الأسرة المؤلفة من الأب والأم ومن يعولان ويقدر المختصون عددهم ما بين (٥–٧) أنفار : هامش ١٩، ص ٢٣٣ .

خرصان – جاءت خرصاز أما الخرصان فهي الرماح : هامش ٦١، ص ١١٦ .

خواجكان – مصطلح من أصل فارسي كان يستخدم لوصف عمل كبار الموظفين العاملين في ادارة الخزينة السلطانية بعد أن يكونوا قد عملوا في الديوان السلطاني : هامش ٢٣، ص ٢٩١ .

الدلأل – الجامع بين البيعين / والدلال حرفة من يتوسط بين الناس في البياعات وينادي على السلعة من كل جنس : هامش ٧٢، ص ١٨٥ .

الديموس – مصطلح يوناني (بيزنطي) الأصل في بلاد الشام وهو يقابل المصطلح المملوكي ذي الجذور اللاتينية يطلق على ما هو مقطوع بالأقجة أو بالغلات في الولاية : هامش ١١٣، ص ٢٠٢ .

رسم عروسية – أو عروس او عروسانة هو المبلغ من المال يدفع في المحكمة عند عقد القران : هامش ٤٥، ص ٢٣٩ .

رسم قشلاق – يؤخذ خروف أو يعادل ثمنه بالأقجة على كل مائة راس من الماعز او الخراف القادمة من خارج السنجق : هامش ٢٤، ص ٢٣٣ .

رهمجية – هامش ١٠٧، ص ١٥١ .

الزبيب – هو جفيف العنب خاصة وأفضله أكثرها لحما وأرقه قشرا : هامش ٧١، ص ١٨٤ .

السكبانية – عبارة عن طائفة كان وضعهم أن الواحد منهم يحمل البندقية على ظهره ويقود الكلب في ساجورة ويمشي أمام الأمير أو الكبير حين يسير الى صيد وهو لفظ فارسي ماخوذ من سك فأما سك فهو الكلب بلغتهم واما بان فهو بمعنى الحامي أي حامي الكلب : هامش ٩، ص ٩٠ .

السمسارية – التوسط ما بين البائع والمشتري وهو الذي يسميه الناس (الدلال) وذكر البعض أنها معربة عن الفارسية : هامش ٧٣، ص ١٨٥ .

الشفاقة – بقية النهار، والشيء اليسير الذي يبقى في الإناء من الشراب : هامش ٤٢، ص ١٠٥ .

السهم – حددت في الغالب حصص الأوقاف بالسهم... يقسم الشيء الواحد إلى أسهم : هامش ١٣، ص ٢٣٢ .

السـوق - هو سوق الناس بضائعهم اليها وهو موضع البياعات : هامش ٨٢، ص ١٨٩ .

الشـاد - هامش ٧٩، ص ١٨٧ .

شبا - الشباة طرف السيف وحده وجمعها شبا : هامش ٤١، ص ١٠٥ .

شقاشق - جميع الشقشقة وهي " لهاة البعير ولا تكون الا للعربي من الإبل" وقيل هو شيء كالرئة يخرجها البعير من فيه اذا هاج : هامش ٢٤، ص ٩٧ .

الشوال (الجوَال) - "الكيس من الخيش ، يعبأ فيه الحب أو الدقيق أو نحوه : هامش ٣٤، ص ١٧٤ .

الطبلية - "سلة الطعام وهو كالخوان ويقال الطبلية والجمع الطبالي" ولكن يكون على شكل صفيح من المعدن المقوى أو من الخشب على شكل طاولة صغيره : هامش٤٠، ص ١٧٥ .

الطعمة - نوع من الفيء أو الخراج أو الإتاوة : هامش ١٩، ص ١٧٠ .

الظرف - هو الوعاء وهو وعاء كل شيء حتى أن الإبريق ظرف مافيه : هامش ١٤، ص ١٦٩ .

عادت (عادة) - هي مجموعة الرسوم التي تدفعا العشيرة : هامش ٢١، ص ٢٣٣ .

العثمانية - هي الآقجة ، وحدة النقد العثمانية المضروبة من الفضة الخالصة قبل أن يدخلها الزغل : هامش ١٦، ص ٢٣٢ .

العدان - يطلق مصطلح عدان في بعض الاماكن على مساحة الارض التي يسقيها النهر الذي يتم سد مجراه ويسمح له بالمسيل من فتحة في غضون يوم وليلة : هامش ١٥،ص ٢٣٢ .

غلايين - جمع كلمة غليون التي هي تحريف لكلمة galleon , galion و galeone الايطالية وهي سفينة أكبر من galley كان يستخدمها الاسبان في التجارة : هامش ٣٣، ص ١٠١ .

الفدان - الفدان الروماني / هي الساحة التي يحرثها زوج من الثيران في يوم وليلة : هامش ١٤، ص ٢٣٢ .

الفدان الاسلامي - هو ما يحرثة زوج من الثيران في يوم بكامله : هامس ١٤، ص ٢٣٢ .

فدان الحراث - ما يحرثه زوج الثيران في نصف يوم حتى وقت الظهر : هامش ١٤، ص ٢٣٢ .

فدان سليخ - أي الأرض الصالحة للزراعة بالحبوب والمحاصيل الصيفية الا أنها غير مشجرة : هامش ١٧٠ ، ص ٢١٨ .

القابي قول - عبيد الاعتاب السلطانية : ص ٣٠٥ .

قالب - "كالمثال هو الشيء الذي يفرغ فيه الجواهر ليكون مثالا لما يصاغ عليه وكذلك " قالب الخف ونحوه" : هامش ١٣، ص ١٦٨ .

قبلة - هي هنا تحريف لكلمة قبالة وتعني وكل من تقبل بشيء مقاطعة وكتب عليه بذلك الكتاب فعملة القبالة، والقبيل ايضا هو " العريف والضامن" : هامش ٦٨، ص ١٨٣ .

قراقر - هامش ١٢، ص ١٢٤ .

القفة - "القرعة اليابسة تتخذ من الخوص تكون مقورة ضيقة الرأس : هامش ٤٨، ص ١٧٧ .

القنطار - هامش ٩٦، ص ١٩٤ .

القيراط - يعرف قانوننامة بلاد الشام القيراط : ان كل شيء يقسم على أربعة وعشرين قيراطا : هامش ١٢، ص ٢٣٢ .

كافل - مرادف لمصطلح " نائب" وهو من القاب كبار النواب كنائب دمشق : هامش ٢٥، ص ٩٧ .

الكرباس - ثوب من القطن وكل من يبيع الكرابيس بدمشق يسمر الطاطري : هامش ٧٠، ص ١٨٤ .

الكشمش - هو الزبيب الصغير الذي لا عجم له وهو أجود : هامش ٧١، ص ١٨٤ .

الكمرك - هي جبي الجمارك على السلع والمواشي والعبيد وهي المبالغ النقدية التي تؤخذ على البضاعة الداخلية أو الخارجة : هامش ٦٤، ص ١٨٢ .

الكهرباء - كلمة فارسية الأصل وهي مؤلفة من كلمتين (كاه- ربا) أي جاذب التبن وهي نوع من أنواع الاحجار تستخدم في نظم المسابح : هامش ٧٥، ص ١٨٦ .

المبرطش - هامش ٧٢، ص ١٨٥ .

المجرد - الاعزب الذي لا يعيش مع أسرته وربما عنى بها أيضا الغرباء : هامش ٩٣، ص ١٣٥، كذلك هامش ٢٠، ص ٢٣٣ .

مرصوص - مفردة قرآنية جاءت في سورة الصف آية رقم (٦١) : هامش ١٥، ص ٢٩ .

المشدودة - المزروعة بالقمح أو الشعير : هامش ٦٣، ص ٥٠ .

المواريث الحشرية - هي مال من يموت وليس له وارث خاص بقرابة أو نكاح أو ولاء أو الباقي بعد الفرض من مال من يموت وله وارث ذو فرض ولا يستغرق جميع المال ولا صاحب له : هامش ٩٠، ص ١٩٣ .

المين - هامش ١١٩، ص ١٥٤ .

النبع - من أشجار الجبال تصنع منها القسي : هامش ٣٨، ص ١٠٤ .

اليرلية - العناصر العسكرية المستوطنة مثل عائلة المهايني بحي الميدان : ص ٣٠٥ .

فهرس المحتويات

أُخرج هذا الكتاب

في قسم المطبوعات في المعهد الفرنسي للشرق الأدنى
قسم الدراسات العربية
وتمت طباعته في مطابع ألف باء الأديب

(طُبع في سورية، حزيران ٢٠٠٨)



Volume III

Studies in the History of Bilad al-Sham

《Syria and Lebanon》

Muhammad Adnan Bakhit

Studies in the History of Bilad al-Sham

Damascus , 1429 AH / 2008

دمشق ٢٠٠٨
عاصمة الثقافة العربية
DAMASCUS 2008
ARAB CAPITAL OF CULTURE

ifpo